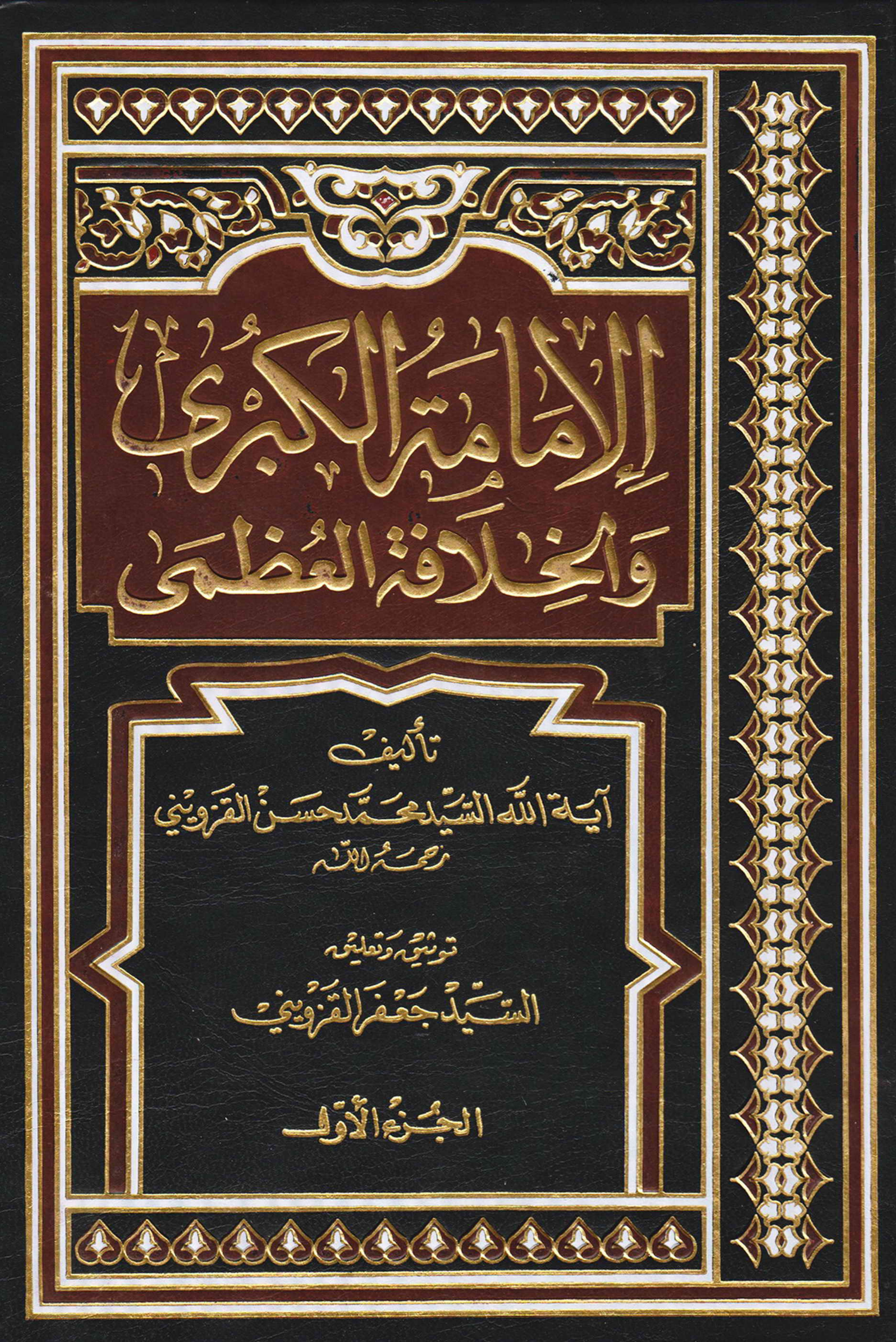

الإمامة الكبرى
والخلافة العظمى
تأليف
آية الله السيد محمد حسن القزويني
رحمه الله
توثيقه وتعليقه
السيد جعفر القزويني
الجزء الأول


الإمامة الكبرى
و
الخلافة العظمى





تأليف

آية الله السيد محمد حسن القزويني - رحمه الله -

توثيق وتعليق

السيد جعفر القزويني

الجزء الأول

دار القارئ

الطبعة الاولى
١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م

دار القارئ
تلفون: ٠٣/٤١٣٢٥٦ - ص.ب: ٢٥/٢٥٨ - بيروت - لبنان

المحتويات

ألف باء

الحمدُ لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وآله المعصومين، واللعنة الدائمة علىٰ أعدائهم إلىٰ يوم الدِّين.

من الضروري فتح باب الحديث عن موضوع الخلافة بعد رسول الله بدءاً بالحديث عن جدوىٰ النقاش في هذا الموضوع في العصر الحاضر، ثمّ آليّة الحوار بين المذهب الشيعي والمذاهب الأخرىٰ، وضرورة تنقية كتب الحديث وتهذيبها، وانتهاءً بالتنبيه علىٰ المسؤوليات الكبرىٰ الّتي يتحملها الجميع في هذه الحقبة، ثمّ الحديث عن هذا الكتاب القيم ومؤلّفه وتحقيقه وتوثيقه.

أ ـ جدوىٰ النقاش في قضية الخلافة في العصر الحاضر:

مع التغيرات الدوليّة الجديدة وانعكاساتها علىٰ المجتمعات الاسلاميّة، والظروف الإقليميّة، والصحوة الّتي بدأت تشهدها المجتمعات الإسلاميّة منذ عقدين، ومع الاندفاع الجماهيريّ العامّ بحو التعرّف علىٰ المذهب الشيعيّ، تُرىٰ: ما هو مصير النقاش في مسألة خلافة رسول الله الّتي هي أم الخلافات بين المذهب الشيعي والسنّي وأساسها؟ هل يمكن اليوم تجميد النقاشات فيها أم يلزم دفع عجلتها بهدف الوصول إلىٰ نتيجة تحلّ الخلافات؟

الإجابة تظهر من الأمور التالية:

أوّلاً ـ إذا كان الهدف هو الوصول إلىٰ الحقيقة، ثمّ اعتناقها فإنّ الحوار والنقاش يكون أمراً ممدوحاً ومطلوباً في الإسلام حتّىٰ في قضيّة التوحيد، فكيف بقضيّة الإمامة والخلافة، وهي بلا شكّ ليست أهمّ من التوحيد.

ثانياً ـ إنّ الحوار في القضايا الثانويّة، لايؤدّي دائماً إلىٰ وضوح الحقّ، بل كثيراً ما يكون عقيماً، ويصل إلىٰ طريق مسدود، أو تكون ثمّة نتائج محدودة، لأنّ أبطال رأي فقهي ـ مثلاً ـ لا يعني بالضرورة إبطال الاصول، لذلك فمن اللازم حصر النقاشات علىٰ أُم الخلافات، لأنّه إن ثبت أنّ خلافة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ للامام علي وأولاده المعصومين المعينين من قبل الله (عزّ وجلّ)، فمصادر تشريع الاحكام الفقهية ومناهج الفكر ستختلف عما لو كانت لغيرهم.

ويأتي تأليف وتوثيق وطباعة هذا الكتاب ـ وسائر الكتب المشابهة ـ في هذا السياق، ولا تهدف هذه الفعاليات توسيع هوّة الخلافات وتأجيج نار الفرقة وفتح

ملفات قديمة مغلقة، بل العكس، فانّها محاولة لتقريب وجهات النظر وزرع الثقة بين المسلمين لتعبيد السبيل إلىٰ معرفة الحقيقة التي ستؤدّي إلىٰ بناء أمّة واحدة ذات مبادئ عقائدية وفقهية ومنهجية واحدة، واقامة حضارة اسلامية رشيدة.

ثانياً: إنّ بيان وجهات نظر المذهب الشيعي فيما يتعلق بجميع الحقول ـ ولا سيما الخلافة والامامة ـ أمر ضروري للغاية، وذلك كي يعرف اتباع المذاهب الاخرىٰ ما في هذا المذهب بعيداً عن الاتهامات الّتي لفّقها الأعداء وخصوصاً سلاطين الظلم والإرهاب لأغراض سياسيّة.

وقد اثبتت التجارب أنّه كلما قام اتباع المذاهب بدراسة عقيدة وفقه وفكر الشيعة عن حقيقة وجد،إلاّ وتشجّعوا علىٰ الالتزام به، فمثلاً اقتبس قانون الوصية المصري رقم ٧١ من رأي في الفقه الشيعي، وكذلك تمّ اقتباس آراء موجودة في هذا الفقه في كل من: أيمان الطلاق، الطلاق الثلاث بلفظ ثلاث، عدم وقوع الطلاق البدعي، اشتراط الإشهاد لايقاع الطلاق.

ومن المؤسف أن الفكر الشيعي محجورٌ عليه، بل ويمارس ضدّه أشدّ أنواع الإرهاب والملاحقة وقد أدّىٰ هذا الحجر والإرهاب الّذي لا مبرّر له سوىٰ الاستمرار في ظلام العهود الغابرة إلىٰ تعمّق وتوسّع الهوّة النفسية بين أكبر طائفتين من المسلمين.

وعبر التاريخ لم يجد الشيعة فرصة كافية للدفاع عن مذهبهم، ولا امتلكوا الإمكانات الكافية لردّ التهم الباطلة ضدّهم وما كان ينشره أعدائهم ممّن امتلكوا ناصية المال والحكم في بلادنا.. أمّا الآن فقد تغيّرت الأوضاع. وآن وقت انبلاج الحق. والدفاع عنه خصوصاً مع سقوط بعض رموز القمع والإرهاب المضادّ لشيعة في أذهان المسلمين. وصار من الضروري القيام بما يمكن من أجل التعريف بهذا المذهب للآخرين. ويأتي تحقيق ونشر هذا الكتاب وأمثاله في هذا السبيل.

والحقّ انّ الكثير ممّا كتب عن التشيع والشيعة ـ من غير الشيعة ـ لا تعتمد علىٰ قراءات منصفة عنه وعنهم، وربّما لو كانت الفرصة تُتاح لهم للتعرف الحقيقي علىٰ المذهب، لكانوا يكتبون شيئاً آخر. ولعلّ بعضهم معذور في ذلك، لأنّه يعيش في مناخ ثقافي ملأه الريبة والكراهية، وهذه الصعوبات قد ترتفع عند توفّر تلك الفرص، ويتحقّق ذلك بالقراءة المنصفة المدقّقة حول عقيدة التشيع وفقهه وتعاليمه وفكره، ونأمل أن يحقّق نشر هذا الكتاب وأمثاله مثل هذه الفرصة.

ج ـ الحوار والوحدة بين الشيعة المذاهب الأخرىٰ:

منذ أن تدخّل الاستعمار في شؤون الأمّة الاسلاميّة في هذا القرن، وقام بفرض نموذج الحياة الّتي يريدها علىٰ هذه الأمّة، ثمّ النزاعات الّتي كانت تقع بين الآونة والأخرىٰ بين فرق المسليمن، ظهر اتجاهان أساسيّان لدىٰ المسلمين الشيعة عند الكتابة عن الخلافة والإمامة:

١ ـ الاقتصار علىٰ القضايا العامّة، والطابع العام لهذا النوع من الكتابات هو تضخيم دور العامل العقائدي والفقهي في تفرّق المسلمين، وإلقاء اللوم علىٰ الشيعة لطرحهم أموراً ترفضها المذاهب الأخرىٰ، هذه الكتابات تتجاهل عوامل الإختلاف الحقيقيّة.

٢ ـ طرح قضيّة الخلافة والإمامة بصورة جادّة هذه الكتابات تميّزت بصراحة النقاشات حول نظريّة الخلافة والإمامة عند الشيعة ورأيها في الحوادث الواقعة بعد وفاة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

وقد كان الاتجاه الأوّل ذا تهريج، وكان يلتزم طريقة كمّ الأفواه لكل من يخالف طريقه، ونظراً إلىٰ بعض الأمور، استطاع هذا الاتجاه من خلق أجواء كاذبة لا تسمح بنشر ما يتعلّق بالإمامة بالنحو اللازم، لذلك شهدت حركة الحوار الشيعي ـ السنّي الهادف إلىٰ معرفة الواقع، بعض الفتور، ثمّ استخدم هذا الاتجاه قواه، فقام بتحريف عدد من الوقائع بهدف خلق أجواء بعيدة عن «مواضيع الخلاف».

غير انّه ولاعتبارات عدّة، لم يستطع هذا الاتجاه من إحراز النصر، فقام الاتجاه الآخر بالردّ عليه من خلال منظومة مكوّنة من مجموعة كتب ومجلّات وأشرطة ومحاضرات ودروس و...، الردّ هذا كان عبارة عن التنبيه علىٰ ما تجاهله أو عمل علىٰ تحريفه الاتجاه، واثباتها بسرد من الأدلّة والنصوص، ومن الواضح إنّ هذه الكتابات كانت تشتمل علىٰ أجواء داعية إلىٰ الإلتزام بنظريّة الخلافة وفق رواية الشيعة، وردّ ما سواها، وربّما مع مقدار من التشدّد الّذي جاء نتيجة لمحاولات التحريف والتجاهل. وكانت هناك انعكاسات سلبيّة لهذا الخلاف.

في الجهة الأخرىٰ ظهرت كتابات غير ملتزمة باخلاقيّات الحوار، فقامت بالتهجّم غير المقبول علىٰ الشيعة، متّهمة إيّاهم بكلّ شيء، داعية المسلمين إلى القضاء عليهم، هذا إلىٰ جانب التشدّد مع الشيعة في العديد من الدول الإسلاميّة حتّىٰ في قضايا حقوقيّة

تتعلّق بالأحوال الشخصيّة، هذا الأمر كان له انعكاسات سيّئة جدّاً.

وتكثّفت الدعوات إلى الحوار بين الشيعة والمذاهب الأخرىٰ والوحدة بينها، بيد أنّ أغلب هذه الدعوات لم تكن ناشئة عن نوايات صادقة وشعور بالمسؤوليّة، بل كانت تهدف إلىٰ تحقيق مآرب خاصّة، منها رفع الشيعة اليد عن مجموعة من معتقداتهم وآرائهم الفقهيّة، وقد كان من المعلوم أنّ الشيعة - بشكل عام - لا يوافق عليه.

فالحوار بين المذاهب الإسلاميّة حول ما يهمّهم ويعنيهم أمرٌ يرغب فيه كلّ مسلم، لكن يجب تعيين حدّ وأسلوب عمل لتحقيق ذلك.

إنّ الشيعة لا يرفضون الجلوس مع غيرهم من المذاهب للتحدّث حول سبل المجابهة الموحّدة لأعداء الإسلام والكفّار واليهود، ويرغبون في النقاش حول كيفيّة مجابهة الأفكار الهدّامة وإعادة مناهج الإسلام إلى الحياة فكراً وسلوكاً، لكن بشرط أن لا يكون ذلك علىٰ حساب معتقداتهم، وأن تكون الأجواء كفيلة بنجاح هكذا حوار ونقاش، ومن الأمور الّتي تهيّء هكذا أجواء هو إعطاء الحريّة للمذهب الشيعي كي يقول ما يريده، بدون أي حجر إعلامي عليه، ونفس هذا الأمر سيؤدّي إلىٰ رفع الحواجز النفسيّة للنقاش الهادف.

هذا بالنسبة إلى الحوار من أجل العمل المشترك أمام أعداء الدِّين، وأمّا الحوار من أجل توحيد العقيدة والفقه والفكر، فهو بحاجة إلىٰ مزيد من الجهود، واجتياز الترسّبات التاريخيّة والالتزام بالواقعيّة في معالجة الأمور. والخلافات بين الشيعة والسنّة في العقيدة والفقه هي خلافات جذريّة، ولأجل معالجتها يجب أوّلاً حلّ الخلاف حول الخلافة بعد رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله - لمن كانت؟ وذلك سيؤدّي إلىٰ تعبيد الطريق لحلّ سريع وشامل لبقيّة الخلافات، ويجب أن تكون الاساليب المتّخذة للوصول إلىٰ هذا الهدف جديّة، مثلاً هل عقد المؤتمرات، والملتقيات الفكريّة كفيلة بذلك؟ كيف يمكن تحقيق الوحدة الفكريّة في أجواء يجلس عالم من كلّ مذهب في موقع المحامات والدفاع عن معتقدات مذهبه، ولا يرضىٰ بحدوث أيّ شرخ في جار معتقداته؟

والّذي يؤسفني جدّاً أنّه كلّما يقع الحديث عن الوحدة، فوراً توجّه الدعوات إلى الشيعة لالتزام «الاعتدال»، والمقصود من هذه الكلمة تجميد أو رفع اليد عن بعض المعتقدات والآراء الفقهيّة؟ لماذا لا يطالب الآخرون من الّذين ظلم أسلافهم أتباع هذا المذهب بالاعتدال؟ لماذا هذه الإزدواجيّة في التعامل بين المذاهب، أليست هذه الدعوات

تفقد الوحدة مصداقيّتها؟ مع أنّ الشيعة لا زالوا في مواقع دفاعيّة محضة.

إنّ الحوار بين الشيعة وبقيّة المذاهب وإيجاد الوحدة في الأفكار شيء يرغب فيه الشيعة أنفسهم لكنّه يجب أن لا يكون علىٰ حساب التراجع عن المعتقدات، ونقاشات الوحدة يجب أن تتركّز علىٰ الجذور، أمّا حصر النقاش علىٰ المعلولات فهو أشبه ما يكون بحوار الطرشان.

د ـ ضرورة إعادة صياغة كتب الحديث:

إنّ تدوين كتب الحديث قد عاصر ظروفاً خاصّة، وكان أصحابها ذوي رؤىٰ فكريّة معيّنة، تلك الظروف قد انقرضت اليوم بشكل نهائي، وتلك الرؤىٰ يجب أن تندرس اليوم، ويلزم اعتماد الأساليب الحضاريّة، والاعتدال المعقول ورعاية الأخلاقيّات في تدوين الكتب الّتي تكون مرجعاً عامّاً لكثير من المسلمين.

وهذا الأمر يحتّم على العلماء الإختصاصيّين إعادة صياغة أبواب هذه الكتب وتنقيحها من الشوائب، فالبخاري ومسلم والترمذي وأمثالهم لم يكونوا معصومين، ولم تكن نواياهم حسنة، فمثلاً يمتنع البخاري عن نقل حديث واحد عن حفيد رسول الله الامام جعفر الصادق، مع أنّ أئمّة التراجم من المذهب السنّي وثّقوه بتوثيق حسن، هذا الامتناع يكون في وقت يعتمد هذا البائس علىٰ حوالي خمسة عشر من رموز الكذب والوضع ـ بشهادة علماء السنة أنفسهم ـ في نقل الحديث. ومسلم لم ينقل في كتابه حديثاً واحداً عن جابر الجعفي مع أنّه كان يرىٰ وثاقته، بالرغم من وجود ما لا يقلّ عن خمسين ألف حديث ممّا رواه جابر عن رسول الله بطريق أهل البيت في متناوله، والسبب في عدم النقل كما يقوله مسلم ـ هو ـ تشيّع جابر الجعفي!!.

إلىٰ متىٰ والبعض يبني سوراً من القدسيّة والعصمة حول البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة و....، وإلىٰ متىٰ يحاول البعض توجيه أخطائهم الّتي أورثوا المسلمين من جرّائها الذلّ والنكبات، إلىٰ متىٰ يفضّل البعض الامتناع عن توجيه النقد إلىٰ هذه الكتب؟

في ما يسمّىٰ بـ «الصحاح» أحاديث تنافي العقائد الاسلاميّة الثابتة والمقرّرة لدىٰ المسلمين، وهناك أحاديث تفيد بصراحة وقوع التحريف الكبير في القرآن، وأخرىٰ تنافي نبوّة وعصمة وأخلاق رسول الله، صراحة وتلازماً و....، هذه الأمور لا ارتباط لها

بسنّة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فالسنّة لها حصانة قويّة ومكانة سامية، لكن الوضع ليس له إلا الطرد النهائي، مثلاً واقعة الغرانيق الّتي تنافي عصمة النبيّ وتنافي أكثر من عقيدة مسلّمة عند جميع المسلمين، ذكرت بعدّة طرق في هذه «الصحاح»، في حين أنّ جميع الرواة الّذين رووا الواقعة لم يكونوا موجودين إبان وقوعها المزعوم، سوىٰ ابن عباس لكنّه كان له من العمر سنتان فقط، أليس هذا كاشفاً عن الوضع الكامل للواقعة؟ وهناك عشرات النماذج الأخرىٰ.

هل من الصحيح أن تُجعل لهذه الكتب الّتي تهدم حصانة النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ حصانة؟ في ما يعرف بـ «الجوامع الصحاح» أكبر انتهاك لشخصيّة رسول الله، فيها إنّ النبيّ بال أمام أحد مرافقيه، بال وهو واقف، صلّىٰ الجماعة وهو مجنب، ثمّ تذكر وذهب واغتسل وجاء، جامع عائشة وهي حائض من علىٰ خرقة، نام عن صلاة الصبح فقضاها و...، ومن الواضح أنّ القول أنّ البخاري ومسلم والنسائي والترمذي ورواة هذه الوقائع المزعومة كذبوا وأخطأوا، أفضل من نسبة الأمور المذكورة إلى النبيّ العظيم.

وقد ظهر أخيراً بعض الأعلام الداعين إلىٰ ضرورة تنقية كتب الحديث هذه لحذف الأباطيل والموضوعات منها، وأخص بالذكر الداعية الكبير الشيخ محمّد الغزالي، الدكتور عبد الجليل الشلبي، الدكتور محد عماره المستشار الجندي وإن كان لنا تحفّظات عليهم من جهات أخرىٰ.

هذا الكتاب

يتحدّث هذا الكتاب عن خلافة رسول الله ـ صلّىٰ الله عـليه وآله ـ ويشـتمل عـلىٰ مجموعة كبيرة من الأدلّة علىٰ خلافة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب بعد رسول الله مباشرة وبلا فصل. كما يشتمل علىٰ أجوبة مناسبة علىٰ النقاشات والسخافات الّتي أوردها بعض أعلام المذاهب الأخرىٰ، حول ما له علاقة بمعتقدات مـذهب التشـيّع، ولا سيّما خلافة الإمام عليّ عليه السلام.

في مقدّمة الكتاب يبين المؤلف أسـاليب الحـوار والدعـوة إلىٰ الله، ثـمّ يـتعرّض لنماذج لم يُراعَ فيها الاعتدال والمنطق والعقل، فيناقشها، وأحـياناً يـطيل الكـلام عـند التحدّث عن بعض المواضيع نظراً للضرورة الّتي كان يراها ـ رحمه الله ـ

ويشمل الكتاب أيضاً في ثناياه علىٰ ردود صريحة للممارسات الّتي كان يقوم بها البعض بهدف إثـارة الشـبهات فـي عـقيدة الشـيعة وآدابـهم وقـيهم وتـراثـهم، تـلك الممارسات الّتي كانت من خلال حشد مجموعة كبيرة من النظريّات والآراء المتداخلة، والمناهج المتقاطعة والإحالات الهامشية الّتي يصعب علىٰ القـارئ التـحقيق حـولها وتتبّع دقّة النقل عن المصادر، وإرهاب القارئ بابعاد هذه المصطلحات.

وربّما لم يكن هذا الجهد الّذي نهض به الفقيه المؤلّف لتحمّل أعـبائه هـو نـتيجة رغبة غابرة، بل كان تعبيراً عن معاناة أجيال من الكتّاب الملتزمين الّـذين كـانوا عـلىٰ بصيرة بالخطط الّتي كانت توضع وتنفّذ بهدف إبعاد الناس عن نهج أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وقد كانت لهذه المخطّطات فصولاً كثيرة، منها زرع العداء في قلوب المسلمين للملتزمين بنهج آل البـيت ـ عـليهم السـلام ـ ومسـاندة الخـطوط الفكـريّة قـتلة آل البيت عليهم السلام.

وقد استغرق تأليفه حوالي خمسين سنة، ويعود ذلك إلىٰ عوامل متعدّدة، مثل نوعيّة المشروع، فالاسلوب الّذي اُتّبع كان بكراً آنذاك، وكان كثير من المواضيع بحاجة إلىٰ تحقيق وتتبّع، بل وإنّ نفس عمليّة تجميع المصادر وفحصها ومطالعتها مطالعة نقديّة ومناقشتها استغرقت من المؤلّف (رحمه الله) وقتاً طويلاً، لا سيّما وانّ الحصول علىٰ المراجع لم يكن بالسهولة الموجودة في العصر الحاضر. بالإضافة إلىٰ ذلك فانّ قيام المؤلّف ـ إلىٰ جانب التأليف ـ بالتدريس في الحوزة العلميّة في مرحلة الخارج ـ أعلىٰ مرحلة دراسيّة في مؤسّسة التعليم عند المذهب الشيعي ـ في كربلاء المقدّسة وببعض المهامّ الاجتماعيّة الّتي كانت تستنزف منه جهداً طويلاً وغير ذلك كان لها تأثير في إطالة مدّة التأليف.

انتهج السيّد المؤلّف ـ رضوان الله عليه ـ في كتابه هذا أسلوباً مشابهاً للسقراطيّة، فهو يستدلّ علىٰ ما يريد إثباته أو نفيه بما ذكره أعلام المذهب السُّنّي في كتبهم في العقائد والتفسير والحديث والسيرة والرجال وغيرها، فأمّا أن يعترف أولئك بما يريده المؤلّف، وهو المطلوب، وأمّا أن لا يعترفوا فيقعون في تناقض القول. وهذا من أروع وأنجع أساليب النقاش مع الطرف الآخر. أمّا استناده إلىٰ كتب الشيعة فهو في حالات قليلة مثل إثبات أو نفي شيء يتعلّق بالتشيّع[١].

والكتاب يقع في ثمانية أجزاء حسب تجزئة المؤلّف نفسه، ومواضيعها كمايلي:

الجزء الأوّل: مقدّمة في أدب النقاش.

الجزء الثاني: أدلّة أفضليّة الإمام علي علىٰ مَنْ سوىٰ رسول الله.

الجزء الثالث: نصوص خلافة الإمام عليّ بلا فصل.

الجزء الرابع: إثبات خلافة الأئمّة الإحدىٰ عشر من ولد الإمام عليّ.

---

١ . وليس الاعتماد علىٰ هذا الاسلوب لأجل صحّة كلّ ما في كتب المذهب السنّي ، بل هو لترغيب الطرف المقابل في قبول أو نفي الشيء المستدلّ عليه. مثلاً : يعتقد الشيعة بأنّ القرآن المتداول الآن هو نفس القرآن المنزل علىٰ رسول الله ، ولم يطرأ علىٰ ألفاظه أيّ تحريف ، لكنّه لأجل الإجابة علىٰ اتّهام الشيعة بتحريف القرآن سرد المؤلّف أخباراًكثيرة رواها أعلام المذهب السنّي حول وقوع التحريف الواسع في ألفاظ القرآن ، وهو لا يريد بذلك إثبات التحريف ، بل النقض علىٰ الاتّهام الّذي روّجه أحد أعلامهم ضدّ الشيعة . وكذلك الحال في بعض ما اقتطفه عن كتب أولئك حول إيمان سيّدنا أبي طالب ـ عليه السّلام ـ .

الجزء الخامس: حكومة أبي بكر وعمر وعثمان.

الجزء السادس: صحابة رسول الله.

الجزء السابع: الناكثون والمارقون والقاسطون عن خلافة الإمام عليّ.

الجزء الثامن: مجموعة من موارد الخلاف بين الشيعة والمذاهب الأخرىٰ.

وقد طبع الجزء الأوّل من الأجزاء الثمانية خلال حياة المؤلّف، في مدينة كربلاء بالعراق عام ١٣٧٧ هـ وباشراف ومجهود العلاّمة الداعية السيّد مرتضىٰ القزويني.

ويوجد زيروكس الجزء الثاني المخطوط عندنا الآن.

أمّا الأجزاء الأخرىٰ فقد كانت عند المؤلّف حتّىٰ وفاته، بعد ذلك صارت إلىٰ أحد أبنائه، وأعطىٰ تلك الابن تلك الأجزاء للعلاّمة المحقّق السيد محمّد كاظم القزويني للاحتفاظ بها، وظلّت في مكتبة السيد القزويني الخاصّة، حتّىٰ تعرّض بيته في مدينة كربلاء لهجوم من قبل المخابرات العراقيّة البعثيّة، حيث صودرت جميع ممتلكات السيّد القزويني. وقيل أنّها قامت بإلقاء الكتب المطبوعة والمخطوط الّتي كانت في مكتبة السيّد في جانب الطريق، ولا يعرف مصيرها حتّىٰ الآن.

وهذا الجزء ـ الّذي بين يديك ـ مقدّمة فقط، وقد طُبع في الجزء الأوّل من الطبعة الأولىٰ مع مقدار من مباحث الإمامة، أمّا في هذه الطبعة، فقد جعلتُ مباحث الامامة في الجزء الثاني فصاعداً. والمقدار الموجود من هذا الكتاب القيم يقع في ثلاثة أجزاء حسب هذه الطباعة الحديثة.

عن المؤلّف

مؤلّف هذا الكتاب آية الله الفقيه السيّد محمّد حسن القزويني، ينحدر من أسرة القزويني، وهي من أشهر الأسر العلميّة الّتي حظيت بنصيب وافر من المعرفة الدينيّة في العراق، ولها دور مشرّف في الحركة العلميّة في كربلاء وفي النضال السياسي وقد أعدت كوادر في حقول عديدة، مثل: المرجعيّة الدينيّة، الاجتهاد، الدعوة الدينيّة، التأليف، الخطابة، إنشاء المشاريع الدينيّة، التدريس في الحوزة العلميّة و...

وقد تصدّىٰ رجال الأسرة للهيمنة الشرقيّة والغربيّة علىٰ العراق، وكان هذا التصدّي حيناً بشكل مباشر، كالدخول في حرب مباشرة مع قوات الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠، وحيناً بشكل غير مباشر عن طريق خوض حرب ثقافيّة ضدّ النفايات الفكريّة الّتي كان الغرب والشرق يقومون بتصديرها إلىٰ بؤرات الشيعة في منطقة الشرق الأوسط، والوقوف بوجه محاولات ترويس وعلمنة العراق، ومجابهة رموز العداء للاسلام، وتوعية الشعب ازاء المنظومة الثقافيّة الإستعماريّة الّتي كان السعي من أجل جعلها فولكلوراً للشعب المسلم.

وتعرّض عدد من أفراد هذه الأسرة للاضطهاد المبرمج ، وأصدرت أحكام الإعدام بشأن عدد منهم، وأخيراً مع تزايد ضغوط حكومة البعثيين عليهم، أُجبر أغلب أعضائها علىٰ مغادرة العراق والاقامة في دول أخرىٰ.

ومضافاً إلىٰ ما يتميّز به أُسرته، فهو من أفاضل فقهاء عصره، وأحد الفقهاء القلائل الأخصّائيّين في شؤون الخلافة والامامة. وكان «عالماً جليلاً، فقيهاً بارعاً، مصنّفاً ماهراً، متضلّعاً بعلم الفقه، ذا اطلاع بأصوله، وكان متوقّد الذهن، صافي السريرة، كبير الهمّة، صريح الرأي»[١].

ولد المؤلّف في يوم عرفة عام ١٢٩٦ في مدينة العلم والاجتهاد والصمود والتصدّي كربلاء المقدّسة، ونشأ فيها وتلقّىٰ دروسه في حوزتها العلميّة، وأقام مدّة في مدينتي النجف الأشرف وسامراء الغرّاء، بعدها عاد إلىٰ كربلاء وبقي حتّىٰ وافاه الأجل المحتوم.

تلقّىٰ دروسه علىٰ يد عدد من العلماء الفقهاء، مثل الشيخ محمّد كاظم الخراساني ـ

---

١ . تراث كربلاء / ٢٩٨ و ٢٩٩ (الطبعة الثانية).

مؤسّس المنهج الأصولي المعتمد في الحوزات العلميّة حالياً ـ والشيخ هادي الطهراني، والشيخ فتح الله النمازي (شيخ الشريعة)، والسيّد محمّد كاظم الطباطبائي.

بعد أن بلغ درجة الاجتهاد، حثّه الشيخ الخراساني علىٰ التخصّص في حقل الخلافة والامامة مع الحفاظ علىٰ النشاط الفقهي والأصولي الأمر الّذي لم يكن بعيداً عن طموح المؤلّف، فقام باجراء بحوث موسّعة حول هذا الموضوع استمرّ حوالي نصف قرن، ودوّنت نتائجها في هذا الكتاب القيم «الامامة الكبرىٰ والخلافة العظمىٰ».

إلىٰ جانب قيامه بالبحوث حول الخلافة والامامة، كان يقوم بالتدريس لمرحلة الخارج في الحوزة العلميّة في هذه المدينة، ومن تلامذته: السادة العلماء الشيخ محمّد علي سيبويه، السيد محمّد صالح القزويني، الشيخ محمّد الشاهرودي الشيخ نور الدِّين المازيندراني السيد محمّد كاظم القزويني ـ رحمهم الله ـ السيّد مرتضىٰ القزويني، الشيخ باقر المحمودي.

وألّف مجموعة كتب في حقل العقائد الدينيّة والفقه والأصول، أبرز المطبوعة منها: هذا الكتاب، هدىٰ الملّة إلىٰ أنّ فدكاً نحلة، البراهين الجليّة في دفع تشكيكات الوهابيّة، وأبرز المخطوطة منها: شرح اللمعة الدمشقيّة، تقريرات دروس الشيخ الخراساني لمجموعة من المباحث الفقهيّة والأصوليّة، التحفة الإماميّة في دحض حجج الوهابيّة.

وأخيراً انتقل إلىٰ رحمة الله في يوم ٢٨ / رجب / ١٣٨٠ ودفن في مقبرة في قبو مدرسة «البقعة» في كربلاء المقدّسة.

منهاج التوثيق

١ ـ نظراً إلىٰ أنّ لهذا الكتاب نسخة مخطوطة واحدة، والجزء الأوّل منها مفقود الآن، كان الاعتماد في التحقيق علىٰ النسخة المطبوعة الأولىٰ بعد تصحيحها.

٢ ـ تمّ تطبيق المتون مع مصادرها، والتنبيه ـ غالباً ـ علىٰ أمور الخلاف بين المنقول هنا والموجود في المصدر، وذلك في الهامش.

٣ ـ استعصت عمليّة التطبيق في بعض الموارد، إمّا لأنّ المصادر كانت مخطوطة، وأمّا لعدم وجودها في متناول الأيدي، وأمّا لعدم كونها باللغة العربيّة كالارديّة، فلم استطع التطبيق، ونوّهت إلىٰ ذلك في الهامش.

٤ ـ الرموز الّتي كانت متداولة قديماً والّتي كانت موجودة في الكتاب استبدلت بنظائرها الحديثة، كما روعي فيه نظام الفقرات، وعلامات الترقيم.

٥ ـ في النسخة المطبوعة (الجزء الأوّل) والمخطوطة (الجزء الثاني) كثيراً ما كانت أسماء المصادر مذكورة مع رقم الجزء والصفحة في المتن، فقمت بنقل رقم الجزء والصفحة إلى الهامش بعد مطابقته مع النسخة المعتمدة من المصدر، وربّما كان أحد الرقمين خطأ، فكتبناه صحيحاً، كما انّ الرقم المذكور ربّما كان لنسخة من المصدر لم أجده، فاستبدلته برقم النسخة الّتي اعتمدت عليها منه.

٦ ـ تمّ اختيار بعض العناوين الأصليّة والهامشيّة لبعض المواضع، وجعلته في القوسين المربّعين.

وهناك أمور أخرىٰ نبّهنا عليها في نفس الهوامش.

والسبب في قيامي بتوثيق هذا لكتاب هو انّه نُبِّهتُ أكثر من مرّة علىٰ ضرورة استخدام طاقاتي في سبيل تقديم خدمة مباشرة لأهل البيت ـ عليهم السّلام ـ ولأجل اعتبارات عديدة، اخترت هكذا عمل وهذا الكتاب، وإلاّ فهكذا أمور ـ مع أنّها قيّمة جدّاً ـ خارجة عن دائرة عملي وتخصّصي. وارجو من الله الكريم أن يتقبّله أحسن قبول[1].

وقد أخطأتُ في تقدير المدّة الّتي يتطلّبها تحقيق الكتاب وحجم الجهد الّذي يستهلكه، فكانا أكثر من تقديراتي بكثير. وفرضت عليَّ ظروفي الخاصّة التوقّف عن التحقيق لعدّة مرّات، وضاعت أقسام من المبيضّة المحقّقة، فقمت بإعادة التحقيق. لذلك فربّما كان بين بعض التعليقات شيء من عدم الإنسجام أو كان في بعضها شيء من الاضطراب والإبهام أو كان بعض النقائص في بعض التحقيقات، فأرجوا الإغماض عنها.

---

١ . وقد كنتُ عازماً علىٰ تتميم هذا الكتاب بملاحق حول مواضيع أُخرىٰ ذات الصلة بالإمامة والخلافة، سواء تلك الّتي أُلّف حولها الأجزاء الأخرىٰ من الكتاب الّتي تُلفت، أم الّتي لم يؤلّف حولها، وكتبتُ بعض الشيء في تلك الأطر، بيد أنّ مشاكل الحياة القاهرة والدروس الحوزويّة وعدم الإستقرار منعتني عن الاستمرار في ذلك، فألغيتُ فكرة تتميم الكتاب بشيء منها.

شكر وتقدير

في الختام أُقدّم خالص شكري وتقديري للوجيه الحاج حيدر الواعظي الّذي تفضّل بتوفير المصادر الّتي احتجت إليها في عمليّة التوثيق، والّذي تحمّل في هـذا الطـريق مصاعب جمّة ولم يتوان عن أي جهد، فجزاه الله خير جزاء المحسنين والمخلصين. كما أشكر الآخرين الّذين قاموا بتوفير المصادر.

جـعـفر القزويـنـي

ذو الحجّة ١٤١١

المقصد الأول:

مقدمة الكتاب

في تقديم أمور يلزم التنبيه عليها

وعطف النظر إليها، قبل الشروع في المطلوب

كيفية التبليغ والدعوة إلى الحقّ

وهي إنّما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، علىٰ ما نطق به القرآن من قوله تعالىٰ «ادعُ إلىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالّتي هي أحسن»[1]، وقوله «ادفع بالّتي هي أحسن، فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم»[2]، والمعنىٰ انّ الدعوة إلى الحقّ والدفاع عن الدِّين بالوجه الحسن ممّا يترتّب عليه المقصود، ويورث المودّة والمحبة بين المتخاصمين، فترتفع به الخصومة والبغضاء من الطرفين.

وهذا تعليم إلٰهي وتهذيب ديني يمنع عن النصب والتعدّي وإعمال العصبيّة واستعمال العاطفة والأهواء النفسيّة، واتّخاذ سيرة الفتك والجبروت في المناظرات، وطرق الدعوة الّتي كانت ترزخ تحتها هذه الأمّة من عهد بني أُميّة وبني مروان، كما عليه عدد كبير من هؤلاء الدعاة، أمثال: ابن حزم الاندلسي وابن تيميّة الحرّاني وابن كثير الدمشقي، ويوسف الواسطي والملا نصر الله الكابلي، وفضل بن روزبهان القاساني والمولوي عبد العزيز الدهلوي ومَنْ قبلهم: مسلم بن الحجاج، والبخاري حسب ما هو صريح مصنّفاتهم، خروجاً بذلك عن أمره تعالىٰ: «وقل لعبادي يقولوا الّتي هي أحسن، انّ الشيطان ينزغ بينهم»[3]، ألزم الله تعالىٰ عباده بايراد الحجّة علىٰ من يخاصمهم علىٰ النحو الأحسن، معلّلاً بانّ الشيطان ينزغ بينهم، أي يفسد ويهيّج علىٰ بعض، إذا لم تكن المحاجّة بالكيفيّة الحسنة.

---

١ . سورة النحل/ ١٢٥.

٢ . سورة فصّلت / ٣٤.

٣ . سورة الإسراء/ ٥٣.

التحاكم إلى الكتاب والسنّة

إنّ من حسن الدعوة التحاكم إلى القرآن الّذي هو الحكم العدل والقول الفصل، والذكر الحكيم والصراط المستقيم لدىٰ الأُمّة الاسلاميّة جمعاء، قال تعالىٰ: «إنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه، ولا تتّبعوا السُّبُل، فتفرّق بكم عن سبيله»[١]، وقال: «اتّبعوا ما أنزل إليكم من ربّكم، ولا تتّبعوا من دونه أولياء»[٢]، وقال: «الله الّذي أنزل الكتاب والميزان»[٣]، وقال: «فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتّبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ»[٤]، وقال: «ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون»[٥]، وقال: «أفحكم الجاهليّة يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟»[٦]، وقال: «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلىٰ الله»[٧]، وقال: «فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلىٰ الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر»[٨]، جعل الله تعالىٰ ردّ الحكم المتنازع فيه، إليه وإلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من لوازم الايمان، بنحو القضية الشرطيّة الدالّة علىٰ انتفاء الايمان عند الامتناع عن الرجوع إليه تعالىٰ وإلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ .

القرآن يدعو إلي التحاكم إلىٰ الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ

ومن الواجب في هذه الشريعة التحاكم إلى الرسول ـ صلّي الله عليه وآله وسلّم ـ وإلىٰ

---

١ . سورة الانعام / ١٥٣.

٢ . سورة الأعراف / ٢.

٣ . سورة الشورىٰ / ١٧.

٤ . سورة المائدة / ٤٨.

٥ . سورة المائدة / ٤٨.

٦ . سورة المائدة / ٥٠.

٧ . سورة الشورىٰ / ١٠.

٨ . سورة النساء / ٥٩.

سنّته الباقية، لقوله تعالىٰ: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[١]، ولقوله تعالىٰ: «فلا وربّك لا يؤمنون بك، حتّىٰ يحكّموك في شجر بينهم....»[٢]، وقوله «كان الناس أمّة واحدة، فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس في اختلفوا فيه»[٣]، وقوله «ومن يطع الرسول فقد أطاع الله»[٤]، وقوله «وما ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلّا وحي يوحىٰ»[٥]، ففي هذه الآيات دلالة واضحة علىٰ إيجاب الرجوع إلى النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في قاله أو حكم به، وأنّه كسائر الرسل الّذين بعثوا لحفظ الأُمّة من الغواية وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم «سنّة الله في الّذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً»[٦].

إذاً لا يجوز التحاكم إلىٰ غير محكمات الكتاب والسنّة، وليس الرجوع إلىٰ غيرهما إلّا إعراضاً عن الحقّ وإيقاعاً للنفس في الضلال والإضلال، قال تعالىٰ: «ألم ترَ إلىٰ الّذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به»[٧]، والمراد بالطاغوت كلّ ذي رأي سخيف تجاوز أمره ونهيه عن حدود الله تعالىٰ وما حكم به، وروىٰ الشيخان عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ انّه قال: «إنّ الله لا ينزع العلم عن الناس [انتزاعاً][٨] ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم، فتبقىٰ في الناس رؤساً جُهّالاً يفتونهم بغير علم، فَيَضلّون ويُضلّون»[٩].

---

١. سورة الاحزاب / ٢١.

٢. سورة البقرة / ٢١٣.

٣. سورة البقرة / ٢١٣.

٤. سورة النساء / ٨٠.

٥. سورة النجم / ٣ ـ ٤.

٦. سورة الأحزاب / ٦٢.

٧. سورة النساء / ٦٠.

٨. الزيادة من المصدر.

٩. صحييح مسلم ٤ / ٢٠٥٩، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه....

صحيح البخاري: ١ / ٣٤، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، مع اختلاف غير مخلّ بالمقصود.

أقول: بل يتشتّتون حسب تشتت الآراء، ويتمزّقون ويتفرّقون أو أيادي سبأ، كما هو الداء العضال في هذه الأُمّة الّتي غفلت عن أنّ نبيّها ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ واحد، القرآن المنزّل من الله واحد، والقبلة واحدة، ثمّ لا يميلون إلىٰ توحيد الكلمة لإعتذارهم ـ كما في القرآن ـ «ربّنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا»[1]، وحجّتهم داحضة مردودة، لأنّهم مأمورون بالإعتصام بحبل الله ومنهيّون عن التفرّق بقوله عزّ وجلّ «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا»[2]، وقوله «ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات»[3]، فعند اختلاف الأهواء وتفرّق الآراء وتنافر الأفئدة لاحظّ من الدنيا ولا نصيب من الآخرة.

القرآن ينهىٰ عن الجدل واتّباع الهوىٰ

قال تعالىٰ: «وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة، فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء، إذ كانوا يجحدون بآيات الله»[4]. إنّ من الواجب علىٰ المرء السعي البليغ في الوصول إلى الحقّ وترك التمذهب والتعصّب لنصرة ما هو عليه كيفما كان، فيقول من غير برهان، اعتماداً علىٰ السلف وتقليداً أعمىٰ مذموماً عقلاً ونقلاً لقوله تعالىٰ: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير»[5]، وقوله «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدِّين ما لم يأذن به الله»[6]، وقوله تعالىٰ مخاطباً لنبيّه «يجادلونك في الحقّ بعدما تبيّن»[7]، والمراد بالجدل طلب الغلبة والدفاع عن الحقّ نصرة للنفس، قال تعالىٰ

---

١ . سورة الاحزاب / ٦٧.

٢ . سورة آل عمران / ١٠٣.

٣ . سورة آل عمران / ١٠٥.

٤ . سورة الأعراف / ٢٦.

٥ . سورة الحجّ / ٨.

٦ . سورة الشورىٰ / ٢١.

٧ . سورة الأنفال / ٦.

شأنه: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ»[1] أي يطلبوه بما عندهم من الشبهات والتسويلات الّتي تورد علىٰ المخاطب فتشوّش خاطره، وقال: «ولا تَلْبِسُوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون»[2]. والمراد من اللبس التعمية والتغطية والإتيان بالدلائل المشوّشة لإغواء الناس، فصار ذلك التلبيس صارفاً عن الحقّ وداعياً للخلق إلىٰ بقائهم علىٰ الباطل.

جاء في سنن أبي ماجة عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «إنّ خير الأمور كتاب الله، وخير الهَدْي هَدْي محمّد، وشرّ الأمور محدَثاتها»[3]. وعنه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث آخر: «ألا إنّ قتال المؤمن كفر، وسبابه فسوق، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث....». وفيه من الدلالة الواضحة علىٰ أنّ الحجّة لا تقوم إلّا بأمرين، وهما الكتاب والسنّة، وبهما تقوم أيضاً الوحدة الاسلامية الّتي حثّ عليها في قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه».

ثمّ إنّه ـ صلّىٰ عليه وآله وسلّم ـ في ذيل الحديث حذّر الناس عن الكذب قائلاً: «ألا وإيّاكم والكذب، فانّ الكذب لا يصلح بالجدّ ولا بالهزل، فانّ الكذب يهدي إلى الفجور...»، فإذاً أي كذب وخلاف أعظم من اتباع الهوىٰ والخلاف علىٰ الله بدعوىٰ ما ليس بثابت في كلام الشارع، أو دفع ما هو الثابت، أو تضعيف الصحيح، أو تقديم السقيم منه، أو التأويل فيه، أو في المحكم من التنزيل؟ وفي سنن أبي ماجة أيضاً: عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «ما ضلّ قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلّا أُوتوا الجدل»، ثمّ تلا هذه الآية «بل هم قوم خصمون»[4] [5].

قال محمّد معين الحنفي ـ في كتابه «دراسات اللبيب» ـ: ومن أشنع ما يخرجون كلام

---

١. سورة المؤمن / ٥.

٢. سورة البقرة / ٤٢.

٣. سنن أبي ماجة ١ / ١٥.

٤. سورة الزخرف / ٥٨.

٥. سنن أبي ماجة ١ / ١٧.

الشارع عن الحقيقة والمجاز[١]، ويفتحون فيه باب التأويل، فهو فعلهم إذا حملتهم عليه[٢]، نصرة إمامهم علىٰ غيره من الأئمّة، فحفظ رأيهم عليهم أهمّ من إخراج كلام نبيّهم ـص ـ عن الحقيقة، ولم يأذن الله تعالىٰ ورسوله لأحد بهذا[٣]. انتهىٰ.

أقول: بل الله حذّرهم عن هذا النعت في قوله: «فلا تكن من الممترين»[٤]، وقوله: في أمر أصحاب الكهف: «فلا تمارِ فيهم إلّا مراءً ظاهراً»[٥] أي: لا تشكّك ولا تجادل فيهم إلّا مراءً ظاهراً عليه الحجّة والاستدلال.

وقال تعالىٰ في ذمّ أهل البدع: «ولا يتّبع أكثرهم إلّا ظنّاً، إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً»[٦]. وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ»[٧] يعني الظنون الّتي لم يقم عليها برهان، بدليل قوله تعالىٰ «إن يتّبعون إلّا الظنّ وما تهوىٰ الأنفس، ولقد جاءهم من ربّهم الهدىٰ»[٨]، فانّ الله تعالىٰ حذّرهم من اتّباع الآراء والأهواء في قبال ما أقام الله لهم من الهدىٰ، ولله الحجّة البالغة.

قال عبد الحليم ابن تيمية ـ في كتابه «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول»ـ: أمّا المختلفون في الكتاب المخالفون.... فتجعل كلّ طائفة ما أصّلته من أصول دينها الّذي إبتدعته هو الامام الّذي يجب اتّباعه، وتجعل ما خالف ذلك من نصوص الكتاب والسنّة من المجملات المتشابهات الّتي لا يجوز اتّباعها، بل يتعيّن حملها علىٰ ما وافق أصلهم الّذي ابتدعوه، فالله ذمّهم في قوله: «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون» وقوله تعالىٰ «فويل للّذين يكتبون

---

١. في المصدر: «عن الحقيقية إلى المجاز».

٢. في المصدر: «هو فعلهم ذلك ـ أي التأويل ـ، إذا حَمَلَهم عليه...».

٣. دراسات اللبيب / ١١٩.

٤. سورة آل عمران / ٦٠.

٥. سورة الكهف / ٢٢.

٦. سورة يونس / ٣٦.

٧. سورة الحجرات / ١٢.

٨. سورة النجم / ٢٣.

الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً»[١]، وهذا متناول لمن حمل الكتاب والسنّة علىٰ ما أصّله من البدع الباطلة، ومتناول لمن كتب كتاباً مخالفاً لشرع الله لينال به دُنيا ويقولون هذا هو الشرع وهذا معنىٰ الكتاب والسنّة[٢]. انتهىٰ.

الجدل يلحق الجدّ بالمراء والهزل

لنضرب مثالاً لذلك من قول ابن حجر المكّي في «الصواعق المحرقة» والعاصمي في «زين الفتىٰ» من أن حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» غلوٌّ في علم علي ـ عليه السلام ـ ومأوّل بجعل «علي» وصفاً لا إسماً خاصّاً، فيكون صفة للباب، أي: عالٍ باب المدينة، أو معارض بحديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها وأبو بكر محرابها»[٣]. انتهىٰ.

فانّه لم يكد يتفطّن إلىٰ أنّ المصير إلى المعارضة بجعل أبي بكر محرابها يخرج الحديث عن الغلو، وينفي حمل لفظ «عليّ» علىٰ الوصف، مع أنّه معارض بما لو قال معاند في «قل هو الله أحد» أنّه تعالىٰ إله الناس دون الجنّ، أو أنّ «محمّد رسول الله» أنّه مبعوث إلىٰ أقليم خاصّ، أو أنّه مجمل يحتمل الاسميّة والوصفيّة، فالهزل من الجانبين سواء بسواء.

وأغرب من هذه المهزلة قول يوسف الواسطي ـ علىٰ ما في كتاب «توضيح الأنور» ـ من أنّ قول النبيّ ـ ص ـ لعلي «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ» قدح في عليّ، لأنّ وجه الشبه قيام الفتنة وحصول الوهن في الإسلام من خلافة عليّ، كما حصلت فتنة عبادة العجل في بني إسرائيل من استخلاف هارون عليهم[٤]. انتهىٰ.

ولا يخفىٰ إنّ العصبيّة حالت بينه وبين أن يذعن أنّ خلافة هارون ـ عليه السّلام ـ كانت من الله تعالىٰ في صريح القرآن ومحال علىٰ الله أن يجعل في الأرض خليفة يوجب إفساداً فيها، فلو صحّ لله تعالىٰ استخلاف هارون، فقد صحّ نحوه لعليّ ـ عليه السّلام ـ .

---

١ . سورة البقرة / ٧٩.

٢ . موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١ / ٤٠ ـ ٤١.

٣ . الصواعق المحرقة / ٣٤. «زين الفتىٰ» مخطوط.

٤ . المصدر مخطوط.

ويشبه هذه الخرافة ما رواه الخطيب البغدادي ـ في التاريخ ـ، وابن حجر العسقلاني ـ في «تهذيب التهذيب» ـ في ترجمة «حريز بن عثمان» انّه روىٰ أنّ النبيّ ـ ص ـ قال لعليّ «أنت منّي بمنزلة قارون من موسىٰ» فأخطأ السامع[١] [٢]. انتهىٰ.

وروىٰ المناوي ـ في «كنوز الحقائق» ـ: عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أنّه قال لأبي بكر وعمر: «أنتما منّي بمنزلة هارون من موسىٰ»[٣]. انتهىٰ.

فلو صحّ الحديث هذا فينفي ما تخرّص به يوسف الواسطي زوراً وعناداً، إلّا أنّه قال الذهبي ـ في الميزان ـ: إنّ حديث المناوي كذب، وانّه منكر[٤]. وقال العسقلاني ـ في «لسان الميزان» ـ: انّ الحديث موضوع[٥].

ويشبه هذه المعاندة انكارهم نزول آية التطهير من قوله تعالىٰ «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهّركم تطهيراً»[٦] في علي وفاطمة والسبطين ـ عليهم السّلام ـ، وادعاؤهم تارة اختصاصها بزوجات النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وأخرىٰ بتعميمها للزوجات، والحال إنّ عائشة عصت الله ورسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بتبرّجها وخروجها علىٰ إمامها بغير وجه مشروع، مع العلم إنّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ نهاها عن ذلك[٧]، فلم تنزجر حتّىٰ نبحتها كلاب

---

١ . مقصوده أنّ النبيّ ـ والعياذ بالله ـ قال «أنت منّي بمنزلة قارون من موسىٰ» فأخطأ الراوي فيما سمعه وروىٰ «أنت منّي بمنزلة هارون ...».

ولا يخفىٰ انّ حريز ـ راوي هذا الخبر المفترى ـ كان معروفاً بتجاهر العداء للإمام أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ، وكان ينتقصه ويتحامل عليه ويشتمه علىٰ المنابر، والسبب في ذلك ـ مضافاً إلىٰ كونه ولد زنا ـ إن الإمام كان قد قتل أباه في إحدىٰ الحروب، كما في تاريخ بغداد ٧ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

٢ . تاريخ بغداد ٧ / ٢٦٧. تهذيب التهذيب ٢ / ٢٣٩، مع اختلاف غير مخلّ بالمقصود في الأخير.

٣ . كنوز الحقائق ١ / ٨. والّذي فيه: «أبو بكر وعمر منّي ..».

٤ . ميزان الاعتدال ٣ / ١٢٢.

٥ . لسان الميزان ٤ / ٢١٩.

٦ . سورة الأحزاب / ٣٣.

٧ . الامامة والسياسة ١ / ٥٦.

الحوأب[١]. ونزلت فيها وفي حفصة «إن تتوبا إلىٰ الله، فقد صغت قلوبكما، وإن تظاهرا عليه، فإنّ الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين....»[٢]، كما في تفسير الفخر الرازي[٣]، وفي تفسير البيضاوي[٤]، والكشّاف للزمخشري[٥].

ومن الجدل المؤدّي إلى العناد قولهم في آية الولاية ـ «إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[٦] ـ: إنّ قوله «والذين آمنوا» لا يختصّ بعلي ـ عليه السّلام ـ، بل يعمّ جميع المؤمنين. والحال إنّ عمومه يقضي بالولاية العامّة لكلّ من تصدَّق كما في الآية، وإجماع المسلمين علىٰ خلافه، بل ضرورة الشرع، هب أنّه عام ـ كما زعموا ـ ولكن أين هذه الدعوىٰ من الدعوىٰ أنّ التصدّق بالخاتم في الصلاة فعل كثير موجب لبطلانها؟ أو دعوىٰ ابن تيمية ـ في المنهاج ـ: لا ثناء علىٰ التصدّق بالخاتم كما في الآية، إذ لا وجوب فيه ولا استحباب[٧]، أو دعوىٰ لزوم كون إيتاء الزكاة شرطاً في ولاية علي ـ عليه السّلام ـ، أو لزوم أن لا يكون ولي الأمر إلّا هو دون غيره من أولاده، إلىٰ غير ذلك من الدعاوي المتناقضة الراجعة إلىٰ معارضة القرآن في فضائل علي ـ عليه السّلام ـ.

ومن الجدل المبني علىٰ التعصّب والقول بخلاف الحقّ إنكارهم علىٰ الشيعة دلالة أحاديث الغدير علىٰ خلافة علي ـ عليه السّلام ـ مع قوّتها سنداً ووضوحها دلالة، وجعلهم حديث الخَوْخَة[٨] ـ لو صحّ من قول النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم)

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٢٠.

٢. سورة التحريم / ٤.

٣. التفسير الكبير ٣٠ / ٤٤.

٤. أنوار التنزيل ٥ / ١٣٩.

٥. الكشّاف عن حقائق التأويل ٤ / ١٢٧.

٦. سورة المائدة / ٥٥.

٧. منهاج السنة النبويّة ٤ / ٥.

٨. الخَوْخَة: الثقب في الجدار الّذي ينفذ النور من خلاله من مكان لآخر. أو باب صغير كالنافذة

«لا يبقين[١] في المسجد خَوخَة إلّا خَوخَة أبي بكر»[٢] ـ دليلاً وبرهاناً علىٰ خلافة أبي بكر! قال الملا علي القاري ـ في المرقاة، شرح المشكاة ـ: إنّ الحديث تعريض بأنّ أبا بكر هو المستخلَف بعده، وهو المستحقّ دون الناس، فقوله ـ ص ـ «سدّوا كلّ خوخة...» دليل علىٰ حسم أطماع الناس كلّهم من الخلافة إلّا أبا بكر[٣]. انتهىٰ، ونحو ذلك كلام ابن حجر المكّي ـ في «الصواعق»[٤] ـ ولله درّهم وذكاؤهم! فأين الخوخة من الخلافة؟.

رعاية جانب الحجّة

إنّ رعاية جانب الحجّة واتّباعها متوقّف علىٰ أشياء لابدّ من ذكرها:

أحدها: وجوب إيراد الحجّة بما يقبله الخصم ـ إن كان منصفاً ـ من ظواهر الكتاب والسنّة، أو يقيم كلّ مناظر من البرهان ما هو المقبول عند صاحبه، وهذا كمال الأدب من الطرفين، ومن هنا صرنا نحتج بما في الصحيحين ومسند أحمد وغيرهما من الكتب المعتبرة عند الجماعة كبقية الصحاح الست، وكتاب جمع الجوامع للسيوطي، ومستدرك الحاكم، والجمع بين الصحيحين وأمثالها، لأنّ ذلك أتمّ في الزام الخصم.

قال أبو محمّد علي بن حزم ـ في «الفصل في الملل والنحل» ـ: لا معنىٰ لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدّقوننا، ولا معنىٰ لاحتجاجهم علينا برواياتهم، فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم علىٰ بعض بما يصدّقه الّذي تقام عليه الحجّة به، سواء صدّقه المحتج أم لم يصدّقه، لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري، فيصير الخصم يومئذ مكابراً منقطعاً إن ثبت علىٰ ما كان عليه[٥]. انتهىٰ.

الكبيرة الّتي تكون بين بيتين وينصب عليها باب.

١. في المصدر: «لاُتبقين».

٢. مشكاة المصابيح ٥ / ٥٢٤.

٣. مرقاة المفاتيح ٥ / ٥٢٤.

٤. الصواعق المحرقة / ٦٩.

٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٧٨.

أقول هذا مضافاً إلىٰ قوله «وقل لعبادي يقولوا الّتي هي أحسن»[١]، فإذاً لا يحسن من الجانبين ما يرجع إلىٰ همجيّة في فعل أو قول، وإنّما الواجب في الأداء والتبليغ إيراد الحجّة، لقوله تعالىٰ «لا إكراه في الدّين، قد تبيّن الرشد من الغي»[٢].

فمن ذلك يظهر فساد ما تخرّص به ابن تيمية الحرّاني من نسبة الكفر والزندقة إلى الشيعة، وذكر عنهم أشياء هم بريؤن منها[٣] فتلحق تلك النسبة بالاغواء والإضلال وإثارة الفتنة والقتل وإباحة النفوس والأعراض والأموال، وفي الصحيحين «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[٤]، وفيهما «قتال المسلم كفر وسبابه فسوق»[٥]، وفي صحيح مسلم في عدّة أحاديث عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال: لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسّسوا، ولا تحسّسوا[٦]، ولا تناجشوا[٧]، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله! إخواناً. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، التقوىٰ ههنا ـ يشير إلىٰ صدره ثلاث مرّات ـ، حَسبُ امرئ من الشرّ أن يحقّر أخاه المسلم، كلّ المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه[٨]، انتهىٰ.

---

١ . سورة الإسراء / ٥٣.

٢ . سورة البقرة / ٢٥٦.

٣ . منهاج السنّة النبويّة ١ / ٧.

٤ . صحيح البخاري ١ / ٣٨، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء.
صحيح مسلم ١ / ٨١، كتاب الإيمان، باب بيان معنىٰ قول النبيّ ـ ص ـ «لا ترجعوا بعدي...».

٥ . صحيح البخاري ١ / ١٧، كتاب الايمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر
صحيح مسلم ١ / ٨١، كتاب الايمان، باب بيان قول النبيّ ـ ص ـ «سباب المسلم...».

٦ . التحسّس: التسمع والتبصّر لمعرفة الشيء، أو البحث عن عيوب الآخرين. وذُكر إنّ الفرق بينه وبين التجسس هو أنّ الثاني السعي في كسب المعلومات عن الآخرين للغير، بينما الأوّل هو السعي لكسب المعلومات عن الآخرين للنفس.

٧ . النَّجَش: مدح السلعة وزيادة ثمنها دون قصد شرائها، وذلك لترغيب فرد آخر علىٰ شرائها، فيرغب ذلك الآخر في شرائها ويزيد علىٰ مقدار الثمن الّذي عيّنه الفرد الأوّل ـ المادح للسلعة ـ حتّىٰ يبيعها المالك له.

٨ . صحيح مسلم ٤ / ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظنّ والتجسّس و...

إنّ الله حرّم تجاسر مسلم علىٰ مسلم باليد واللسان من غير فرق بين الأحياء والأموات، فمن تعدّىٰ عن هذا فقد دخل في قوله تعالىٰ «والّذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً»[١].

وثانيها: إنّ الحجّة تقوم بما هو الراجح من العقل والنقل دون الوهم والتأويل والإجمال والإحتمال، لإجماع العقلاء، بل ولاتّفاق العلماء من جميع المذاهب علىٰ عدم صحّة صرف الكلام عن جهته الراجحة إلىٰ جهته المرجوحة، فلا يُأوّل «الأسد» بـ «الرجل الشجاع»، ولا «زيد» علىٰ ارادة «غلام زيد» إلّا مع قيام قرينة لفظيّة أو معنويّة مقترنة تجعل هذا التأويل راجحاً، وعلىٰ ذلك جرت المحاورات العقلائيّة دون الأقوال الهزليّة، وبنىٰ عليه العرف لدىٰ التفهيم والتفاهم في دعاويهم ووصاياهم وأقاريرهم، وهذا واضح لا مرية فيه.

قال الغزالي ـ في إحياء العلوم ـ: ومن الطامات صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلىٰ أمور باطنة لا يسبق منها إلىٰ الأفهام شيء، فهذا حرام وضرره عظيم، فإنّ الألفاظ إذا صُرفت عن ظواهرها بغير اعتصام من عقل أو نقل اقتضىٰ ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله وكلام رسوله، وهذا معنىٰ قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»...[٢].

ابن القيّم وحكمه بفساد التأويل

قال ابن القيّم ـ تلميذ عبد الحليم بن تيمية ـ في كتابه «أعلام الموقعين»: إذا سئل عن تفسير آية من كتاب الله وسنّة رسوله ـ ص ـ ليس [له][٣] أن يخرجها عن ظاهرها بوجوه التأويلات الفاسدة الموافقة لنحلته وهواه، ومن فعل ذلك استحقّ المنع من الإفتاء والحجر عليه، وهذا الّذي ذكرناه هو الّذي صرّح به أئمّة الكلام[٤] قديماً وحديثاً، قال

---

١. سورة الأحزاب / ٥٨.

٢. إحياء علوم الدّين ١ / ٤٣ـ ٤٤.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. في المصدر أئمّة الإسلام.

[بعض أهل العلم][1]: وكيف لا يخشىٰ الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله من يحمل كلامه علىٰ التأويل؟ وهل يأمن أن يتناوله قوله تعالي «وكذلك نجزي المفترين»[2]؟. ويكفي المتأوّلين أنّهم قالوا برأيهم علىٰ الله تعالىٰ، وقدموا آراءهم علىٰ نصوص الوحـي، ولو عـلموا أي باب شرّ فتحوا علىٰ الأُمّة بالتأويلات الفاسدة، وأي بناء هدموا بها، فكلّ صاحب باطل قد جعل ما تأوّله المتأوّلون عذراً له في تأوّله هو.... وقال: ما الّذي حرّم عليّ التأويل وأباحه لكم؟ وكيف نُعاقَب علىٰ تأويلنا وتؤجرون علىٰ تأويلكم؟...، قال: وهل وقعت في الأُمّة فتنة كبيرة أو صغيرة إلّا بالتأويل؟ وهل أريـقت دمـاء المسـلمين في الفـتن إلّا بالتأويل؟، فافتراق الأُمّة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة إنّما أوجبه التأويل، وإنّما أُريقت دماء المسلمين يوم الجمل وصفّين والحرّة بالتأويل، وهل الّذي أراق دماء بني جـذيمة ـ وقـد أسلموا ـ غير التأويل؟ حتّىٰ رفع النبيّ ـ ص ـ يديه إلى السماء من فعل المتأوّل لقتلهم وأخذ أموالهم؟، وما الّذي أوجب تأخّر الصحابة يوم الحديبية عن موافـقة النـبيّ ـ ص ـ غـير التأويل؟ حتّىٰ اشتدّ غضبه ـ ص ـ لتأخّرهم عن طاعته، وما الّذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً وأوقع الأُمّة في أوقعها فيه حتّىٰ الآن غير التأويل؟ وما الّذي أراق دم عمّار بن ياسر وأصحابه غير التأويل،؟ وما الّذي سفك دم ابن الزبير وحِجر بن عدي وسعيد بن جُبَير وغيرهم من سادات الأُمّة غير التأويل.

فساد الاجتهاد في مقابل النص الشرعي

ثالثها: إنّ ضرورة الشرع علىٰ بطلان الاجتهاد والتأوّل في قبال النصّ من الكتاب والسنّة، وما عدّه ابن القيم من التأويل الباطل قليل في جنب كثير، ولقد ترك ذكر المهمّ من وجوه الفساد الناشئ عن الإجتهاد والتأويل، كقولهم للنبي ـ صلّي الله عليه وآله وسلّم ـ في مرضه «إنّ الرجل يهجر» علىٰ ما في أحاديث القرطاس ـ، وكتخلّفهم عن جيش أُسامة

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . سورة الأعراف / ١٥٢.

والنبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآلم وسلّم ـ يحثّهم علىٰ تجهيز الجيش واللحوق بهـم، وكـمنعهم فاطمة ـ عليها السّلام ـ بنت رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) عن فـدك، ومـثل إخراجهم عليّاً ـ عليه السّلام ـ إلى البيعة قهراً، وكحمل النار إلىٰ باب دار فاطمة لإحراق من فيها، ومثل ترتيب الشورىٰ والأمر بضرب رقاب من تخلّف، وكقول عائشة «اقتلوا نَعثلاً» ـ تريد به عثمان ـ، وكطردهم أبا ذرّ عن حرم الله وحرم رسوله ـ صلّىٰ الله عـليه وآله وسلّم ـ إلى الربذة، وضربهم عمّاراً وابن مسعود، وايجابهم عزل الخـليفة إن تـرك الطاعة، وحرقهم المصاحف، وكخروجهم علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّـلام ـ ونـقضهم عهده، وكخلاف عائشة علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وكقتل ابن جرموز زبيراً غيلة، وقتل مروان طلحة ـ وهو من العـشرة المـبشرة ـ، وكـغدر طـلحة والزبير بعليّ ـ عليه السّلام ـ من غير عذر، وكذلك غدرهما بعثمان من قبل، وكتسويلهم القتل في الفتنة، وكرفضهم قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «اهتدوا بهدىٰ عمّار»، وقوله ـ صلّىٰ الله وآله وسلّم ـ في عمّار «ويحَ عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار»، وكقولهم بخلافة معاوية وهـو زعـيم الفـئة البـاغية وقـاتل خـيار الصحابة، ونحوه الزبير وطلحة وابن العاص، وبُسر بن أرطأة، وأضرابهم مـن الّـذين شنّوا الغارات علىٰ البلاد، وأباحوا دماء العباد، ولم يكن لهم عذر إلّا التعصّب والعناد[١].

قال ابن حزم الأندلسي الظاهري ـ في كـتابه «الفـصل» ـ: فـمن تأوّل مـن أهـل الإسلام وكان قد قامت عليه الحجّة وتبيّن له الحقّ، فَعَنَدَ عن الحقّ غير معارض له تعالىٰ ولا لرسوله ـص ـ فهو فاسق، لجرأته علىٰ الله تعالىٰ باصداره علىٰ الأمر الحرام، فإن عَنَد عن الحقّ معارضاً له تعالىٰ ولرسوله ـص ـفهو كافر مرتدّ حلال الدم والمال، لا فرق في هذه الأحكام بين الخطأ في الإعتقاد في أي شيء كان من الشريعة وبين الخطأ في الفُتيا في أي شيء كان علىٰ ما بيّنا[٢]. انتهىٰ.

---

١ . سيأتي بيان هذه الوقائع والمآسي في الأجزاء القادمة.

٢ . الفصل في الملل والأهوال والنِحل ٣ / ١٤٤ .

تسويلاتهم في أهل الحقّ

١ ـ منها: ما عن ابن حزم ـ في كتابه «المحلّىٰ»، في مسألة مقتولٍ كـان في أوليـائه غائب أو صغير أو مجنون ـ: إنّه قال أبو حنيفة: إذا كان للمقتول بنون، وفيهم أحد كبير، له أن يَقتُل، ولا ينتظر بلوغ الصغار، وقد قَتَل الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ ابـن ملجم قاتل علي، ولعلي بنون صغار، وهم بحضرة الصحابة، من دون مخالف يعرَف.

قال ابن حزم: إنّ الحنفيّين والمالكيّين لا يختلفون في أنّ من قتل آخر علىٰ التأويل، فلا قِوَدَ في ذلك، ولا خلاف بين أحد من الأُمّة في أنّ عبد الرحمان بن ملجم لم يقتل عليّاً ـ رضي الله عنه ـ إلّا متأوّلاً مجتهداً مقدراً أنّه علىٰ صواب، وفي ذلك يقول عمران بن حطان شاعر الصفرية:

يـا ضربـة مـن تـقيّ مـا أراد بهـا	إلاّ ليبلغ من ذي العـرش رضـوانـا
إنّي لا ذكـــره حـــيناً فأحسـبه	أوفىٰ البريّـة عـند الله مـيراثـا[1]

٢ ـ وقال أيضاً ـ في كتاب «الفصل» ـ في قاتل عمّار: إنّ أبا الغادية قتل عمّاراً وهو متأوّل مجتهد مخطئ مأجور أجراً واحداً، وليس هذا كقتلة عثمان، لأنّهم لا مجال لاجـتهاد لهم في قتله، وأبو الغادية شهد بيعة الرضوان، فهو مَن شهد الله له بأنّه عَلِمَ ما في قلبه، وأنزل السكينة عليه ورضي عنه[2]. انتهىٰ.

---

١ . المحلّى ١٠ / ٤٨٢ـ ٤٨٤.

٢ . الفصل في الملل والأهواء ٤ / ١٦١.

قلت: إنّ هذا تجول في النصب وافراط في العصبيّة، دعاه إليه كونه من موالي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ـكما سيأتي ترجمته عند ذكر الفئة الباغية ـ فغالىٰ في حبّهم وحكم لخارجي ببراءة ذمّته عن قتله الامام بالحقّ، واحتج بأبيات خارجي صحّ عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مروقهم عن الدِّين، ثمّ يقول مقالته في قاتل عمّار، ثمّ يتكلّم في قتلة الأئمّة بالحقّ من حيث الاجتهاد والتأويل، ومن المعلوم إنّه لا سبيل لهم أنّ الاجتهاد في قبال النصّ بعد تماميّة الحجّة وانقطاع العذر.

٣ ـ دفاعهم عن يزيد بن معاوية، ومن تطوّرهم في العصبيّة والعناد، اعتداؤهم علىٰ أهل بيت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، بل عليه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وعلىٰ الله، بمصيرهم إلىٰ براءة ذمّة «يزيد» عمّا فعله من الموبقات في الشريعة، فذهب الغزالي ـ في كتاب الإحياء ـ إلىٰ إنكاره أنّ يزيد قتل الحسين ـ عليه السّلام ـ وأهل بيته وأصحابه، وإنّه لم يثبت من طريق صحيح أنّه قتله، ولا أمر بقتله...[١].

وكذلك زعم ابن العربي المالكي إنّ الحسين قتل بشرع جدّه، ولا ملام علىٰ قتلة الحسين. حكاه عنه ابن خلدون في مقدّمته[٢].

وقال النعمان افندي الآلوسي البغدادي ـ في كتابه: «صادق الفجرين» ـ: إنّه أفتىٰ الغزالي ـ في الإحياء ـ بحرمة لعن يزيد، وزعم ابن العربي المالكي إنّ الحسين قُتل بسيف جدّه ـ ص ـ، «كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلّا كذباً»[٣]. قال: وقال ابن الجوزي ـ في كتابه: «السرّ المصون» ـ: من الاعتقادات العامّة الّتي غلبت علىٰ جماعة من منتسبين إلى السنّة أن يقولوا: إنّ يزيد كان علىٰ الصواب، وإنّ الحسين ـ رضي الله عنه ـ أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السير، لعلموا كيف عقدت له البيعة وأُلزم الناس

---

١ . احياء علوم الدِّين ٣ / ١٢١.

٢ . المقدّمة / ١٨١. وقد نقل ابن خلدون ذلك عن كتاب «العواصم والقواصم».

٣ . سورة الكهف / ٦.

بها، وقد فعل في ذلك كلّ قبيح، ولو صحّت البيعة، فقد بدت منه بوادر توجب فسخ العقد، ولا يميل إلّا كلّ جاهل عامي المذهب يظنّ أنّ يغيظ بذلك الرافضة[١]. انتهىٰ.

قلت: وممّن سلك سبيل العناد وأظهر في العالم الإسلامي الفساد ابن حجر الهيثمي ـ في صواعقه ـ قائلاً أنّه لا يجوز لعن فاسق مسلم معيّن، فلا يجوز لعن يزيد، ولو أنّه أمر بقتل الحسين وسرّ به، لأنّ ذلك لم يثبت صدوره عن وجه صحيح. إلىٰ أن قال: وأمّا سبّ يزيد ولعنه فليس من شأن المؤمنين، وإن صحّ أنّه قتله أو أمر بقتله، وفي الحديث أنّ لعن المسلم كقتله، وقاتل الحسين لا يكفر بذلك....[٢].

الآلوسي يبطل كلام ابن حجر: إنّا وإن استقصينا الكلام في الجواب عن هذه التخرّصات الواهية ـ علىٰ ما ستقف عليه عند التعرّض لأحوال معاوية وابنه زيد ـ، لكن نكتفي الآن بذكر ما قاله السيّد محمود الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» عند قوله تعالىٰ «فهل عسيتم إنْ تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتُقَطِّعوا أرحامكم، أُولئك الّذين لعنهم الله، فأصمّهم وأعمىٰ أبصارهم»[٣]. قال: وأُستدلّ بها أيضاً علىٰ جواز لعن يزيد، وكيف لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟ إنّ الله يقول: «فهل عسيتم إنْ تولّيتم..» وأي فساد أو قطيعة رحم أشدّ ممّا فعله يزيد[٤]؟ انتهىٰ.

وقال النعمان الآلوسي ابن السيّد محمود الآلوسي ـ في كتابه «صادق الفجرين» فصل ١٥ ـ: نقل البرزنجي في «الإشاعة» والهيثمي في «الصواعق» إنّ الإمام أحمد لمّا سأله

---

١. المصدر مخطوط.

٢. الصواعق المحرقة / ٢٢٢. والموجود فيه يختلف مع المنقول عنه هنا.

٣. سورة محمّد / ٢٢ ـ ٢٣.

٤. روح المعاني ٢٦ / ٦٥.

والمذكور هنا مجمل مخلّ، والّذي جاء فيه: «واستدلّ به أيضاً علىٰ جواز لعن يزيد...، نقل البرزنجي في الإشاعة والهيثمي في الصواعق انّ الامام أحمد لمّا سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد، قال: وكيف لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟. فقال عبد الله: قد قرأتُ كتاب الله عزّ وجلّ، فلم أجد فيه لعن يزيد. فقال الإمام: إنّ الله تعالىٰ يقول: «فهل عسيتم ان تولّيتم....»، وأي فساد وقطيعة أشدّ ممّا فعله يزيد»؟

ولده عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟، فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عزّ وجلّ فلم أجد فيه لعن يزيد، فقال الامام: إنّ الله يقول: «فهل عسيتم أن تولّيتم...»، قال[1] وذهب شيخ الإسلام البلقيني إلىٰ جواز لعن العاصي المعين لحديث الصحيحين. قال[2] وعلىٰ هذا لا توقف في لعن يزيد، لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر في جميع أيّام تكليفه، ويكفي ما فعله أيّام استيلائه بأهل المدينة ومكّة، وما فعله بأهل البيت ورضاه بقتل الحسين واستبشاره بذلك وأهانته لأهل بيته ممّا تواتر، وفي الحديث: «ستّة لعنتُهُم ولعنهم الله وكّل نبي مجاب الدعوة: المحرّف لكتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمتسلّط بالجبروت ليعزّ من أذل الله ويذلّ من أعزّ الله، والمستحلّ من عترتي والتارك لسنّتي». وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء، منهم الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي وسبقه القاضي أبو يعلىٰ، وقال العلاّمة التفتازاني لا يتوقف في شأنه، بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلىٰ أنصاره. وممّن صرّح بلعنه الجلال السيوطي. وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب «الوافي بالوفيات» أنّ السبي لمّا ورد من العراق علىٰ يزيد، خرج[3] فلقي الاطفال والنساء من ذرّيّة الحسين ـ رضي الله عنه ـ والرؤوس علىٰ أطراف الرماح، أنشأ يقول:

لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت ... تلك الشموس علىٰ شفا جيرونِ
نعِب الغراب فقلت قل أو لا تقل ... فقد اقتضيت من النبيّ ديوني[4]

وهذا كفر صريح؛ وقال السفاريني ـ من الحنابلة ـ: والمختار ما ذهب [إليه] ابن الجوزي إلىٰ أن قال: وأنا أقول: الّذي يغلب علىٰ ظنّي أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً برسالة النبيّ ـ ص ـ، وأنّ مجموع ما فعله مع أهل حرم الله تعالىٰ وحرم نبيّه ـ ص ـ ليس بأضعف دلالة علىٰ عدم تصديقه من إلقاء ورقة المصحف الشريف في قذر. قال: وأنا أذهب إلىٰ

---

١ . أي: قال النعمان الآلوسي.

٢ . أي: قال النعمان الآلوسي.

٣ . أي: يزيد.

٤ . هناك اختلاف كثير في مفردات هذين البيتين في كتب التاريخ والسير، بيد أنّ المعنىٰ والمفاد واحد.

جواز لعن مثله، ويُلحق به ابن زياد وابن سعد، فلعنة الله عزّ وجّل عليهم أجمعين وعلىٰ أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومن مال إليهم إلىٰ يوم الدِّين ما دمعت عين علىٰ أبي عبد الله الحسين[1]. انتهىٰ كلام الآلوسي.

٤ ـ توثيقهم عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن، ومن عصبيتهم الحمقاء اعتمادهم في الرواية علىٰ عمر بن سعيد بن أبي وقّاص، ففي «تهذيب الكمال» و «ميزان الاعتدال» ـ في الترجمة ـ: «عمر بن سعد بن أبي وقّاص الزهري، هو في نفسه غير متّهم، لكنّه باشر القتال، وفعل الأفاعيل. روىٰ شعبة عن أبي إسحاق عن العَيزاز بن حُريث، عن عمر بن سعد، فقام إليه رجل فقال: أما تخاف الله؟ تروي عن عمر بن سعد؟، فبكىٰ وقال: لا أعود، وقال العجلي روىٰ عنه الناس، تابعي ثقة. وقال أحمد بن زهير: سألت ابن معين: أعمر بن سعبد ثقة؟، فقال: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟. قتله المختار سنة خمس وستين»[2].

قلت: وأعظم من ذلك رواية أبي إسحاق السبيعي عن شمر بن ذي الجوشن الّذي باشر ذبح الحسين ـ عليه السّلام ـ، ففي «ميزان الاعتدال» ـ للذهبي ـ: «شمر بن ذي الجوشن الضبابي عن أبيه، وعنه أبو اسحاق السبيعي ليس بأهل للرواية فإنّه أحد قتلة الحسين، وقد قتله أعوان المختار. روىٰ أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق قال: كان شمر يصلّي معنا ثمّ يقول: اللّهمّ إنّك تعلم انّي شريف فاغفر لي (!!!).

قلت: كيف يغفر الله لك وقد أعنت علىٰ قتل ابن رسول الله ـ ص ـ؟

قال: ويحك! فكيف نصنع؟ إنّ هؤلاء أمراؤنا أمرونا..[3].

قال ابن تيمية ـ في «منهاج السنّة» ـ: فلو أنّ النواصب[4] مدحوا عمر بن سعد علىٰ

---

١ . المصدر مخطوط.

٢ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال مخطوط. ميزان الاعتدال ٣ / ١٩٨. مع اختلاف غير مخلّ بالمقصود.

٣ . ميزان الاعتدال ٢ / ١٩٨. مع اختلاف غير مخلّ.

٤ . الناصبي هو الذي يتظاهر بالعداء لأهل البيت ـ عليهم السّلام ـ أو لشيعتهم لأجل ولائهم ومتابعتهم

قتل الحسين لكونه من شيعة عثمان ومن المنتصرين له، وسبّوا أباه سعداً لكونه تخلّف عن القتال مع معاوية والانتصار لعثمان، كان ذلك من جنس الرافضة،...[1].

أقول: إنّ سعداً لم يكن منفرداً في تركه نصرة عثمان، بل يشاركه غيره أيضاً كعائشة وطلحة والزبير وبقية أصحاب بيعة الشجرة وأهل بيعة العقبة، ومن البدريّين من هو أشدّ سعياً في قتل عثمان من تقاعد سعد عن نصرته، وأمّا ابنه عمر فلم يكن قتله للحسين ـ عليه السّلام ـ مجازاة لما فُعِل بعثمان، بل ولم يثبت أن ابن سعيد كان من مُوالي عثمان، وإلاّ لدافع عنه، وإنّما قتل الحسين ـ عليه السّلام ـ طلباً للمال والجاه، وكان ذلك أقصىٰ جهده، ولذا اعترف ابن تيمية عند كلامه المذكور أنّ سعداً لمّا اعتزل الفتنة جاءه عمر ابنه ولامه علىٰ ذلك قائلاً إنّ الناس في المدينة يتنازعون علىٰ الملك وأنت ههنا؟[2].

وأمّا يزيد فلم يقتل الحسين ـ عليه السّلام ـ إلّا لأنّ يستقرّ له الملك، لا لحبّه عثمان وانتصاره له، كيف وأبوه معاوية لم ينصر عثمان وهو حي فكيف بابنه يزيد وقد انقضىٰ عن قتل عثمان سنون متطاولة؟

٥ ـ اتّخاذهم يوم عاشوراء عيداً، قال ابن حجر ـ في «الصواعق» ـ إنّ من بدع الناصبة المتعصّبين علىٰ أهل البيت إظهارهم غاية الفرح والسرور واتخاذهم يوم عاشوراء عيداً، وإظهار الزينة فيه، كالخضاب والإكتحال ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات، وطبخ الأطعمة واعتقادهم إنّ ذلك من السنّة، والسنّة ترك ذلك كلّه، فإنّه لم يرد في ذلك شيء، وقد صرّح الحاكم بأنّ الإكتحال يومه بدعه، والحديث فيه منكر[3]. انتهىٰ.

أقول: ذكر ابن الجوزي ـ في كتاب «الموضوعات» ـ حديث الاكتحال يوم عاشوراء عن جُوبير بن سعيد البلخي وقال: قال الحاكم: أنا أبرأ إلىٰ الله من عهدة جوبير، قال: والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله ـ ص ـ فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة

لهم. ومع إنّ ابن تيمية من أبرز مصاديق الناصبي بيد أنّه ينسب ذلك إلىٰ آخرين.

١. منهاج السّنة النبويّة ١ / ١٦٤.

٢. منهاج السنّة النبويّة ١ / ١٦٤.

٣. الصواعق المحرقة / ١٨٣.

الحسين....، قال أحمد: لا يُشتغل بحديث جويبر، وقال يحيىٰ بن معين: ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني متروك[1].

وقال الذهبي في الميزان ـ في الترجمة ـ «قال ابن معين: ليس بشيء...، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث..، ويروي ابن جويبر عن الضحّاك عن ابن عبّاس حديث «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبداً»، قال أبو قدامة السرخسي: قال يحيىٰ القطّان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثّقونهم في الحديث، وعدّ منهم جويبر والضحّاك، [قال][2]: وهؤلاء لا يُحمد حديثهم»[3]. انتهىٰ. وفي «الدرّ المنثور» للسيوطي أنّ البيهقي ضعّف حديث الاكتحال بالاثمد يوم عاشوراء...[4].

أقول: وفي سنده عروة بن الزبير، وله عداوة بارزة لأهل البيت ـ عليهم السّلام ـ إرثاً من أبيه، وفي شرح النهج ـ للمعتزلي ـ أن الزهري وعروة بن الزبير كانا ينالان من علي ـ عليه السّلام ـ في مسجد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ[5]، كما سيأتي في ترجمة عروة في مطاعن الصحابة والتابعين.

٦ ـ **حُفيت[6] أظافير فلان من تسلقه علىٰ أزواج النبيّ[7]!!** ذكر الذهبي في «ميزان الاعتدال» وابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» ـ كلاهما في ترجمة عبد الله بن سلين بن أشعث السجستاني أبي بكر بن أبي داود ـ قال ابن عديّ: سمعت الضحّاك بن عمرو بن أبي عاصم يقول: أشهد علىٰ محمّد بن يحيىٰ بن مندة بين يدي الله سبحانه أنّه

---

١ . الموضوعات ٢ / ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

٢ . الزيادة من المصدر.

٣ . ميزان الاعتدال ١ / ٤٢٧.

٤ . الدرّ المنثور ٦ / ١٠٢.

٥ . شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٢.

٦ . حُفيت: رقَّت.

٧ . أي: صعوده الحائط ليطّلع علىٰ أزواج النبيّ.

قال: أشهد علىٰ أبي بكر بن داود بين يدي الله تعالىٰ [أنّه][1] قال: روىٰ الزهري عن عروة قال: حفيت أظافير فلان من كثرة ما كان يتسلّق علىٰ أزواج النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، ولقد كاد أن يضرب عنق عبد الله لكونه حكىٰ عنه، فشدّ متنه محمّد بن عبد الله بن حفص الهمداني وخلّصه من أمير اصبهان أبي ليلىٰ، وكان انتدب له[2] بعض العلوية خصماً، ونسب إلىٰ عبد الله المقالة، وأقام الشهادة عليه ابن مندة المذكور ومحمّد بن عبّاس الأخرم وأحمد بن علي [بن][3] الجارود، فأمر أبو ليلىٰ بقتله، فأتىٰ الهمداني وجرّح الشهود، وأخذ بيد عبد الله وخرج [به][4] من فكّ الأسد[5]. انتهىٰ

والمراد بـ «فلان» في عبارة أبي بكر ـ الراوي عن الزهري ـ هو أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بدلالة خصومة بعض العلوية، وإقامته الشهود عند أمير اصبهان مع التشديد والتأكيد في ألفاظ الشهادة.

وفي الكتابين: قال ابن عبدي انّه نُسب إلىٰ ابن أبي داود شيء من النَصب، فنفاه ابن الفرات من بغداد إلىٰ واسط... وفي الكتابين أيضاً: عن أبي داود قال: ابني عبد الله كذّاب، قال ابن صاعد: كفانا ما قاله أبوه فيه، وقال إبراهيم الإصفهاني أبو بكر بن أبي داود كذّاب، وقال أبو القاسم البَغَوي أبو بكر بن أبي داود ـ والله ـ عندي مُنسلخ من العلم.

---

١ . الزيادة من المصدر .

٢ . انتدب له : عارضه .

٣ . ميزان الاعتدال ٢ / ٤٣٣.

لسان الميزان ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

٤. الزيادة من المصدر .

٥ . ميزان الاعتدال ٢ / ٤٣٣.

لسان الميزان ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

مفتعلاتهم في علي ـ عليه السّلام ـ بغضاً وعناداً

إنّك إذا راجعت كتب الجماعة في الحديث وفي الامامة، رأيت إكثارهم في المكابرات بلا حجّة، بل تراهم ذاهبين إمّا إلىٰ وضع الحديث أو إلىٰ تضعيف الصحيح بالتأويل فيه أو في رفضه وعدم قبوله، والموجب له التعصّب المذهبي ونصرة النفس أو طلب المال أو الجاه، ولذلك وضعوا الحديث معارضة لما صحّ عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في علي ـ عليه السّلام ـ، بل أضافوا علىٰ ذلك واختلقوا أحاديث تدلّ ـ بزعمهم ـ علىٰ خلافة المشايخ الثلاثة بالنصّ.

ثمّ إنّ المروانيّة من الجماعة ودعاة الدولة الأمويّة غالوا في بغض علي ـ عليه السّلام ـ ورووا أحاديث في تنقيصه، قال المعتزلي ـ في شرح النهج ـ: أنّه روىٰ المدايني في كتاب «الأحداث» أنّه كتب معاوية بن أبي سفيان إلىٰ عُمّاله بعد عام الجماعة، وكان من كتابه إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل بيته والّذين يرون فضائله مناقبه، فادنوا مجالسهم وأكرموهم واكتبوا إليَّ بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتّىٰ أكثروا في فضائل عثمان، لما يبعثه إليهم معاوية من الصِلات والقطائع، فليس يجيء أحدٌ بخبر مزوّر إلّا صار عاملاً من عُمّال معاوية، ولا يروي في عثمان فضيلة إلّا كتب اسمه وقرّبه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلىٰ عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل

الصحابة والخلفاء، ولا يتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرىٰ، حتّىٰ أشادوا بذلك علىٰ المنابر[١]. انتهىٰ.

وفي «تذكرة خواصّ الأُمّة» ـ للسبط ابن الجوزي ـ عن الشعبي (وهو من أعاظم التابعين) بأسناده إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وقد سئل عن سبب اختلاف الناس في الحديث، فقال: «الناس أربعة: منافق مظهر للإيمان... لا يتأثّم ولا يتحرّج، كذب علىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ متعمّداً، فلو علم الناس لما أخذوا منه، ولكنّهم قالوا صاحب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فأخذوا بقوله...، ثمّ إنّهم عاشوا بعده فتقرّبوا إلىٰ أئمّة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال وجعلوهم علىٰ رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا...»[٢] الحديث.

أقول: ومن أشنع ما اختلقوه في ذلك في مدح معاوية قولهم ـ افتراءً علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «الامناء عند الله ثلاثة: أنا وجبرئيل ومعاوية»، فقرنوا رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وجبرئيل بمعاوية زعيم الفرقة الباغية، سوّد الله وجوههم في الدارين. راجع كتاب «اللّآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» لجلال الدِّين السيوطي عند ذكره هذا الحديث المختلق ورفضه بجميع رجال سنده[٣]، وكذلك راجع الميزان للذهبي[٤].

أسباب وضع الحديث

قال السيّد نعمان الآلوسي ـ في «صادق الفجرين» ـ ما هذا نصّه «إنّ العلماء الّذين ألّفوا في الذبّ عن الصحابة الكرام ـ رض ـ ولا سيّ عن معاوية بن أبي سفيان لما رأوا

---

١. شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٤، مع اختلاف غير مخلّ.

٢. تذكرة خواصّ الأُمّة / ١٤٢.

٣. اللّآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ٤١٧.

٤. ميزان الاعتدال ١ / ١٢٦.

الشُبَه الّذي تعرض في القدح بالأصحاب للعامّة ولكثير ممّن ليس لهم تضلّع بالعلوم، أكثروا من نقل الأحاديث الّتي ذكرت في الكتب وتضمّنت مناقبهم من غير تحرٍّ وتتبّع لصحّتها والطعن في رواتها، اعتماداً، علىٰ تخريج مؤلّفيها وحسن الظنّ بمخرجيها وسدّاً لباب الطعن في الصحابة ولا سيّ معاوية، خوفاً من أن يسري الأمر إلىٰ من هو أجلّ، ويتوصّلوا بالاعتراض عليه إلىٰ الأعلم الأفضل، فتساهلوا فيها سدّاً لهذا الباب، وجعلوها جنّة وإن كانت من أخشاب، ومزجوا السقيم مع الصحيح من غير تتبّع ولا تصحيح» إلىٰ أن قال: «الإنسان – بمقتضىٰ الطبع البشري ـ مجبول علىٰ أن ينصر نفسه في مقام الجدال، ويذبّ ما يرد عليه من خصمه في ميدان النضال، لاسيّ إذا كان يفضي إلىٰ إنحلال عقائد الجهّال، فتراه ـ مع وفور علمه ومسلّم تقواه ـ إذا أورد عليه خصمه ما تدفع دعواه من الحجج والبراهين، لابدّ وأن تميل بها في الغالب عصبيّته إلى التوهين، وإذا روي له رواية مؤيدة لدعوىٰ خصمه وهي محتملة للتصحيح لا يذهب أوّلاً إلّا إلىٰ تضعيفها وتأويلها بوجه غير صبيح، وهو إذا أراد أن يدفع دعوىٰ خصمه تراه يأتي بما يعلم ضعفه وتأوله مدّعياً تصحيحه وتعديله». إلىٰ أن قال: «وهذا شيء رأيناه في تأليفات بعض العلماء المتبحّرين والمجادلين المتأخّرين، فتراهم ـ مع سعة إطلاعهم ـ يلتزمون تصحيح الضعيف وتضعيف الصحيح، ويجعلون في كلام خصمهم الحسن شاذّاً، والغريب موضوعاً، والموصول مقطوعاً، والنصّ مُأوّلاً، والمقطوع به محتملاً، وما يقصدون بذلك إلّا الغلبة ونصرة الحقّ ودرأ الباطل بمقتضىٰ اجتهادهم....»[١].

أقول: ولذلك شواهد قولاً ورواية، أمّا الأقوال فمثل:

أ ـ ما جاء به ابن حزم الأندلسي في كتاب «الفصل في الملل والنحل» من إنكاره دلالة قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعليّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» علىٰ ثبوت الفضيلة لعليّ ـ عليه السّلام ـ، قال: لأنّ عليّاً نُزّل منزلة

---

١ . صادق الفجرين، الفصل ١٢، والكتاب مخطوط.

النبيّ -ص- في القرابة[١]...

وقد عزب عنه أنّ القرابة لم تكن تخصّ عليّاً - عليه السّلام - بل يشاركه فيها غيره من أقربائه - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم -، فلا يكون معنىً لكلامه - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - وتخصيصه عليّاً بهذه المنزلة دون سواه، مضافاً إلىٰ لزوم لغوية الاستثناء بـ «إلاّ» وإخراج النبوّة من عموم المنزلة، مع العلم أنّ حرف الإستثناء يستعمل لإخراج ما لولاه لدخل.

ب - وكذلك مثل انكار ابن حزم أيضاً القصاص من قاتل أمير المؤمنين - عليه السّلام -، كما عرفت من كتاب «المحلّىٰ»[٢]، وكذا إنكاره كون ابن ملجم أشقىٰ الأوّلين والآخرين، مع أن النصوص بذلك مستفيضة، كما ستعرفها إن شاء الله.

جـ - وأنكر القوم دلالة قول النبيّ - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - يوم الغدير في عليّ -عليه السّلام- «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه» علىٰ خلافته - عليه السّلام - بعده، وحملوه - بعد قبوله - تارة علىٰ ما بعد زمان عثمان، وأخرىٰ جعلوه من الأحاديث المجملة لكثرة معاني «المولىٰ» من غير قرينة، ولم يعلموا أن قبول الحديث يناقضه حمله علىٰ ولاية العهد بعد عثمان،إذ لا وجه في خلافة من تقدّم علىٰ علي بعد النصّ عليه -عليه السّلام -، وأمّا كونه من الأحاديث المجملة فمستحيل للزوم اللغو علىٰ رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - في ذلك المشهد التاريخي العظيم المنقطع النظير، فذلك طعنٌ علىٰ النبيّ - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - إذ أتىٰ بلفظ مجمل لم يفهمه أصحابه، بل يسري الطعن علىٰ الأصحاب أيضاً حيث سمعوا من النبيّ - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - واعترفوا به ولم يفهموا معناه ولم يسألوا عنه والنبيّ معهم يحدّثهم ويحدّثونه ويخاطبهم ويخاطبونه.

---

١ . الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٧٨.

٢ . المحلّىٰ ١٠ / ٤٨٤.

منكرات ابن تيمية

١ ـ وقد انكر ابن تيمية ـ في منهاجه ـ دلالة آية التطهير علىٰ طهارة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ عن الرجس، مدّعياً أنّ إرادة الله تعالىٰ لا تتضمّن وقوع المراد، فالآية آمرة بالتطهير عن كلّ رجس[١]، لكنّك ستقف علىٰ بطلانه.

٢ ـ وأنكر أيضاً في منهاجه كون آية المودّة[٢] دالّة علىٰ وجوب مودّة ذي القُربىٰ من أهل بيت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، قال: وإنّما تدلّ علىٰ وجوب رعاية القرابة الّتي بين النبيّ ـص ـ وبين قريش[٣].

وهذا خلاف ما أجمعوا عليه من نزول الآية في علي وفاطمة والحسنين ـ عليهم السّلام ـ، كما روىٰ ذلك ابن حجر الهيثمي ـ في «الصواعق»، عن أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم[٤]، ورواه المحبّ الطبريّ في «ذخائر العقبىٰ»[٥]، والشبلنجي في «نور الأبصار» قال: رواه الامام أبو الحسن البغوي في تفسيره عن ابن عبّاس[٦]، ورواه الفخر الرازي في «التفسير الكبير» عن الكلبي عن ابن عبّاس[٧]، ورواه الزمخشري في «الكشّاف» عند تفسير الآية[٨].

وممّن روىٰ الحديث في نزول الآية في أقرباء النبيّ ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ محمّد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل»[٩]، وابن الصباغ المالكي في «الفصول

---

١ . منهاج السنة النبويّة ٤ / ٢٠.

٢ . وهي قوله تعالىٰ في سورة الشورىٰ / ٢٣ ... «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القُربىٰ».

٣ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ٧٥.

٤ . الصواعق المحرقة / ١٧٠.

٥ . ذخائر العقبىٰ / ٢٥.

٦ . نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار / ١٠٦.

٧ . التفسير الكبير ٢٧ / ١٦٦.

٨ . الكشّاف عن حقائق التنزيل ٣ / ٤٦٧.

٩ . مطالب السؤول / ٨.

المهمّة»[١]، والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»[٢]. والغرض من الاطالة إعلام أنّ ابن تيمية أنكر في منهاجه فضيلة ثابتة لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ مع بذل الجهد في ذلك بما لا يرجع إلىٰ محصل في مثل هذا العصر.

٣ ـ وأنكر أيضاً ـ في منهاجه ـ أحاديث الإخاء قائلاً: إنّ أحاديث المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض، وكذلك الأنصار، كذبٌ، والنبيّ لم يؤاخ عليّاً، ولا آخىٰ بين أبي بكر وعمر، ولا بين مهاجري...[٣].

وستعرف بطلان كلامه، محض إنكار ومكابرة، جحود وعناد، «وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم»[٤]، وأنّ أحاديث المؤاخاة متواترة في كتب الفريقين.

٤ ـ وأنكر أيضاً فضل علي ـ عليه السّلام ـ في باب أحاديث الطير المشوي زاعماً أنّ أكل علي ـ عليه السّلام ـ مع النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ليس فيه شأن عظيم، فانّ إطعام الطعام مشروع للبرّ والفاجر[٥].

٥ ـ وأنكر كون علي ـ عليه السّلام ـ أعلم الناس بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

٦ ـ وأنكر أيضاً قوله ـ عليه السّلام ـ «سلوني» قبل أن تفقدوني»، وأنّ الصحابة كانت ترجع إليه، فقال ـ في المنهاج ـ: «إنّ أعلم الناس بعد رسول الله ـ ص ـ أبو بكر وعمر»[٦]. وقال إنّ عليّاً لم يقل «سلوني في المدينة بين أظهر الصحابة[٧]. وأنكر رجوع الصحابة إلىٰ علي ـ عليه السّلام ـ. وقال إنّ عمر لم يقل «لولا علي لهلك عمر»[٨].

---

١ . الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ / ٢٩.

٢ . كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ / ٩٠.

٣ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ٧٥.

٤ . سورة النمل / ١٤.

٥ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٣٥.

٦ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٣٥.

٧ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٥٩.

٨ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٦١.

وستعلم عن حجج وافية قاطعة أنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ أعلم الصحابة وأفضلهم، لما ثبت متواتراً من قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب».

٧ ـ ومن غرائب ما جاء به ابن تيمية احتجاجه لعلم أبي بكر بما لا يكاد يحتج به عاقل علىٰ خصمه، قال: إنّ الصّديق قام بأمور من العلم والفقه عجز عنها عمر...[١].

ولم يبيّن من علم أبي بكر غير هذه الدعوىٰ، وهي لا تدلّ علىٰ البراعة في العلم، لقول الشاعر:

ألم تــرَ أن الســيف يُــزرىٰ بحـدّه إذا قيل هذا السيف خير من العـصي

٨ ـ وأغرب منه احتجاجه لعلم عمر برواية «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر».

وأنت ترىٰ أنّ مثله يطالب بالحجّة عـلىٰ الحـديث، ودون إثـباته خَـرط القَتاد[٢]. والخصم لا يقنع بزعمة عارية عن الدليل، ع أنّهما[٣] توقّفا في المراد بالكَلالة من الآية[٤].

---

١ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٦٣.

٢ . هذا مثال لصعوبة أو عدم إمكان الإتيان بشيء. والخرط: قشر الورق من الشجر اجتذاباً بـالكفّ.

والقتاد: شجر له أشواك أمثال الابر.

والمعنىٰ: إنّ تقشير الشوك بالكفّ اجتذاباً أسهل من إقامة الدليل علىٰ صدق هذا القول المنسوب إلى النبيّ.

٣ . أي: أبا بكر وعمر.

٤ . الكلالة: مَن لا ولد ولا والد له ـ علىٰ قيد الحياة ـ.

وقد جاء في صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن أبي ماجة وسنن البيهقي وتفسير السيوطي والطبري والقرطبي و... إنّ عمر بن خطّاب سُئل عن معنىٰ الكلالة، فلم يـعرفها، مـع أنّـها وردت فـي القـرآن فـي الآية ١٧٦ من سورة النساء.

وجاء في سنن الدارمي وسنن البيهقي وتفسير ابن كثير والخازن والطبري أنّ أبا بكر سُئل عن معنىٰ الكلالة فقال «سأقول برأيي، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمنّي ومن الشيطان».

وسيأتي ذكر مجموعة من مصادر ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

٩ ـ وأغرب من الكلّ دعواه أنّ عليّاً تعلّم من أبي بكر بعض السنّة، وأبو بكر لم يتعلّم من علي[١]...

وهذا الكلام أشبه بالخيال منه إلى الحقيقة، نعم إنّ الثابت المحقّق متواتراً أنّ عليّاً وفاطمة ـ عليهما السّلام ـ والعبّاس لم يصدّقوا أبا بكر في روايته «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»[٢].

١٠ ـ ومن غرائبه إنكاره كون علي أفصح الناس وأخطب الناس، وادعاؤه أنّ عمر أخطب الناس وأبو بكر أخطب منه وكانت عائشة من أخطب الناس وكان زياد بن أبيه من أخطب الناس[٣]!.

أقول:

إذا وَصَفَ الطائيَّ بالبخل ماردٌ وعَيَّرَ قُسّاً بالفهامة باقلُ

فياموت زر إنّ الحياة ذميمةٌ ويا نفس جِدِّي إنّ سيفك هازلُ[٤]

أفي مثل علي ـ عليه السّلام ـ يقال هذا وهو سيّد البلغاء بعد الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وقدوة الفصحاء في تاريخ المسلمين؟ أم أي خطابة لهؤلاء الّذين ذكرهم حتّىٰ يقال إنّهم خطباء؟ أم أي دعوىٰ تسمع من غير حجّة أو برهان؟ وخطابات علي ـ عليه السّلام ـ وكلماته في النصائح والحكم والمواعظ، مع اشتمالها علىٰ أقصىٰ مراتب الفصاحة والبلاغة بعد القرآن، دونك كتاب «نهج البلاغة» ومستدركاته، حيث تراه القرآن الثاني

---

١. منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٣٧.

٢. صحيح مسلم ٣ / ١٣٧٩، كتاب الجهاد والسير، باب قوله ـ ص ـ لا نورث ما تركناه صدقة.

وجاء فيه انّ عمر قال للإمام علي والعبّاس حول موقفهما من ادعاء أبي بكر انّ النبي قال: لا نورث، ما تركناه صدقة: «فرأيتماه ـ أي: رأيتما أبا بكر كاذباً آثماً غادراً خائناً».

٣. منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٥٨.

٤. المقصود إنّه إذا كان الزمن زمناً يوصف فيه حاتم الطائي المشهور بالكرم، بالبخل، ويوصف قسّ الساعدي المشهور بالفصاحة، بالعجز، فالموت خير من العيش في هكذا زمن، وفيما نحن فيه كذلك فالإمام عليّ ـ عليه السّلام ـ المشهور بكونه أفصح وأخطب الكلّ، يوصف بغير ذلك.

ـ إن صحّ التعبير ـ أو كما قيل فيه: هو فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق، وحسبه دليلاً قاطعاً علىٰ كونه ـ صلوات الله عليه ـ أخطب الصحابة أجمعين وسيّد الفصحاء من الأوّلين والآخرين.

١١ ـ ومثل هذا الدعاوىٰ في الغرابة ومخالفة الضرورة، إنكاره كون علي ـ عليه السّلام ـ أشجع البريّة، وقال: لا ريب أن أبا بكر أشجع من عمر، وعمر أشجع من علي وعثمان، وأبو بكر باشر الأهوال...[١].

أقول: بل عمر أشجع من أبي بكر، لأنّه قهر عليّاً الّذي قاتل الأبطال في الوقائع كلّها، يوم هجومه بأصحابه علىٰ داره ـ عليه السّلام ـ بعد وفاة النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) لأخذ البيعة منه لأبي بكر، مهدّداً إيّاه بإحراق داره عليه وعلىٰ زوجته فاطمة ـ عليها السّلام ـ إن لم يبايع، فأخرج عليّاً إلىٰ بيعة أبي بكر قهراً، وأخذ السيف من يد الزبير وضرب به الحجر فانكسر، فأنّىٰ لأبي بكر مثل هذه الشجاعة الباهرة؟

ولكن الرجل بالرغم من شجاعته هذه فرَّ هو وصاحبه يوم أُحد[٢] ويوم خيبر[٣] ويوم حنين[٤]، ولم يفرّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، وقد أحجما عن مبارزة عُتبة وشيبة والوليد يوم بدر، إذ طلبوا البراز[٥]، وكذلك يوم خندق إذ لم يبرز إلىٰ عمرو بن عبد ودّ غير علي ـ عليه السّلام ـ، فقتله، وأتىٰ برأسه إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

وما ذكرناه مجملاً إنّما هو لبيان أنّ الخصم قد يلجئه العجز إلىٰ مصادمة الوجدان، والدعوىٰ بلا برهان.

---

١ . منهاج السنّة النبويّة ٤ / ١٦٣ ـ ١٦٤ .

٢ . جاء في أسد الغابة ٤ / ٢٠ أنّ جميع المقاتلين المسلمين فرّوا يوم أُحد ولم يبق إلىٰ جانب النبيّ سوىٰ الامام علي، وكان هذان من الّذين فرّوا.

٣. جاء في مجمع الزوائد ٩ / ١٢٤ ـ نقلاً عن الطبراني ـ أنّ أبا بكر وعمر انهزما يوم خيبر.

٤ . جاء في السيرة الحلبيّة ٣ / ١٢٣ أنّه فرّ الناس يوم حُنين، ولم يبق أحد إلىٰ جانب النبيّ سوىٰ الامام علي والعبّاس وأبو سفيان بن حارث وابن مسعود، ولم يرد اسم هذين في قائمة الباقين.

٥ . فإنّه لم يذكر أحدٌ أنّهما بارزا هؤلاء.

تنقيصهم شأن علي ـ عليه السّلام ـ بالكذب

١ ـ في الشرح ـ لابن أبي الحديد ـ أنّه روىٰ الأعمش أنّه لمّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية ـ عام الجماعة ـ، جاء إلىٰ مسجد الكوفة، فلمّا رأىٰ كثرة من استقبله من الناس، جثا علىٰ ركبتيه، ثمّ ضرب صلعته[1] مراراً، وقال: «يا أهل العراق! أتزعمون أنّي أكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله، وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: «إنّ لكلّ نبي حَرَماً، وإنّ حرمي بالمدينة ما بين عير إلىٰ ثَور[2]، فمن أحدث[3] فيها حدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، وأُشهد الله أنّ عليّاً أحدث فيها». فلمّا بلغ معاوية قوله، أجازه وأكرمه وولاّه إمارة المدينة[4]. انتهىٰ.

أقول: وفي الحديث الصحيح عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقّاً، فقد بريئ من ذمّة الله ورسوله». رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء»[5].

وفي «كنز العمال» ـ للمتّقي الهندي الحنفي ـ: إنّ عمر بن الخطّاب كان يقول لأبي هريرة: «لتتركنّ الحديث عن رسول الله ـ ص ـ أو لألحقنّك بأرض دوس»[6] [7].

ونحوه الحديث عن عمر في منتخب الكنز.

وذكر ابن قتيبة ـ في كتاب «تأويل مختلف الحديث»: إنّ أبا هريرة كان يكذّبه عمر وعثمان وعلي وعائشة، وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه[8]. وفي تاريخ ابن كثير الدمشقي

---

١ . الصلعة: محل الصلع. والصلع: انحسار شعر مقدّم الرأس.

٢ . عَير: جبل بالمدينة، وثور: جبل أو مكان بالمدينة.

٣ . أحدث: جاء ببدعة.

٤ . شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٧.

٥ . حلية الأولياء ٥ / ٢٤٨.

٦ . أرض دوس: اليمن.

٧ . كنز العمال ١٠ / ٢٩١.

٨ . تأويل مختلف الحديث / ٤٨.

ـ عند ذكر وفاة أبي هريرة ـ: عن الزبير بن العوّام أنّه إذا كان أبو هريرة يُحدِّث، كـان يقول: كَذِبَ. وقال لابنه عروة: يا بني إنّ أبا هريرة يضع الحديث[1]. انتهىٰ.

٢ ـ وفي شرح ابن أبي الحديد: إنّ معاوية بذل لسَمُرة بن جُندَب مائة ألف درهم كي يروي عن النبيّ ـ ص ـ[2] أنّه نزل في علي قوله تعالي: «ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويُشهدُ اللهَ علىٰ ما في قلبه، وهو ألدُّ الخصام، وإذا تولّىٰ سـعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحبُّ الفساد»[3]، وإنّه نزل في ابن ملجم قوله تعالىٰ:«ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، والله رؤوف بالعباد»[4]، فلم يقبل منه، فبذل له مائتي ألف، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة، فقبل وروىٰ ذلك[5].

أقول: سمرة بن جندب ممّن لعنه عمر بن الخطّاب، فـي أخـرجـه الامـام أحمـد في «المسند». وأخبر النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ جماعة من الصحابة ـ فيهم سمرة بن جندب ـ أنّ آخرهم موتاً في النار، فكان سمرة آخرهم موتاً. رواه ابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية»[6]، والجلال السيوطي في «الخصائص الكبرىٰ»[7] وفي الطبري: أنّ سمرة استخلفه زياد علىٰ البصرة، فقتل ثمانية آلاف. وفيه: عن ابن سواد العدوي قال: قتل سمرة بن جندب في غداةٍ سبعة وأربعين رجلاً جمعوا القرآن[8].

وفي شرح المعتزلي إنّ سمرة شهد مقتل الحسين ـ عليه السّلام ـ، وإنّه كـان عـلىٰ

---

١ . لم أجده في المصدر.

٢ . لا توجد عبارة «كي يروي عن النبيّ ـ ص ـ» في المصدر.

٣ . سورة البقرة / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٤ . سورة البقرة / ٢٠٧.

٥ . شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٣.

٦ . البداية والنهاية ٦ / ٢٢٦.

٧ . الخصائص الكبرىٰ ٣ / ٧ ـ ٨ .

٨ . تاريخ الرسل والملوك ٥ / ٢٣٧.

شرطة ابن زياد في الكوفة، وكان يحرّض الناس علىٰ الخروج إلىٰ قتال الحسين ـ عليه السّلام ـ..[١].

وذكر الشيخ عبد الحقّ الدهلوي في رجال المشكاة ـ في الترجمة ـ: سمرة بن جندب صحابي مشهور، كان علىٰ رأي الحرويّة والخوارج ومن قاربهم في مذهبهم...[٢].

ومن تلك المفتعلات الكاشفة عن النصب والعداء ما في الشرح للمعتزلي: انّه روىٰ الزهري عن عروة عن الزبير قال: حدّثتني عائشة قالت: كنتُ عند النبيّ، إذ أقبل علي والعبّاس، فقال «يا عائشة! هذان يموتان علىٰ غير ملّتي»[٣].

وفي رواية أخرىٰ: عن عائشة قالت: كنتُ عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إذ أقبل العبّاس وعلي، فقال: «يا عائشة! إن سَرَّكِ أن تنظري إلىٰ رجلين من أهل النار، فانظري إلىٰ هذين قد طلعا» فنظرتُ فإذا العبّاس وعلي بن أبي طالب[٤]. انتهىٰ.

وسيأتيك ما ينبؤك علىٰ مخالفة هذه الرواية المختلقة للواقع، لما أجمع الفريقان علىٰ إكبارهم عليّاً والعبّاس.

علي ـ عليه السّلام ـ آية الحقّ وآية الجنّة وآية طيب الولادة

١ ـ عن أبي سعيد الخدري قال النبيّ ـ ص ـ «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» ـ يعني عليّاً ـ. رواه علي المتقي الهندي في الكنز[٥]، وأبو يعلىٰ[٦]، والضياء المقدسي[٧].

---

١ . شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٨ ـ ٧٩.

٢ . لم أجده في المصدر المسمّىٰ بـ «الاكمال في أسماء الرجال».

٣ . شرح نهج البلاغة ٤ / ٤ / ٦٤ .

٤ . شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٤.

٥ . كنز العمال ١١ / ٦١٢.

٦ . مسند أبو يعلىٰ . وهو مخطوط .

٧ . الأحاديث المختارة . وهو مخطوط .

ومن حديث الترمذي في جامعه[١]، وابن كثير الشامي في «البداية والنهاية»[٢]، والحاكم في «المستدرك»[٣]، والذهبي في التلخيص[٤]، والسيوطي في «الجامع الصغير»[٥]، عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «رحم الله عليّاً، اللّهمّ أدر الحقّ معه حيث دار».

وفي مستدرك الحاكم من قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «علي مع القرآن، والقرآن معه، لا يفترقان حتّىٰ يردا عليَّ الحوض»[٦]. وهو أيضاً حديث السيوطي في «تاريخ الخلفاء»[٧].

٢ ـ الحديث المروي في منتخب الكنز: إنّ النبيّ ـ ص ـ قال لعمرو بن الحمق الخزاعي: «يا عمرو! أتحبُّ أن أُريك آية الجنّة؟» قال: «نعم يا رسول الله!» فمرّ عليٌّ، فقال: «هذا وقومه آية الجنّة...»[٨].

وأخرج الخطيب البغدادي في التاريخ[٩]، والمحبّ الطبري في «الرياض النضرة»[١٠]، وابن حجر الهيثمي في الصواعق[١١]، عن أبي بكر أنّه قال لعلي: سمعتُ رسول الله ـ ص ـ يقول: «إنّ علىٰ الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلّا بجوازٍ من علي بن أبي طالب».

٣ ـ وما رواه الجزري في «اسنىٰ المطالب»: عن الخدري قال: «كنّا معاشر الأنصار

---

١ . الجامع الصحيح ٥ / ٦٣٣.

٢ . البداية والنهاية ٧ / ٣٦٠ . وفيه «رحم الله عليّاً، دار الحقّ معه حيث دار» .

٣ . المستدرك في الصحيحين ٣ / ١٢٤ .

٤ . تلخيص المستدرك ٣ / ١٢٤ .

٥ . الجامع الصغير : ٢ / ٢٣ .

٦ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ١٢٤ .

٧ . تاريخ الخلفاء / ٦٧ .

٨ . منتخب كنز العمّال ٥ / ٢٤٩ .

٩ . تاريخ بغداد ١٠ / ٣٥٧ .

١٠ . الرياض النضرة ٢ / ١٧٧ .

١١ . الصواعق المحرقة / ١٢٦ . والمنقول بالمضمون .

نبور[١] أولادنا بحبّهم عليّاً، فإذا ولد فينا مولود فلم يحبّه، عرفنا أنّه ليس منّا»[٢].

وروىٰ ابن أبي الحديد ـ في الشرح ـ: عن أبي مريم الأنصاري عن علي ـ عليه السّلام ـ قال: «لا يحبّني كافر ولا ولد زنا»[٣].

وفي «فرائد السمطين» ـ للحمويني ـ: عن أنس عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «لا يبغض عليّاً من العرب إلّا دعيّ»[٤].

ومن حديث الشيخ عبد الرحمان الصفوري الشافعي في «نزهة المجالس»: عن أنس أنّ النبيّ ـ ص ـ أمر أصحابه يوم خيبر أن يمتحنوا أولادهم بحبّ عليّ بن أبي طالب. قال أنس بن مالك: فكان الرجل بعد ذلك يقف علىٰ طريق عليّ ـ رضي الله عنه ـ ويقول: يا بُني! أتحبّ هذا؟. فإن قال: «نعم»، قبّله، وإن قال «لا»، طلّق أُمّه، وتركه معها[٥].

وفي «الرياض النضرة» عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين «لا يحبّكم إلّا سعيد الجَدّ، طيّب المولد، ولا يبغضكم إلّا شقيّ الجَدّ، رديء المولد»[٦].

وأخرج الخطيب ـ في التاريخ ـ حديثين مشتملين علىٰ إراءة أبليس نفسه للنبي (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) حال الصلاة كالفيلة، ونهوض عليّ ـ عليه السّلام ـ ليقتله، فقال إبليس: ما لي ولك يا ابن أبي طالب! والله ما أبغضك أحد إلّا وقد شاركتُ أباه في رحم أمّه، وذلك قوله تعالىٰ «وشاركهم في

---

١ . نبور: نمتحن.

٢ . أسنىٰ المطالب في مناقب سيّدنا علي بن أبي طالب / ٥٨.

٣ . شرح نهج البلاغة ٤ / ١١٠.

٤ . فرائد السمطين ١ / ١٣٤.

٥ . نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢ / ٢٢٠.

٦ . الرياض النضرة / ١٨٩ . والّذي فيه «لا يحبّهم الّا سعيد الجدّ، طيب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيّ الجدّ، رديء الولادة».

الأموال والأولاد»[١]. انتهىٰ[٢].

مفتعلات البخاري في قدح أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ

إنّ البخاري ممّن اشتهر بانحرافه عن أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وسائر أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، ومن يتتبّع كتابه يجد لذلك أمثلة كثيرة من ذكره لرواياتٍ أورد فيها الغمز والطعن علىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ، أمّا عند ذكر فضائله ومناقبه ـ عليه السّلام ـ فتراه ملجَماً محجماً، متعمداً تركها أو ذكر النادر اليسير منها، ومع ذلك يبتر قسماً منها أو يحوّرها ويحرّفها كيفما شاء.

فمن مفتعلاته في قدح عليّ ـ عليه السّلام ـ:

١ ـ [التشكيك في أفضليّة الإمام عليّ]

ما رواه في صحيحه ـ باب مناقب عثمان ـ عن ابن عمر أنّه قال: كنّا في زمن النبيّ ـص ـ «لا نعدِل[٣] بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثم عثمان، ثمّ نترك أصحاب النبيّ لا نفاضل بينهم»[٤].

أقول: وسيأتيك (إن شاء الله) ذكر انحراف ابن عمر عن علي والحسن و الحسين ـ عليهم السّلام ـ وإنّه ترك بيعته علي ـ عليه السّلام ـ لا عن عذر، ثمّ بادر إلىٰ بيعة يزيد بن معاوية وأمر أولاده وغلمانه بيعته، كما في «صحيح البخاري»، ـ باب كيف يبايع الناس ـ[٥]. وفي الصحيح من الخبر: من رضي بإمام باطل فقد كفر[٦]. أما عَلِمَ ابن عمر

---

١. سورة الإسراء / ٦٤.

٢. تاريخ بغداد ٣ / ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

٣. نعدِل: نساوي.

٤. صحيح البخاري ٤ / ٢٠٣، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان.

٥. لم أجده في المصدر. والموجود في ٨ / ١٢٢ ـ في نفس الباب المذكور ـ أنّ عبد الله بن عمر بايع عبد الملك وقال إنّ بنيه بايعوه أيضاً. نعم ذلك موجود في الجزء الأخير من «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري».

٦. هذا مضمون أخبار متعدّدة في أبواب عديدة من كتب أحاديثهم.

من قوله تعالىٰ «ولا تركنوا إلىٰ الّذين ظلموا فتمسّكم النّار»[1]، وقوله تعالىٰ: «لا ينال عهدي الظالمين»[2]، وقوله «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله، وكونوا مع الصادقين»[3] عدم جواز عقد البيعة ليزيد رأس الفجور؟

إنّ ابن عمر لا يرضىٰ أن يُفضّل عليّاً علىٰ عثمان ولا علىٰ بقيّة الأصحاب، وهذا اجتهاد منه، يناقضه وينفيه اجماع الصحابة والتابعين علىٰ خلافه، إذ أجمعوا بعد مقتل عثمان علىٰ بيعته وبايعوه علىٰ أنّه أفضلهم وأحقّهم بالإمامة، وفيهم بقيّة العشرة المُبشّرة (!!) والبدريّين وأهل بيعة الشجرة، وفرضوا علىٰ أنفسهم وجوب طاعة عليّ ـ عليه السّلام ـ وفدوا أنفسهم دونه في حرب الجمل وصفّين ونهروان، وكانوا مستمرّين في الذّبّ عنه في حياته وبعد شهادته ـ عليه السّلام ـ.

وممّن طعن في حديث ابن عمر، ابن عبد البرّ القرطبي ـ في كتاب «الاستيعاب» ـ: «قال [أبو عمر][4]: مَن قال بحديث ابن عمر «كنّا نقول في عهد رسول الله ـ ص ـ أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان، ثمّ نترك فلا نفاضل»[5]؟ [و][6] هو الّذي أنكره ابن معين وتكلّم فيه بكلام غليظ، لأنّ القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنّة من الخلف والسلف من أهل الفقه والأثر أنّ عليّاً ـ رضي الله عنه ـ أفضل الناس بعد عثمان، [و][7] هذا ممّا لم يختلفوا فيه، وإنّما اختلفوا في تفاضل[8] عليّ وعثمان. واختلف السلف أيضاً في تفضيل علي وأبي بكر، وفي اجماع الجميع الّذي وصفناه دليل علىٰ أنّ حديث ابن عمر وهم

---

١. سورة هود / ١١٣.

٢. سورة البقرة / ١٢٤.

٣. سورة البراءة / ١١٩.

٤. الزيادة من المصدر.

٥. في المصدر: «ثمّ نسكت، يعني: فلا نفاضل».

٦. الزيادة من المصدر.

٧. الزيادة من المصدر.

٨. في المصدر: «تفضيل».

وغلط....»[١].

وفي «الاستيعاب» ـ أيضاً ـ أنّه: روي عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار وحذيفة وخباب وأبي سعيد الخدري وزيد بن أسلم إنّ هؤلاء فضّلوا عليّاً علىٰ غيره[٢]. انتهىٰ.[٣]

٢ ـ فرية مجادلة عليّ (عليه السّلام) للنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في أمر الصلاة

أورد البخاري ـ في [باب] تحريض النبيّ ـ ص ـ علىٰ صلاة الليل والنوافل[٤]، وفي باب قوله «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً» من كتاب التفسير[٥]، وفي باب الاعتصام بالكتاب والسنّة[٦] ـ من الحديث عن الزهري قال: أخبرني عليّ بن الحسين إنّ حسين بن عليّ أخبره إنّ علي بن أبي طالب قال: إنّ رسول الله ـ ص ـ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ـ ص ـ ليلة[٧]، فقال: ألا تصلّيان؟. فقلت: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا[٨]. فانصرف رسول الله حين قلت له ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً[٩]، ثمّ سمعته يقول ـ وهو مولٍ يضرب فخذه ـ: «وكان الانسان أكثر شيء جدلاً»[١٠].

---

١. الاستيعاب ٣ / ١١١٦.

٢. الاستيعاب ٣ / ١٠٩٠. مع اختلاف غير مخلّ بالمقصود.

٣. وسيأتي في الجزء الثاني من هذا الكتاب عدّة بحوث تتكفّل إثبات أفضليّة الإمام علي ـ عليه السّلام ـ علىٰ جميع الصحابة.

٤. صحيح البخاري ٢ / ٤٣، كتاب الصلاة، باب تحريض النبيّ ـ ص ـ علىٰ صلاة الليل والنوافل.

٥. صحيح البخاري ٥ / ٢٢٩، كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف. باب قوله «وكان الإنسان...».

٦. صحيح البخاري ٨ / ١٥٥، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنّة، باب قوله تعالىٰ «وكان الإنسان...».

٧. طرقه وفاطمة... ليلاً: أتاهما في الليل..

٨. إذا شاء أن يبعثنا: إذا شاء أن يوقظنا أيقظنا.

٩. لم يرجع إليّ شيئاً: لم يجبني بشيء.

١٠. سورة الكهف / ٥٤.

أقول: هذا الحديث مردود لوجهين:

أحدهما: من جهة المتن، لأنّ متنه مناقض مع القرآن، فيُطرح، لدلالة آية الولاية وآية المباهلة وآية التطهير، مضافاً إلى السنّة النبويّة المتضمّنة لكون علي ـ عليه السّلام ـ نفس رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وعِدله وقرينه ونظيره وأخاه وظهيره ووزيره، وإنّه الممتحن قلبه للايمان، وكونه مع القرآن وعِدل القرآن، إلىٰ غير ذلك ممّا ستمرّ عليك أحاديثه بأوضح بيان، وأقوىٰ برهان، إذ دلّت علىٰ عصمة علي ـ عليه السّلام ـ وفاطمة ـ عليها السّلام ـ، فساحتها بريئة من هذه التهمة، وإنّ الكتاب والسنّة ينزههما عن هذه التخرّصات الشائنة.

ومن حديث الشيخين في الصحيحين: قال النبيّ ـ ص ـ: «تكثر لكم الأحاديث من بعدي فإذا روي لكم حديث، فاعرضوه علىٰ كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فردّوه...»[١].

وثانيهما: الاختلال في سند الحديث، فالّذي رواه البخاري في باب قوله «وكان الانسان أكثر شيء جدلاً» في طريقه «عتاب بن بشير»، ففي «تهذيب التهذيب» ـ في الترجمة ـ «إنّه روىٰ بآخره أحاديث منكرة،... وقال الآجري: عن أبي داود سمعت أحمد يقول: تركه ابن مهدي بآخره، قال: رأيت أحمد كفّ عن حديثه،... وقال الساجي: عنده مناكير. وقال النسائي في كتاب «الجرح والتعديل»: ليس بالقوي»[٢].

القدح في إسماعيل بن أويس: والّذي رواه في باب «يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر» من أبواب المشيئة والإرادة[٣]، في طريقه «إسماعيل بن أويس»، ففي «تهذيب التهذيب» وكذلك في الميزان ـ للذهبي ـ أنّه ضعيف العقل لا يحسن الحديث، ولا يعرف أن يؤدّيه، وأنّه وأباه ضعيفان. وعن ابن معين أنّ أويس وأباه يسرقان الحديث.

---

١. لم أجده في المصدرين بهذه الكيفيّة.

٢. تهذيب التهذيب ٧ / ٩١.

٣. صحيح البخاري ٨ / ١٩٠، كتاب التوحيد، باب المشيئة والارادة.

وعن يحيىٰ أنّه مخلط، يكذب، ليس بشيء. وقال النسائي: ضعيف وإنّه غير ثقة. وقال ابن عدي: رویٰ عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد. وقال الدولابي ـ في الضعفاء ـ سمعت النضر بن سلمة المروزي يقول: ابن أويس كذّاب، وعن يحيىٰ بن معين أنّه [لا][١] يسوىٰ فلسين. وقال الدارقطني لا اختاره [في الصحيح][٢]. وذكره الاسماعيلي في المدخل فقال: كان ينسب في الخفّة والطيش إلىٰ ما أكره ذكره. وقال ابن حزم في «المحلّىٰ»: قال أبو الفتح الأزدي حدّثني سيف بن محمّد أنّ ابن أبي أويس كان يضع الحديث. وعن سلمة بن شبيب: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربّما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيـ بينهم، وهذا هو الّذي بان للنسائي منه حتّىٰ تجنّب حديثه وأطلق القول فيه بأنّه ليس بثقة....[٣].

القدح في الزهري راوي الخبر: تنطق كتب التراجم بأنّ الزهري كان من أتباع بني أُميّة ومعتَمَديهم في سلاطنهم. قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: «لم يزل الزهري مع عبد الملك ثمّ مع هشام، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه...»[٤] وفي «تهذيب التهذيب» ـ لابن حجر العسقلاني ـ أنّ الزهري كان يروي عن عمر بن سعد قاتل الحسين وأنّه عنده ثقة. قال ابن معين كيف يكون من قتل الحسين ثقة[٥]؟. وفيه ـ في ترجمة الأعمش ـ «إنّ الأعمش فقير صبور مجانب للسلطان، ورع عالم بالقرآن، والزهري يرىٰ العرض والاجازة، ويعمل لبني أُميّة»[٦] انتهىٰ، فالحديث إذاً من مختلقات عهد الأمويّين علىٰ لسان أحد صنائعهم ودعاتهم.

قال ابن أبي الحديد ـ في شرح النهج ـ: كان الزهري من المنحرفين عن علي ـ عل

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. الزيادة من المصدر.

٣. ميزان الاعتدال ١ / ١٢٢ـ١٢٣. تهذيب التهذيب

٤. وفيات الأعيان ١ / ٤٥١ـ ٤٥٢.

٥. تهذيب التهذيب ٧ / ٤٥٠ـ ٤٥١.

٦. تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٥.

السّلام ـ، قال: وروىٰ جرير بن عبد الحميد عن محمّد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً فنالا منه[١]، فبلغ ذلك عليّ بن الحسين فجاء حتّىٰ وقف عليهما فقال: أمّا أنت يا عروة فانّ أبي حاكم أباك إلىٰ الله فحكم لأبي علىٰ أبيك. وأمّا أنت يا زهري فلو كنت في مكّة لأريتك بيت أبيك[٢]. انتهىٰ.

وقد اشتبه الأمر علىٰ القسطلاني، فقال في ـ «إرشاد الساري لشرح البخاري» ـ إنّ حديث تحريض النبيّ ـ ص ـ عليّاً وفاطمة للصلاة إلىٰ زين العابدين من أصحّ الاسانيد وأشرفها[٣]. انتهىٰ.

أقول: إنّه كذلك إلىٰ زين العابدين، ولكنّ الآفة والبلاء فيمن بعد زين العابدين ـ عليه السّلام ـ وهو الزهري الكاذب المعاند لعلي ـ عليه السّلام ـ والمتملّق لأعدائه، كما هو الظاهر ممّا عرّفناك به.

الزهري مُدلِّس[٤]: قال الذهبي في «ميزان الإعتدال» ـ في الترجمة ـ: محمّد بن مسلم الزهري الحافظ حجّة، كان يدلّس في النادر»[٥]. انتهىٰ. وقال الذهبي أيضاً ـ في «تذكرة الحفاظ» ـ قال قدامة السرخسي: قال يحيىٰ بن سعيد: «مُرسَل[٦] الزهري شرّ من مرسل غيره، لانّه حافظ [وكلّما] قدّر أن يسمّي سمّىٰ، وإنّما يترك من لا يستجيز أن يسمّيه»[٧]. انتهىٰ. وعن سبط ابن العجمي الحلبي ـ في كتاب «التبيين لأسماء المدلّسين» ـ قال: محمّد بن شهاب الزهري الامام العلم المشهور، مشهور به ـ أي بالتدليس ـ[٨]، وعن

---

١ . نالا منه: سبّاه وشتماه.

٢ . شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٢.

٣ . إرشاد الساري ٢ / ٣١٣.

٤ . المدلِّس ـ هنا ـ الّذي يروي الرواية عمّن عاصره ولقيه، مع إنّه لم يصحّ له سماعه منه، أو الّذي يروي عمّن عاصره، ولم يلقه، لكنّه يوهم أنّه سمعه من لفظه.

٥ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤ / ٤٠.

٦ . المرسل ـ عند العامّة ـ: الحديث الّذي لا يذكر فيه الصحابي الراوي عن النبيّ أو الشاهد لتقريره.

٧ . تذكرة الحُفّاظ ١ / ١٠٠.

٨ . لم أجد المصدر.

تاج الدِّين السُبكي ـ في صدر «طبقات الشافعيّة»، عند ذكر حديث «كلّ أمر ذي بال» المروي عن الزهري ـ قال: الزهري كان كثير الإرسال، بل ربّما أرسل ثمّ أفصح بإسناد لا يُقبل، من أجل ذلك أهدر الامام المطلبي ـ أي: الشافعي ـ مرسلاته[1] انتهىٰ.

وعن عبد العزيز بن أحمد البخاري ـ في كتابه «كشف الاسرار في شرح أصول البزدوي» عند ذكره من يروي عن المجروحين ـ قال: «وأرسل الزهري، فقيل له: من حدّثك بهذا؟ قال: رجل علىٰ باب عبد الملك بن مروان»[2].

وفي «تذكرة الحفّاظ» للذهبي ـ في ترجمة نافع بالإسناد إلىٰ يونس بن يزيد ـ قال: قال نافع: من يعذرني من زهريكم؟ يأتيني فأحدثه عن ابن عمر، ثمّ يذهب إلىٰ سالم فيقول سمعت هذا من أبيك؟ فيقول: نعم، فيحدّث به عن سالم، ويَدَعني، والسباق من عندي[3]، انتهىٰ. وفي «عمدة القاري [في] شرح البخاري» ـ في كتاب العلم ـ عن عبد الله بن عمر قال: كنت أرىٰ الزهري يأتيه الرجل بالكتاب لم يقرأه ولم يقرأ عليه، فيقول: أرويه عنك؟ فيقول نعم[4]، انتهىٰ.

ونحوه عن الذهبي في «تذكرة الحفّاظ» ـ في ترجمة الزهري[5] ـ.

الجواب عن اِعتراض ابن المهلّب: قد علمتَ أنّه ليس في الحديث ـ علىٰ فرض صحّته ـ ما يدلّ علىٰ أنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ لم يُصلّ بعد أن أيقظه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وإنّما اعتذر بغلبة النوم حسب ما صرّح به شرّاح البخاري.

قال بن حجر العسقلاني في «فتح الباري بشرح البخاري» في جواب اعتراض ابن المهلّب علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ (حيث قال المعترض: لم يكن له أن يدفع

---

١ . طبقات الشافعيّة الكبرىٰ ١ / ٢٠.

٢ . كشف الاسرار ٣ / ٧١.

٣ . تذكرة الحُفّاظ ١ / ١٠٠.

٤ . عمدة القاري ٢ / ٤٩.

لكنّ الّذي فيه رواية هذا القول عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، لا عن عبد الله نفسه.

٥ . تذكر الحُفّاظ ١ / ١١٠.

مادعاه النبيّ ـ ص ـ إليه من الصلاة... إلىٰ آخر قوله)، فأجابه: من أين لابن مهلّب القول بأنّ عليّاً لم يمتثل ما دعاه إليه رسول الله ـ ص ـ، وليس في القضيّة تصريح بذلك، وإنّما أجاب عليّ بما ذكر اعتذاراً عن ترك القيام بغلبة النوم، ولا يمتنع أنّه صلّىٰ عقيب هذه المراجعة، وليس في الخبر ما ينفيه[1]. انتهىٰ.

وقال القسطلاني في «ارشاد الساري لشرح البخاري» إنّ قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «وكان الانسان أكثر شيء جدلاً» قاله تسليماً لعذره وإنّه لا عتب عليه، وقال ابن بطال: ليس للامام أن يشدّد في النافلة، فإنّه ـ ص ـ قنع بقوله: «أنفسنا بيد الله»، فهو عذر في النافلة لا في الفريضة[2].

قلت: إنّ ذلك عذر في الفريضة أيضاً، ففي البخاري وصحيح مسلم ـ في باب قضاء الصلاة الفائتة ـ في حديث عن ابن أبي هريرة، وفي آخر عن أبي قتادة، وفي ثالث عن عمران بن حصين أنّ رسول الله ـ ص ـ سار بأصحابه الليلة، حتّىٰ إذا كان وجه الصبح عرّسوا[3]، فنام رسول الله ـ ص ـ وأصحابه، فلم يستيقظ النبيّ ـ ص ـ ولا أحد من أصحابه حتّىٰ ضربتهم الشمس[4]، ثمّ توضّأ النبيّ ـ ص ـ فصلّىٰ بهم الصبح، فلمّا قضىٰ الصلاة قال «من نسي الصلاة فليصلّها إذا ذكرها»[5]. انتهىٰ.

ومن حديث علي المتقي في «منتخب كنز العمّال» عن أبي قتادة: سرنا مع رسول الله ـ ص ـ ونحن في سفر ذات ليلة، فقلنا: يا رسول الله! لو عرّست بنا[6]، فقال: إنّي أخاف

---

١. لم أجده في المصدر بهذه الصورة.

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢ / ٣١٣.

٣. عرّسوا: نزلوا في السفر آخر الليل للاستراحة ثمّ الرحال.

٤. ضربتهم الشمس: طلعت وأشرقت عليهم.

٥. صحيح البخاري ١ / ١٤٧، كتاب الصلاة، باب «الأذان بعد ذهاب الوقت».
صحيح مسلم ١ / ٤٧١، كتاب الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة و...».
والمنقول عن المصدرين هو بالمضمون.

٦. عرّست بنا: أذنت لنا في النزول والاستراحة ثمّ الرحال بعدها.

أن تناموا عن الصلاة، فمن يوقظنا؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله. فعرّس القوم واضطجعوا، واستند بلال إلىٰ راحلته فغلبته عيناه[١]، واستيقظ رسول الله ـ ص ـ وقد طلع حاجب الشمس[٢]، فقال: يا بلال! أين ما قلت لنا؟ فقال: يا رسول الله! والّذي بعثك بالحقّ ما أُلقيت عليّ نومة مثلها قطّ. فقال ـ ص ـ: إن الله قبض أرواحكم حيث شاء وردّها إليكم حين شاء. ثمّ أمرهم فانتشروا لحاجتهم وتوضّؤا وارتفعت الشمس فصلّىٰ بهم الفجر. ذكره ابن شيبه وأبو الشيخ في الاذان[٣] انتهىٰ.

ومن حديث الدولابي ـ في «الكنىٰ والالقاب» ـ عن الشعبي عن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله ـ ص ـ فقال من «يكلؤنا»[٤]؟ فقلت: أنا. فنام ونام الناس ونمت، فلم استيقظْ إلّا بحَرِّ الشمس، فقال رسول الله ـ ص ـ «يا أيّها الناس! إنّ هذه الأرواح عارية عن أجساد العباد فيقبضها إذا شاء ويرسلها إذا شاء، فاقضوا حوائجكم علىٰ رسلكم»، فقضينا حوائجنا علىٰ رسلنا، وتوضّأ النبيّ ـ ص ـ ثم صلّىٰ ركعتي الفجر قبل الصلاة ثمّ صلّىٰ بنا[٥]. انتهىٰ.

قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «إنّ هذه الأرواح عارية...» نظير قول أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ «إنّما أنفسنا بيد الله تعالىٰ» في الحديث السابق، وفيه دلالة واضحة علىٰ أنّه لا عتب علىٰ علي ـ عليه السّلام ـ ولا علىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ولا علىٰ الأصحاب في ترك الصلاة وتأخيرها عن وقتها لغلبة النوم، فذاك عذر شرعي مسموع في ترك الفريضة فضلاً عن النافلة[٦].

---

١. غلبته عيناه: نام.

٢. حاجب الشمس: ناحيةٌ منها.

٣. منتخب كنز العمّال ٣ / ٢٢٦.

٤. يكلؤنا: يحرسنا.

٥. الكنىٰ والاسماء ٢ / ٤٥.

٦. الأخبار المذكورة الدالّة علىٰ ترك رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ الصلاة، أخبار كاذبة علىٰ النبيّ وضعها شرذمة من الوضّاعين الدجّالين بهدف إضفاء الشرعيّة علىٰ سيرة الحكّام الّذين لقّبوا أنفسهم بـ«خليفة

٤ ـ إنكارهم الولاية لآل أبي طالب ـ عليهم السّلام ـ

ومن مفتعلات البخاري ومسلم ما في شرح النهج ـ لابن أبي الحديد المعتزلي ـ عن الصحيحين عن عمرو بن العاص قائد الفئة الباغية ومؤسّس كلّ فتنة، قال: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي أولياء، إنّما وليّ الله وصالح المؤمنين»[١]. انتهىٰ، وقال أيضاً إنّ عمرو بن العاص رواه تقرّباً إلىٰ قلب معاوية[٢].

وقال ـ نقلاً عن النقيب أبي جعفر ـ إنّ الحديث إفتعله واختلقه عمرو بن العاص علىٰ رسول الله ـ ص ـ فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله ـ ص ـ «مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه». قال: قلت للنقيب: أيصحّ النسخ في مثل هذا؟ أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضّي وقته؟ فقال: سبحان الله، من أين تعرف العرب هذا؟ وأنّىٰ لها أن تتصوّره فضلاً عن أن يحكم بعدم جوازه، فهل يفهم حُذّق الأصوليين هذه المسألة فضلاً عن حَمقىٰ العرب؟ هؤلاء قوم ينخدعون بأدنىٰ شبهة ويُستمالون بأدنىٰ سبب.... وهم أصحاب جهل وتقليد، لا أصحاب تفضيل ونظر[٣].

قلت: مضافاً إلىٰ ذلك، أليس جعفر الطّيار ـ عليه السّلام ـ من صالح المؤمنين وكذلك علي أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وكذلك السبطان الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ؟ فكيف ينسب إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ نفي ولاية هؤلاء؟.

فالحديث مفتعل لا محالة، وليس ذلك بأعظم من إكراه بني أُميّة الناس علىٰ لعن علي ـ عليه السّلام ـ وشتمه والبراءة منه وعقد الولاء لهم حتّىٰ صار ذلك من العقائد فمن

رسول الله» وتوجيه منكراتهم وجرائمهم.

والسيّد المؤلّف إنّما استدلّ بها للردّ علىٰ السُّنة، فإنّه لو فرضنا ـ جدلاً ـ صحّة الأخبار الموضوعة المتعلّقة بمجادلة الإمام علي لرسول الله في أمر الصلاة، فإنّهم لا يستطيعون التمسّك بها لتنقيص شأن الإمام، نظراً لما أشار إليه المؤلّف نفسه في الفقرة الأخيرة.

١. شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٤.

٢. شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٢.

٣. شرح نهج البلاغة ١٢ / ٨٨.

لم يوالهم كان ضالاً.

وممّا يؤيّد اختلاق هذا الحديث هو تصريح المولوي الشاه عبد العزيز الدهلوي ـ في حاشية كتاب «التحفة الاثنىٰ عشريّة» عند مبحث حديث «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ـ قائلاً: قال النواصب ـ خذلهم الله ـ هذا الخبر[1] علىٰ فرض صحّته منسوخ بما صحّ في الصحاح أنّ رسول الله ـص ـ قال: إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين[2]. انتهىٰ.

٥ ـ فرية خطبة علي (عليه السلام) ابنة أبي جهل

ففي البخاري في كتاب النكاح ـ باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة ـ، وفي كتاب الطلاق ـ باب الشقاق ـ من حديث استيذان بني المغيرة[3] أن ينكحوا ابنتهم عليَ بن أبي طالب وقول النبيّ ـص ـ «لا آذن، ثمّ لا آذن، فانّما فاطمة بضعة منّي، يُريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»[4]. انتهىٰ.

أقول: إنّ هذا الخبر كذب وافتراء، أُريد به إدخال النقص علىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ كما اعتمد عليه ابن تيميّة في منهاجه في القدح في علي ـ عليه السّلام ـ. وكيف يتوهّم وقوع الشِقاق[5] بينه (عليه السّلام) وبين فاطمة ـ عليها السّلام ـ في أمر التزويج حتّىٰ يقدم النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ علىٰ الإصلاح بينهما بالنهي عن تزوج إبنة عدوّ الله؟ وعلي ـ عليه السّلام ـ هو العارف بالأحكام، لقول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «أنا مدينة العلم وعلي بابها» ـ كما مرّ ـ، ومعلوم عنده أنّ الإقدام علىٰ أمر ينجرّ إلى الشقاق

١ . أي خبر «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

٢ . لم أجد المصدر.

٣ . في المصدر «بني هاشم بن المغيرة».

٤ . صحيح البخاري ٦ / ١٥٨، كتاب النكاح، باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة. و ٦ / ١٧١ كتاب الطلاق، باب الشقاق، والمنقول هنا بالمضمون.

٥ . الشِقاق: الخصومة.

والبغضاء بينه وبين ابنة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ حرام شرعاً، وهو ـ عليه السّلام ـ بمجتنب عمّا يوجب ذلك، لأنّه معصوم عن كلّ رجس، وكذلك فاطمة ـ عليها السّلام ـ معصومة فلا تشكو عليّاً عند أبيها، ولا يحدث منها ما يوجب البغضاء، فكلّ منهما من آيات ربّهما الكبرىٰ.

ولأجل ما ذكرنا ذهب العسقلاني في «فتح الباري بشرح البخاري» قائلاً: ولا أزال أتعجّب من مِسور بن مخرمة ـ الّذي هو راوي الحديث عن النبيّ (ص) ـ كيف بالغ في تعصّبه ولم يراع خاطره[١] في أنّ ظاهر سياق الحديث غضاضة[٢] علي بن أبي طالب حيث أقدم علىٰ خطبة بنت جهل علىٰ فاطمة حتّىٰ اقتضىٰ من النبيّ ـ ص ـ في ذلك من الإنكار ما وقع[٣]. انتهىٰ.

قلت: إنّ حديث إقدام علي ـ عليه السّلام ـ علىٰ نكاح ابنة أبي جهل حتّىٰ أوجب ـ بزعمهم ـ توجّه العتاب عليه، موضوع خارج عن معتقد الإماميّة وإنّ الحديث من همزات الشياطين[٤]. قال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في خطبته ـ كما في النهج ـ «ولقد كُذِب علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ علىٰ عهده حتّي قام خطيباً فقال: «مَن كَذَب عليَّ فليتبوّأ مَقعَدَه من النّار»، وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان، مُتصنّع بالإسلام، لا يتأثّم[٥] ولا يَتحرّج[٦]، يكذب علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا:

---

١ . أي: خاطر الإمام علي بن الحسين ـ سلام الله عليه ـ، فمِسور نسب هذا الافتراء علىٰ الامام علي إلىٰ حفيده الامام علي بن الحسين ـ عليهم السّلام ـ.

٢ . غَضاضة: تنقيص والوضع من القدر.

٣ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩ / ٢٦٨.

٤ . همزات الشياطين: خطرات الشياطين الّتي يخطرونها في نفس الإنسان.

٥ . يَتأثّم: يخاف الوقوع في الإثم.

٦ . يَتحرَّج: يخاف الوقوع في الحرج ـ الجُرم ـ.

صاحب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ رءآه وسمع منه، ولَقِفَ[١] عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثمّ بقوا بعده (عليه وآله السّلام) فتقرّبوا إلىٰ أئمّة الضلالة والدعاة إلى النّار بالزور والبُهتان، فولّوهم الاعمال، وجعلوهم حكّاماً علىٰ رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنّما النّاس مع الملوك والدنيا إلّا مَن عَصم الله»...[٢].

ثمّ إنّه لا غضاضة علىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ في ظاهر الأمر بعد تجويز الكتاب والسنّة تعدد الزوجات، وإنّما كان تحريم الجمع بين فاطمة ـ عليها السّلام ـ وبين غيرها حكماً خاصّاً جاء به رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ولم يعرفه علي ـ عليه السّلام ـ إلىٰ ذلك الحين، وبعدما اطّلع عليه إمتثل أمره وخرج عن عهدته، فلا عتاب عليه أصلاً بالضرورة من الشريعة، وإنّما الغضاضة والعتب واللوم علىٰ من عرف الحكم العام من قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها» ومع ذلك ظلمها وآذاها حتّىٰ ماتت وهي واجدة[٣] عليه ـ كما في الصحيحين ـ فهجرته[٤] فلم تكلّمه حتّىٰ توفّيت[٥].

---

١ . لَقِفَ: أخذ.

٢ . نهج البلاغة / الخطبة ٢٠٣ (ومن كلام له ـ عليه السّلام ـ وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر).

٣ . واجدة: غاضبة.

٤ . هجرته: قاطعته واعرضت عنه.

٥ . صحيح البخاري ٥ / ٧٧ ـ ٧٨، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. صحيح مسلم ٣ / ١٣٨٠، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ «لا نورث...».



أحاديث غير صحيحة في الصحيحين

[حديث أخوّة النبيّ مع أبي بكر]

منها: ـ ما في كتاب النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار... ما رواه عروة، قال: إنّ النبيّ ـ ص ـ خطب عائشة إلىٰ أبي بكر، فقال له أبو بكر: «إنّما أنا أخوك». فقال: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال»[1].

قال العسقلاني في «فتح الباري ـ حاكياً عن مغلطاوي بن فليح الحنفي شارح البخاري ـ: في صحّة هذا الحديث نظر، لأنّ الخِلّة لأبي بكر إنّما كانت بالمدينة، وخطبة عائشة كانت بمكّة، فكيف يلتئم قوله «إنّما أنا أخوك»[2]؟.

أقول: وتفصيل هذا الاجمال هو أنّ الموجب للحرمة ـ بضرورة الشرع ـ إنّما هي الاخوّة النسبيّة والرضاعيّة، وهي منتفية[3]، والأخوُّة العامّة المدلول عليها بقوله تعالىٰ: «إنّما المؤمنون إخوة»[4] إنّما وقعت بالمدينة، وخطبة عائشة وقعت بمكّة، فكيف يعتذر أبو بكر بقوله «أنا أخوك»؟.

مضافاً إلىٰ أنّ هذه الأخوة ليست مانعة عن المزاوجة. ألم يسبق أبا بكر نكاحُ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ خديجة، ونكاحُ المسلمين من المسلمات بعضهم

---

١ . صحيح البخاري ٦ / ١٢٠، كتاب النكاح، باب تزوج الصغار من الكبار.

٢ . فتح الباري ٩ / ١٠١.

٣ . فيما نحن فيه، لأنّه أخوّة نسبيّة أو رضاعيّة بين النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وأبي بكر.

٤ . سورة الحجرات / ١٠.

بعضاً؟. أو لم يكف إقدام النبيّ ـ صلّىٰ عليه وآله وسلّم ـ لنكاح عائشة دليلاً علىٰ الجواز وقاطعاً لعذر أبي بكر.؟ إذاً هذا من موارد الخطأ لأبي بكر.

أو أنّ المفتعل للحديث لم يدر كيف يفتعل، فأراد المدح باثبات الأُخوّة الّتي لا تختصّ بأحد من المسلمين.

وقد أنكر ابن تيمية في منهاجه الأخوّة بين شخص وعدله، وقال إنّ الصحيحين بمعزل عنها[1].

وعليه فمن أراد إثبات الأخوّة الدينيّة الخاصّة بين أشخاص الاصحاب فلا محيص إمّا عن تصديق الصحيحين في نفي الخاصّة ـ كما قاله ابن تيميّة ـ، وأمّا تصديق الأحاديث المعتبرة المتضمّنة لكيفيّة عقد الإخاء بين المهاجرين والانصار، فالناظر فيها يرىٰ أنّ هذه الطائفة من الأحاديث صريحة في عقد الأخوّة بين النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وبين أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ خاصّة[2].

حديث خَوخَة[3] أبي بكر

ومنها: ما في البخاري عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «ليس في الناس أحدٌ أمنّ عليّ من نفسه من أبي بكر، ولو كنتُ متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن خلّة الاسلام أفضل، سدّوا عنّي كلّ خَوْخَة إلّا خَوْخَة أبي بكر»[4].

وفي حديث آخر عن النبيّ ـ ص ـ: «سدّوا الأبواب إلّا باب أبي بكر». [قاله][5] ابن

---

١ . منهاج السّنة النبويّة ٤ / ٩٧.

٢ . سنن الترمذي ٥ / ٥٩٥، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٦، فرائد السمطين ١ / ١١١، تذكرة الخواص / ٢٢، كفاية الطالب / ١٩٣.

٣ . الخَوخَة: الكوّة ينفذ من خلالها الضوء من مكان لآخر، وقيل: الشبّاك الصغير.

٤ . صحيح البخاري ١ / ١٢٠، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممرّ إلى المسجد. مع اختلاف غير مخلّ بالمقصود.

٥ . الزيادة من المصدر.

عبّاس عن النبيّ ـص ـ[١].

قلت: إنّ حديث الخوخة ـ لو صحّ ـ فهو خبر واحد ظنّي لا يقاوم المتواتر القطعي من أحاديث «سدّوا الأبواب إلّا باب عليّ» الّتي رواها الفريقان من العلماء، بل ومن الصحابة، بما يوجب القطع واليقين بكلام النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في حقّ علي ـ عليه السّلام ـ، فمن الأصحاب:

١ ـ زيد بن أرقم، روىٰ عنه أحمد في مسنده[٢]، والنسائي في الكبرىٰ[٣]، والحاكم في «مستدرك الصحيحين»[٤] ـ وقال: إنّ الحديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ـ، والضياء المقدسي في المختارة[٥]، وابن حجر الهيثمي في الصواعق[٦].

٢ ـ وعبد الله بن عمر، روىٰ عنه أحمد في المسند[٧]، وابن المغازلي في المناقب[٨]، والنسائي بسند صحيح[٩]، صرّح به السيوطي في «اللالىء المصنوعة»[١٠]، وأخرجه الكلاباذي في «معاني الأخبار»[١١]، والمحبّ الطبري في «الرياض النضرة»[١٢]، وابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»[١٣]، وعلي المتقي في «كنز

---

١ . صحيح البخاري ٤ / ١٩٠ ،كتاب المناقب، باب قول النبيّ سدّوا الأبواب إلّا باب أبي بكر.

٢ . مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٣٦٩.

٣ . لم أجده في المصدر.

٤ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٢٥.

٥ . المصدر مخطوط، وقد نقل عنه في القول المسدّد / ١٦.

٦ . الصواعق المحرقة / ١٢٢.

٧ . مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٢٦.

٨ . مناقب علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ / ٢٦١.

٩ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أب طالب / ٨.

١٠ . اللالىء المصنوعة ١ / ٣٤٦.

١١ . المصدر مخطوط. وقد نقل عنه في القول المسدّد / ١٨.

١٢ . الرياض النضرة ٢ / ١٩٢.

١٣ . فتح الباري ٧ / ١٢.

العمّال»[١]، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»[٢].

٣ ـ وعمر بن الخطّاب، روىٰ عنه الحاكم في «المستدرك»[٣]، والسيوطي في «الخصائص الكبرىٰ»[٤] والخوارزمي في المناقب[٥].

٤ ـ وعلي بن أبي طالب، أخرج حديثه: الحلبي في السيرة[٦]، والمتقي الهندي في «كنز العمّال»[٧].

٥ ـ سعد بن أبي وقّاص. روىٰ عنه: النسائي في الخصائص[٨] والطبراني في الأوسط[٩]، وأبو نعيم في فضائل الصحابة[١٠]، وابن مردويه، والترمذي[١١]، والبيهقي في السنن[١٢]، والعسقلاني في «فتح الباري»[١٣]، والقسطلاني في «إرشاد الساري»[١٤]، والعيني في «عمدة القاري»[١٥]، وابن كثير في «البداية

---

١ . كنز العمّال ١٣ / ١١٠ .

٢ . لم أجده في المصدر .

٣ . المستدرك علي الصحيحين ٣ / ١٢٥ .

٤ . لم أجده في المصدر . والّذي وجدته فيه في ٣ / ٢٩٣ قول عمر «لقد أعطي عليّ ثلاث خصال ، لأن تكون لي خصلة منها أحبُّ إليّ من حمر النعم : تزويجه فاطمة ، وسكناه في المسجد مع رسول الله ـ ص ـ . . .» .

٥ . مناقب أمير المؤمنين علي ـ عليه السّلام ـ / ٢٣٨ .

٦ . انسان العيون ٣ / ٣٤٦.

٧ . كنز العمّال ١٣ / ١٧٥ .

٨ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / ١٢ ـ ١٣ .

٩ . المصدر مخطوط .

١٠ . المصدر مخطوط .

١١ . لم أجده في الجامع الصحيح .

١٢ . لم أجده في المصدر .

١٣ . فتح الباري ٧ / ١١ .

١٤ . إرشاد الساري ٦ / ٨٤.

١٥ . عمدة القاري ٧ / ٥٩٢.

والنهاية»[١]. وقال القسطلاني: وقد وقع في حديث سعد بن أبي وقّاص عند أحمد والنسائي باسناد قوي: أمر رسول الله ـ ص ـ بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي[٢].

وفي رواية الطبراني في الأوسط ـ برجال ثقات ـ من الزيادة: «فقالوا: يا رسول الله! سددتَ أبوابها؟. فقال: ما أنا سددتها، ولكن الله سدّها»[٣].

ونحوه عن أحمد والنسائي ـ ورجاله ثقات ـ عن زيد بن أرقم وابن عبّاس، وزاد: «فكان يدخل، وهو جنب [وهو طريقه][٤]، وليس له طريق غيره». ورواه أحمد[٥] والنسائي ـ ورجاله ثقات[٦] ـ. ونحوه حديث [جابر بن سمرة][٧].

٦ ـ جابر بن سمرة، عن الطبراني[٨].

وبالجملة فهي ـ كما قال ابن حجر ـ أحاديث يقوي بعضها بعضاً، وكلّ طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها[٩]. انتهىٰ.

وقال ابن أبي الحديد ـ في الشرح ـ إنّ حديث سدّ الأبواب كان لعلي ـ عليه السّلام ـ، فقلبته البكريّة إلىٰ أبي بكر...[١٠].

أقول: ومن الشواهد علىٰ هذا التحريف والقلب ـ الّذي صرّح به ابن أبي الحديد ـ أنّ عمر بن الخطّاب وابنه عبد الله جعلا سدّ الأبواب وفتح باب علي ـ عليه السّلام ـ من خصائصه ـ عليه السّلام ـ كما عرفت، فلو كان مثله ثابتاً لأبي بكر لشهدا به، لا سيّما مع

---

١ . البداية والنهاية ٧ / ٣٤٢.

٢ . إرشاد الساري ٦ / ٨٤.

٣ . المصدر مخطوط. وقد نقل عنه في مجمع الزوائد ٩ / ١١٤.

٤ . الزيادة من المصدر.

٥ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ٣٣٠.

٦ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / ١٣ ـ ١٤.

٧ . الزيادة منّا توضيحاً.

٨ . المصدر مخطوط. وقد نقل عنه في مجمع الزوائد ٩ / ١١٥.

٩ . فتح الباري ٧ / ١٢.

١٠ . شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٩.

توفّر الداعي عليه في العصر الأوّل، ولقد عرفت نهوض الصحابة بالشهادة لعلي ـ عليه السّلام ـ دون غيره.

٧ ـ ومن حديث ابن عبّاس ما أخرجه الطبراني[١]، والترمذي في صحيحه[٢]، والنسائي في الخصائص[٣]، والكلاباذي[٤]، وأحمد[٥]، وأبو نعيم[٦]، وابن المغازلي[٧].

٨ ـ ومن حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ما أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»[٨] والخطيب الخوارزمي في «المناقب»[٩] وعلي المتقي في «كنز العمّال»[١٠] والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»[١١]، وابن منيع في مسنده[١٢]، صرّح بالاخير السيوطي في اللآلي[١٣].

٩ ـ ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه عنه: الترمذي في جامعه[١٤]، وابن

---

١ . المصدر مخطوط، وقد نقل عنه في القول المسدّد / ١٧.

٢ . الجامع الصحيح ٥ / ٦٤١.

٣ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / ١٣ ـ ١٤.

٤ . في فضائل الصحابة. والمصدر مخطوط.

٥ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ٣٣٠.

٦ . حلية الأولياء ٤ / ١٥٣.

٧ . مناقب علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ / ٢٥٨.

٨ . تاريخ بغداد ٧ / ٢٠٥.

٩ . مناقب عليّ بن أبي طالب / ٦٠.

١٠ . كنز العمّال ١٣ / ١٣٧.

١١ . كفاية الطالب / ٢٠١.

١٢ . المصدر مخطوط.

١٣ . اللاليء المصنوعة ١ / ٣٤٧.

١٤ . الجامع الصحيح ٥ / ٦٣٩ ـ ٦٤٠.

لكن الذي فيه: «قال رسول الله ـ ص ـ لعلي يا علي! لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»، ولم أجد ما يفيد سدّ الأبواب إلّا باب الامام علي ـ عليه السّلام ـ.

مردويه، والحاكم في المستدرك[١].

١٠ ـ ومن حديث سعد بن مالك، روىٰ عنه: أحمد في المسند[٢]، وأبو نعيم في «فضائل الصحابة»[٣]، كما في «اللآلىء المصنوعة» للسيوطي[٤].

١١ ـ ومن حديث مالك بن أنس ما أخرجه عنه العقيلي كما قاله السيوطي في «اللالىء» ولم يعقبه بشيء ولا غيره[٥].

١٢ و ١٣ ـ ومن حديث البرّاء بن عازب. أخرجه عنه ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية[٦]، أخرج حديثه وحديث حذيفة بن أسيد، ابن المغازلي الشافعي في المناقب[٧].

١٤ ـ ومن حديث علي بن الحسين (عليهما السّلام) عن أبيه عن جدّه ـ عليه السّلام ـ[٨]. أخرجه البزار[٩]، وأبو نعيم في الفضائل[١٠]، حسب ما صرّح به السيوطي في «اللالىء المصنوعة[١١]».

١٥ ـ ومن حديث بريدة الأسلمي ما أخرجه عنه: الحمويني في «فرائد السمطين»[١٢] وأبو نعيم في

١ . لم أجده في المصدر.

٢ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٧٥.

٣ . المصدر مخطوط. وقد نقل عنه في مجمع الزوائد ٩ / ١١٤.

٤ . اللالىء المصنوعة ١ / ٣٤٦.

٥ . اللالىء المصنوعة ١ / ٣٥١.

٦ . البداية والنهاية / ٣٤٢.

٧ . مناقب علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ / ٢٥٧، ٢٥٣.

٨ . الهدف من ذكر هذا الحديث هو استناده إلىٰ أحد الصحابة وهو الامام الحسين ـ عليه السّلام ـ.

٩ . المسند. وهو مخطوط.

١٠ . المصدر مخطوط.

١١ . اللالىء المصنوعة ١ / ٣٥١.

١٢ . فرائد السمطين ١ / ٢٠٥.

الفضائل[١].

١٦ ـ ومن حديث عبد الله بن مسعود ما أخرجه عنه: الحمويني في الفرائد[٢]، وأبو نعيم في «فضائل الصحابة»[٣]، مصرّحاً به السيوطي في «اللالىء[٤]».

١٧ و ١٨ ـ ومن حديث عائشة وأُم سلمة، علىٰ ما في «اللالىء»[٥]، أخرجه الحافظ عبد الغني في «ايضاح الاشكال»[٦]، وابن أبي شيبة في مسنده[٧]، والبيهقي في سننه[٨]، وكذا الحمويني في «فرائد السمطين»[٩].

فهؤلاء الصحابة ـ مع اتّفاق أهل العلم والمعرفة بالحديث وصحّة طرقهم عندهم ـ رووا عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أنّه أمر بسدّ الأبواب إلّا باب علي ـ عليه السّلام ـ .

إذاً فما في حديث البخاري من الأمر بسدّ الأبواب إلّا باب أبي بكر مختلق مكذوب علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ. يشهد لذلك تصريح الخطيب بانّ الحديث

---

١. المصدر مخطوط. وقد نقل عنه في اللاليء المصنوعة ١ / ٣٥١.

٢. فرائد السمطين: ١ / ٢٠٦.

٣. المصدر مخطوط.

٤. اللاليء المصنوعة ١ / ٣٥١.

لكن الّذي فيه أنّ النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله) أحلّ للامام علي ـ عليه السّلام ـ ما يحلّ لنفسه، وليس فيه أنّه سدّ الأبواب إلّا بابه.

٥. اللاليء المصنوعة ١ / ٣٥٣.

لكن الموجود فيه عن أُم سلمة هو استثناء النبيّ للامام علي من حكم حرمة المسجد للجنب، والموجود فيه عن عائشة أنّ النبيّ أمر بسدّ الأبواب، وليس فيه استثناء باب الامام علي.

٦. لم أجد المصدر.

٧. المصدر مخطوط، والمطبوع منه هو الجزء العاشر فقط، وليس فيه هذا الحديث.

٨. السنن الكبرىٰ ٧ / ٦٥.

لكنّ الّذي فيه رواية أُمّ سلمة عن النبي أنّه لا يحلّ مسجده لكلّ حائض وجنب إلاّ هو والإمام علىّ و...

٩. لم أجده في المصدر.

عن أنس وَهَمٌ[١]، حكىٰ ذلك عنه السيوطي في اللالىء[٢].

ثمّ إنّ هذا الحديث فيه تحريف، أعني تبديل «الخَوْخَة» بـ «الباب».

و«الخَوْخَة» هي الكوّة الّتي تؤدّي الضوء إلى البيت كما في الصحاح[٣] والقاموس[٤].

ومع هذا التحريف والتبديل المنافي لصحّة الحديث، ففي اسناده ـ حسب ما أخرجه البخاري في باب مناقب أبي بكر ـ «فُليح بن سليمان».

قال النسائي في كتاب «الضعفاء»: إنّه ليس بالقوي[٥]. وقال الذهبي في الميزان، في ترجمة «فليح بن سليمان المدني»: أحد العلماء الكبار، وقد قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي ليس بالقوي. وقال أبو حاتم: سمعتُ معاوية بن صالح، سمعت يحيىٰ بن معين يقول: فليح بن سليمان ليس بثقة ولا ابنه. ثمّ قال أبو حاتم: كان ابن معين يحمل علىٰ محمّد بن فليح. وروىٰ عثمان بن سعيد عن يحيىٰ: فليح ضعيف. وروىٰ عبّاس بن يحيىٰ: لا يُحتجُّ به. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت ابن معين يقول: ثلاثة يُتّقىٰ حديثهم: محمّد بن طلحة بن مصرف، وأيّوب بن عتبة، وفليح بن سليمان. وقال الساجي: وأصعب ما رُمي به ما ذُكر عن ابن معين عن أبي كامل قال: كنّا نتّهمه، لأنّه كان يتناول من أصحاب النبيّ....[٦].

وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ـ في الترجمة ـ: قال عثمان الدارمي: ما أقرب فليحاً من أبي أويس. وقال الدوري ـ عن ابن معين ـ: ليس بالقوي، ولا يحتجّ بحديثه. وقال أبو حاتم: ليس بقوي. وقال الاجري: قلت لأبي داود: أبلَغَكَ أنّ يحيىٰ بن سعيد كان يقشعر من أحاديث فليح؟ قال: بلغني عن يحيىٰ بن معين قال: كان أبو كامل مظفر بن مدرك يتكلّم في فليح. وقال أبو كامل: كانوا يرون أنّه يتناول رجال الزهري.

---

١ . وَهَم: غلط.

٢ . اللالىء المصنوعة ١ / ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

٣ . الصحاح ١ / ٤٢٠.

٤ . القاموس المحيط ٢ / ٢٦٨.

٥ . الضعفاء / ٨٧.

٦ . ميزان الاعتدال ٣ / ٣٦٥.

وقال الاجري قال ابن معين: عاصم بن عبيد الله وابن عقيل وفليح لا يُحتجّ بحديثهم. وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالمتين عندهم. وقال ابن أبي شيبة: قال علي بن المديني: كان اخوة عبد الحميد ضعيفين. وقال البرقي ـ عن ابن معين ـ: ضعيفٌ، وهم يكتبون حديثه ويشتهونه. وقال الرملي ـ عن داود ـ: ليس بشيء. وقال الطبري: ولاّه المنصور علىٰ الصدقات، لأنّه كان أشار إليهم بحبس بني حسن لمّا طلب محمّد بن عبد الله بن الحسن. وقال ابن القطان: أصعب ما رُمي به ما روي عن يحي بن معين عن أبي كامل قال: كنّا نتّهمه لأنّه كان يتناول أصحاب النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ...[١].

القدح في سند حديث الخوخة: ثمّ إنّ الحديث الأوّل للبخاري المتضمّن للفظ «الخوخة» في سنده «عكرمة»، وهو ممّن طُعِن بالكذب والزندقة، إذا كان يرىٰ رأي الأباضيّة[٢] والحروريّة، صرّح بذلك ابن خلكان في «وفيات الأعيان»[٣]، والذهبي في الميزان[٤] و«تذكرة الحفاظ»[٥].

ففي الميزان: قال يحيىٰ بن سعيد الأنصاري: عكرمة كذّاب، وإنّ علي بن عبد الله بن عبّاس جعل عكرمة موثوقاً بباب الكنيف[٦]، فقيل له: أتفعل هذا بمولاك؟ قال: إنّ هذا الخبيث يكذب علىٰ أبي. وعن المسيّب إنّه كذّب عكرمة. وعن محمّد بن سيرين في عكرمة قال: ما يسؤوني أن يكون من أهل الجنّة، ولكنّه كذّاب. وقال مطرف بن عبد الله سمعت مالكاً يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرىٰ أن يروي عنه. وعن خالد بن عمران قال: كنّا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وودت أن بيدي حربة فأعترض بها من

---

١ . تهذيب التهذيب ٨ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

٢ . الاباضيّة: فرقة من الخوارج تُنسب إلىٰ عبد الله بن اباض، وتقابل فرقة الصفرية.

٣ . وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٨.

٤ . ميزان الإعتدال ٣ / ٩٤ ـ ٩٥.

٥ . تذكرة الحفاظ ١ / ٩٦.

٦ . في المصدر: «عند باب الحش».

شهد الموسم يميناً وشمالاً[١].

وقال الذهبي في «المغني» ـ في الترجمة ـ: إنّ عكرمة اُتّهم برأي الخوارج، كذّبه مجاهد وابن سيرين ومالك[٢].

وفي «تذكرة الحفاظ»: وقد تُكُلِّمَ في عكرمة بانّه علىٰ رأي الخوارج، ومن ثمّ أعرض عنه الإمام مالك ومسلم[٣].

وفي الميزان: إنّه وقف عكرمة بباب المسجد وقال: ما فيه إلّا كافر، وكان يرىٰ رأي الأباضيّة، وإنّ الخوارج الّذين هم بالمغرب عنه أخذوا. وقال مصعب الزبيري كان عكرمة يرىٰ رأي الخوارج، فطلبه متولي المدينة، فتغيّب بالمدينة عند داود بن الحصين حتّىٰ مات عنده،...[٤].

وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» في ترجمة عكرمة: قال ابن لهيعة ـ عن أبي الأسود ـ: كان عكرمة قليل العقل خفيفاً، قال: وكان يحدّث برأي نجدة، وكان أوّل من أحدث في أهل المغرب رأي الصفريّة[٥]، وإنّ الخوارج الّذين بالمغرب عنه أخذوا. وقال عطا: كان اباضيّاً. وعن سعد بن المسيب انّه كان يقول لغلامه: يا برد! لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة علىٰ ابن عبّاس. وعن عثمان بن مرّة: قلتُ للقاسم: إنّ عكرمة مولىٰ ابن عبّاس قال كذا وكذا، فقال: يا ابن أخي! إنّ عكرمة كذّاب، يحدِّث غداة حديثاً يخالفه عشيّة[٦].

ونقل الاسماعيلي في «المدخل»: إنّ عكرمة ذُكر عند أيّوب وانّه لا يُحسن الصلاة، قال أيوب: أو كان يصلّي؟. ومن طريق هشام بن عبد الله المخزومي سمعت ابن أبي ذيب

١. ميزان الاعتدال ٣ / ٩٤ ـ ٩٥.

٢. المغني ٢ / ٤٣٩.

٣. تذكرة الحفاظ ١ / ٩٦.

٤. ميزان الاعتدال ٣ / ٩٦.

٥. الصفريّة فرقة من الخوارج.

٦. تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

يقول: كان عكرمة غير ثقة...[١].

ثمّ إنّ في طريق حديث الخَوخَة «جرير بن حازم».

قال الذهبي في الميزان ـ في ترجمته ـ: إنّ لجرير عن قتادة أحاديث منكرة، وإنّه قال البخاري ربما يَهِم[٢] في شيء. وقال عبد الله بن أحمد: سألتُ يحيىٰ عن جرير بن حازم، قال: ليس به بأس، قلت: إنّه يحدِّث عن قتادة عن أنس بمناكير، فقال: هو عن قتادة ضعيف[٣].

وفي «تهذيب التهذيب» ـ في الترجمة ـ: قال مهنا عن ـ أحمد ـ: جرير كثير الغلط. وقال ابن حيّان ـ في «الثقات» ـ: كان يُخطيء، لأنّ أكثر ما كان يُحدّث من حفظه. وقال الساجي حدّث بأحاديث وَهَمَ فيها، وهي مقلوبة[٤]، قال: قال أحمد: جرير بن حازم حدَّث بالوَهَم بمصر، ولم يكن يحفظ. وقال الأزدي جرير صدوق، خرج عنه أحاديث مقلوبة، ولم يكن بحافظ. وقال ابن حجر: ونسبه يحيىٰ الحماني إلى التدليس[٥]. انتهىٰ.

ثمّ إنّ البخاري أخرج حديث الخوخة من وجه آخر في صحيحه[٦]. وفي اسناده «اسماعيل بن عبد الله بن أويس بن مالك».

وقد أعلمناك ـ سابقاً ـ ما فيه من القدح والجرح حسب ما أفاده الذهبي في «ميزان الاعتدال» وابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب» ـ في ترجمته ـ، وانّه محدِثٌ مكثرٌ فيه لين، وانّ بن معين قال: انّه وأباه يسرقان الحديث. وإنّ النضر بن سلمة قال إنّه كذّاب. وقال الدارقطني: لا اختاره.

وفي التهذيب: إنّ اسماعيل ارتشىٰ من تاجر عشرين ديناراً حتّىٰ باع له علىٰ الأمير

---

١ . لم أجد المصدر.

٢ . يَهِم: يغلط.

٣ . ميزان الإعتدال ١ / ٣٩٣.

٤ . الحديث المقلوب: الحديث الّذي يتغيّر فيه لفظ الحديث أو اسم رجل أو نسبه في الاسناد، وذلك بتقديم ما حقّه التأخير أو العكس أو وضع شيء مكان شيء.

٥ . تهذيب التهذيب ٢ / ٦٩ ـ ٧٠.

٦ . صحيح البخاري ٤ / ٢٥٣، باب هجرة النبيّ ـ ص ـ وأصحابه إلى المدينة.

ثوباً يساوي خمسين بمائة...[١].

وقال العيني في «عمدة القاري [في] شرح البخاري» وأمّا اسماعيل بن أبي أويس، فإنّه أقرّ علىٰ نفسه بالوضع. وقال ابن معين: لا يسوىٰ فلسين، هو وأباه يسرقان الحديث. وقال النضر بن سلمة: إنّه كذّاب[٢].

[حديث تعيين معاوية كاتباً للوحي]

إنّ من أعظم ما أُصيب به الاسلام استيلاء أعدائه عليه، لا سيما بنو أُميّة الّذين كانوا أوّل من حارب هذا الدّين، وخاصّة أبو سفيان رئيس الأحزاب، وابنه معاوية، حيث كانا من أوّل المكذّبين لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ والجاحدين بنبوّته والمكافحين لدعوته، وما أسلموا إلّا في فتح مكّة خوفاً من السيف، بعدما يئسوا من الدعوة الوثنيّة، ومن نعرات الجاهليّة، فكانوا من الطلقاء الذّين دخلوا في الدّين كُرهاً لا طوعاً، وكان المسلمون يعرفون دفائنهم وجرائمهم علىٰ الإسلام.

فلمّا انتقل إليهم الحكم وسلمت لهم الزعامة وجّهوا طرفاً من سياستهم إلىٰ تغطية نقائصهم وعيوبهم، وتمويه الحقائق علىٰ العوام، وبثّ الدعاية الكاذبة لأنفسهم، تثبيتاً لعروشهم، وتقويماً لسلطانهم، وبذلوا في ذلك أقصىٰ الجهود، وأنفقوا أموالاً طائلة في سبيل اختلاق الروايات المكذوبة علىٰ لسان الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، ولعبوا في كتاب الله وسنّة رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كيف ما يشتهون، وقد البلاء علىٰ عهد معاوية بن أبي سفيان، وإليك أمثلة من تسويلاته وعبثه بالدِّين:

أ/ ففي «صحيح مسلم» عن عكرمة بن عمّار عن أبي زميل عن ابن عبّاس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلىٰ أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال: «يا نبي الله! ثلاثة

---

١ . تهذيب التهذيب ١ / ٣١٠ـ٣١١.

٢ . عمدة القاري ١ / ٨.

اعطِنِيهنَّ». قال: «نعم». قال: «[عندي][١] أحسن العرب وأجمله أمّ حبيبة[٢]، أزوجكها». قال: «نعم». قال: «ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك». قال: «نعم». قال: «وتُأمّرني أقاتل[٣] الكفّار، كما كنتُ أقاتل المسلمين». قال: «نعم».

قال أبو زميل: ولولا أنّه طلب ذلك من النبيّ ـ ص ـ ما أعطاه ذلك، لأنّه لم يكن يُسأل إلّا قال: نعم[٤]. انتهىٰ.

أقول: لم يرد الوضّاعون بالحديث إلّا رضاء النّبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بصيرورة معاوية كاتباً لما يوحىٰ إليه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

ولا يخفىٰ أنّ الحديث مطعون سنداً ومتناً، وقد كذّبه الاعلام من أهل العلم وأئمّة الحديث:

١ ـ فمنهم: الذهبي في الميزان (في ترجمة عكرمة بن عمّار): قال يحيىٰ القطان: أحاديثه عن يحيىٰ بن أُبي ضعيفة. وقال أحمد بن حنبل: ضعيف الحديث. وقال البخاري لم يكن له كتاب، فاضطرب حديثه عن يحيىٰ. وقال أحمد: أحاديثه عن يحيىٰ ضعاف، ليس بصحاح.

وأيضاً في الميزان ـ في الترجمة ـ قال: وفي صحيح مسلم قد ساق له أصلاً منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عبّاس في الثلاث الّتي طلبها أبو سفيان[٥].

٢ ـ وفي «تهذيب التهذيب»: عكرمة بن عمّار، عن أبي زميل. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: مضطرب الحديث[٦]. وكان يحيىٰ بن سعيد يضعّفه.

وقال البخاري مضطرب في حديث يحيىٰ بن أبي كثير، ولم يكن عنده كتاب. وقال

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . أم حبيبة هي بنت أبي سفيان.

٣ . في المصدر: «حتّىٰ أقاتل».

٤ . صحيح مسلم ٤ / ١٩٤٥، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي سفيان بن حرب.

٥ . ميزان الاعتدال ٣ / ٩٠ ـ ٩١.

٦ . الحديث المضطرب: الحديث الّذي يروىٰ عن عدّة أفراد، مع انّ الراوي واحد لا غير.

أبو حاتم: كان صدوقاً، وربما وَهَم، وربّما دلّس. وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: انّ عكرمة كثير الغلط، ينفرد عن «إياس».

٣ ـ وقال ابن القيم في «زاد المعاد في هدىٰ العباد»: إنّ حديث عكرمة في الثلاث الّتي طلبها أبو سفيان من النبيّ ـ ص ـ غلط ظاهر لا خفاء به. وقال أبو محمّد بن حزم: هو موضوعٌ بلا شك، كذّبه عكرمة بن عمّار. قال ابن الجوزي: هذا الحديث وَهَمٌ من بعض الرواة، لا شكّ فيه ولا تردد. وقد اتّهموا به عكرمة بن عمّار، لأنّ أهل التواريخ أجمعوا علىٰ أنّ أمّ حبيبة كانت تحت عبيد الله بن جحش، ولدت له، وهاجر بها [وهما مسلمان][1] إلىٰ أرض الحبشة، ثمّ تَنَصَّر، وثبتت أُم حبيبة علىٰ إسلامها، فبعث رسول الله إلى النجاشي يخطبها، فزوجه إيّاها، وأصدقها عن رسول الله صداقاً، وذلك في سنة سبع من الهجرة، وجاء أبو سفيان في زمن الهدنة[2]، ودخل عليها، فثنّت فراش رسول الله حتّىٰ لا يجلس عليه، ولا خلاف انّ أبا سفيان ومعاوية أسلما في فتح مكّة سنة ثمان. وأيضاً في الحديث انّه قال: «وتُأمّرني حتّىٰ أقاتل الكفّار، كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نعم»، ولا يعرف انّه ـ ص ـ أمّر أبا سفيان البتة[3]. انتهىٰ.

٤ ـ وقال النووي ـ في «شرح صحيح مسلم» ـ: إعلم أنّ هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال انّ أبا سفيان إنّما أسلم يوم فتح مكّة سنة ثمان من الهجرة، وهذا لا خلاف فيه، وكان النبيّ ـ ص ـ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل. قال أبو عبيد وخليفة بن الخياط وابن البرقي والجمهور: تزوّجها سنة ست، وقيل سبع. قال القاضي عياض: وقال الجمهور: تزوّجها بأرض الحبشة، والّذي في «مسلم» ـ هنا ـ انّه زوّجها أبو سفيان، غريب جدّاً. وقال ابن حزم: هذا الحديث وَهَمٌ من بعض الرواة، لأنّه لا خلاف من الناس أنّ النبيّ ـ ص ـ تزوّج أم حبيبة قبل الفتح بدهر، وهي

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. بعد أن نقض قريش إحدىٰ بنود معاهدة الحديبية.

٣. زاد المعاد ١ / ٢٧.

بأرض حبشة وأبوها كافر. وفي رواية عن ابن حزم ـ أيضاً ـ: إنّه موضوع، وآفته عكرمة بن عمّار....[١].

٥ ـ وممّن حكم بوضع الحديث عبد القادر بن محمّد بن محمّد مصنّف كتاب «الجواهر المضيئة في الطبقات الحنفيّة»، ـ قال عند طعنه في كثير من أحاديث مسلم،، وأنّا ما يقوله الناس إنّ من روىٰ له الشيخان فقد جاز القنطرة من التحنك ـ قال: وقد روىٰ مسلم عن أبي سفيان أنّه قال للنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لمّا أسلم: يا رسول الله! «أعطني ثلاثاً: تزوج ابنتي أُم حبيبة، وابني معاوية اجعله كاتباً، وأمّرني أن أقاتل الكفّار، كما قاتلت المسلمين». فأعطاه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ما سأله. والحديث مشهور، وفيه من الوَهَم ما لا يخفىٰ. ـ إلىٰ أن قال: ـ وما حملهم علىٰ هذا كلّه إلّا التعصّب، وقد قال الحافظ الرشيد العطّار: إنّ مسلماً لمّا وضع كتابه الصحيح عرضه علىٰ أبي زرعة الرازي، فأنكر عليه قال: سمّيته الصحيح، فجعلته سُلّماً لأهل البدع وغيرهم. فإذا روىٰ لهم المخالف حديثاً، يقولون: هذا ليس في صحيح مسلم! فرحم الله أبا زرعة، فقد نطق بالصواب، فقد وقع هذا[٢]. انتهىٰ.

ب ـ ومن مفتعلاتهم عناداً: ما عن علي ـ عليه السّلام ـ انّه قال: «أوّل من يدخل من الأُمّة الجنّة أبو بكر وعمر، وإنّي لموقوف مع معاوية للحساب...».

ج ـ وما عن أبي هريرة مرفوعاً: «الأمناء عند الله ثلاث: أنا وجبرئيل ومعاوية[٣].

تعصّب البخاري ومسلم

قلت: ومن هنا انكرت الجماعة علىٰ الشيعة أحاديث الغدير بحجّة أنّ البخاري ومسلماً تركا أحاديثه، مع أنّ لها طرقاً كثيرة تتجاوز المائة.

---

١ . شرح صحيح مسلم ٩ / ٣٩٧.

٢ . الجواهر المضيئة ٢ / ٤٢٩ـ ٤٣٠.

٣ . لسان الميزان ٤ / ٢٣٧ . وسبق بيان عدم صحّة انتسابه إلى النبيّ .

والشيعة ـ بحمد الله ـ منزّهون عن الباطل والقول بغير الحقّ، ولذا تراهم يعتمدون في النصّ علىٰ إمامة علي ـ عليه السّلام ـ علىٰ التواتر من أحاديث المخالف، وهم[١] ينقلون أحاديث البكريّة علىٰ سبيل المصادرة[٢].

وقد استقصينا فرأينا أنّ المحدِّث من القوم كلّما زاد في التعصّب ورفض الحقّ، ازدادت قدسيّته وتقرّبه عند أبناء الدنيا، وكلّما انصف واحد منهم في الحديث في فضائل أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، ازداد بُعداً ورمياً بالرفض والتشيّع، كالنسائي والحاكم النيشابوري وابن عقدة وأبي جعفر الطبري.

وأمّا البخاري، فإنّما اثبتوا له عظيم المنزلة لتظاهره بمجانبة[٣] علي ـ عليه السّلام ـ وسائر العترة الطاهرة، ولانحرافه عنهم، ولذا كتم هو ومسلم الحجاج في صحيحهما في مناقب أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ما هو المتواتر بين كافة أهل العلم، وذكرا فيهما من السقطات في فضل غير علي ـ عليه السّلام ـ ما قد عرفت حالها، وستعرف أيضاً ما يأتيك من أحاديثهما.

فتركا حديث الغدير، وقد أخرجه الجمّ الغفير، وتركا أيضاً من المتواتر حديث الاخاء، وأحاديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وأحاديث الطائر المشوي، وأحاديث الولاية، وأحاديث الإنذار يوم الدار، وأحاديث الطهارة في علي ـ عليه السّلام ـ وأهل البيت، وأحاديث «إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»، وأحاديث عزل أبي بكر عن تبليغ سورة البراءة، وأحاديث «سدّوا الأبواب إلّا باب علي»، وأحاديث «ستفترق أمّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلّهم في النار إلّا فرقة واحدة». كما استند ابن تيمية في منهاجه بعدم وجود الحديث في الصحيحين، وإن أورده أهل السنّة والمسانيد، كأبي داود وابن ماجة وأحمد وغيرهم.

---

١. أي: مخالفوا الشيعة.

٢. المصادرة نوع من المغالطة، وهي كون إحدىٰ المقدّمتين نفس النتيجة واقعاً، وإن كان بحسب الظاهر غير ذلك.

٣. مجانبة: معاداة.

ولقد بلغ تعصّب البخاري وانحرافه عن أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ إلىٰ تركه الحديث عن الامام جعفر بن محمّد الصادق ـ عليه السّلام ـ، تبعاً لشيخه يحيىٰ بن سعيد القطّان. قال الذهبي في «الكاشف والتهذيب»، والعسقلاني في التهذيب: انّه قال يحيىٰ القطان عن جعفر بن محمّد، فقال: «في نفسي منه شيء»[1]. وقال الذهبي في «المغني: جعفر بن محمّد علي ثقةٌ، ولم يخرِّج له البخاري وقد وثّقه ابن معين وابن عدي وأمّا القطان فقال: مجالد أحبَّ إليَّ منه»[2].

ومن إفراط البخاري في التعصّب روايته عن «حريز بن عثمان» الّذي كان يلعن عليّاً ـ عليه السّلام ـ كلّ يوم سبعين مرّة، وقد افترىٰ علىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ راوياً عنه إنّه قال لعلي «أنت منّي بمنزلة قارون من موسىٰ»، كما مرّ عليك من تاريخ الخطيب[3] واعتماده في الرواية علىٰ «عمران بن حطان» الخارجي الّذي مدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بقوله «يا ضربة من تقيّ ما أراد بها...» إلىٰ آخر الأبيات الّتي أشرنا إليها في هذا الكتاب[4]. ومع ذلك يرفض أن يروي عن الامام الصادق ـ عليه السّلام ـ. هذا ما عرفت من حال البخاري عن القطان.

وأمّا «مجالد» الّذي هو أحبّ في نفس القطان من جعفر بن محمّد ـ عليه السّلام ـ، فقال عنه الذهبي في الميزان: مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني مشهور، صاحب حديث، علىٰ لين فيه. قال ابن معين: لا يحتجُّ به، وقال محمّد: يرفع كثيراً ممّن لا يرفعه الناس ـ يعني يسند من الحديث إلى النبيّ ما لا يسنده غيره ـ، ليس بشيء. وقال النسائي ليس القوي، وذكر الأشبح أنّه شيعي. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال البخاري: كان يحيىٰ بن سعيد يضعّفه، وكان ابن مهدي لا يروي عنه، وقال الفلاس: سمعتُ يحيىٰ بن سعيد يضعّفه، وكان ابن مهدي لا يروي عنه، وقال الفلاس: سمعتُ يحيىٰ بن سعيد يقول: لو

---

١ . الكاشف والتهذيب مخطوط. تهذيب التهذيب ٢ / ١٠٣.

٢ . المغني في الضعفاء ١ / ١٣٤.

٣ . في الصفحة ١٢.

٤ . في الصفحة ١٦.

شئت أن يجعلها لي مجالد كلّها عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله، فعل. وقيل لخالد الطحّان: دخلتَ [الكوفة][1]، فَلِمَ لم تكتب عن مجالد؟ قال: لأنّه كان طويل اللحية[2]،[3]. انتهىٰ.

وأشدّ من ذلك إفراطاً تخريج البخاري ومسلم الحديث عن أبي هريرة المقدوح علىٰ لسان عمر بن الخطّاب وعائشة والزبير وغيرهم من الأصحاب، وعن عمرو بن العاص، وسمرة بن جندب، ومغيرة بن شعبة، وبسر بن ارطاة، وعكرمة، ونجدة الحروري، وحريز بن عثمان، وعمران بن حطان.

ففي «تهذيب التهذيب» للعسقلاني ـ في ترجمة حريز ـ: إنّه روىٰ أنّ النبيّ ـ ص ـ لما أراد أن يركب بغلته، جاء علي بن أبي طالب، فحلّ حزام البغلة ليقع النبيّ (!!)[4].

البخاري وحديث «ما تركناه صدقة»

جاء في صحيحي البخاري ومسلم باسنادهما أنّ فاطمة والعبّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما: أرضه من فدك، وسهمه من خيبر، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «لا نورِّث، ما تركناه صدقة»[5].

أقول: هذا خبر واحد ظنّي، ولا يمكن أن يعارض به المتيقّن من ضرورة الشرع في باب الإرث، ومخالفٌ لصريح القرآن في إرث البنت، من عموم الآيات وخصوصها، حتّىٰ في توريث الانبياء ـ كما سيتلىٰ عليك ـ، ولصريح كلام علي ـ عليه السّلام ـ وفاطمة ـ عليها السّلام ـ في كتابه إلىٰ عثمان بن حنيف الأنصاري بقوله «بلىٰ، كانت في أيدينا فدك،

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . كناية عن نقص العقل.

٣ . ميزان الاعتدال ٣ / ٤٣٨.

٤ . تهذيب التهذيب ٢ / ٢٤٠.

٥ . صحيح البخاري ٨ / ٣، كتاب الفرائض، باب قول النبيّ ـ ص ـ: لا نورث، ما تركناه صدقة.

صحيح مسلم ٣ / ١٣٨١، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ: لا نورث، ما تركناه فهو صدقة.

فشحّت عليها نفوس قوم....[١].

وقد ادّعت فاطمة سيّدة نساء العالمين ـ عليها السّلام ـ إنّ فدكاً نِحلَةٌ[٢] نحله أباها رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم)، وشهد بذلك أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وأمّ أيمن الّتي شهد لها رسول الله (صلّىٰ عليه وآله وسلّم) بالجنّة، والحسنان سيّدا شباب أهل الجنّة، ومن الضروري انّه فاطمة ـ عليها السّلام ـ صادقة صدّيقة طاهرة مطهّرة، وإنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ مولىٰ الأُمّة والصدّيق الأكبر، وإنّه مع القرآن ومع الحقّ، وأخو النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله)... إلىٰ آخر صفاته.

ثمّ كيف يجوز للمدّعي مكافحة صاحب اليد المتصرّف في الشيء، وابتزاز ما في يده إذا لم يكن له شهود؟ ومن المعلوم أنّ الزهراء ـ عليه السّلام ـ كانت صاحبة اليد المتصرّفة في فدك، وإنّ أبا بكر انتزعه من يدها قهراً من غير وجه مشروع، ثمّ طالبها بالبيّنة[٣]، وجرّح شهودها، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وأصرح من ذلك في إنكار علي ـ عليه السّلام ـ وفاطمة ـ عليها السّلام ـ والعبّاس علىٰ أبي بكر في حديثه «لا نورث، ما تركناه صدقة» ما في صحيح مسلم من كلام عمر لعلي ـ عليه السّلام ـ والعبّاس: قال أبو بكر: قال رسول الله: «لا نورث، ما تركناه صدقة»، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم انّه بارّ راشد تابع للحقّ، ثمّ توفّي أبو بكر، وأنا ولي رسول الله وولىّ أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً...[٤].

وأظهر من الجميع في الانكار علىٰ حديث «لا نورث...» ما في صحيح مسلم عن عروة عن عائشة أنّها قالت: إنّ ازواج رسول الله حين توفّي رسول الله، أردن أن يبعثن

---

١. نهج البلاغة / الكتاب ٤٥ـ ومن كتاب له عليه السّلام إلىٰ عثمان بن حنيف...

٢. نحلة: الهبة والعطيّة.

٣. هذا إشارة إلىٰ قاعدة فقهيّة مسلّمة، وهي أنّ الّذي في سلطنته شيء متنازع عليه لا يُطالَب بالبيّنة، بل مجرّد كونه في سلطنته علامة ملكه له، وأبو بكر لا انّه لم يطالب السيّدة فاطمة الزهراء ـ عليها السّلام ـ بالبيّنة فحسب، بل انتزع منها فدك بدون أي وجه مشروع.

٤. صحيح مسلم ٣ / ١٣٧٩، كتاب الجهاد والسير، باب قوله ـ ص ـ لا نورث، ما تركناه صدقة.

عثمان بن عفّان إلىٰ أبي بكر يسألنه ميراثهنّ من النبيّ، قالت عائشة لهنّ: أليس قال رسول الله: «لا نورث، ما تركناه صدقة»...[١] انتهىٰ.

ويظهر من الحديث والّذي قبله أنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ وفاطمة والعبّاس وبني هاشم وأزواج رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وعثمان هؤلاء جميعاً لم يصدِّقوا أبا بكر في حديثه «لا نورث...». نعم وقع التصديق من عمر وعائشة فقط، لا سماعاً عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، بل تقليداً لأبي بكر ودفاعاً عنه، وهذا لا يخرج الحديث عن كونه ظنيّاً مكذوباً علىٰ صاحبه.

---

١ . صحيح مسلم ٣ / ١٣٧٩، كتاب الجهاد والسير، باب قوله ـ ص ـ لا نورث، ما تركناه صدقة.



تنقيصهم النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ تكريماً للشيخين

إن من نظر في صحيحي البخاري ومسلم، يرىٰ اشتمالهما علىٰ أحاديث صريحة في انتقاص رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وتكريم أبي بكر وعمر، ومعاوية أيضاً، بل يمسّ بعضها كرامة النبيّ، ويوجب لهم الخزي، معاذ الله، مثل:

١ ـ [كذب النبيّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ]

ما في الصحيحين: عن أبي هريرة عن النبيّ ـ ص ـ قال: «لم يكذبْ إبراهيم النبيّ قطّ إلّا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله من قوله «إنّي سقيم»[1]، وقوله «بل فعله كبيرهم»[2]، وواحدة في شأن سارة وقوله: «إنّها أُختي»[3]. انتهىٰ.

واعترض عليه الفخر الرازي ـ في التفسير ـ قائلاً: قال بعضهم: ذلك القول[4] عن إبراهيم ـ عليه السّلام ـ كذبة، ورووا فيه حديثاً عن النبيّ ـ ص ـ انّه قال: «ما كذب إبراهيم ـ عليه السّلام ـ إلّا ثلاث كذبات». قلت لهم: هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل، لأنّه

---

١ . سورة الصافّات / ٨٩.

٢ . سورة الأنبياء / ٦٣.

٣ . صحيح البخاري ٤ / ١١٢، كتاب بدء، باب قول الله تعالي «واتّخذ الله إبراهيم خليلاً».

صحيح مسلم ٣ / ١٨٤٠، كتاب الفضائل باب فضائل إبراهيم الخليل.

٤ . أي: «إنّي سقيم».

نسبة الكذب إلىٰ إبراهيم لا يجوز. فقال ذلك الرجل: كيف يُحكم بكذب الرواة العدول (!!)؟. لمّا وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوي وبين نسبته إلى الخليل ـ عليه السّلام ـ كان من المعلوم بالضرورة انّ نسبته إلى الراوي أولىٰ، ثمّ نقول: لم لا يجوز أن يكون المراد بكونه كذباً خبراً شبيهاً بالكذب[1]؟. انتهىٰ.

٢ ـ الصحيحان واستماع النبيّ ـ صلّىٰ عليه وآله وسلّم ـ للغناء

جاء في الصحيحين ـ في كتاب العيدين من أبواب الصلاة ـ بالاسناد إلىٰ عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله ـ ص ـ وعندي جاريتان تتغنيان بغناء بُعاث[2]، فاضطجع علىٰ الفراش وحوّل وجهه. فدخل أبو بكر، فانتهرني وقال: «مزمارة الشياطين عند رسول الله ـ ص ـ»؟ فأقبل عليه رسول الله ـ ص ـ فقال: «دعهما». فلما غَفَل ـ أي أبو بكر ـ غمزتهُما، فخرجتا[3].

وفي بعض أحاديث مسلم «وعندي جاريتان تلعبان بدفّ...»[4].

فانظر كيف جوّزوا علىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه السّلام ـ حضور اللهو واستماع الغناء المحرَّم، ونزّهوا أبا بكر عن ذلك.

قال القسطلاني ـ في «ارشاد الساري»: ـ الاصل التنزه عن اللعب واللهو، فيقتصر علىٰ ما ورد في النصّ وقتاً وكيفيّة[5].

قلت: هذا اعتراف بحرمة أصل العمل في الشرع، كما فهمها أبو بكر أيضاً، إذ قال «مزمارة الشيطان عند رسول الله ـ ص ـ»؟، إلّا أنّه صار عندهم حلالاً بالعرض، لأنّه في يوم عيد.

---

١. التفسير الكبير ٢٦ / ١٤٨.

٢. بُعاث: يوم انتصار قبيلة الأوس في الحرب والدرق يوم العيد.

٣. صحيح البخاري ٢ / ٣، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد.

٤. صحيح مسلم ٢ / ٦٠٨، كتاب العيدين، باب الرخصة في اللعب الّذي لا معصية فيه...

٥. ارشاد الساري ٢ / ٢٠٥. والمنقول بالمضمون.

لكن البحث عن صحّة النص وجواز الخروج به عمّا دلّ من الكتاب والسنّة علىٰ حرمة اللعب واللهو والغناء، قال تعالىٰ في وصف قوم لوط «وتأتون في ناديكم المنكر[١]» وقال تعالىٰ «واجتنبوا قول الزور»،[٢] وقد فُسِّرَ ذلك بالغناء.

ومن ذلك أيضاً ما في صحيح مسلم: ـ في كتاب العيدين ـ انّ الحبشة كانت تلعب عند رسول الله ـ ص ـ بحرابهم، إذ دخل عمر فأهوىٰ إلى الحصباء يحصبهم[٣] بها، فقل له رسول الله ـ ص ـ: «دعهم يا عمر»[٤].

ومن ذلك ما أخرجه الحافظ أبو نعيم ـ في «حلية الأولياء» في سيرة عمر ـ من رواية إنشاد الشاعر مدح الرسول بحضرته (ص) باشعاره. إذ دخل عمر، فقال النبيّ ـ ص ـ للمادح: «أمسك»، حتّىٰ إذا خرج، فقال النبيّ ـ ص ـ: يقول ـ ص ـ «هات». فسأل الشاعر عن الرجل الداخل الخارج الّذي كان النبيّ ـ ص ـ ينهاه عن مدحه إذا دخل، فقال له رسول الله ـ ص ـ: «هذا عمر بن الخطّاب، وهو رجل لا يحبّ الباطل....»[٥].

انظر هذا وتعجب من القوم، يجوّزون علىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أن يحبّ الباطل وينزّهون عمر عن حبّ الباطل علىٰ لسان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ! «فويلٌ للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثمّ يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم، وويلٌ لهم ممّا يكسبون»[٦].

٣ ـ النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلم) وعائشة ولعب السودان

ومن ذلك ما في الصحيحين: البخاري ومسلم من حديث حمل النبيّ ـ صلّىٰ الله

---

١ . سورة العنكبوت / ٢٩.

٢ . سورة الحجّ / ٣٠.

٣ . الحصباء: الحصىٰ الصغار. والمعنىٰ: إنّ عمر مدّ يده إلى الحصىٰ، وأخذ يرميهم بها.

٤ . صحيح مسلم ٢ / ٦١٠، كتاب العيدين، باب الرخصة في اللعب الّذي لا معصية فيه...

٥ . حلية الأولياء ١ / ٣٦. والمنقول بالمضمون.

٦ . سورة البقرة / ٧٩.

عليه وآله وسلّم ـ زوجته عائشة لتنظر إلىٰ لعب الحبشة في المسجد وتتفرّج عليهم[١].

ومن المعلوم إنّ اللعب محرّم في الشرع، ومثله التفرّج عليه، فكيف يصدر ذلك من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ المبعوث لمكارم الأخلاق، مع ما فيه من القبح والاستهجان؟ أم كيف جاز لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أن يعرض زوجته للنظر إلى الرجال الأجانب.

فإن قالوا: إنّ الواقعة كانت قبل نزول آية الحجاب.

قلنا لهم: إنّ ذلك باطل أيضاً، لتصريح عائشة ـ كما في الصحيحين، في كتاب العيدين ـ بقولها: «رأيتُ رسول الله ـ ص ـ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد»، وفي صحيح مسلم: «قالت: عائشة: والله لقد رأيتُ رسول الله ـ ص ـ يقوم علىٰ باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ـ ص ـ، يسترني بردائه كي أنظر إلىٰ لعبهم، ثمّ يقوم من أجلي، فأكون أنا الّتي انصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السنّ الحريصة علىٰ اللهو»[٢].

وفي حديث آخر قالت: «وكان يوم عيد، يلعب السودان بالدَرَق[٣] والحراب، فإمّا سألتُ رسول الله ـ ص ـ وإمّا قال «تشتهين تنظرين»؟ فقلت «نعم». فأقامني وراءه، خدّي علىٰ خدّه، وهو يقول «دونكم يا بني أرفدة». حتّىٰ إذا مللت، قال «حسبكِ؟»، قلت: «نعم»، قال: «اذهبي»[٤]. انتهىٰ.

أقول: إنّ هذا من الأحاديث المنكرة الفظيعة الّتي تمسّ كرامة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وهي مردودة مطروحة من عدّة وجوه فيها مخالفة صريحة للشرع وللأخلاق:

---

١ . صحيح البخاري ٢ / ٣، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد.

صحيح مسلم ٢ / ٦٠٩، كتاب صلاة العيدين، باب الرخص في اللعب الّذي لا معصية فيه...

٢ . صحيح مسلم ٢ / ٦٠٩، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الّذي لا معصية فيه...

٣ . الدَرَق: ترس من جلد، ليس فيه خشب ولا عقب.

٤ . صحيح مسلم ٢ / ٦٠٩، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الّذي لا معصية فيه.

أ / فمنها: تمكين النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ زوجته من النظر إلى الرجال الأجانب.

ب / ومنها: تمكينه إيّاها من التفرّج علىٰ اللعب واللهو، حيث أنّها كانت تحبّ اللهو في حداثة سنّها، كما في ألفاظ الحديث.

جـ / ومنها: تمكين الأحباش من اللعب في المسجد الّذي بناه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ علىٰ التقوىٰ، وهو من «بيوتٍ أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه»[1].

د / ومنها: تحدّث عائشة للاجانب وتعبيرها المُزري بأنّ خدّ النبيّ كان علىٰ خدها، فإنّ ذلك مخالف لمكارم الأخلاق الّتي يجب أن تتحلّىٰ بها أزواجه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كان يباشرها حال الحيض من فوق الإزار[2].

وعلىٰ أيّ حال فإنّ قولها «يسترني بردائه» صريح في أنّ الحادثة كانت بعد نزول آية الحجاب، ومن هنا وقع شُرّاح الحديث ـ كالقسطلاني والنوري وأهل الحديث ـ في ضيق شديد، حيث أرادوا توجيه الخبر وتأويله وتغطية عيوبه ودفع ما فيه من وجوه الإشكال.

وأمّا الشيعة فهم في فسحة، بعد أن وجدوا الأحاديث مختَلَقة مضطربة في كلام عائشة، وضعتها لطلب الجاه ورفع المنزلة، وإلاّ فحمل المسلم زوجته لتلك العرضة القبيحة ممّا تأباه الغيرة والحميّة، فكيف بنبيّ الإسلام ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق.

مدافعة صاحب التحفة عن الحديث: لقد بالغ المولوي عبد العزيز ـ في كتابه «التحفة الاثنىٰ عشريّة» ـ في الدفاع عن وجوه الاشكال الواردة علىٰ هذا الحديث بالنقض بقوله تعالىٰ: «وامرأته قائمة، فضحكت، فبشّرناها باسحاق...»[3] قائلاً: كيف جاز لإبراهيم

---

١ . سورة النور / ٣٦.

٢ . صحيح البخاري ١ / ٧٨، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض.

٣ . سورة هود / ٧١.

ـ عليه السّلام ـ عرض زوجته علىٰ أضيافه وهو لا يعلم أنّهم رُسُل الله تعالىٰ؟ وكيف جاز للوط ـ عليه السّلام ـ أن يقول لفسّاق قومه «هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين»[١]؟ فيعرض بناته علىٰ الأوباش والفجّار، وهذا شيء لا يليق بأهل المروءة، فكيف بأكابر الأنبياء؟[٢]
قال: ثمّ إنّ صنع ابراهيم ـ عليه السّلام ـ جرىٰ علىٰ عادة العرب من قيام أزواجهم بين أيديهم لخدمة أضيافهم، وهم جلوس علىٰ المائدة[٣]. انتهىٰ.

أقول: إنّ هذا الكلام هو اعتراف بورود الاشكال علىٰ الحديث لقبوله أنّه متضمّن لاعمال ركيكة مستهجنة مخالفة للاخلاق ولظاهر الشريعة، ولذا تمثّل بما تمثّل، ثمّ دافع عنه بانّ صنع إبراهيم ـ عليه السّلام ـ، وإنّما يهمّنا أن نعرف:

أوّلاً: إنّ حمل النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ زوجته الشابّة وعرضها للتفرّج علىٰ الأجانب هل كان جارياً علىٰ عادة العرب أيضاً؟ وهل يمضي[٤] الاسلام هذه العادة الشنيعة ـ إن صحّت ـ؟ مع انّه الدِّين الذّي ظهر لإبطال أمثال هذه العادات المنكرة والأفعال الذميمة، فكيف يجوز للنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ المبعوث لمحو المباديء الجاهليّة اتباع آثارها، وعرض زوجته علىٰ الأوباش باسم التفرّج الّذي هو عين التبرّج[٥] المنهي بقوله: «ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة»[٦].

وثانياً: هل كان في شرع إبراهيم ـ عليه السّلام ـ جواز التبرّج وقيام النسوة لخدمة الرجال أو الخروج للتفرّج علىٰ عادة الرجال؟ فإن جاز ذلك لا مانع من قيام زوجة إبراهيم ـ عليه السّلام ـ لخدمة أضيافه وهي لا تعلم انّهم رُسُل الله، وأمّا علىٰ تقدير وجوب الحجاب فيشرع إبراهيم ـ عليه السّلام ـ، فالجواب انّه (عليه السّلام) كان يعلم أنّ ضيوفه

---

١ . سورة الحجر / ٧١.
٢ . هذا مختلف مع ما في المصدر، ولعلّ ذلك وقع في التعريب.
٣ . التحفة الاثنىٰ عشريّة / ٨٩، والمنقول هنا بالمضمون.
٤ . يمضي: يوافق ويرضىٰ.
٥ . تبرج المرأة: إظهار زينتها ومحاسنها للاجانب.
٦ . سورة الأحزاب / ٣٣.

هم رُسُل الله من الملائكة وليسوا بشراً، لدلالة قوله تعالىٰ «فأوجس منهم خيفة، قالوا: لا تخف. وبشّروه بغلام عليم، فأقبلت امرأته في صرّة، فصكّت وجهها، وقالت: عجوز عقيم»[١]، فإن الفاء في «فأقبلت» ـ الدالّة علىٰ التعقيب ـ تدلّ علىٰ أنّ امرأة إبراهيم (عليه السّلام) لما سمعت بشارتهم أبرزت نفسها، وهي تعلم أنّ المبشرين هم رُسُل الله تعالىٰ.

قال أبو مسعود ـ فى تفسير الآية ـ فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم إلىٰ بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم...[٢] وكلامه هذا يدلّ علىٰ أنّها كانت متستّرة في زاوية البيت، ولم تخرج إلىٰ أن فهمت انّ المبّشرين هم الرسل. وقال الفخر الرازي ـ في تفسير سورة هود، عند قوله تعالىٰ «وامرأته قائمة....»: ـ انّها كانت قائمة من وراء الستر تسمع الرسل...[٣].

وثالثاً: إنّ عرض لوط ـ عليه السّلام ـ بناته علىٰ قومه ليس فيه ما ينافي العار والمروّة، لأنّه أراد بذلك الزواج المشروع، كما دلّ عليه قوله تعالىٰ: «هنّ أطهر لكم»[٤]، فلا يكون «الطُهر» إلّا في النكاح الشرعي، لا في الزنا، وكذلك قولهم في الجواب «لقد علمتَ ما لنا في بناتك من حقّ، وإنّك لتعلم ما نريد»[٥]، يعني: من اتيان الرجال دون النساء، كما في التفسير.

٤ـ صلاة النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) علىٰ جنازة ابن اُبي

جاء في البخاري ـ في كتاب التفسير ـ: عن نافع عن ابن عمر قال: لمّا توفي عبد الله بن اُبي جاء ابنه عبد الله إلىٰ رسول الله ـ ص ـ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه، فأعطاه، ثمّ سأله أن يصلّي عليه، فقام رسول الله ـ ص ـ ليصلّي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول

---

١ . سورة الذاريات / ٢٨ ـ ٢٩.

٢ . إرشاد العقل السليم ٨ / ١٤٠.

٣ . التفسير الكبير ١٨ / ٢٥.

٤ . سورة هود / ٧٨.

٥ . سورة هود / ٧٩.

الله ـ ص ـ فقال: «يا رسول الله! أتصلّي عليه وقد نهاك ربّك أن تصلّي عليه؟». فقال رسول الله ـ ص ـ: «إنّما خيّرني الله، فقال «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرّة...»[1] وسأزيده علىٰ السبعين». قال: «إنّه منافق». قال: فصلّىٰ عليه رسول الله ـ ص ـ، فانزل الله «ولا تصلّ علىٰ أحد منهم مات أبداً، ولا تقم علىٰ قبره»[2] [3].

انتهىٰ.

قال الفخر الرازي ـ في تفسير ـ: واعلم انّ هذا يدلّ علىٰ منقبة عظيمة من مناقب عمر، وذلك لأنّ الوحي نزل علىٰ وفق قوله[4].

قلت: وذلك لو صحّ الحديث، وإلاّ فهو علىٰ تفصيله كذب مختلق وتنقيص للنبي ـ ص ـ، لا يوافقه العقل ولا النقل.

قال الغزالي ـ في كتاب «المنخول» ـ: إنّ ما نُقل في آية الاستغفار كذب قطعاً، إذ الغرض منه التناهي في تحقيق اليأس عن المغفرة، فلا يظنّ برسول الله ـ ص ـ ذهول عنه[5].

انتهىٰ.

وتفصيل ما أجمله ببيان أوضح هو: إنّ المراد بالآية المبالغة في اليأس عن المغفرة بأنّه لو طلبها أو تركها لكان ذلك عند الله سواءً في أنّ الله لا يفعلها، والوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرّة المبالغة، لا العدد المخصوص، فكيف يقول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «سأزيده علىٰ السبعين»، مع التفاته إلىٰ قوله تعالىٰ «فلن يغفر الله لهم»، حيث نفىٰ عنهم المغفرة مؤبّداً، مؤكّداً ذلك بقوله «ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله»[6] مبيّناً

---

١. سورة التوبة / ٨٠.

٢. سورة التوبة / ٨٤.

٣. صحيح البخاري ٥ / ٢٠٧، كتاب التفسير، باب قوله «ولا تصلّ علىٰ أحد منهم مات أبداً...». والموجود فيه يختلف مع المذكور هنا، لكن المضمون واحد تقريباً.

٤. التفسير الكبير ١٦ / ١٥٢.

٥. لم أجد المصدر.

٦. سورة التوبة / ٨٠.

أنّ حرمانهم من المغفرة بسبب كفرهم؟

قال الفخر الرازي ـ في تفسيره ـ: إنّ هذا الدعاء لو كان مقبولاً من الرسول ـ ص ـ لكان قليله مثل كثيره في حصول الإجابة، فثبت أنّ المقصود من هذا الكلام أنّ القوم لما طلبوا منه أن يستغفر لهم، منعه الله منه، وليس المقصود من ذكر هذا العدد تحديد المنع، بل هو كما يقول القائل لمن سأله الحاجة: لو سألتني سبعين مرّة لم أقضها لك، ولا يريد بذلك أنّه إذا زاد قضاها، فكذا ههنا....[1].

قلت: ومن هنا اعترض الزمخشري ـ في «الكشّاف»، في تفسير الآية ـ بأنّه كيف خفي علىٰ رسول الله ـ ص ـ إنّ السبعين مَثَلٌ في التكثير، وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته حتّىٰ قال: «خيَّرني... وسأزيد علىٰ السبعين»؟ ثمّ أجاب بانّه لم يخف عليه ذلك، وإنّما خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته علىٰ من بعث إليه[2].

قال القسطلاني ـ في «ارشاد الساري»، عند ذكر الحديث والاشكال فيه ـ: وتَعقَّب بعضهم ذلك (يعني جواب الزمخشري) بانّه يجب عليه ـ ص ـ إظهار ما علم من الله من أمر الكفر وما يترتّب عليه من العقاب للزجر، وبانّه يستلزم جواز الاستغفار للكافر، مع العلم بأنّه لا يجوز... وقال أيضاً: وقد أشكل فهم التخيير من الآية علىٰ كثير، وقد سبق جواب الزمخشري عن ذلك. وقال صاحب «الانتصاف» مفهوم الآية قد زلّت فيه الأقدام، حتّىٰ أنكر القاضي أبو بكر الباقلاني في صحّة الحديث، وقال: لا يجوز أن يُقبل هذا، ولا يصحّ أن الرسول ـ ص ـ قاله. وقال إمام الحرمين ـ في مختصره ـ: هذا الحديث غير مخرج في الصحيح. وقال في «البرهان»: لا يصحّحه أهل الحديث. وقال الغزالي في «المستصفىٰ»: الأظهر انّ هذا الخبر غير صحيح. وقال الداودي ـ الشارح ـ هذا الحديث غير محفوظ، وهذا عجيب من هؤلاء الأئمّة[3].

---

١. التفسير الكبير ١٦ / ١٤٧.

٢. الكشّاف عن حقائق التنزيل ٢ / ٢٠٥.

٣. إرشاد الساري ٧ / ١٥٤ ـ ١٥٥.

وقال ابن حجر العسقلاني ـ في «فتح الباري [بـ] شرح صحيح البخاري» ـ قال ابن المنير: مفهوم الآية زلّت فيه الأقدام، حتّىٰ أنكر القاضي أبو بكر الباقلاني صحّة الحديث وقال: لا يجوز أن يُقبل هذا، ولا يصحّ أنّ الرسول ـ ص ـ قاله. انتهىٰ. وهذا لفظ القاضي أبي بكر الباقلاني في «التقريب»: هذا الحديث من أخبار الآحاد الّتي لا يعلم ثبوتها. وقال إمام الحرمين ـ في مختصره ـ: هذا الحديث غير مخرج في الصحيح. وقال في البرهان: لا يصحّحه أهل الحديث. وقال الغزالي ـ في «المستصفىٰ» ـ: الأظهر أنّ هذا الخبر غير صحيح. وقال الداودي ـ الشارح ـ: هذا الحديث غير محفوظ[1].

٥ـ تنزيه من سبّه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أو لعنه

أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ في باب قول النبيّ (ص) «من آذيته فاجعل ذلك له قربة إليك» من كتاب الدعوات ـ حديثه عن النبيّ (ص): اللّهمّ إنّما أنا محمّد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإنّي قد اتّخذت عندك عهداً لم تخلفنيه، فأيّما مؤمن اذيتُه أو سببته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له كفارة، وقربةً تقربه بها إليك[2].

أقول: هذا الحديث مردود، إذ انّه صريح في جواز إيذاء النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ الناس من غير استحقاق، وكذلك لعنه أو ضربه، ومن المعلوم أنّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ معصوم بحكم العقل وصريح النقل، فهل ورد التخصيص لذلك؟ أو قام الدليل علىٰ أنّ من خصائصه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ جواز إيذاء الخلق من غير حقّ، تخصيصاً لقوله تعالىٰ «والّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، فقد

---

١ . فتح الباري ٨ / ٢٧١.

٢ . لا يوجد هذا الحديث ـ المزعوم ـ في صحيح البخاري بهذا الشكل، بل في ٧ / ١٥٧ منه أنّ أبا هريرة قال إنّه سمع النبيّ يقول «اللّهمّ أيّما مؤمن سببته، فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة». نعم هذا مذكور في صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٨، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب من لعنه النبيّ ـ ص ـ أو سبّه أو دعا عليه و....

احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً»[١]؟ وكيف يجوز في شرع الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ التجرّي بالسبّ واللعن والفحش، وقد قال تعالىٰ «خذ العفو، وأمر بالعُرف، وأعرض عن الجاهلين»؟[٢]، وقال «واجتنبوا قول الزور»[٣]، وقال «ولا تعتدوا، إنّ الله لا يحبّ المعتدين»[٤].

نعم إنّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعن جماعة من الجبابرة والمنافقين من أصحابه، كبني أُميّة، وبني الحكم بن العاص، تبعاً للقرآن في قوله تعالىٰ ـ في سورة الاسراء ـ: «والشجرة الملعونة في القرآن»[٥] المفسّرة بالاسرة الأمويّة في تفاسير أهل السنّة، كتفسير الفخر الرازي[٦]، وتفسير الخازن[٧]، وتفسير الطبري[٨]، والقرطبي[٩]، والدر المنثور ـ للسيوطي ـ[١٠]. ومن كتب الحديث: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»[١١]، ومستدرك الحاكم[١٢]، وتلخيص الذهبي[١٣]، و«الخصائص الكبرىٰ» للسيوطي[١٤].

---

١ . سورة الأحزاب / ٥٨.

٢ . سورة الأعراف / ١٩٩.

٣ . سورة الحجّ / ٣٠.

٤ . سورة البقرة / ١٩٠.

٥ . سورة الاسراء / ٦٠.

٦ . التفسير الكبير ١٩ / ٢٣٧.

٧ . لم أجده في المصدر، والّذي فيه في ٣ / ٢٢٣ إنّ رسول الله رأىٰ في المنام أنّ ولد الحكم بني أُميّة يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة، فساءه ذلك.

٨ . لم أجده في المصدر.

٩ . الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٨٣.

١٠ . الدرّ المنثور ٤ / ١٩١.

١١ . فتح الباري ٨ / ٣٢١.

١٢ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ / ٤٨٠.

١٣ . تلخيص المستدرك ٤ / ٤٨٠.

١٤ . الخصائص الكبرىٰ ٣ / ٤٢٧.

إذاً فحديث البخاري مختلق مكذوب، وُضع لكرامة بني أُميّة وبني الحكم بن العاص الملعونين علىٰ لسان الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ حيث لعنهم كي يبعدهم عن الرحمة بأمر الله ونصحاً للأمّة، «وما ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلّا وحي يوحىٰ»[1]، وإلاّ فبالضرورة من الشريعة عدم جواز سبّ المسلم أو لعنه، فكيف بضربه وإيذائه وجلده؟ وفي صحيح البخاري «لم يكن النبيّ ـ ص ـ فاحشاً ولا متفحّشاً»[2]، وفيه «لم يكن رسول الله فاحشاً ولا لعّاناً ولا سبّاباً»[3].

فالحديث ممّا وضعه أبو هريرة تزلّفاً إلىٰ بني أُميّة وإلىٰ زعيم الفئة الباغية معاوية بن أبي سفيان دفعاً لما ورد فيه من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من قوله «لا أشبع الله بطنه»، ويشهد لذلك أنّ مسلم رواه في صحيحه في باب: من لعنه النبيّ ـ ص ـ أو سبّه أو دعا عليه وهو ليس أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجر ورحمة[4].

وقال النووي ـ في شرحه ـ: إنّه قد فهم مسلم من هذا الحديث إنّ معاوية لم يكن متحقّاً للدعاء عليه، فلهذا ادخله في هذا الباب، وجعله من مناقب معاوية، لأنّه في الحقيقة يصير الدعاء له[5].

٦ ـ أكل النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) ما ذبح لغير الله

جاء في البخاري ـ في كتاب الذبائح، باب ما ذبح علىٰ النصب والاصنام ـ: عن رسول الله ـ ص ـ انّه لقي زيد بن عمرو بن نُفَيل باسفل «بلدح»[6]، وذلك قبل أن ينزل علىٰ رسول الله ـ ص ـ الوحي، فقدّم إليه رسول الله ـ ص ـ سفرة فيها لحم، فأبىٰ أن يأكل

---

١ . سورة النجم / ٣ ـ ٤.

٢ . صحيح البخاري ٧ / ٨٤، كتاب الآداب، باب ما ينهىٰ من السباب واللعان.

٣ . صحيح البخاري ٧ / ٨١، كتاب الآداب، باب لم يكن النبيّ ـ ص ـ فاحشاً ومتفحّشاً.

٤ . صحيح مسلم ٤ / ٢٢٠٨، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب من لعنه النبيّ ـ ص ـ أو سبّه...

٥ . شرح صحيح مسلم ١٠ / ٣٦.

٦ . بلدح: جبل أو واد قرب مكّة.

منها، ثمّ قال: إنّي لا آكل ممّا تذبحون علىٰ أنصابكم[1]، ولا آكل إلّا ممّا ذُكر اسم الله عليه[2]. انتهىٰ. ورواه ـ أيضاً ـ أحمد بن حنبل في مسنده[3].

قلت: وهذا (كما ترىٰ) يدلّ علىٰ أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كان يأكل ما يُذبح علىٰ الانصاب، علىٰ خلاف دين جدّه إبراهيم ـ عليه السّلام ـ، وإنّ زيد بن عمرو كان أزكىٰ واتّقىٰ واحفظ لنفسه من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ! إذا عرف من دين الخليل (عليه السّلام) حرمة ما يذبح لغير الله، ولم يعرفه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وكيف لا يعرفه وهو المخاطب بقوله «ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً»[4]، وقوله «ملّة أبيكم إبراهيم، هو سمّاكم المسلمين من قبل»؟[5].

قال القسطلاني في «ارشاد الساري»: قال السهيلي: إنّما قال زيد ذلك برأي منه، لا بشرع بلغه، فإنّ الّذي في شرع إبراهيم ـ عليه السّلام ـ تحريم ما ذُبح لغير الله، وقد كان عدو الاصنام. وفي حديث زيد بن حارثة ـ عند أبي يعلىٰ والبزار وغيرهما ـ قال: خرجنا مع رسول الله ـ ص ـ يوماً من مكّة، وهو مُردفي، فذبحنا شاة علىٰ بعض الانصاب، فانضجناها، فلقينا زيد بن عمرو....»، فذكر الحديث مطوّلاً، وفيه: «فقال زيد: إنّي لا آكل ممّا يُذكر اسم الله عليه...»[6].

وفي «فتح الباري [بـ] شرح البخاري: «قد وقع في حديث سعيد بن زيد الّذى قدّمته، فكان [ابن][7] زيد يقول: عُذت بما عاذ به إبراهيم ـ عليه السّلام ـ، ثمّ يخرّ ساجداً للكعبة، فمرّ بالنبي ـ ص ـ وزيد بن حارثة، وهما يأكلان علىٰ سفرة لهما، فدعياه إلى الغذاء،

---

١. الانصاب: احجار كانت تتّخذ في الجاهليّة صنماً، أو كان يذبح عليها باسم الاصنام.

٢. صحيح البخاري ٦ / ٢٢٥، كتاب الذبائح علىٰ النصب والاصنام.

٣. مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٨٩.

٤. سورة النحل / ١٢٣.

٥. سورة الحجّ / ٧٨.

٦. إرشاد الساري ٨ / ٢٧٧.

٧. الزيادة من المصدر.

فقال زيد: يا ابن أخي! إنّي لا آكل ممّا ذُبح علىٰ النُّصب. قال: فما رؤي النبيّ ـ ص ـ يأكل ممّا ذُبح علىٰ النُّصب من يومه ذلك، وفي حديث زيد بن حارثة عند أبي يعلىٰ والبزار وغيرهما قال: خرجتُ مع رسول الله ـ ص ـ يوماً من مكّة، وهو مردفي، فذبحنا شاة علىٰ بعض الأنصاب، فأنضجناها، فلقينا زيد بن عمرو... فذكر الحديث مطوّلاً، وفيه: فقال زيد: إنّي لا آكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه»[1]. انتهىٰ.

ولا يخفىٰ إنّ هذه العبارات صريحة في أنّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كان قبل البعثة يأكل ذبائح الانصاب، وما لم يُذكر عليه اسم الله، كعادات الجاهليّة، ولا يأبىٰ عن ذلك، علىٰ خلاف دين إبراهيم ـ عليه السّلام ـ .

وفي «فتح الباري»: قال الداودي كان النبيّ ـ ص ـ قبل البعث يجانب المشركين في عباداتهم، ولكن لم يعلم ما يتعلّق بأمر الذبائح، وكان زيد قد علم ذلك من أهل الكتاب الّذين لقيهم[2]. انتهىٰ.

فما يقال لقوم هذا معتقدهم في رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، حيث يجعلون زيداً عالماً عارفاً موفّقاً لترك ما ذبح علىٰ النُّصب، ولا يجعلون ذلك لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مع انّه منصوب من الله تعالىٰ ومعصوم عن الخطأ، وله من العقل والذكاء ما يفضل به علىٰ الخلق أجمعين؟ وفي كتاب «الشفا» ـ للقاضي عياض ـ ما حاصله: إنّ الله تعالىٰ لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلىٰ الانقضاء من العقل والفهم والدراية وحسن السياسة في جنب ما أعطاه لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ إلّا كحبة رمل من رمال الدنيا...[3].

---

١ . فتح الباري ٧ / ١١٣.

٢ . فتح الباري: ٧ / ١١٣.

٣ . الشفا ١ / ٤٨ـ ٤٩.

٧ ـ قصة الغرانيق[١]

ممّا نقض به القوم كرامة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وقدسه، وافتعلوه افتراءً عليه هو ما اتّفقوا علىٰ روايته في كتبهم جميعاً من الحديث والتفسير عند قوله تعالىٰ في سورة الحجّ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلّا إذا تمنّىٰ ألقىٰ الشيطان في أُمنيّته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثمّ يحكم الله آياته....»[٢].

فذكروا انّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لمّا قرأ سورة «والنجم» وقرأ «أفرأيتم اللات والعزّىٰ، ومناة الثالثة الأخرىٰ»[٣]، قرأ بعده، «تلك الغرانيق العُلىٰ، وإنّ شفاعتهنّ لترتجىٰ» (!!)، فلمّا سمعت قريش ذلك فرحت به، فمضىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في قراءته، فقرأ السورة وسجد في آخرها، وسجد المسلمون بسجوده لله، وكذا المشركون لمعبودهم، فرحين بما سمعوا من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ. ففي بعض أخبارهم إنّ الشيطان ألقاها علىٰ لسان النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ[٤].

قال القسطلاني ـ في «ارشاد الساري [إلىٰ] شرح البخاري» ـ: عن ابن عبّاس قال: قرأ رسول الله بمكّة «والنجم..»، فلمّا بلغ «أفرأيتم اللات والعُزّىٰ، ومناة الثالثة الأخرىٰ» ألقىٰ الشيطان في أُمنيّته ـ أي: تلاوته ـ: «تلك الغرانيق العُلىٰ، وإن شفاعتهنّ لترتجىٰ». فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت آية «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...»[٥].

قال أبو السعود ـ في تفسيره ـ: إنّ في هذه الآية دلالة علىٰ جواز السهو من الأنبياء

---

١ . الغرانيق: الذكور من الطير، سمّيت الاصنام به لاعتقاد الكفار إنّ الأصنام تقرّبهم إلىٰ الله وتشفع لهم إليه، فشُبهت بالطيور الّتي ترتفع وتحلّق في السماء.

٢ . سورة الحجّ / ٥٢.

٣ . سورة النجم / ١٩ ـ ٢٠.

٤ . الدرّ المنثور ٤ / ٣٦٦. الكشّاف ٣ / ١٩. التفسير الكبير ٢٣ / ٤٩. صحيح البخاري ٦ / ٤٩ ـ مع حذف لبعض المقاطع ـ.

٥ . ارشاد الساري ٧ / ٣٦٢.

ـ عليهم السّلام ـ وتطرّق الوسوسة إليهم[١]. انتهىٰ.

قلت: إن هذه إلّا الطامّة الكبرىٰ، أوجب القول بها من أهل السنّة توجّه الاعتراض من اليهود والنصارىٰ علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ والإخلال بقدسه وعصمته. و تمكّن الشيطان منه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، حتّىٰ ألقىٰ في خاطره ما يوجب ضلالة أمّته، سيّ ما يرجع إلى الوحي الإلٰهي الّذي لا يأتيه الباطل.

والعجب ممّن جزم بالواقعة ـ كالمولوي عبد العزيز الدهلوي في «التحفة الاثنىٰ عشريّة» نافياً عنها أي شناعة بعد تحكيم الله آياته، وجعله تعالىٰ ما يلقيه الشيطان فتنة لمن في قلبه شقاق ونفاق، فوقع ذلك موافقاً للحكمة[٢]. انتهىٰ.

أقول: إنّ هذه الحكاية تخالف المعقول والمنقول من دين الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وذلك كما قال الفخر الرازي في تفسيره، ولقد أجاد في أفاد قائلاً: أمّا أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجّوا عليه بالقرآن والسنّة والمعقول، أمّا القرآن فبمثل قوله تعالىٰ: «ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثمّ لقطعنا منه الوتين»[٣]، وقوله «وما ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلّا وحي يوحىٰ»[٤]، فلو أنّه قرأ عقيب هذه الآية «تلك الغرانيق العلىٰ» لكان قد ظهر كذب الله تعالىٰ في الحال، وذلك لا يقوله مسلم، وقوله تعالىٰ: «كذلك لنثبّت به فؤادك»[٥]، وقوله تعالىٰ: «وإن كادوا ليفتنونك عن الّذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره»[٦]، وقوله: «ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً»[٧]، وقوله «سنقرؤك فلا

---

١ . ارشاد العقل السليم ٦ / ١٤٤.

٢ . التحفة الاثنىٰ عشريّة / ٣٢.

٣ . سورة الحاقة / ٤٤ـ ٤٦.

٤ . سورة النجم / ٣ـ ٤.

٥ . سورة الفرقان / ٣٢.

٦ . سورة الاسراء / ٧٣.

٧ . سورة الاسراء / ٧٤.

تنسىٰ»[١].

وأمّا السنّة: فهي ما روي عن محمّد بن اسحاق بن خزيمة أنّه سئل عن هذه القصة، فقال: إنّها من وضع الزنادقة. وقال الامام أبو بكر البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل. ثمّ أخذ يتكلّم في أنّ رواة هذه القصة مطعون فيهم. وأيضاً فقد روىٰ البخاري في صحيحه انّ النبيّ ـ ص ـ قرأ سورة «والنجم»، وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجنّ، وليس فيه حديث الغرانيق.

وأمّا المعقول: فمن وجوه، ثمّ عدّها قائلاً: إن من جوّز تعظيم الرسول للأوثان فقد كفر، وإن منعه تعالىٰ للشيطان عمّا يلقيه أقوىٰ في رفع الالتباس واشتباه ما ليس بقرآن قرآناً، من نسخة بعد إلقائه، لبقاء الشبهة، فإذا أراد الله إحكام آياته، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً أولىٰ. ولو بأنا لو جوّزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوّزنا في كلّ من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله «يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس»[٢]، فإنّه لا فرق في العقل بين الزيادة والنقصان عن الوحي فبهذه الوجوه عرفنا أنّ هذه القصّة موضوعة، ولو ذكرها جمع من المفسّرين، لكنّها خبر واحد لا يعارض الدلائل العقليّة والنقليّة المتواترة[٣]. انتهىٰ كلام الفخر الرازي

وقال القاضي عياض في كتابه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» ـ بعد طعنه في سند الحكاية قال ـ: قد قامت الحجّة واجمعت الأُمّة علىٰ عصمته (ص) ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة النقيصة، امّا من تمنّيه أن يُنزَل عليه من مدح آلهةٍ غير الله فهو كفر، أو أن يتسوّر عليه الشيطان ويشبَّه عليه القرآن حتّىٰ يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبيّ ـ ص ـ إنّ من القرآن ما ليس منه حتّىٰ ينبّهه جبرئيل ـ عليه السّلام ـ، وذلك ممتنع في حقّه ـ ص ـ، أو يقول النبيّ ـ ص ـ من قِبَل نفسه عمداً، وذلك كفر، أو سهواً وهو معصوم من هذا كلّه،

---

١. سورة الأعلىٰ / ٦.

٢. سورة المائدة / ٦٧.

٣. التفسير الكبير ٢٣ / ٤٩ ـ ٥١.

وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته ـص ـ من جريان الكفر علىٰ قلبه أو لسانه، لا عمداً ولا سهواً، أو أن يتشبّه عليه ما يُلقيه الملَك ممّا يلقيه الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، وإن يتقوّل علىٰ الله ـ لا عمداً ولا سهواً ـ ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالىٰ «ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل...»[١]، وقال تعالىٰ: «إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف المهات»[٢]. إلىٰ أن قال: ولم يحك أحد في هذه القصّة شيئاً سوىٰ هذه الرواي الضعيفة الأصل، ولو كان لوجدت قريش بها علىٰ المسلمين الصولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجّة، ولا فتنة أعظم من هذه البليّة، ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشدّ من هذه الحادثة، ولا شكّ في إدخال بعض شياطين الإنس والجنّ هذا الحديث علىٰ بعض مغفّلي المحدّثين ليلبّس به علىٰ ضعفاء المسلمين...[٣].

أقول: إنّ لنا في توجيه الآية الكريمة علىٰ مذهب الاماميّة من اتباع آل محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: طريقين:

أحدهما: انّ المراد من التمنّي هو تمنّي ظهور الحقّ وقمع الباطل، كما هو دأب كلّ نبي مرسل. «ألقي الشيطان في أمنيّته» يعني: نازعه بباطله وغوايته ومعارضته مع الحقّ الّذي أبداه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

ومن الضرورة انّ المعارضات الشيطانيّة تكون فتنة للّذين في قلوبهم مرض إذ يقول سبحانه «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتّبعك من الغاوين»[٤]، وقال: «فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين، إلّا عبادك منهم المخلصين»[٥].

ومن هنا ألقىٰ الشيطان فتنة عبادة العجل في بني إسرائيل، وألقىٰ فتنة تعدّد الآلهة في النصارىٰ، وألقىٰ فتنة قيام العرب ضدّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فأشعلوا نيران

---

١ . سورة الحاقّة / ٤٤.

٢ . سورة الإسراء / ٧٥.

٣ . الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢ / ١١٨ ـ ١٢٠.

٤ . سورة الحجر / ٤٢.

٥ . سورة ص / ٨٢ ـ ٨٣.

الفتن من بدْء رسالته ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ إلىٰ وفاته، بل وأوقد الشيطان نار الفتنة بين الأُمّة من مبدأ قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «آتوني بدواة وكتف[١]، لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا أبداً»، فامتنع الحاضرون عن امتثال أمره، فأجرىٰ الشيطان علىٰ لسانهم قول «الرجل ليهجر»، أو «استفهموه أهجر؟» أو غير ذلك ممّا يؤدّي هذا المعنىٰ[٢]، فكان هذا الإلقاء يخالف أُمنية رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فانّه كان يرىٰ لهم الهداية، والشيطان أوقعهم في الضلالة، حيث افترقت الأُمّة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، حسب ما أخبر به النبيّ الصادق المصدَّق[٣].

فلأمثال هذه المكائد والحيل المقترنة بالشيطنة ومساعدة النفس الأمّارة، صارت تنسب إلى الشيطان، وكان النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يعتريه الحزن والضيق من ذلك، ولكن الله تعالىٰ قال تطييباً لخاطره «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلاّ إذا تمنّىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيّته...»، وقال «ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق ممّا يمكرون»[٤]، فعلىٰ هذا لا أصل لزيادة لفظ «تلك الغرانيق العُلىٰ» لا من الإنس ولا من الشيطان.

وثانيها: انّه بناء علىٰ هذه الزيادة ـ علىٰ أصول الجماعة وأحاديثهم ـ نقول: إنّ الزيادة لم تكن من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، ولا أُلقيت علىٰ لسانه لا عمداً ولا سهواً، لا في القرآن ولا في غيره،وإنّماوقعت من الكفار والمشركين (الّذين هم شياطين الإنس) علىٰ لسانهم عند قراءة النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «أفرأيتم اللات والعزّىٰ، ومناة الثالثة الأخرىٰ»، فألقت في قراءته لغوهم حذو قولهم: «لا تسمعوا لهذا القرآن، والغوا فيه لعلّكم تغلبون»[٥]،

ولا ضير في نسبة هذه المكيدة إلى الشيطان، لأنّها بوسوسته، وانّه حملهم أن

---

١ . كتف: عظم عريض يكون في كتف الحيوان، كان يكتب عليه سابقاً.

٢ . صحيح البخاري ١ / ٣٦، كتاب العلم، باب كتابة العلم، و ٤ / ٣١، و ٧ / ١٥٦، و ٨ / ١٦١.

٣ . المستدرك علىٰ الصحيحين ١ / ١٢٨.

٤ . سورة النحل / ١٢٧.

٥ . سورة فصّلت / ٢٦.

يمزجوا بقراءة النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مدح آلهتهم، ولكن الله تعالىٰ غالب علىٰ أمره، فهذه المكيدة نظير مكيدة صنع السامري العجل وهتافه في بني إسرائيل بانّ: «هذا إلٰهكم وإله موسىٰ»[١].

لكنّه في الموردين لم يكن تصرف في الحجج والبراهين، ولم يشتبه الأمر علىٰ المؤمنين لما أظهر الله تعالىٰ بلطفه علىٰ لسان نبيّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ما أوجب نسخ قول المشركين بلا فصل بقوله تعالىٰ: «ألكم الذكرُ وله الأنثىٰ؟ تلك إذاً قسمة ضيزىٰ»[٢]، وقوله «إن هي إلّا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم، ما أنزل الله بها من سلطان»[٣]، وقوله: «وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ»[٤].

---

١. سورة طٰه / ٨٨.

٢. سورة النجم / ٢١ ـ ٢٢.

٣. سورة النجم / ٢٣.

٤. سورة النجم / ٢٦.

بالإضافة إلىٰ ذلك، فإنّ الراوي لهذه الواقعة عدّة أفراد، وكلّهم لم يكونوا مولودين إبان الوقوع المزعوم لهذه القصّة الكاذبة أصلاً، سوىٰ ابن عبّاس، لكنّه إنّما كان له سنتان من العمر، ومن البديهي انّه لا يمكن أن يكون راوياً لهذه الواقعة بالكيفيّة المنسوبة إليه، وهذا ممّا يكشف عن وسعة رقعة الوضع في اخبار اولئك. ونظير هذا موجود بكثرة في ما يسمّىٰ بـ «الصحاح الستّة».

وعلىٰ فرض صحّة الاسناد ووجود الرواة في زمن الحادثة، لكن هذا خبر واحد ظنّي لا يمكن أن يقاوم الضرورة العقليّة والمتواتر القطعي الدالّين علىٰ العصمة الشاملة لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

والقول انّ المنسوب إليهم رواية ذلك قد اخطأوا واشتبهوا أفضل من القول انّ رسول الله أخطأ واشتبه.

[إتّهامهم أمير المؤمنين بتهمة ظالمة]

نسبتهم شرب الخمر إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ

قال ابن تيمية ـ في منهاجه ـ: وقد أنزل الله تعالىٰ في علي «يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ، حتّىٰ تعلموا ما تقولون...»[1] لمّا صلّىٰ، فقرأ وخلط[2]. مشيراً بكلامه هذا إلىٰ ما رواه الترمذي في جامعه، قال: حدّثنا عبد بن حميد، حدّثنا عبد الرحمان بن سعد، عن أبي جعفر الرازي عن عطاء عن أبي عبد الرحمان السلمي عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمان بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذتِ الخمر منّا، وحضرت الصلاة، فقدّموني، فقرأت: «قل يا أيّها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون»، فأنزل الله «يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارىٰ حتّىٰ تعلموا ما تقولون»[3]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور» للسيوطي ـ في تفسير الآية ـ: إنّه أخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله تعالىٰ «لا تقربوا الصلاة...» إنّها نزلت في أبي بكر وعمر وعلي وعبد الرحمان بن عوف وسعد، صنع لهم علي طعاماً وشراباً، فأكلوا وشربوا، ثمّ صلّىٰ بهم المغرب عليّ، فقرأ «قل يا أيّها الكافرون» حتّىٰ خاتمتها، فقال «ليس لي دين، وليس لكم دين»، فنزلت «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ». انتهىٰ.

---

١ . سورة النساء / ٤٣.

٢ . منهاج السنّة النبويّة ٤/ ٦٥.

٣ . الجامع الصحيح ٥ / ٢٣٨.

تزييف الخبر سنداً ومتناً:

أقول: أمّا رواية السيوطي في «الدرّ المنثور» فعن عكرمة، وقد أعلمناك فيـ سبق أنّ عكرمة مقدوح في اعتقاده، وإنّه علىٰ رأي الخوارج والحروريّة وإنّه كذّاب في حديثه، نصّ علىٰ ذلك يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، ويحيىٰ بن بكير، وعلي بن عبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيّب، وعطاء بن أبي رباح، وأيّوب السجستاني، ومحمّد بن سيرين، والامام مالك بن أنس، وابن المديني، ومصعب الزبيدي، والقاسم وغيرهم، كما يظهر ذلك من مراجعة: الميزان[1] ـ للذهبي ـ، و«تهذيب التهذيب»[2] للعسقلاني ـ، و«معجم الادباء»[3] ـ لياقوت الحموي ـ، ومحمّد بن سعيد في «الطبقات»[4]، وابن قتيبة الدينوري في كتاب «المعارف»[5]، كلّهم في ترجمة عكرمة.

فإذاً كيف يعتمد علىٰ حديث مثل هذا الشخص المبغض لعليّ ـ عليه السّلام ـ فيـ نسبه إليه، وإلىٰ أبي بكر وعمر وابن عوف وسعد الّذين هم من العشرة المبشرّة ـ عندهم ـ من شرب الخمر الّذي هو من عمل الشيطان بنصّ القرآن؟ وذلك مكذوب في صحيح النصّ بالوجدان، وما أجرأهم علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وعلىٰ خلفائه وأُمنائه في اختلاق الأكاذيب ونسبتها إلىٰ هؤلاء.

ثمّ إنّ زعمه ابن تيمية من تفسير الآية يرده ما في تفسير «الدرّ المنثور» للسيوطي ـ من أنّ المراد من السكر هو سكر النوم دون الخمر، قال: وأخرج الفاريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحّاك في الآية، قال: لم يعن بها الخمر، إنّما عنىٰ بها سكر النوم. وأخرج عبد بن حميد عن ابن عبّاس في قوله «وأنتم سكارىٰ» قال: النعاس. وأخرج البخاري عن أنس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم

---

١ . ميزان الاعتدال ٣ / ٩٤ ـ ٩٦.

٢ . تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

٣ . معجم الأدباء ١٢ / ١٨٤.

٤ . لم أجده في المصدر في ترجمة عكرمة في ٢ / ٣٨٥.

٥ . المعارف / ٤٥٥ ـ ٤٥٧.

ـ «إذ نعس أحدكم وهو يصلّي فلينصرف، فلينم حتّىٰ يعلم ما يقول»[١]. انتهىٰ. هذا.

فما اختلفوا في تفسير الآية ونسبوه إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فهو ممّا دسّته أيدي حاسديه ومبغضيه من النواصب والمعاندين، أرادوا بذلك الحطّ من منزلته والوهن في عظيم رتبته، ومناقضة ما جاء في القرآن الكريم من آيات فضله وولايته وعصمته وطهارته ـ عليه السّلام ـ، كآية الولاية وكآية الطهارة وغيرهما من الآيات الناطقة بنزاهته عن هذه الارجاس، ومن الضروري أنّ الخمر هو رجس من عمل الشيطان، لقوله تعالىٰ «إنّما الخمر والميسر و.... رجس من عمل الشيطان»[٢]، وقد أذهب الله الرجس بجميع وجوهه عن أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وسائر أهل البيت، ومنهم فاطمة والحسنان ـ عليهم السّلام ـ بقوله «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[٣].

وأمّا استناد ابن تيمية إلىٰ حديث الترمذي فباطل، لأنّه هو الّذي ضعّف جامع الترمذي بقوله ـ في منهاجه ـ قال: «والترمذي قد ذكر أحاديث متعدّدة في فضل علي» ـ عليه السّلام ـ «ومنها ما هو ضعيف، بل هو موضوع»[٤].

قلت: ومن المقطوع به أنّ حديث الترمذي في شرب علي ـ عليه السّلام ـ الخمر مفتَعل مكذوب ـ كسائر أكاذيبه ـ، كيف لا وفي [السند] «عطاء»؟ ففي الميزان: عطاء بن عجلان الحنفي البصري عن أنس. قال ابن معين: ليس بشيء، كذّاب. وقال مرّة: كان

---

١. الدر المنثور ٢ / ١٦٥.

٢. سورة المائدة / ٩٠.

٣. سورة الاحزاب / ٣٣.

٤. منهاج السنّة النبويّة ٣ / ١٢٨.

وكأن ابن تيمية جعل عِداء أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ معياراً لتمييز الحديث الموضوع عن غيره، فإذا نقل الترمذي حديثاً في فضائل الامام، فابن تيمية يراه موضوعاً، وإن كان سنده معتبراً، وإذا نقل حكاية موضوعة للنيل من عظمة الامام، فابن تيمية يعتمد عليها كلّ الاعتماد وإن كان الناقل كذّاباً وضّاعاً. وهذه الازدواجيّة في التعامل مع ما ورد في الكتب، تكشف عن النوايا الحقيقيّة لابن تيمية وأمثاله.

يضع الحديث، فيحدّث به. وقال الفلاّس: كذّاب وقال البخاري منكَر الحديث. وقال أبو حاتم والنسائي: متروك. وقال الدارقطني ضعيف، لا يعتبر به. وقال مرّة: متروك[1].

وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» قال عبّاس الدوري عن ابن معين: ليس بثقة. وقال ـ في موضع آخر ـ: كذّاب. وقال ـ في موضع ـ: لم يكن بشيء. وقال عمرو بن علي كذّاب. وقال أبو زرعة الواسطي: ضعيف. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث جداً. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الآجري: ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه. وقال ابن عدي: عامّة روايته غير محفوظة، وقال الجوزجاني: كذّاب. وقال علي بن حنيد: متروك. وقال الازري والدارقطني وقال ابن معين: ليس بثقة ولا مأمون. وقال الطبراني ضعيف في روايته، تفرّد بأشياء. وقال يعقوب بن سفيان: لا يسوىٰ حديثه شيئاً. وقال الساجي منكر الحديث. وقال ابن حبان: صار يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحلّ كتب حديثه[2]. انتهىٰ.

ثمّ إنّ من المحتمل كون راوي الحديث عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمان السلمي ولكن قال العسقلاني ـ في «تهذيب التهذيب» ـ: قال ابن عليّة: قال لي شعبة: ما حدّثك عطاء بن السائب عن رجال زاذان ومسيرة وأبي البختري، فلا تكتبه. وقال أبو طالب عن أحمد: من سمع منه قديماً فسماعه صحيح، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء، كان يرفع عن سعيد بن جبير أشياء لم يكن يرفعها. وقال: قال وهب[3]: لما قدم عطاء البصرة قال: كتبتُ عن عبيدة ثلاثين حديثاً، ولم يسمع من عبيدة شيئاً، وهذا اختلاط شديد. وقال أبو داود وقال شعبة: حدّثنا عطاء بن السائب، وكان نسيّاً. وقال ابن معين: عطاء بن السائب اختلط، وما سمع منه جرير وذووه ليس من صحيح حديثه. وقد سمع منه أبو عوانة في الصحيح والاختلاط جميعاً ولا يحتجّ بحديثه. وقال أحمد بن أبي نجيح

١ . ميزان الاعتدال ٣ / ٧٥.

٢ . تهذيب التهذيب ٧ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٣ . في المصدر «وهيب».

عن ابن معين: ليث بن أبي سليم ضعيف مثل عطاء السائب، وجميع من سمع من عطاء سمع منه في الإختلاط. وقال ابن عدي: مَن سمع منه بعد الاختلاط، في أحاديثه بعض النكرة. وقال العجلي: وأما من سمع منه بآخره، فهو مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم: كان محله الصدق قبل أن يختلط، صالح مستقيم الحديث، ثمّ بآخره تغيّر حفظه، في حفظه تخاليط كثيرة، وفي حديث البصريين عنه تخاليط كثيرة، وما روىٰ عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب، رفع أشياء كان يرويها عن التابعين. وقال النسائي في حديثه القديم ثقة، إلّا إذا تغيّر، وقال الحميدي عن أبي عيينة: سمعت عن عطاء بن السائب قديماً، ثمّ قدم علينا قدمة، فسمعته يحدّث ببعض ماكنت سمعت فخلط فيه، فاتقيته واعتزلته[1]، وفي التهذيب: قال الحاكم: تغيّر بآخره. وقال في السؤالات: تركوه[2]. انتهىٰ.

وأمّا نسبة الرواية إلىٰ «عبد بن حميد» ففرية وعناد، لأنّ عبد حميد من صحّ عنه نزول قوله تعالىٰ «إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[3] في علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ، أخرج الحديث عنه جلال الدِّين السيوطي في تفسيره «الدرّ المنثور» عند ذكر الآية من سورة المائدة[4]، فكيف يُعزىٰ إليه رواية شرب علي ـ عليه السّلام ـ الخمر، وإنّه سكر ثم كفر؟ ولكن للنواصب أكثر من هذا وأعظم، إذ نسبوا الكفر إلىٰ من لم يكفر بالله طرفة عين أبداً، وكان أوّل القوم إيماناً، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد والموعد القيامة.

وأيضاً فانّ رواية الترمذي وأبي داود والحاكم في طريقها «أبو عبد الرحمان السلمي» وهو من أعداء أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، ففي «تهذيب التهذيب»: عن الواقدي: انّ أبا عبد الرحمان السلمي عبد الله بن حبيب شهد مع علي صفين، ثمّ صار عثمانيّاً، أي معادياً لعلي وموالياً لمعاوية، وجرىٰ اصطلاحهم علىٰ أنّ مثل هذا في عداوة

---

١. تهذيب التهذيب ٧ / ٢٠٤ـ٢٠٦.

٢. تهذيب التهذيب / ٧ / ٢٠٦.

٣. سورة المائدة / ٥٥.

٤. الدرّ المنثور ٢ / ٢٩٣.

علي وموالاة معاوية يسمّىٰ عثمانيّاً[١].

وممّا يدلّ علىٰ معاداته لعليّ ـ عليه السّلام ـ ما أخرجه أحمد في مسند علي برجال الصحّة ـ عندهم ـ عن سعد بن أبي عبيدة قال: تنازع أبو عبد الرحمان وحيان بن عطيّة، فقال أبو عبد الرحمان: «قد علمت ما جرأ صاحبك»[٢] ـ يعني عليّاً ـ (عليه السّلام) ـ، فقال حيان «فما هو لا أبا لك؟» قال: وذكر عن علي ـ عليه السّلام ـ حديث طلبه للمرأة الّتي كتب معها «حاطب بن [أبي][٣] بلتعة» إلىٰ قريش يخبرهم بأنّ رسول الله يريد أن يغزوهم. فأراد عمر أن يضرب عنق حاطب، فقال له رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «لعلّ الله اطّلع علىٰ أهل بدر فقال: اعلموا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنّة»...[٤].

فإنّه لا يفد علىٰ هذه الجرأة علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ إلّا من كان معادياً له، يقول في شأنه ـ عليه السّلام ـ إنّه يجتريء علىٰ الكبائر اعتزازاً بكونه بدريّاً.

وممّا يدلّ علىٰ أنّ حديث الترمذي هذا مكذوب موضوع، ما أخرجه الحاكم في «مستدرك الصحيحين» والذهبي في «التلخيص» عن أحمد بن حنبل باسناده إلىٰ علي ـ عليه السّلام ـ قال: دعانا رجل من الأنصار قبل أن تحرم الخمر، فتقدّم رجل فصلّىٰ بهم المغرب، فقرأ «قل يا أيّها الكافرون»[٥]، فالتبس عليه فيها، فنزلت: «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ»[٦]. قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الاسناد. انتهىٰ. وقال الحاكم والذهبي ـ كلاهما ـ: في هذا الحديث فوائد كثيرة، وهي إنّ الخوارج تنسب هذا السكر وهذه الصلاة[٧] إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دون غيره، وقد برّأه الله منها، فإنّه روىٰ

---

١ . تهذيب التهذيب ٥ / ١٨٤.

٢ . في شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ٨ / ١٠٠ : «ما اجرأ صاحبك علىٰ الدماء».

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٠٥ . والمنقول بالمضمون.

٥ . سورة الكافرون / ١.

٦. سورة النساء / ٤٣.

٧ . في المصدر : «قراءة».

هذا الحديث[١]. انتهىٰ.

أقول: يعني أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ هو الّذي روىٰ الحديث بقوله: «فتقدّم رجل فصلّىٰ بهم المغرب، فقرأ...، فالتبس عليه...، فنزلت الآية»، فهو صريح في أنّه ـ عليه السّلام ـ لم يشاركهم في تلك الصلاة، ولا كان إمامهم فيها، ولو كان ـ عليه السّلام ـ هو امامهم فيها، لكان عليه أن يقول «فتقدمتُهم، فصليتُ بهم...»، أو يقول «فصلّىٰ بنا»، فهو صريح في أنّ إمام القوم الّذي صلّىٰ بهم حينئذ حال السكر واختلط عليه كان غير علي ـ عليه السّلام ـ، وليس الحديث متعرضاً لشرب بقيّة من حضر، فضلاً عن علي ـ عليه السّلام ـ.

وممّن اتّبع الخوارج في ضلالتهم هو ابن تيمية في منهاجه ـ كما مرّ عليك ـ [٢] والسيّد محمّد الآلوسي في تفسيره، فانّه هاج به النصب، وخرج عن مقتضىٰ ادعائه النسب العلوي، فقال: إنّ عليّاً ـ كرم الله وجهه ـ هو الّذي صلّىٰ بالقوم وهم سكارىٰ، فقرأ «قل يا أيّها الكافرون» بحذف «لا»، فانزل الله تعالىٰ «لا تقربوا الصلاة...»[٣].

ولم يعتمد في كلامه هذا إلىٰ مستند، بل أرسله ارسالاً، اتباعاً لاشياخه من معاندي الحقّ وناشري الباطل. «ما هكذا تورد يا سعد الابل». وقد مرّ عليك أنّ الخبر مفتعل موضوع، وعلىٰ فرض صحّته، فانّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ لم يكن معهم.

وفي «الاصابة» ـ لابن حجر العسقلاني ـ أنّ محمّد بن عبد الرحمان بن عوف دعا قوماً، فأطعمهم وسقاهم، فحضرت صلاة المغرب، فقدّموا رجلاً يقال له ابن جعونة، فصلّىٰ بهم، فقرأ «قل يا أيّها الكافرون»..... ـ في شأن نزول قوله تعالىٰ «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ» ـ. قال ابن حجر: وهذا من تخليط عبد الله، فانّ القضيّة معروفة لعبد الرحمان بن عوف فلعلّها وقعت في رواية محمّد بن عبد الرحمان عن أبيه، فسقط قوله «عن أبيه»[٤]. انتهىٰ.

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٣٠٧. تلخيص المستدرك ٢ / ٣٠٧.

٢. في الصفحة.

٣. روح المعاني في تفسير القرآن ٥ / ٣٨.

٤. الاصابة ٦ / ١٥٤.

وذكر ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري [بـ] شرح صحيح البخاري» حديث تحريم الخمر ـ في كتاب الاشربة ـ عن أنس بن مالك: «كنتُ أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأُبي بن كعب من فضيخ[1] زهو[2] وتمر، فجاءهم آت، فقال: إنّ الخمر قد حرمّت. فقال أبو طلحة: قم يا أنس! فاهرقها. فأهرقتُها». قال: كذا اقتصر في هذه الرواية علىٰ هؤلاء الثلاثة، وسمّى في رواية مسلم «أبا أيّوب». ومن رواية هشام عن قتادة عن أنس: «إنّي لاسقي أبا طلحة وأبا دجانة وسهيل بن بيضاء». ولمسلم من طريق سعد عن قتادة، نحوه، وسمّى فيهم معاذ بن جبل. ووقع عند عبد الرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس «إنّ القوم كانوا أحد عشر رجلاً». وقد حصل من الطرق الّتي أوردتها تسمية سبعة منهم.

ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه ـ في تفسيره ـ عن طريق عيسىٰ بن طهمان عن أنس: انّ أبا بكر وعمر كانا فيهم، وهو منكر مع نظافة سنده، وما أظنّه إلّا غلطاً. قال: ويحتمل ـ ان كان محفوظاً ـ أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ولم يشربا معهم. قال: ثمّ وجدت عند البزاز من وجه آخر عن أنس قال: كنتُ ساقي القوم، وكان في القوم رجل يقال له أبو بكر، فلمّا شرب قال:

تحيّىٰ بالسلامة أُمّ بكر … وهل لك رهطك من سلام

كأنّي بالطويّ طويّ بدر … من الفتيان والخيل الكرام

إلىٰ آخر الأبيات. وأبو بكر هذا يقال له «ابن شعوب»، فظنّ بعضهم انّه أبو بكر الصديق، وليس كذلك، لكنّ قرينة ذكر عُمر، تدلّ علىٰ عدم الغلط في وصف الصديق. قال: وفي كتاب «مكّة» ـ للفاكهي ـ من طريق مرسل ما يشيد ذلك، فحصلنا علىٰ تسمية عشرة. وقدمت في غزوة بدر من «المغازي» ترجمة أبي بكر بن شعوب المذكور[3]. انتهىٰ.

---

١ . الفضيخ: الشراب المسكر المتخذ من التمر غير الناضج.

٢ . زهو: التمر الّذي يصفرّ أو يحمرّ قبل أن ينضج.

٣ . فتح الباري ١٠ / ٣٠.

معاقرة[١] الخمر لغير واحد من الصحابة

قال الحكيم الترمذي في «نوادر الاصول»: الحديث الّذي تنكره القلوب ما رووه عن ابن القموص[٢]، قال: شرب أبو بكر الخمر، يعني قبل نزول تحريمها، فقعد ينوح علىٰ قتلىٰ بدر، وهو يقول:

تَحــــيّىٰ بـــــالسلامة أُمَّ بكـــــر ... وهـل لك بـعد رهـطك مـن سـلام

ذريــــني اصـطبح يــا أُمّ بكــر[٣] ... رأيتُ المــوت نَـقَّبَ عــن هشـام

فَـنَقَّب عــن أبـيك وكـان قـرماً[٤] ... مـــن الأشراف شُرَّاب المُـــدام[٥]

كأنّي بـــالطويِّ[٦] طـــويِّ بــدر ... مـــن الفـتيان والخـيل الكـرام

فبلغ ذلك رسول الله ـص ـ فخرج يجرّ ثوبه من الفزع حتّىٰ أتاه، فدفع شيئاً في يده[٧]، فقال أبو بكر: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ـص ـ، فانزلت «يا أيّها الّذين آمنوا! إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»[٨].

وزاد عليه في الأبيات:

ويخـــبرنا الرســول بأن ســنحيىٰ ... فكـــيف حــياة أصـداء وهــام

فهذا منكر من القول والفعل، وقد أعاذنا الله والصدّيقين من قول الخنا[٩]. انتهىٰ.

---

١ . مُعَاقَرَة الخمر: ادمان شرب الخمر.

٢ . في المصدر «أبي القموص».

٣ . في نسخة «ذريني أصطبح بكراً فإنّي» بدل هذا الشطر.

٤ . القَرم: السيّد، العظيم.

٥ . المدامة: الخمر.

٦ . الطوي: البئر.

٧ . في المصدر «فرفع عليه شيئاً».

٨ . سورة المائدة / ٩١.

٩ . نوادر الأصول / ٦٦.

لكن الأبيات قد حذفت من الطبعة الموجودة في متناولي بيد أنّها مذكورة في تفسير الطبري ٢ / ٢١١، والبداية والنهاية ٣ / ٣٤١ ـ مع اختلاف يسير ـ، ومجمع الزوائد ٥ / ٥١.

وذكره ابن حجر في «الإصابة»[١].

أقول: ظاهر الحديث يدلّ علىٰ أنّ أبا بكر شرب الخمر بعد نزول آية التحريم، فلو كان شربها قبل زمان الحرمة فلا وجه لغضب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ علىٰ شاربها، فالحديث ينفي كون الشرب قبل التحريم، ولو فرضنا أنّه شربها قبل التحريم، فليس ما جرىٰ علىٰ لسانه من قول الخنا ـ كما قال الترمذي ـ، لأنّه لم يكن يعقل ما يقوله في حالة السكر. نعم علىٰ هذا الفرض، أو علىٰ كلا الفرضين، فإنّ قول الخنا ثابت لا محالة، بل الخزي والعار، لأنّه يدلّ علىٰ أنّ قال الأبيات والمتمثّل بها هو مضمِر الكفر والنفاق، لأنّ السكران يصرّح بكلّ ما أضمره في نفسه حالة الصحو، ويظهر ما أخفاه في قلبه، ولذلك جلس ينوح علىٰ قتلىٰ بدر من المشركين، وإلاّ فَلِمَ لم ينح علىٰ شهداء بدر وشهداء أُحد من المسلمين؟

فإذا كان أبو بكر عندهم بعيداً عن قول الخنا، فانّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ أبعد عنه بمراتب ودرَجات، لأنّه ـ عليه السّلام ـ الصديق الأكبر الّذي لم يسجد لصنم أبداً، ولم يشرك بالله طرفة عين، ففي «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ: أخرج ابن عدي وابن عساكر: «ثلاثة ما كفروا بالله قطّ: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون...»[٢].

وفي كتاب «المستطرف» ـ للشيخ شهاب الدِّين أحمد ـ عن نافع بن أبي نعيم قال: كان أبو طالب يعطي عليّاً ـ عليه السّلام ـ قدحاً من اللبن يصبه علىٰ اللات، فكان علي يشرب اللبن، ويبول علىٰ اللات[٣]. انتهىٰ.

ويجب الانتباه جيداً إلىٰ أنّه قد حُرِّفت هذه الأبيات في أكثر من كتاب، ولا يُعلمُ إذا كان ذلك من نفس المؤلّف أو من غيره، وقد شمل التحريف حذف جميع أو بعض الأبيات، أو تغيير بعض الألفاظ، كتبديل لفظ «أمّ بكر» بـ«أمّ عمرو»، ولفظ «أبي بكر» بـ«رجل».

١. الإصابة ٤ / ٢٢.

٢. الدرّ المنثور ٥ / ٢٦٢.

٣. لم أعثر عليه المصدر.

قلت: فمن كانت غريزته هكذا، فضميره ضمير إيمان وتوحيد، فلا يظهر إلّا ما أضمره إذاً، فلا يقول في صلاته «قل يا أيّها الكافرون، أنا أعبد ما تعبدون» كما يزعم الحاسدون والمعاندون.

قال جار الله الزمخشري - في كتابه «ربيع الأبرار»، في الباب السادس والسبعين ـ: أنزل الله سبحانه وتعالىٰ في الخمر ثلاث آيات: «يسألونك عن الخمر وا لميسر....»[١]، فكان المسلمون بين شارب وتارك، إلىٰ أن شربها «رجل»، ودخل في الصلاة، فهجر، فنزلت: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ»[٢]. فشربها من شربها من المسلمين، حتّىٰ شربها عمر بن الخطاب، فأخذ بلحي[٣] بعيرٍ، فشجّ رأس عبد الرحمان بن عوف، ثمّ قعد ينوح علىٰ قتلىٰ بدر بشعر أسد بن يعفر:

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الشبان والشيب الكرام

أيوعدنا ابن كبشة[٤] أن سنحيىٰ ... وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يرد الموت عنّي ... وينشرني إذا بليت عظامي؟

ألا مَنْ مبلغ الرحمان عنّي ... بأنّي تارك شهر الصيام؟

فقل لله: يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ـص ـ، فخرج يجرُّ رداءه، فرفع شيئاً كان في يده ليضربه، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فأنزل الله «إنّما يريد الشيطان أن يوقع

مقصود المؤلّف من نقل هذا الكلام هو الاستدلال بما ذكره أعلام السنّة أنفسهم حول توحيد وإيمان الإمام عليّ ـ عليه السّلام ـ. وليس هو بصدد إثبات صحّته، إذ من الواضح انّه مختلق، فانّ أبا طالب كان مؤمناً موحّداً منذ البداية، ولم يكفر بالله طرفة عين. وسيأتي بعض الأدلّة علىٰ ذلك.

١. سورة البقرة / ٢١٩.

٢. سورة النساء / ٤٣.

٣. لحي: العظم الّذي فيه الاسنان من داخل الفم.

٤. يقصد النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

بينكم العداوة...» إلىٰ قوله «فهل أنتم منتهون»[١]. فقال عمر: «انتهينا»[٢]. انتهىٰ.

وأورد الحكاية ابن الخطيب ـ في كتاب «المستطرف»، قال: قد أنزل الله تعالىٰ في الخمر ثلاث آيات: الأولىٰ: قوله تعالىٰ «يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس..»، فكان من المسلمين من شارب وتارك، إلىٰ أن شرب «رجل» (!!)، فدخل في الصلاة، فهجر، فنزل قوله تعالىٰ: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارىٰ حتّىٰ تعلموا ما تقولون»، فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها، حتّىٰ شربها عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ فأخذ بلَحي بعير، وشج به رأس عبد الرحمان بن عوف، ثمّ قعد ينوح علىٰ قتلىٰ بدر بشعر الأسود بن يعفر، يقول:

وكائن بالقليب قليب بدر	من الشبان والشيب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيىٰ	وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عنّي	وينشرني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمان عنّي	بأنّي تارك شهر الصيام؟
فقل لله: يمنعني شرابي	وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ـ ص ـ فخرج مغضباً يجرّ رداءه، فرفع شيئاً كان في يده، فضربه [به][٣]، فقال: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فأنزل الله تعالىٰ: «إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون»[٤]؟، فقال عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: «انتهينا، انتهينا»[٥] انتهىٰ.

أقول: المستفاد من روايتي الزمخشري وابن الخطيب انّ عمر كان متأمّلاً في تحريم

---

١. سورة المائدة / ٩١.

٢. المصدر مخطوط.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. سورة المائدة / ٩١.

٥. المستطرف ٢ / ١٩٢.

الخمر بعد نزول قوله تعالىٰ: «يسألونك عن الخمر...»، مع أنّها صريحة في الحرمة المغلّظة، لقوله «قل: فيهما أثم كبير»، ومع ذلك شربها و أخذت منه ما أخذها حتّىٰ أوقعته في رجس الشيطان، من كسره رأس عبد الرحمان، وقوله الهجر والهذيان بما يرجع إلىٰ إنكار البعث والمعاد والطعن في رسالة الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ والمجاهرة بالتحدّي مع ربّ الأرباب بقوله «فقل لله يمنعني...»، «كبرت كلمة تخرج من أفواههم»[1].

وليس العجب ههنا، لأنّ الرجل قد أظهر ـ والحمد لله ربّ العالمين ـ كلّ ما كان في نفسه، كصاحبه، إنّما العجب من قوم ينسبون إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قوله «لو لم أُبعث فيكم، لبعث عمر» وقوله «لو كان بعدي نبيّ، لكان عمر»، وقوله «الحقّ يجري علىٰ لسان عمر، وإنّ مع عمر ملكين يسدّدانه» (!!). المثل هذه القريحة الفتّاكة والأعمال الهمجيّة استحقّ عمر أن يكون مبعوثاً للنبوّة، وخليفة الله في أرضه علىٰ البريّة، وأن يكون معصوماً عن الخطيئة؟!.

---

١ . سورة الكهف / ٥.

حكمهم بكفر الشيعة ووجوب قتلهم

جاء في «الصواعق المحرقة» ـ لابن حجر الهيثمي ـ: عن ابن عمر مرفوعاً: يكون في آخر أُمّتي الرافضة، ينتحلون حبّ أهل بيتي وهم كاذبون، علامة كذبهم شتمهم أبا بكر وعمر، من أدركهم منكم فليقتلهم، فإنّهم مشركون[1].

وفي «لسان الميزان» ـ لابن حجر العسقلاني ـ في ترجمة عمرو بن مخزوم البصري ـ: [روىٰ] عنه ابن عدي بالبواطيل، فمن ذلك: عن يزيد بن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عبّاس مرفوعاً: «يكون في آخر أمّتي الرافضة، ينتحلون حبّ أهل بيتي، وهم كاذبون...». لكن انفرد به [عنه][2] أحمد بن محمّد بن عمر اليمامي، وهو مالك[3]. انتهىٰ كلام العسقلاني

وعكرمة ـ كما اسمعناك ـ[4] كذّاب خبيث متجاهر ببغض علي ـ عليه السّلام ـ وأهل البيت، وهو علىٰ مذهب الخوارج....

وأمّا خالد الحذاء، ففي «تهذيب التهذيب» ـ في الترجمة ـ أنّه «حكىٰ العقيلي عن طريق أحمد بن حنبل: قيل لابن عليّة في حديثٍ كان خالد يرويه، فلم يلتفت إليه ابن عليّة، وضعّف أمر خالد». وفيه: قال أبو حاتم يُكتب حديث خالد ولا يحتج به، وعاب

---

١ . الصواعق المحرقة / ٥.

٢ . الزيادة من المصدر.

٣ . لسان الميزان ٤ / ٣٧٦.

٤ . في الصحفة.

عليه بعضهم لأجل دخوله في عمل السلطان. وأشار حماد بن يزيد إلىٰ أنّ حفظه قد تغيّر، وكان خالد قد استعمل علىٰ العشور[١] في البصرة[٢]. انتهىٰ.

مختلفاتهم في قتل من سبّ الشيخين

ومن مختلقات هؤلاء الجماعة روايتهم عن أنس، عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: من افترىٰ علىٰ الله كذباً، قُتل، ولا يُستتاب، ومن سبّ عثمان أو عليّاً جلد الحدّ. قيل: يا رسول الله! ولم ذلك؟. قال: لأنّ الله خلقني وخلق أبا بكر وعمر من تربة واحدة، وفيها ندفن[٣]. انتهىٰ.

أقول: قال الذهبي (في الميزان) وابن حجر ـ في «لسان الميزان» في ترجمة يعقوب بن الجهم الحمصي ـ إنّ الحديث موضوع. وقال ابن عدي: البلاء فيه من يعقوب بن الجهم الحمصي[٤] انتهىٰ.

وقال السيوطي ـ في «اللآلئ المصنوعة» ـ: الحديث موضوع، وأخرجه من طريق آخر فيه محمّد بن يوسف الأصفهاني عن أحمد بن سعيد بن فرضخ الأخميني، وقال: لا يصحّ، محمّد وأحمد مطعون فيهما، وفيه مجاهيل منهم أبو اليسع[٥] انتهىٰ.

وفي «اللالئ» عن أبي هريرة مرفوعاً: «إنّ لله تعالىٰ في السماء سبعين ألف ملك، يلعنون من شتم أبا بكر وعمر». قال الخطيب: سهل بن صفير يضع الحديث[٦]. انتهىٰ. ونحوه قال الذهبي في الميزان[٧].

---

١. العشور: أخذ الضريبة.

٢. تهذيب التهذيب ٣ / ١٢١ ـ ١٢٢.

٣. اللالىء المصنوعة ١ / ٣٠٩ عن ابن عدي.

٤. ميزان الاعتدال ٤ / ٤٥٠. لسان الميزان ٦ / ٣٠٦.

٥. اللالىء المصنوعة ١ / ٣٠٩.

٦. اللالىء المصنوعة ١ / ٣٠٨.

٧. ميزان الاعتدال ٢ / ٢٣٨.

أقول: لا وجه لكون مَنْ سبَّ أبا بكر وعمر مستحقّاً للقتل، فالحديث موضوع يخالف متنه الكتاب والسنّة وسيرة الصحابة والتابعين لهم باحسان، لإطباق الجميع علىٰ معذوريّة الجاهل المخطيء، وكذلك المجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، كما في الصحيحين[1].

قال ابن تيمية ـ في «منهاج السنّة» ـ: إنّ التأوّل لا يُكفَّر ولا يُفَسَّق إذا اجتهد فأخطأ، وتكفير المخطئين في مسائل العقائد لا يعرف من أحد من الصحابة والتابعين ولا يعرف من أحد من أئمة المسلمين، وإنّما هو في الأصل من أقول أهل البدع الّذين يبتدعون بدعة ويكفّرون من خالفهم...[2].

وقال أيضاً: وممّا ينبغي أن يعلم أنّ الأُمّة يقع فيها أمور بالتأويل في دمائها وأموالها وأعراضها، كالقتال واللعن والتكفير. قال: فقد ثبت أنّ هؤلاء قتلوا قوماً مسلمين لا يحلّ قتلهم، ومع هذا لم يضمن بقود ولا دية ولا كفارة، لأنّ القاتل كان متأوّلاً، وهذا قول أكثر العلماء ـ كالشافعي وأحمد وغيرهما ـ... قال: إنّ جماهير العلماء ـ كمالك، وأبي حنيفة، وأحمد في ظاهر مذهبه، والشافعي في أحمد قوليه ـ يقولون: إنّ أهل العدل والبغاة إذا اقتتلوا بالتأويل، لم يضمن هؤلاء ما اتلفوا لهؤلاء من النفوس والأموال. قال: والمتأوّل المخطيء مغفور له بالكتاب والسنّة من قوله «ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا»[3]...[4].

وقال ابن حزم الأندلسي ـ في كتاب «الفصل في الملل والنحل» ـ لا يُكفَّر ولا يُفسَّق مسلم بقولٍ قاله في اعتقاد أو فُتيا، وإنّ كلّ من اجتهد في ذلك، فدان بما رأىٰ أنّه الحقّ، فإنّه مأجور علىٰ كلّ حال، إن أصاب فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد. قال: وهذا قول ابن

---

١ . صحيح البخاري ٨ / ١٤٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، صحيح مسلم ٣ / ١٣٤٢، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

٢ . منهاج السنّة النبويّة.

٣ . سورة البقرة / ٢٨٦.

٤ . منهاج السنّة النبويّة ٢ / ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

أبي ليلىٰ وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي وقول كلّ من عرفنا له قولاً في المسألة من الصحابة، لا نعلم في ذلك خلافاً أصلاً...[١].

وقال القاضي عياض ـ في كتاب «الشفا» ـ: المحقّقون علىٰ أن الواجب الاحتراز عن التكفير في أهل التأويل، فإن استباحة دماء المصلّين خطره عظيم، والأحاديث المتضمّنة لكفر القدريّة والخوارج معرضة للتأويل بإرادة التغليظ، وقد ورد مثله في الرياء والرباء والزنا وعقوق والوالدين والزور[٢]. وقال في الخوارج والقدريّة وأصحاب البدع المتأوّلين: أنّ القول بترك تكفيرهم مروي عن علي بن أبي طالب، وابن عمر، والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلّمين، واحتجّوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حَرُورَاء ومن عُرف بالقَدَر ممّن مات منهم، ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم. وقال: وقال: «فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد»، وظاهر هذا الكفر، لاسيّ مع تشبيههم بعاد، فيحتج به من يرىٰ تكفيرهم، فيقول له الآخر: إنّما ذلك من قتلهم لخروجهم علىٰ المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه: «يقتلون هل الإسلام»، فقتلُهم هنا حدٌّ لا كفر، وليس كل من حُكم بقتله يُحكم بكفره[٣].

قلت: صريح كلام القاضي انّ قتال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ للخوارج ومن قبلهم من أهل الجمل وصفّين إنّما هو لدخولهم في حزب الباغين، وجملة المحاربين، وذلك لقوله تعالىٰ: «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وطعنوا في دينكم، فقاتلوا أئمّة الكفر، إنّهم لا أيمان لهم، لعلّهم ينتهون»[٤]، وقوله تعالىٰ «إنّما جزاء الّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا»[٥] دلّت علىٰ أنّ الباعث علىٰ قتلهم بغيهم وحربهم لإمامهم، وذلك لتعليق الحكم في الآيتين علىٰ نكث العهد ودخولهم فيمن حارب

---

١. الفصل في الملل والنحل ٤ / ١٦.

٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣، ٢٦٥.

٤. سورة البراءة / ٣٨.

٥. سورة المائدة / ١٣.

الله ورسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

فالكلام إذاً في المسلم الموحّد الّذي يحكم القرآن بعصمة دمه هل يُقتل بسبّه لأبي بكر وعمر أوّلاً؟ بل يكون مَحْقُون الدّم وإن عصىٰ، كسائر ما يعصي العبد به الله تعالىٰ، كما هو الظاهر من النصوص.

ففي «صحيح مسلم»: عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول الله ـص ـ: «لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله إلّا الله، وإنّي رسول الله إلاّ بإحدىٰ ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[1].

وفي «صحيح البخاري»: عن أنس قال: قال رسول الله ـص ـ: «مَن صلّىٰ صلاتنا، وأسلم، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الّذي له ذمّة الله وذمّة رسوله، فلا تخفروا في ذمّته»[2].

وأمّا حديث السبّ والشتم، فمع ما عرفت ـ من وضعه، ومخالفته متنه للكتاب والصحيح من السنّة ـ فهو منقوض بالحديث المروي عن أبي بردة[3] الأسلمي (كما في كتاب «المحلّىٰ» لابن حزم الأندلسي) انّه أغلظ رجل لأبي بكر الصدّيق، قلتُ: ألا أقتله؟ فقال أبو بكر: ليس هذا إلّا لمن شتم النبيّ ـص ـ[4]. انتهىٰ.

ونحوه رواية القاضي عياش المالكي في «الشفا» عن أبي بردة[5]: إنّ الرجل سبّ أبا بكر. فقلتُ: يا خليفة رسول الله! دعني أضرب عنقه. فقال: أجلس، فليس لأحد إلّا لرسول الله ـص ـ. قال القاضي أبو محمّد بن نصر. ولم يخالف فيه أحد. قال: ومن ذلك كتاب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ عامله بالكوفة ـ وقد استشاره في قتل رجل سبّ عمر (رض)، فكتب إليه عمر ـ: إنّه لا يحلّ قتل امريء مسلم بسبب أحد من الناس إلّا رجلاً

---

١ . صحيح مسلم ٣ / ١٠٣٢، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم.

٢ . صحيح البخاري ١ /كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.

٣ . في المصدر «أبي بَرزة».

٤ . المحلّىٰ ١١ / ٤١٠.

٥ . في المصدر «أبي بَرزة».

سبّ رسول الله ـص ـ، فمن سبّه فقد حلّ دمه[١]. انتهىٰ.

فالحديث صريح في أنّ شتم غير النبيّ ـ صلّىٰ الله عـليه وآله وسـلّم ـ لا يـوجب القتل، وعليه عمل أبي بكر والخلفاء من بعده، وعليه عمل الصحابة، فمن خرج عن ذلك، فقد أفتىٰ بغير علم ولا هدىً من الله تعالىٰ، فليس تكفير أحد من المسلمين ولا حلّية دمه من هدي الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ[٢].

تكفيرهم المنكر لخلافة الشيخين

في «الصواعق المحرقة» لابن حجر ـ قال: المنقول من العلماء[٣]، فمذهب أبي حنيفة انّ مَن أنكر خلافة الصديق وعمر فهو كافر...[٤].

قلت:

أولاً: اللازم عليه بيان المدرك لهذه الفتوىٰ الضالة، وإلاّ فهو حكم بغير ما أنزل الله. ولأبي حنيفة كثير من أمثال هذه الفتاوىٰ البشعة لحدّ النهاية، مثل تجويزه الصلاة في جلد كلب مدبوغ ملطخ بالنجاسة، والوضوء بالنبيذ، والتكبير بالفارسيّة، ثمّ الخروج عن

---

١. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ / ٢١٤ ـ ٢١٥.

٢. إن وضع هكذا أحاديث، ومحاولات العلماء المرتزقة إضـفاء الشـرعيّة عـلىٰ مـمارسات الحكـام الظلمة في القضاء علىٰ الشيعة، عن طريق تكفيرهم وتجويز التنكيل بـهم وقـتلهم، وإفـتاء بـعض العـلماء المتحجّرين ذوي الرواسب الجاهليّة والتعصّبات التقليديّة بفتاوىٰ ظالمة، هي التي مهّدت الأرضيّة لإقـامة المجازر الجماعيّة الكبرىٰ بحقّ المسلمين الشيعة من قبل أولئك الحكام القساة الّذين كانوا بحقّ مـهندسين للإبادات الجماعيّة.

وفيما كنت مشغولاً بتوثيق هذا القسم، قرأت في تلكس وكالة أنباء رويتر إنّ إحدىٰ حركات المقاومة الأفغانيّة قامت بالسيطرة علىٰ مدينة شيعيّة في أفغانستان ـ بعد انسحاب القوّات الحكوميّة منها ـ فقامت بقتل المئات من الرجال الشيعة، وأسرت نساءهم، وأرسلتهنّ إلىٰ الوهابيّين في...

٣. حول قتل الشيعة.

٤. الصواعق المحرقة / ٢٥٧.

الصلاة بضرطة. ذكرها ابن تيمية في المنهاج[١].

مثل ما حكي ابن حزم عن أبي حنيفة ـ في «المحلّىٰ» ـ قال: مَن وطيء امرأة أبيه أو حريمته بعقد زواج أو بملك يمين، فعل محرّماً، وعليه الحدّ. وقال أبو حنيفة: لاحدّ علىٰ من تزوّج أُمّه الّتي ولدته وابنته، واخته، وجدته، وعمته، وخالته، وبنت أخيه، عالماً بقرابتهنّ منه، عالماً بتحريمهن عليه، ووطئ كلّهنّ، فالولد لاحق به، والمهر واجب لهنّ عليه، ولا حدّ في ذلك.

ومثل ما حكاه ـ في «المحلّىٰ» ـ من أنّ أبا حنيفة لم ير الزنا إلّا ما كان مطارفاً، وأمّا ما كان عطاءً أو استيجاراً فليس زنا، ولا حدّ فيه. قال ابن حزم: إنّ هذا التطريق إلى الزنا، وإباحة الفروج المحرّمة، والإقدام علىٰ الزنا في أمن وأمان. قال: ونحن نتبرّأ إلىٰ الله من هذه الأقوال الملعونة[٢]. انتهىٰ.

وذكر العلاّمة الزمخشري ـ في كتابه «ربيع الأبرار»، في الباب الستين ـ: إنّه قال يوسف بن أسباط: ردّ أبو حنيفة علىٰ رسول الله ـص ـ أربعمائة حديث أو أكثر. قال: قال رسول الله ـص ـ: «سهمان للفارس وللراجل سهم». قال أبو حنيفة: «لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن» وأشعر[٣] رسول الله ـص ـ وأصحابه البُدن[٤]. وقال أبو حنيفة: «الإشعار مُثلَة». وقال ـص ـ: «البيّعان بالخيار ما لم يفترقا». وقال أبو حنيفة «إذا وجب البيع، فلا خيار». وكان النبيّ ـص ـ يُقرع بين نسائه إذا أراد السفر. وقال أبو حنيفة «القرعة حرام»...[٥].

وثانياً: إنّه معارَض بمثله عند الشيعة، حيث يرون خلافة علي أمير المؤمنين ـعليه

---

١ . منهاج السنّة النبويّة ٢ / ٩٥.

٢ . المحلّىٰ ١١ / ٢٥٠ ـ ٢٥٣.

٣ . أشعر: قلّد الابل بنعل أو غيره، وطعنها في شقّ سنامها الايمن حتّىٰ إدماه، وهذا العمل بمنزلة التلبية في حجّ القِران

٤ . البُدن: الأبل.

٥ . المصدر مخطوط.

السّلام ـ بلا فصل بالنصّ من الله ورسوله، ومنكر النصّ علىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ كافر، لأنّه ردّ علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في أمر ضروري حصل لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بمحضر جمهور المسلمين يوم الغدير، ونزلت بشأنه آيات بيّنات من القرآن، كما سيأتي التفصيل عند بيان النصوص علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

وأمّا خلافة أبي بكر فليست منصوصاً عليها بإجماع المسلمين كافّة، فإنّها بنيت علىٰ الفلتة، من غير رويّة ولا مؤامرة[١].

كلّ ذلك مضافاً إلىٰ ما رواه أخطب خوارزم بالاسناد إلىٰ أبي ذرّ الغفاري قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «من ناصب عليّاً الخلافة فهو كافر، و قد حارب الله ورسوله، ومن شكّ في عليّ فهو كافر»[٢]. وعن أنس بن مالك قال: كنت عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فرأىٰ عليّاً ـ عليه السّلام ـ مقبلاً، فقال: أنا وهذا حجّة الله علىٰ أمّتي يوم القيامة»[٣]. وعن معاوية بن حَيْدَة القُشيري قال: سمعتُ رسول الله يقول لعليّ: «من مات وهو يبغضك مات يهوديّاً أو نصرانيّاً»[٤]. انتهىٰ.

ومع ذلك فنحن لا نقول بكفر من أنكر خلافة عليّ ـ عليه السّلام ـ بلا فصل، كما أنّ أهل السنّة لا يقولون بارتداد الزبير وطلحة وعائشة ومعاوية وابن العاص وأبي الغادية ـ قاتل عمّار ـ وبُسر بن أرطاة، ومعاوية بن خديج ـ قاتل محمّد بن أبي بكر ـ وغيرهم من الناكثين والقاسطين، بل ولا يُكفّر يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم ـ قاتل طلحة ـ، وهو (عندهم) من حواري النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، مع وضوح النصّ

---

١. راجع: صحيح البخاري ٨ / ٢٥، كتاب الفرائض، باب رجم الحبلى. وشرح نهج البلاغة ٢ / ٢٦، والبداية والنهاية ٥ / ٤٥.

٢. لم أجده في المصدر. نعم هو مذكور في مناقب عليّ بن أبي طالب ـ لابن المغازلي ـ / ٤٥ ـ ٤٦.

٣. لم أجده في المصدر. نعم هو مذكور في مناقب علي بن أبي طالب ـ لابن المغازلي ـ / ٤٥.

٤. لم أجده في المصدر. نعم مضمونه مذكور في مناقب عليّ بن أبي طالب ـ لابن المغازلي ـ / ٥٠ ـ ٥١.

علىٰ أنّ من تخلّف عن إمام زمانه فمات، مات ميتة جاهليّة[١]، فإذا كان التأويل والقول بالاجتهاد والعمل بالرأي دافعاً للكفر والارتداد عن المتأوّلين، فليكن دافعاً عمّن أنكر خلافة أبي بكر وعمر أيضاً، وإلاّ فالقول بالفصل قول بالهزل.

وثالثاً: لو حكمنا بكفر من أنكر خلافة أبي بكر، وجب الحكم بكفر من تخلّف عن بيعته في الصدر الأوّل، ولم يبايعه بتاتاً، كسعد بن عبادة سيد الخزرج، والحباب بن المنذر، وقيس بن سعد، ومبايعتهم من الخزرج، وخالد بن سعيد الأموي، والصحابة الّذين امتنعوا إلىٰ أنّ بايع علي ـعليه السّلام ـ من بعد ستة أشهر[٢] وكذلك العبّاس عمّ النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم)، وأشدّهم علىٰ أبي بكر سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فإنّها توفّيت وهي ساخطة غاصبة عليه ـكما في الصحيحين[٣].وهجرته، ولم تكلّمه ما دامت في الحياة

ورابعاً: بالنقض بخلافة عثمان الّذي قام الاجماع علىٰ خلافته بصورة أعمّ من قيامه علىٰ خلافة صاحبيه أبي بكر وعمر، ولم يعارض فيها أحد كالمعارضة الّتي حدثت علىٰ خلافة أبي بكر، ومع هذا فقد خرجوا عليه حتّىٰ خلعوه فقتلوه، ولم يكن في المدينة من الصحابة من أهل الحلّ والعقد، والمهاجرين والأنصار من البدريّين والأُحديّين وأهل بيعة الرضوان إلّا وهم ساعون أو مساعدون في خلعه أو قتله، وأشدهم عليه عائشة وطلحة

---

١ . سيأتي تفصيل ذلك في الجزء الثاني / ٢٠ ـ ٢١ إن شاء الله.

٢ . بيعة الامام علي ـ عليه السّلام ـ لأبي بكر ليست مسلّمة تاريخياً، ولم يرد في خبر معتبر واضح وقوع هذه البيعة، والمذكور في بعض الأخبار المعتمدة أنّ الامام رفض البيعة لأبي بكر باعتبار أنّ الخلافة منصبه الّذي بوّأه الله ورسوله، ولكن عمر وخالد بن الوليد وعدداً من الأوباش، ذهبوا إلىٰ بيت الامام وأخرجوه إلى المسجد مستخدمين معه العنف، وهناك هدّده عمر وخالد أنّه في حال عدم بيعته لأبي بكر سوف يُقتل، لكن مع ذلك ظلّ الامام رافضاً وتصدّىٰ لمحاولات قتله، وأخيراً قام أبو بكر بامساس يده علىٰ يد الامام المقدّسة. ثمّ قالوا إنّ الامام بايع أبا بكر. ومن الواضح إنّ هذا ليس بيعة، بل تسميته بذلك ممّا يضحك الثكلىٰ، لكن الغريق يتشبّث بكلّ حشيش.

٣ . صحيح البخاري / ٥ / ٧٧ ـ ٧٨، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

صحيح مسلم ٣ / ١٣٨٠، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ ـ ص ـ: لا نورث، ....

والزبير، ثمّ لم يخرجوا بذلك عن دينهم، ولم يحكم أحدٌ بكفرهم وارتدادهم.

وخامساً: بالنقض بخلافة أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في عهده، فإنّه ـ عليه السّلام ـ كان إمام زمانه بالضرورة من الدِّين واجماع أهل الحلّ والعقد من الصحابة والتابعين، ومع ذلك فقد خالفته الفئات الباغية من أهل الجمل وصفّين، ولم يكونوا بكافرين، ولم يعامل أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ نساء أهل البصرة وذراريهم بعد الفتح معاملة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مع نساء الكفّار والمشركين وذراريهم.

وسادساً: نقول: أي حجّة قامت من الله أو من رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ علىٰ خلافة أبي بكر؟ أم أيّ نصّ دلّ علىٰ ذلك حتّىٰ يكون منكره كافراً عند القوم؟. بل الضرورة قامت عندهم علىٰ أنّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ توفّي ولم يستخلف، حتّىٰ انّه بادر الخزرج من الأنصار إلى السقيفة لنصب الأمير، فعند ذلك بادر أبو بكر وعمر إلى السقيفة لنقض الأمر علىٰ الأنصار، فتضاربت الآراء، وكادت أن تنشب الفتن وتُراق الدماء لولا أن غلب المهاجرون بانضمام الأوس إليهم من الأنصار، فبايعوا أبا بكر، فهل تُعدُّ مثل هذ البيعة ـ علىٰ ما فيها ـ ضرورة إلٰهيّة حتّىٰ يكون منكرها كافراً؟

وأمّا ضرورة المذهب فلا تجدي نفعاً بعد افتراق الأُمّة إلىٰ ثلاث وسبعين مذهباً وفرقة، فمثل هذه الضرورة لا يعدُّ خلافها كفراً، نظير ما كان ضروريّاً عند أبي حنيفة، ويرىٰ الشافعي خلافه، وبالعكس، فضروريات المذاهب الاسلاميّة المختلفة لا تكاد توجب الكفر علىٰ من خالفها، ما لم يرجع ذلك إلىٰ إنكار التوحيد والنبوّة والمعاد.

ثمّ إنّ القول بتكفير الشيعة القائلين بخلافة أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بلا فصل، المعتقدين بالتوحيد والنبوّة والمعاد والمصدّقين بما جاء به النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من عند الله، إنّ تكفيرهم والاعتداء وتوجيه الافتراء عليهم لا يثمر إلّا شقّ عصا المسلمين، وبثّ التفرقة في صفوف الإسلام، وتفرّق الكلمة وانصداع شمل الأُمّة، وهذا كلّه يعود علىٰ الجميع بالذلّ والصغار والهلاك والدمار، وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

صور من تعصّبهم البغيض

ومن مظاهر تعصّب القوم في الباطل ما جاء به المولوي حيدر علي الهندي ـ في كتابه «منتهىٰ الكلام» ـ طاعناً علىٰ الشيعة، قائلاً عنهم إنّ مقتضىٰ مذهبهم حسب ما صرّح به فقهاؤهم في كتبهم، فساد نكاح الناصبي بالمؤمنة، وأسماء بنت عميس الخثعميّة عند الشيعة مؤمنة ومحبّة لعليّ وفاطمة ـ عليهما السّلام ـ، وعليه فلا طيب لولادة محمّد بن أبي بكر، ومعتقد الشيعة هو كفر ولد الزنا، وإنّه شرّ الثلاثة[1]. انتهىٰ.

أقول: إنّ مذهب الشيعة وإن كان علىٰ بطلان النكاح بين الناصبي والمؤمنة، ولكن نكاح أبي بكر من أسماء بنت عميس كان في حياة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بعد مقتل جعفر الطيّار ـ عليه السّلام ـ بمؤتة، ولم يكن أبو بكر حينئذ ناصباً، ولم تكن بينه وبين علي ـ عليه السّلام ـ معاداة، وإنّما بدأت بعد وفاة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ واستيلاء أبي بكر علىٰ حقّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ومنعه حقّ الزهراء ـ عليها السّلام ـ ومحمّد بن أبي بكر كان حينذاك موجوداً.

مضافاً إلىٰ أن الناصبي عندنا ـ أي: الّذي يبطل تزويجه من المؤمنة ـ هو من أظهر العداوة وكان معتقَده البراءة من أمير المؤمنين وسائر أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، ولم يظهر ذلك من أبي بكر ولا عمر، ولذلك زوّج أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ابنته أُم كلثوم من عمر بن الخطّاب[2]، حيث كان يظهر له الموالاة، وبالجملة فانّ الظلم والبغي

---

١ . لم أجد تعريب المصدر.

٢ . تزويج الامام علي ابنته أُم كلثوم من عمر بن الحطّاب محل نقاش وخلاف، وعلىٰ تقدير وقوع ذلك،

شيء، واعتقاد البراءة شيء آخر، والنصب المبطل للنكاح هو الثاني دون الأوّل.

ومن مظاهر تعصّبهم ما قاله ابن تيمية ـ في منهاجه ـ: إن ثبت أنّ عثمان أمر بقتل محمّد بن أبي بكر حين ولاّه مصر، فلم يُطعن علىٰ عثمان، بل عثمان أولىٰ بالطاعة ممّن طلب قتل مروان، لأنّ عثمان إمام هدىً، يجب عليه سياسة [رعيّته، و][1] قتل من لا يُدفع شرّه إلّا بالقتل، والّذين طلبوا قتل مروان قوم خوارج ليس لهم قتل [أحد][2] ولا [إقامة][3] حدّ، وليس مروان أولىٰ بالفتنة من محمّد بن أبي بكر، ولا هو أشهر بالعلم والدِّين منه، بل أخرج أهل الصحاح عدّة أحاديث عن مروان، وله قول مع أهل الفتيا، ومحمّد بن أبي بكر ليس بهذه المنزلة، ولم يدرك من حياة النبيّ ـ ص ـ إلّا شهراً، ومروان أدرك حياة النبيّ ـ ص ـ[4]. انتهىٰ.

قلت: أمّا قوله في عثمان أنّه إمام هدىً، فحسبك الطعن فيه كلام أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في خطبته الشقشقيّة: «... إلىٰ أن قام ثالث القوم ـ أي عثمان ـ نافِجاً[5]

فدليله هو الخبر المروي ـ بسند معتبر ـ عن الإمام الصادق (عليه السّلام) إنّه قال: «... فلقي [عمر بن الخطاب] العبّاس فقال له: خطبتُ إلى ابن أخيك فردّني، والله... لأُقيمنّ عليه شاهدين بأنّه سرَق، ولأُقطّعنّ يمينه...» ـ الكافي ٥ / ٣٤٦. لهذا السبب وافق الإمام علىٰ تزويج ابنته لعمر.

فأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ أُكره علىٰ ذلك، فوافق. وفي هكذا حالات يجوز تزويج البنت لليهودي وعابد الصنم و... أيضاً. فعمر بن الخطّاب أراد قطع يد أمير المؤمنين وأخي رسول الله في سبيل إشباع شهوته الجنسيّة وإرضاء فرجه (لأنّ أمّ كلثوم كانت جميلة)، والإمام ـ ربما ـ كان يعلم إنّه فاعل ذلك، كما قَتَلَ بالامس فاطمة الزهراء وولدها المحسن (عليهما السلام) في سبيل المسك بزمام أُمور المسلمين بعد رسول الله.

فلا يصحّ الإستدلال بهذه الواقعة علىٰ أنّ عمر لم يكن ناصبيّاً.

١. الزيادة من المصدر.

٢. الزيادة من المصدر.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. منهاج السنّة النبويّة ٣ / ١٨٩.

٥. نافِجاً: رافعاً.

حِضنيه[١] بين نثيله[٢] ومُعتَلَفه[٣]، وقام معه بنو أبيه يخضمون[٤] مال الله خِضمة الابل نبتة الربيع[٥] إلىٰ أن انتكث[٦] [عليه][٧] فَتلُه[٨]، وأجهز عليه[٩] عَمَلُه، وكَبَت[١٠] به بِطنتُه[١١]...»[١٢].

ومن ذلك انكار عائشة علىٰ عثمان ـ وهي صديقة عند القوم ـ وأمرها بقتله، وقولها «اقتلوا نَعثَلاً[١٣] فقد كفر» كما في تاريخ الطبري[١٤]، وابن الأثير[١٥]، و «الإمامة والسياسة»[١٦]. وستأتيك أنباء عثمان وفضائعه ومنكراته، والمناقشة في كونه «إمام

---

١ . حضنيه : ما بين إبطيه وخاصرتيه .

٢ . نَثيله : روثه .

٣ . مُعتَلَفه : مكان أكل العلف .

وقد يكون ذلك كناية عن أنّه كما أنّ البهيمة الّتي يمتلأ بطنها طعاماً فتقوم بين روثها وموضع اعتلافها، وليس لها هاجس إلّا الأكل والروث، كذلك كان عثمان، لا يبالي بأمور المسلمين ومصالحهم، بل كان همّه إشباع بطنه وفرجه وأخذ أموال المسلمين وإعطائها لأقاربه و...

٤ . يخضمون: يأكلون بجميع أو بملأ الفم .

٥ . والمعنىٰ : إنّه كما أنّ الأبل تأكل نبات الربيع بشوق كثير ـ نظراً لما تحمّلته من جوع في الشتاء ولا يهمّها سوىٰ الأكل في نهم وحرص، كذلك كان أقارب عثمان، إذ وصلوا إلىٰ تلك الثروة بعد الجوع الفقر والمذلّة، ولم يكن يهمّهم سوىٰ أخذ مزيد من أموال المسلمين والاستلذاذ بها .

٦ . انتكث : انتقض .

٧ . الزيادة من المصدر .

٨ . فتلُهُ : أمره .

٩ . أجهز عليه : أسرع وأتمّ قتله .

١٠ . كَبَت : أهلكت .

١١ . بطنته : امتلاؤه المفرط من الأكل .

١٢ . نهج البلاغة / الخطبة ٣.

١٣ . نعثل : الشيخ الأحمق . وقال بعض الناس في عثمان : اقتلوا النعثل . يقال شبّهه بالضبع ،كما يقال في العربيّة : يا ثور ، يا حمار . ـ العين ٢ / ٣٤١ ـ .

١٤ . تاريخ الرسل والملوك ٥ / ٤٥٩.

١٥ . الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠٦ .

١٦ . الإمامة والسياسة / ٤٧.

هدىً».

وأمّا حكمه بقتل محمّد بن أبي بكر، فلم يكن له موجب ولا مبرر حينذاك، ولكن عثمان هو وأهل مصر وبقية الصحابة اتّفقوا علىٰ أن يكون والياً من قبله علىٰ مصر، وكتب هو بذلك العهد إلىٰ محمّد بن أبي بكر، فإذا بدا بعد ذلك لعثمان فيه رأي كان اللازم عليه أن يعزله، دون أن يأمر بقتله وقتل أصحابه قبل تصدّيه لشيء، وهل هذا إلّا صورة فظيعة من الغدر والفتك بالمؤمن من غير عذر ولا سبب يليق به «امامالهدىٰ»(!).

هذا وقد كان محمّد بن أبي بكر من عباد قريش ونسّاكهم، وقد أثنىٰ عليه أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، في «الإصابة» ـ لابن حجر العسقلاني ـ (في الترجمة): قال ابن عبد البرّ: كان علي ـ رض ـ يثني عليه ويفضّله، وكانت له عبادة واجتهاد، ولمّا بلغ عائشة قتله، حزنت عليه. انتهىٰ[1].

وذكر سبط ابن الجوزي ـ في «تذكرة خواصّ الأُمّة»: إنّه لمّا بلغ أُم حبيبة ـ أُخت معاوية بن أبي سفيان ـ قتل محمّد وحرقه، شوت كبداً وبعثت به إلىٰ عائشة تشفّياً بقتل محمّد بطلب دم عثمان، فقالت عائشة: «قاتل الله ابنة العاهرة، والله لا أكلت شواءً أبداً». وبلغ علياً قتل محمّد، فبكىٰ بكاءً شديداً، وتأسّف عليه، ولعن قاتله[2].

وأمّا مروان وأبو الحكم ـ فمضافاً إلىٰ أنّهما من الشجرة الملعونة في القرآن والسنّة، كما في مستدرك الحاكم[3]، وتاريخ الخطيب البغدادي[4]، و «الدرّ المنثور»

---

١ . أسند المؤلّف هذا الكلام إلىٰ «الإصابة» ـ كما في المتن ـ، لكنّه منقول عن «الاستيعاب» لا «الإصابة»، ففي «الإصابة»، لا توجد ترجمة لمحمّد بن أبي بكر، والعبارة المذكورة هي عين ما جاء في «الاستيعاب»، ونفس المؤلّف قال في المتن «قال ابن عبد البر: كان علي...». ولعلّ السبب في الاشتباه انّ نسخة «الاستيعاب» الّتي كانت عند المؤلّف مطبوعة بهامش «الإصابة». ولم أجد في المصدر ـ في ترجمة محمّد ـ ما يفيد حزن عائشة عليه.

٢ . تذكرة خواص الأُمّة / ١٠٧.

٣ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ / ٤٨٠.

٤ . تاريخ بغداد ٨ / ٢٨٠.

للسيوطي[١]، وتفسير الفخر الرازي[٢]، ونحوه في تفسير الخازن[٣]، وفي تاريخ أبي الفداء: انّه أجمع المفسّرون انّه أريد بها بنو أُميّة[٤]، فمضافاً إلىٰ ذلك كلّه ـ ورد لعنه ولعن أبيه خاصّة علىٰ لسان النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كما في حديث «المستدرك»[٥]، و «مسند أحمد بن حنبل»[٦] و «منتخب كنز العمّال»[٧].

قال المقريزي ـ في «النزاع والتخاصم» ـ: كان مروان أوّل من شقّ عصىٰ الاسلام بغير تأويل[٨]. انتهىٰ. وقال السيوطي ـ في «تاريخ الخلفاء» ـ: انّه قال الذهبي انّ مروان باغ خارج علىٰ ابن الزبير[٩]. انتهىٰ. وقال الذهبي ـ في الميزان في الترجمة ـ: مروان بن الحكم أبو عبد الملك، قال البخاري لم يرو[١٠] عن النبيّ ـ ص ـ، وله أعمال موبقة، ورمىٰ طلحة بسهم، وفعل ما فعل[١١]. انتهىٰ. وقال السيّد نعمان افندي الآلوسي ـ في آخر الفصل الثاني والعشرين من كتابه «صادق الفجرين» ـ: ومروان هو الّذي زوّر الكتاب عن لسان عثمان، وختمه بختمه، وأرسل إلىٰ عامل مصر ليقتل المصريين[١٢]. انتهىٰ.

وقال القرطبي ـ في كتابه «الاستيعاب» في ترجمة مروان ـ كان يقال له «خيط

---

١ . الدرّ المنثور ٤ / ١٩١.

٢ . التفسير الكبير ٢٠ / ٢٣٦.

٣ . لم أجده في المصدر، والذّي فيه في ٣ / ١٦٩ انّ «الرؤيا» الّتي رآها النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هي انّ ولد الحكم بن أُميّة يتداولون منبره.

٤ . لم أجده في المصدر. ويوجد قريب منه في ١ / ١٦٨. منه.

٥ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ / ٣٨٠.

٦ . مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٣٨٥.

٧ . منتخب كنز العمال ٥ / ٤٥٣، ٤٠١.

٨ . النزاع والتخاصم / ٢٦.

٩ . تاريخ الخلفاء / ٨٢.

١٠ . في المصدر «لم يَرَ».

١١ . ميزان الاعتدال ٣ / ٨٩.

١٢ . المصدر مخطوط.

باطل»[١]، وضرب [به][٢] يوم الدار علىٰ قفاه، فخرَّ لفيه[٣]...[٤].

ومن جميع ذلك ظهر فساد دعاوي ابن تيمية في تمجيد مروان علىٰ خلاف ما عن الله وعن رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

عليّ سيف الله أم خالد؟

إنّك ترىٰ القوم قد نحلوا خالداً لقب «سيف الله»، مع سوابقه في الشرك والاسلام الّتي سنوقفك عليها، ولم يُسمّوا بذلك أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ الّذي لم يقم أساس الاسلام إلا بسيفه ومواقفه الحاسمة الجريئة في نصرة الدِّين يوم كان خالد وأضرابه في صفوف المشركين يحاربون الاسلام، ولقد شهد عمر بمحضر أبي بكر قائلاً «إنّ في سيف خالد رَهَقاً[٥]، فاقتصّ منه»[٦].

وعلي ـ عليه السّلام ـ هو الّذي نوّه الملك باسمه في السماء يوم بدر «لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا علي». أخرج الحديث المحبّ الطبري في «ذخائر العقبىٰ»[٧]، و«الرياض النضرة»[٨]، وأخرجه السمعاني في «فضائل الصحابة»[٩]، وابن المغازلي في المناقب[١٠]، وابن

---

١ . خيط باطل: شيء كنسج العنكبوت يُرىٰ وقت الظهيرة وينحدر عن السماء. «كان مروان بن الحكم يُلقّب بذلك، لأنّه كان طويلاً مضطرباً. وقال أحمد بن يحيىٰ: خيط باطل: الهباء المنثور الّذي يدخل من الكوة عند حمى الشمس، يُضرب مثلاً لمن يهون أمره». لسان العرب ٧ / ٢٩٩.

٢ . الزيادة من المصدر.

٣ . في المصدر «فجرىٰ لقبه».

٤ . الاستيعاب ٣ / ١٣٨٨.

٥ . رَهَقاً: ظلماً وفعلاً للقبائح.

٦ . البداية والنهاية ٦ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

٧ . ذخائر العقبىٰ / ٧٤.

٨ . الرياض النضرة ٢ / ١٩٠.

٩ . المصدر مخطوط.

١٠ . مناقب علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ / ١٩٩.

أبي الحديد في الشرح، قال: والحديث: انّه سمع يوم أُحد صوت من الهواء من جهة السماء يقول «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا علي»[١].، ومن حديث المولوي الشاه ولي الله الدهلوي ـ في كتابه «إزالة الخفاء»، في فضائل أمير المؤمنين ـعليه السّلام ـ قال ـ: قال ابن هشام: حدّثني أهل العلم انّ ابن نجيح قال: نادىٰ مناد يوم أُحد «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ»[٢]. انتهىٰ.

وأخرج الحديث السيوطي ـ في «اللآلىء» ـ عن ابن عدي بالاسناد إلىٰ أبي رافع [عن أبيه عن جدّه][٣] قال: كانت راية رسول الله ـص ـ يوم أُحد مع علي ـعليه السّلام ـ، وراية المشركين مع طلحة بن أبي طلحة، ومن بعده إلىٰ سبعة نفر قتلهم علي ـعليه السّلام ـ، فقال جبرئيل: «يا محمّد! ما هذه المواساة»! فقال النبيّ ـص ـ: «أنا منه وهو منّي»، ثمّ سمعنا صائحاً في السماء يقول «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا علي». قال: وروىٰ يحيىٰ بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: صاح صائح يوم أحد «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا علي». قال: وروىٰ عماد بن طريف الحنظلي عن أبي جعفر محمّد بن علي قال: نادىٰ مناد من السماء يوم بدر ـ يقال له رضوان ـ: «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا علي». قال السيوطي ـ في تأييد هذا الحديث وتقويته ـ: وعماد هذا ثقةٌ، ثَبتٌ، حجّةٌ، من رجال مسلم، وأحد الابدال[٤]. انتهىٰ.

قلت: إنّ تكرّر الحديث في يومين يكشف عن وقوع النداء مرّتين: يوم بدر ويوم أُحد.

وروىٰ المحبّ الطبري ـ في «الرياض النضرة» ـ عن سمرة بن جندب: انّ الناس لما خرجوا إلىٰ واقعة خيبر، فما سُلَّ فيها سيف إلّا سيف علي، ونزل فيه: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة

---

١. شرح نهج البلاغة ٧ / ٢١٩.

٢. لم أعثر علىٰ تعريب الكتاب.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. اللآليء المصنوعة ١ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

الله»[١] [٢]. انتهىٰ.

فحسبك ممّا ذكرناه دليلاً قاطعاً علىٰ أنّ عليّاً ـعليه السّلام ـ هو سيف الله، وإنّه المخصوص بهذا الاسم دون غيره، ويؤيّد ذلك قول رسول الله ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يوم خيبر «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسوله، كرّار غير فرّار، يفتح علىٰ يديه»، فأعطاها عليّاً ـعليه السّلام ـ[٣].

وخالد بن الوليد هو الّذي حمل راية يوم مؤتة بعد مقتل عبد الله بن رواحة، غير أنّه بحملها تحمَّل العار، حيث قدّم الفرار علىٰ القرار، والهزيمة علىٰ ثبات العزيمة، كما صرح بذلك المقريزي في «امتاع الاسماع»[٤]، ويكفيه هذا قدحاً فيه وفي سيفه.

ونحوه في القدح قتله لبني جذيمة غدراً واغتيالاً خلافاً علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فلمّا بلغ النبيّ الخبر، رفع يديه إلى السماء وقال ثلاثاً: «اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من صنع خالد»[٥]، ثمّ بعث رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عليّاً (عليه السّلام) إلىٰ أولياء المقتولين للفداء والاسترضاء[٦].

هذا حال خالد وسيفه في حياة النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ حيث أصبح مبغوضاً عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

وأمّا بعد وفاته ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فكم سفك من دماء المسلمين والمؤمنين غدراً وظلماً وعدواناً، وكم هتك من أعراضهم، فكان له سيف مسلول علىٰ بني حنيفة في أيّام أبي بكر بتهمة ارتدادهم عن الدّين، خلافاً للبيّنة الشرعيّة الّتي قامت علىٰ إثبات إيمانهم، وشهادة عمر وابنه عبد الله وأبي قتادة الأنصاري لهم بالاسلام، وهنا قال عمر: «إنّ في سيف خالد رهقاً ـ أي: ظلماً وطغياناً ـ، ولإن ولّيتُ الأمر لأُقيدنّ

---

١. سورة البقرة / ١٠٧.

٢. الرياض النضرة ٢ / ٢٢٤.

٣. صحيح البخاري ٥ / ٧٢، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

٤. امتاع الاسماع ١ / ٣٤٩.

٥. صحيح البخاري ٥ / ١٠٠، كتاب المغازي، باب بعث النبيّ ـ ص ـ خالد بن الوليد إلىٰ بني جذيمة.

٦. البداية والنهاية ٤ / ٣١٣.

خالداً به. وقال له: والله لأرجُمنّك بأحجارك، قتلت امرءاً ثمّ نزوت علىٰ امرأته[١]؟

فهل بهذين السيفين المشؤومين صار خالد سيف الله، أم بسيف آخر لم يكن لأحد مثله؟ أم بسيفه الّذي حمل به يوم أُحد علىٰ المسلمين ـ وكان هو في صفوف المشركين ـ فقتل به عدداً كبيراً من الشهداء الأبرار، وأوقع الطامة الكبرىٰ بالمسلمين وبرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ؟

وفي تاريخ الطبري عن محمّد بن إسحاق: انّ خالداً قال لمُجّاعة: زوّجني إبنتك. فزوّجه، فبلغ ذلك أبا بكر، فكتب إليه كتاباً يقطر الدم: «لعمري يا بن أمّ خالد! إنّك لفارغ تنكح النساء، وبفناء بيتك دم ألف ومأتي رجل من المسلمين لم يجف بعد»، فلمّا نظر خالد في الكتاب، جعل يقول: هذا الكتاب ليس من عمل أبي بكر، هذا عمل الاعيَسْر ـ يعني عمر بن الخطّاب ـ[٢]. انتهىٰ.

وأورد هذه الحكاية ـ أيضاً ـ ابن أبي الحديد في شرح النهج[٣]، وسيأتيك التفصيل فيما بعد إن شاء الله.

---

١ . البداية والنهاية ٦ / ٣٢٢ـ٣٣٣.

٢ . تاريخ الرسل والملوك ٣ / ٣٠٠.

٣ . شرح نهج البلاغة ١ / ١٧٩.

مخاريق[1] ابن تيمية

ذكر عبد الحليم ابن تيمية ـ في «منهاج السنة» ـ أموراً فظيعة نسبها إلى الشيعة افتراءً عليهم، قاصداً بذلك إثارة الفتنة والشحناء، والتمويه على الجهال، وشقّ عصى الأمّة، والإفساد بين المسلمين، فمنها:

١ ـ نسبة الغلو إلى الشيعة[2].

فهل يكون القول بامامة أمير المؤمنين ـعليه السّلام ـ بلا فصل، أخذاً بالنصوص الصحيحة الصريحة المعتبرة لدى الفريقين، غلوّاً في الاعتقاد؟ أفلم يدر ابن تيمية انّ الفرقة الغالية من المسليمن ارتدوا علي الدِّين في عهده ـعليه السّلام ـ،نظير الخوارج والنواصب المروانيّين الّذين اعتقدوا بغض علي ـعليه السّلام ـ وسائر أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، واستحلّوا دماءهم؟ فأين الفرقة الأولىٰ من الشيعة؟ وأين الثانية من أهل السنّة المعتقدين بالعمل بالكتاب والسنّة؟. بل وأين الكامليّة من الغالية ـ أصحاب أبي كامل ـ من فرق الشيعة؟. وهم الّذين حكموا بكفر الصحابة بتركهم بيعة أمير المؤمنين، وطعنهم فيه ـعليه السّلام ـ أيضاً لتركه حقّه الّذي جعله الله له وجوباً، فلا يكون عندهم معذوراً في القعود عنه، بل كان عليه أن يخرج ويظهر الحقّ. قاله عنهم الشهرستاني في «الملل والنحل»[3]، فراجع.

---

١ . مخاريق: أكاذيب.

٢ . منهاج السنّة النبويّة ١ / ٧.

٣ . الملل والنحل ١ / ٢٩١.

أمّا نسبة ابن تيمية ـ في منهاجه ـ أنّ ابن سبأ من الشيعة[١]، فهي باطلة، بعد أن اعترف بانّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ احرقه وأصحابه بالنار، إذ قالوا له: أنت ربّنا. قال: وقال علي ـ رضي الله عنه ـ:

لما رأيتُ الأمر أمراً منكر أججتُ ناري ودعوت قنبرا

فعلىٰ ذلك إنّ ابن سبأ ملعون عند الشيعة، وهم ينكرونه، ويظهر حاله لمن راجع رجال الشيعة وكتبهم في التراجم، فهل يصحّ أن يزعم أحد من غير حجّة أنّ الشيعة اليوم علىٰ مذهب عبد الله بن سبأ؟ إن هذا إلّا بهتان عظيم.

وهل أحرق أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ غير هؤلاء أحداً من شيعته ومواليه الّذين بايعوه علىٰ أنّه ـ دون غيره ـ هو الحقّ المبين، وإنّه وصيّ رسول ربّ العالمين في المبدأ والمنتهىٰ؟ ونحوهم الشيعة الاماميّة اليوم وفي جميع الأعصار والأمصار، متمسّكون بالعترة الطاهرة النبويّة، مثل تمسّكهم بالكتاب والسنّة المقدّسة، عملاً بسنّة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وحديثه المتواتر عنه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً»[٢]، فالشيعة خلفاً عن سلف جميعاً علىٰ مذهب واحد في أصول العقائد وفروعها.

ثمّ إنّه كما لا يشكّ أحد في كفر الخوارج ا لمارقين عن الدِّين، فكذلك لا شكّ في كفر الفرقة الغالية القائلين بأُلوهيّة علي أو نبوّته، من غير ارتباط بالشيعة ولا بأهل السنّة.

وخلاصة القول إنّ عبد الله بن سبأ وأتباعه طائفة من الغلاة الخارجين عن الدِّين، والشيعة بريؤن منهم أشدّ البراءة، كما يبرؤن من الخوارج المارقين عن الدِّين، وقد أحرق أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ابن سبأ وأصحابه فقتلهم بالنار جميعاً، كما حارب الخوارج، فقتلهم بالسيف أيضاً: فالطائفتان كلتاهما ليسوا من الإسلام في شيء. فهل قالت الشيعة إنّ أهل السنّة من الخوارج وإنّهم علىٰ مذهبهم؟ كلاّ، لا يقولون ذلك. فكما يبرأ أهل السنّة

---

١. منهاج السنّة النبويّة ١ / ٧.

٢. صحيح الترمذي ٥ / ٣٢٩.

من الخوارج، فكذلك يبرأ الشيعة من عبد الله بن سبأ وأتباعه وغيرهم من فرق الغلاة والخوارج.

٢ ـ ومن فضائع ابن تيمية ما قاله (في منهاجه، عند بيانه وجوه مشابهات الشيعة لليهود ـ بنظره ـ غشّاً للجهلة، وتشويهاً للحقائق، وحنَقاً علىٰ أئمّة العترة النبويّة ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ واتباعهم، فذكر) انّ اليهود قالوا: لا يصلح الملك إلّا في آل داود، وقالت الرفضة: لا تصلح الامامة إلّا في ولد علي[1]. انتهىٰ.

أقول:

أولاً: إنّنا ننكر علىٰ ابن تيمية صحّة ما نقله عن اليهود وانّهم لو قالوا ذلكلم يكن عن اعتقاد منهم.

وثانياً: إنّ الشيعة لا تضرّهم هذه المقالة في دينهم بعد أن قامت الحجّة الإلهيّة، والادلّة القاطعة علىٰ أنّ الامامة محصورة في بني هاشم وفي ولد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من أمير المؤمنين (عليه السّلام)، كحصرها في اثني عشر إماماً، عدد نقباء بني إسرائيل، حسب ما تظافرت نصوص الطرفين علىٰ الحصر في العدد[2]. وستقف علىٰ دلالة الكتاب والسنّة بأنّ خلفاء الله في أرضه من بعد النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هم: علي ـ عليه السّلام ـ وأحد عشر إماماً من ولده من نسل فاطمة ـ عليه السّلام ـ، ولا يقدح ذلك بمعتقدهم.

نعم يقدح ذلك بمعتقد الجماعة ذهابهم إلىٰ خلافة بني أُميّة ـ الشجرة الملعونة في القرآن ـ، وإخوان القردة الملعونين علىٰ لسان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، سيّ مثل يزيد بن معاوية السكّير الخمّير، هادم الكعبة، ومبيح المدينة، وقاتل أبناء الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وأضرابه من عبد الملك المرواني، وولده قاتل ذرّيّة العترة الطاهرة، فهم أشبه باليهود الّذين قتلوا النبيّين بنصّ القرآن، ولقد صحّ عن

---

١ . منهاج السنّة النبويّة ١ / ٧.

٢ . صحيح البخاري ٩ / ١٠١ كتاب الأحكام باب ٥١، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ٦١٧ ـ ٦١٨، مسند أحمد بن حنبل ١ / ٣٩٨ و ٥ / ٨٦ ـ ٩٠، حلية الأولياء / ٣٣٣، دلائل النبوّة ٦ / ٥١٩ ـ ٥٢٣.

النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ (فـ رواه ابن حجر في صواعقه) إذ قال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أُمّتي قتلاً وتشريداً و[انّ][١] أشدّ قوم لنا بغضاً بنو أُميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم». قال: صحّحه الحاكم[٢]. انتهىٰ.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» والذهبي في «تلخيص المستدرك» حيث أبي ذر الغفاري قال: سمعتُ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: إذا بلغت بنو أُميّة أربعين، اتّخذوا عباد الله خَوَلاً[٣]، ومال الله نَحَلاً[٤]، وكتاب الله دَغَلاً[٥]. وحديثه الآخر قال: سمعت النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً، اتّخذوا مال الله دَولاً[٦]، وعباد الله خَولاً، ودين الله دغلاً[٧].

٣ ـ ومن اشنع ما تعصب به ابن تيمية قوله ـ في منهاجه ـ: إنّ الرافضة تعجز عن إثبات ايمان علي وعدالته، فإن احتجّوا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده، فقد تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أُميّة وبني العبّاس، وصلاتهم وصيامهم وجهادهم للكفّار[٨]. انتهىٰ ملخّصاً.

قلت: إن التصدّي لاثبات إيمان علي ـ عليه السّلام ـ لمثل هؤلاء النواصب والمعادين كالتصدّي لاثبات إيمان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ للمنافقين ومردة أهل الكتاب، فلا وجه لإتعاب النفس في ذلك، وأمّا إسلام معاوية فهو من مسلمي الفتح من الطلقاء الّذين أسلموا كرهاً. قال المقريزي ـ في «امتاع الاسماع» ـ فـ يتعلّق بغزاة حنين ـ:

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . الصواعق المحرقة / ١٨١.

٣ . خَوَلاً: عبيداً وإماءً.

٤ . نَحَلاً: عطاءً.

٥ . دَغَلاً: ادخلوا فيه ما يخالفه ويفسده.

٦ . دَولاً: تداولاً، فيكون مرّة لهذا، ومرّة لذاك.

٧ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠. تلخيص المستدرك ٤ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

٨ . منهاج السنّة النبويّة ١ / ١٦٣.

وكان قد خرج رجال من مكّة علىٰ غير دين، ينظرون علىٰ من تكون الدائرة[١]، فيصيبون من الغنائم، منهم: أبو سفيان بن حرب، ومعه ابنه معاوية بن أبي سفيان، خرج ومَن معه من الازلام، وكان يسير في أثر العسكر، كلّما مر بتُرسٍ ساقط، أو رمُح، أو متاع حمله، حتّىٰ أوقَرَ[٢] جَمَلَه....[٣].

هذا في مبدأ إسلام معاوية، وأمّا في منتهاه: فالّذي ينبؤك عن انّ إسلامه كان علىٰ نفاق، الحديث المشهور عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «إنّ منكم من يقاتل علىٰ تأويل القرآن، كما كنتُ أقاتل المشركين علىٰ تنزيله، وإنّه خاصف النعل»، وكان علي ـ عليه السّلام ـ يخصف نعل[٤] رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ. أخرجه أحمد بن حنبل فى المسند ـ[٥]، والحاكم في «مستدرك الصحيحين»[٦]، الذهبي في «التلخيص»[٧]، والملا علي المتقي الحنفي في «كنز العمّال»[٨]، وابن كثير الشامي في «البداية وا لنهاية»[٩].

وأحاديث: «حرب علي حربي، وسلمه سلمي، وطاعته طاعتي، ومن فارقه فارقني». أخرجها أحمد في المسند[١٠]، والحاكم في «المستدرك»[١١]، وابن حجر المكي في «الصواعق»[١٢]. وأخرج أيضاً ـ في صواعقه ـ: عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ:

---

١ . علىٰ من تكون الدائرة: علىٰ من تنزل البلايا والنوائب.

٢ . أوقَرَ: أثقل.

٣ . إمتاع الاسماع ١ / ٤٠٥.

٤ . يخصف نعل: يضع إحدىٰ نعليه علىٰ الأُخرىٰ ويثقبها بالمثقب.

٥ . مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٣٣، ٨٢.

٦ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٢٢.

٧ . تلخيص المستدرك ٣ / ١٢٢.

٨ . كنز العمّال ١٣ / ١٠٧.

٩ . البداية والنهاية ٧ / ٣٦٠.

١٠ . مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٤٤٢.

١١ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٢١، ١٢٤.

١٢ . الصواعق المحرقة / ١٧٣.

«من آذىٰ عليّاً فقد آذاني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله»[١]. انتهىٰ.

وحديث ولاية علي هو الايمان وبغضه النفاق. أخرجه مسلم في صحيحه[٢]، وأحمد في مسنده[٣]، والترمذي في صحيحه[٤]، والنسائي في خصائص علي ـ عليه السّلام ـ[٥]، وابن حجر في «الصواعق»[٦]، وأبو نعيم الحافظ في الحلية[٧]، وابن عبد البرّ القرطبي في «الاستيعاب»[٨].

وحديث «عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب». أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»[٩]، والخطيب في «تاريخ بغداد»[١٠]، وابن عساكر في تاريخه[١١]، وابن حجر في «الصواعق»[١٢].

وحديث «علي باب حطّة من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج عنه كان كافراً». رواه السيوطي في «الجامع الصغير» عن الدارقطني ـ في الأفراد ـ عن ابن عباس[١٣]، وابن

---

١ . الصواعق المحرقة / ١٧٢ ـ ١٧٣. في المصدر تقديم الجملة الثانية علىٰ الأولىٰ.

٢ . صحيح مسلم ١ / ٨٦، كتاب الايمان، باب الدليل علىٰ أنّ حبّ الانصار وعلي ـ رضي الله عنه ـ من الايمان و...

٣ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ٨٤، ٩٥.

٤ . الجامع الصحيح ٥ / ٢٩٩.

٥ . خصائص أمير المؤمنين / ١٠٥.

٦ . الصواعق المحرقة / ١٢٢.

٧ . حلية الأولياء ٤ / ١٨٥.

٨ . الاستيعاب ٣ / ١١٠.

٩ . حلية الأولياء ٨ / ١٨٥.

١٠ . تاريخ بغداد ٤ / ٤١٠.

١١ . تهذيب التاريخ الكبير ١ / ٤٥٤.

١٢ . الصواعق المحرقة / ١٢٥.

١٣ . الجامع الصغير ٢ / ٦٦.

حجر في صواعقه[١].

وحسبك هذا المقدار ممّا يدلّ علىٰ نفاق معاوية، وسأتيك التفصيل. وأمّا ابنه يزيد فقد اسمعناك وستسمع فيـ يتعلّق بأحواله ما هو صريح في نفاقه.

٤ ـ ومن موبقات ابن تيمية ما قاله ـ في منهاجه ـ: إنّ الرفضة اشبهت النصارىٰ في الغلو بأئمّتهم وجعلهم أرباباً من دون الله، فخرجوا عن التوحيد، وصاروا يعطّلون المساجد الّتي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ويعظّمون المشاهد المبنيّة علىٰ القبور، ويعكفون عليها، ويحجّون إليها فبدّلوا دين الله، وعمّروا المشاهد، وعطّلوا المساجد، والنبيّ ـص ـ شرع تعمير المساجد بالصلاة فيها، ولم يشرع تعمير مشهد علىٰ قبر...[٢].

قلت: لا نعلم وجهاً فيـ نسبه هذا الظالم إلى الشيعة غير النصب والبغضاء، والضغينة والشحناء، وإلاّ فلا وجه لنسبة الغلو إلى الشيعة الإماميّة، فإنّهم بريؤن عن التألّه في أمير المؤمنين عليه السّلام ـ، فضلاً عن سائر الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ فهذه كتبهم في العقائد مطبوعة منتشرة في انحاء العالم ـ بحمد الله ـ مشتملة علىٰ عقائدهم وفتاواهم في الفروع والأصول، ولا ندري انّ الظالم اعتمد علىٰ أيّ واحد منها في توجيه فريته هذه.

نعم هناك فِرَق غالية معروفة الآن، ولا يعلم لها وجود، وهم بمجنب من ظواهر الشريعة من الصلاة والصوم والحجّ، وهؤلاء غير مرتبطين بالشيعة، ونحن بريئون منهم كبراءتنا من ابن سبأ وأتباعه، وكبراءة أهل السنّة من الخوارج المارقين عن الدِّين.

وأمّا ما افتراه علىٰ الشيعة من عكوفهم علىٰ المشاهد المبنيّة علىٰ قبور الاولياء، فليس ذلك ممّا اختصّت به الشيعة، بل سبقهم أهل السنّة إلىٰ ذلك أيضاً، فقد بنوا المشاهد والمزارات والتكايا علىٰ قبور أوليائهم وأقطابهم وأئمّتهم في مراكزهم وبلادهم، وهم عاكفون عليها وعلىٰ أماكن ذكرهم وأورادهم، وهي عندهم أيضاً من البيوت الّتي أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه، وإنّ القرآن الكريم لم يخصص التمجيد ببيوت معيّنة، بل البيوت

---

١. الصواعق المحرقة / ١٢٥.

٢. منهاج السنّة النبويّة ١ / ١٣٠.

أعمّ من المساجد والمشاهد وكلّ بيت يذكر فيه اسم الله تعالىٰ، فأهل السنّة كذلك يعظّمون المشاهد والمساجد وبيوتات أورادهم، فيعكفون عليها ليلاً ونهاراً، ويجعلون لها صدقات جارية، وموقوفات وتبرّعات، كما هو معلوم لدىٰ الجميع، وقد بنوا مقامات لرأس سيّدنا الحسين بن بنت رسول الله في دمشق الشام، وفي القاهرة بمصر، وفي عسقلان، وكذلك بنوا منذ القرون الأولىٰ القبور والمشاهد للعترة الطاهرة وأبرزوا لها علائم يقصدها من يزورهم، ففي بغداد، والشام، والمدينة المنوّرة ـ حيث مرقد الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وأبي بكر وعمر ـ، والديار المصريّة، والبلاد الأفغانيّة، وغيرها من مراكز أهل السنّة، توجد كثير من المشاهد والمقامات للاولياء، وفي إيران ـ حينما كانوا علىٰ مذهب الشافعي وأبي حنيفة ـ كانت ولا تزال مقابر كثيرة معمورة حول أجساد آل الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وغيرهم، مأمونة عن الإندراس.

ومع هذا لم يحكم أحد من علمائهم ـ علىٰ اختلاف مذاهبهم ـ بأنّ ذلك بدعة أو شرك، بل لم ينكر أحد منهم علىٰ زيارة قبر عبد القادر الكيلاني وأبي حنيفة والشافعي، بل وعلىٰ زيارة مراقد أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، أو الخلفاء، أو شهداء أُحد، أو غيرهم من الأولياء منذ زمن وفاتهم في خير قرن وفي خير بلدة.

إلىٰ أن ظهرت طريقة الوهابيّة، فعمدت إلىٰ مخالفة الشرع في هدم مراقد الأئمّة الطاهرين ـ عليهم السّلام ـ الّذين هم خلفاء الله في أرضه، وأعدال القرآن، وسفن النجاة، وقد قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً.... وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمّتي. أخرجه ابن حجر في «الصواعق»[1]. وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، ومن ركبها نجىٰ، ومن تخلّف عنها غرق»[2]، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالىٰ في

---

١ . الصواعق المحرقة / ١٤٩ . والمنقول بالمضمون.

٢ . ذخائر العقبىٰ / ٢٠.

أبواب إمامة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ.

ولقد تصدّينا لدفع شبهة ابن تيمية وسائر شبهات الوهابيّة في باب الزيارة وتعمير قبور الأئمّة في كتابنا «البراهين الجليّة في دفع تشكيكات الوهابيّة» وكتابنا المسمّىٰ بـ «تحفة الإماميّة في دحض حُجج الوهابيّة».

وأمّا نسبة ابن تيمية الىٰ الشيعة تعطيل المساجد فما أعظمها من فرية، وما أقبحها من كذبة، أفلم يشاهد بعينيه أو لم تبلغه كثيرة ما انتشر من المساجد في بلاد الشيعة ومدنهم الصغيرة والكبيرة؟ بل وفي قراهم مساجد عديدة يقصدها الناس آناء الليل وأطراف النهار لإقامة فروض الصلاة ونفلها وإحياء الشعائر الإسلاميّة واستماع المواعظ والنصائح، ونشر الأحكام والفرائض الدينيّة الّتي يعتقدون بها، ومنها حفظ المساجد عن دخول الجنب والحائض والنفساء، ودخول اليهود والمجوس والنصارىٰ فيها.

وللمساجد عند الشيعة منازل رفيعة، ومراتب عالية، مذكورة في كتبهم الفقهيّة، ومن الأجر والمثوبة لمن يصلّي فيها ما يختلف باختلاف درجات المساجد، وشرفها، واختلاف عدد من يصلّي فيها من حيث القلّة أو الكثرة، جماعة أو فرادىٰ.

فأعظمها: المساجد الأربعة، وهي: المسجد الحرام، ومسجد النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، والمسجد الأقصىٰ، والمسجد الأعظم بالكوفة، مرتبّة بينها في الفضل والمنزلة، ودونها أيضاً مساجد الخيف بمنىٰ، ومسجد البصرة، ومسجد بُراثا في ناحية بغداد، ومسجد السهلة، ومسجد زيد، ومسجد صعصعة في ناحية الكوفة، فإنّها جميعاً من أماكن عبادة الشيعة، يذكرون اسم الله تعالىٰ فيها ليلاً ونهاراً، ويعبدونه سرّاً وجهاراً، قد عمّروها بالاعتكاف، والصلاة، والدعاء، والابتهال إليه تعالىٰ، وطلب الحوائج منه عزّ وجلّ، ولها أعمال خاصّة بنصوص من أئمّة العترة الطاهرة ـ عليهم السّلام ـ، تقيمها الشيعة، ويتقرّبون إلىٰ الله في المواظبة عليها.

وهذا كلّه يكشف عن فساد ما زعمه ابن تيمية، وتخرّص به افتراءً علىٰ الشيعة، وسبب ذلك انقطاعه عن مراكزهم وانحرافه بجسمه وقلبه عنهم وعن أئمّتهم ـ عليهم السّلام ـ.

نعم، الشيعة ـ كسائر المسلمين في أقطار العالم ـ يعظّمون مشاهد أئمّتهم (عليهم السّلام) ويزورونها، ويتبرّكون بها، ولا يضرّهم ذلك إذا وافقتهم النصوص الصحيحة، ولذلك بحث آخر، قد تعرّضنا له بالتفصيل عند نقضنا شبهات الوهابيّين، من مشروعيّة زيارات المراقد المقدّسة، وطلب الحاجة عندهم من الله تعالىٰ، والاستشفاع بهم إليه عزّ وجلّ.

٥ ـ ومن مخاريق ابن تيمية وشنائعه تفضيله اليهود والنصارىٰ علىٰ الشيعة، قال ـ في المنهاج ـ: وفُضّلت اليهود والنصارىٰ علىٰ الرافضة بخصلتين، سألتُ اليهود: مَن خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسىٰ. وسألتُ النصارىٰ: مَن خير ملّتكم؟ قالوا: حواري عيسىٰ. وسألت الرافضة: من شرّ أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب محمّد ـ ص ـ أُمروا بالاستغفار لهم، فسبّوهم[1]. انتهىٰ.

قلت: إنّ في كلامه مواقع يلزمنا البحث عنها ومناقشتها، والكلام عليها، دحضاً لمزاعمه الزائفة، وكشفاً عن مخازيه الّتي تضمّنتها فريته الأثيمة:

الموقع الأوّل: قوله «سألتُ اليهود: مَن خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسىٰ»، ومن المعلوم أنّ هذه المحاورة لا تبتني علىٰ أصل صحيح وإلاّ فلو سألت الزنادقة والملاحدة: من خير الناس؟ قالوا: أهل نحلتنا. ونحو هذا لو سألت المعتزلة، أو الأشاعرة أو القائلين بالتشبيه والتجسيم والحلول والرؤية لله تعالىٰ، والقدريّة، لما يعدّوا عن الملتزمين بطريقتهم. ومثل هذا السؤال والجواب لا تترتّب عليه فائدة علميّة، ولا يصحّ أن يدوّن في كتب العلم في مقام الاحتجاج علىٰ الخصم.

ثمّ إنّ ما أجاب به اليهود من تفضيلهم أصحاب موسىٰ ـ عليه السّلام ـ (إن صحتّ مزعمة ابن تيمية) كذبٌ ومخالف لكتبهم، وكتابنا غير مبني علىٰ أصلهم الصحيح عندهم، بعد علمهم من توارتهم أن أصحاب موسىٰ ـ عليه السّلام ـ عبدوا العجل، وعكفوا علىٰ عبادته إلىٰ ان رجع إليهم موسىٰ بالألواح ـ كما في الاصحاح ٣٢ من سفر الخروج ـ وفيه: «فقال الربّ لموسىٰ: اذهب انزل، لانّه قد فسد شيعتك»، وكذلك في الاصحاح ٩ من سفر

---

١ . منهاج السنّة النبويّة ١ / ٦.

التثنية، وفيه من كلام موسىٰ لقوله «قد كنتم تعصون الربّ منذ عرفتكم». انتهىٰ. وكذلك تخلّفهم عن موسىٰ ـ عليه السّلام ـ ومعصيتهم لله تعالىٰ، ولنبيّهم في ـ فتح أرض فلسطين، حتّىٰ عذّبهم الله في التيه. راجع في ذلك الاصحاح الأوّل من سفر التثنية.

وبما انّ الخصم هو من المسلمين، فلا محالة نحتجّ عليه في إثبات كذب اليهود بالقرآن الكريم الّذي يعترف الخصم بصدقه، إذ يقول الله بشأن نفاق أصحاب موسىٰ ـ عليه السّلام ـ: «وجاوزنا ببني إسرائيل البحر، فأتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم، قالوا: يا موسىٰ! اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال إنّكم قوم تجهلون»[1]. وهذا يدلّ علىٰ أنّ إيمانهم لم يكن عن حقيقة، لأنّ جميع الأنبياء بعثوا علىٰ التوحيد ونفي الشرك والنهي عن عبادة الأوثان، فلولا انطواء ضمائرهم علىٰ الشرك لما اظهروه بعد خلاصهم من كيد فرعون، فإيمانهم بموسىٰ ـ عليه السّلام ـ لم يكن إلّا لكي ينجّيهم من عذاب فرعون وآل فرعون، فلمّا انجاهم منه ترقّبوا أن يتّخذوا لهم معبوداً من دون الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ «واتّخذ قوم موسىٰ من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خوار....»[2]، ومعلوم أنّ عبدة العجل كانوا منافقين ضالّين مضلّين.

ومع هذا فكيف يجيب اليهود بقولهم «خير الملّة هم أصحاب موسىٰ» ثمّ يصدّقهم ابن تيمية؟ ألا يعلم أنّ تصديقه لليهود تكذيب للقرآن؟

ومن صريح القرآن في اضمارهم الشرك قوله تعالىٰ: «وإذ قلتم: يا موسىٰ! لن نؤمن لك حتّىٰ نرى الله جهرة، فأخذتكم الصاعقة»، دلّت الآية علىٰ أنّهم انكروا إيمانهم بموسىٰ ـ عليه السّلام ـ، وإنّ هؤلاء هم السبعون الّذين اختارهم موسىٰ ـ عليه السّلام ـ لميقات الله سبحانه، فوقع اختياره علىٰ المفسد المنافق دون المؤمن المصلح.

ومن هنا قالت الشيعة إنّ الاختيار في النبوّة والإمامة بيد الله سبحانه، وليس بيد الناس، لأنّ موسىٰ ـ عليه السّلام ـ المبعوث لاصلاح الناس والمتّصل بالوحي الإلٰهي، ثمّ لم

---

١. سورة الأعراف / ١٣٨.

٢. سورة الأعراف / ١٤٨.

يفرق بين المفسد والمصلح والمؤمن والمنافق، ولم يكن اختياره لهم صحيحاً، فكيف بسائر البشر؟

وكذلك ائتمن يعقوب ـ عليه السّلام ـ أولاده علىٰ ولده يوسف ـ عليه السّلام ـ، ولم يعرف انطواء ضمائرهم علىٰ الفساد. وكذلك ائتمن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أبا بكر علىٰ تبليغ سورة «براءة» إلى المشركين، حتّىٰ إذا نزل عليه جبرئيل بوحي الله تعالىٰ، وعرّفه عدم صلاحيّته لهذه المهمّة، وقال: «لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منّ»، فعزله رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ونصب عليّاً ـ عليه السّلام ـ مكانه، وبعثه بسورة البراءة[1].

وممّا يدلّ علىٰ سوء سريرة قوم موسىٰ ـ عليه السّلام ـ وأصحابه قوله تعالىٰ ـ لما دعاهم موسىٰ إلىٰ فتح بلاد العمالقة ـ: «قالوا: يا موسىٰ! إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربّك فقاتلا، إنّا هـٰهنا قاعدون. قال: ربّ! إنّي لا أملك إلّا نفسي وأخي، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال: فإنّها مُحرَّمة عليهم، أربعين سنة يتيهون في الأرض، فلا تأس علىٰ القوم الفاسقين»[2].

ومن القرائن علىٰ ضلالة أصحاب موسىٰ ـ عليه السّلام ـ قوله تعالىٰ: «وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حيث شئتم رغداً، وادخلوا الباب سُجّداً، وقولوا حطّة، نغفر لكم خطاياكم، وسنزيد المحسنين. فبدّل الّذين ظلموا قولاً غير الّذي قيل لهم، فأنزلنا علىٰ الّذين ظلموا قولاً غير الّذي قيل لهم، فأنزلنا علىٰ الّذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون»[3] والآيات في هذا الباب كثيرة.

وأمّا أصحاب عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ الّذي زعم ابن تيمية انّهم خير أهل ملّتهم، فإن أراد بهم الحواريين، فإنّهم هم الّذين اسّسوا الكفر والزندقة والإلحاد في النصارىٰ،

---

١. يأتي تفصيل هذه الواقعة مع المصادر في الجزء الثالث من هذا الكتاب / ٢٩ ـ ٣٩.

٢. سورة المائدة / ٢٤ ـ ٢٦.

٣. سورة البقرة / ٥٨ ـ ٥٩.

فاختلقوا لهم القول بالتثليث في حياة عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ، كما يقول تعالىٰ: «إذ قال الله: يا عيسىٰ بن مريم! أأنت قلت الناس اتّخذوني وأُمّي إلٰهين من دون الله...»[١]. ولم تكن هذه الفتنة إلّا من أصحاب عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ، ثبتوا علىٰ ذلك حسب ما تنطق به أناجيلهم الرائجة، فهي صريحة في التثليث، كما في الإصحاح ٢٨ من انجيل متّىٰ، من كلام عيسىٰ ـ افتراءً عليه ـ «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم باسم الربّ والابن و الروح القدس». هذا.

فمن راجع الاناجيل الخمسة من: متّىٰ، لوقا، مرقس، يوحنا، برنابا ـ الّذين هم أصحاب عيسىٰ ـ يرىٰ انّما متضمّنة لكيفيّة وقوعه ـ عليه السّلام ـ في أيدي اليهود بسعي من التلاميذ وخيانتهم وأخذهم الرشوة ودلالتهم سلطان الوقت إلىٰ مكان عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ الّذي اختفىٰ به، غير انّه وقعت الشبهة علىٰ التلميذ الخائن الساعي، فصُلب مكان عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ، كما في القرآن الكريم «وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شُبّه لهم»[٢]. وهذا يوافقه انجيل برنابا أيضاً.

ومن الشواهد علىٰ نفاق الحواريين من القرآن قوله تعالىٰ «وإذ قال الحواريون: يا عيسىٰ بن مريم! هل يستطيع ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟. قال: اتّقوا الله إن كنتم مؤمنين»[٣]. يدلّ علىٰ أنّهم ما كانوا كاملين في الإيمان[٤].

الموقع الثاني: في قول ابن تيمية: «أُمروا بالاستغفار لهم، فسبّوهم...». فنقول انّ أوّل مَن سنّ سبّ الصحابة ولعنهم هم زعماء أهل السنّة من طغاة بني أُميّة، وأوّلهم معاوية بن أبي سفيان، ومعلوم انّ البادىء أظلم، وهو الّذي سنّ سبّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، وهو أفضل الصحابة وأعلمهم، فكان معاوية وابن العاص والمغيرة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وزياد ابن أبيه يلعنون عليّاً علىٰ المنابر، ويأمرون الناس بسبّه والبراءة منه، ففي شرح ابن أبي الحديد: عن أبي سيف قال: خطب مروان،

---

١. سورة المائدة / ١١٦.
٢. سورة النساء / ١٥٧.
٣. سورة المائدة / ١١٢.
٤. التفسير الكبير ١٢ / ١٢٩.

والحسن بن علي ـ عليه السّلام ـ: «ويلك يا مروان! هذا الّذي تشتم شرّ الناس»؟ قال «لا، ولكنّه خير الناس». وفيه ـ أيضاً ـ: إنّه كان دعيٌّ لبني أُميّة يقال له خالد بن عبد الله لا يزال يشتم عليّاً ـ عليه السّلام ـ، فلمّا كان يوم الجمعة ـ وهو يخطب الناس ـ قال: «والله إن كان رسول الله ـ ص ـ ليستعمله وإنّه ليعلم ما هو، و [لكنه] كان خَتَنَه»[1]، وكان سعيد بن المسيب قد نعس، ففتح عينيه، ثمّ قال: ويحكم! ما قال هذا الخبيث؟ رأيتُ القبر انصدع، ورسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول «كذبت يا عدوّ الله»[2].

وفي «العقد الفريد» ـ لابن عبد ربّه ـ: إنّ معاوية أتىٰ المدينة، وعزم أن يسبّ عليّاً علىٰ منبر النبيّ ـ ص ـ، فخوّفه أصحابه لمكان سعد بن أبي وقّاص، فأرسل إليه وذكر له ذلك،، فقال: لإن فعلت لأخرجنّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه. وفيه أيضاً: أنّه كتبت أمّ سلمة زوجة النبيّ ـ ص ـ إلىٰ معاوية: إنّكم تلعنون الله ورسوله علىٰ منابركم، وذلك أنّكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبّه، وأنا أشهد أنّ الله أحبّه ورسوله ـ ص ـ. فلم يلتفت معاوية إلىٰ كلامها. انتهىٰ.

وذكر السيوطي ـ في «تاريخ الخلفاء» ـ: إنّه كان في أيّام بني أُميّة سبعون ألف منبر يلعن عليها عليّ ـ عليه السّلام ـ. وفيه أيضاً: كان بنو أُميّة يسبّون علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ في الخطبة، إلىٰ أن ولي عمر بن عبد العزيز[3]. انتهىٰ.

قلت: أفلا ينطبق قول ابن حجر علىٰ هؤلاء الّذين سبّوا عليّاً ـ عليه السّلام ـ وشتموه؟. قال ـ في صواعقه ـ: قال إمام عصره أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ـ ص ـ، فاعلم انّه زنديق، وذلك أنّ الرسول ـ ص ـ حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّىٰ إلينا ذلك كلّه الصحابة، فَمَن جرّحهم، إنّما أراد إبطال الكتاب والسنّة، فيكون الجرح به الصق، والحكم عليه بالزندقة والضلالة

---

١ . خَتَنَه: زوّج ابنته.

٢ . شرح نهج البلاغة ١٢ / ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

٣ . تاريخ الخلفاء / ٩٤.

والكذب والفساد هو الأقوم الأحقّ[1]. انتهىٰ.

قلت: وأعظم من ذلك تأسيسهم الخروج علىٰ الامام ووصي الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ونقض بيعته، وأوّلهم الزبير وطلحة وعائشة ومن تابعهم فأباحوا دماء الصحابة، ودم الامام بالحقّ، ودماء العترة الطاهرة النبويّة في واقعة البصرة، فهؤلاء هم شرّ الخليقة، لا شيعة آل محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وأتباعهم.

الموقع الثالث: في قوله: «وسألتُ الرفضة: من شرّ أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب محمّد ـ ص ـ». انتهىٰ.

قلت: بالنظر لما لهذا البحث من أهميّة بالغة فإنّنا نبذل قصارىٰ جهودنا في كشف حقائقه، وبيان وجوهه، وما اختلفت عليه الأُمّة في ذلك في الفصل الآتي إن شاء الله.

١ . الصواعق المحرقة / ٢١١.

الصحابة في الكتاب والسنّة

من الواضح الضروري أنّ أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كأصحاب سائر الأنبياء ـ عليهمالسلام ـ كان فيهم المؤمن والمنافق، وثابت الايمان والمشاق للرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في حياته، والمنقلب علىٰ عقبيه بعد وفاته، كلّ ذلك مقتضي صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة.

والشيعة لا يقولون إلّا بما قاله الكتاب والسنّة، ومن راجع كتب الشيعة يرىٰ أنّهم لا يذكرون المطيع من الصحابة إلّا بخير، وبذلك يفرّقون بين المطيع والعاصي، والمؤمن والمنافق، فلا يحكمون للأصحاب جميعاً بالايمان، لمخالفته القرآن الّذي ينطق بنفاق عدد منهم أو فسقهم أو بغيهم، وذلك كآيات المنافقين، كقوله تعالىٰ «إنّ المنافقين في الدرك الأسفل....»[1].

فالقدح في البعض يرجع إلى الجرح، وإنّه ليس ممّن يوثق به في روايته الحديث، ومن أجل ذلك عقد النووي في شرحه لصحيح مسلم باباً سمّاه «باب بيان أنّ الاسناد من الدّين، وإنّ الحديث[2] لا يكون إلّا عن الثقات، وإن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب، وإنّه ليس من الغيبة المحرّمة، بل من الذّب عن الشريعة المكرّمة»، ثمّ بدأ ذكر

---

١ . سورة النساء / ١٤٥.

٢ . في المصدر «الرواية».

حديث مسلم في ذلك[1].

ويظهر من ذلك انّ الشيعة إذا ذكروا شيئاً في القدح أو الجرح في صحابي أو تابعي، فإنّ ذلك لا يكون خلافاً لطريقتهم، بل ولا قادحاً في طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمّة الدِّين، إذ لا يقولون إلّا عن سند وثيق، كقوله تعالىٰ «وما محمّد إلّا رسول، قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قُتِل انقلبتم علىٰ أعقابكم»، وقوله تعالىٰ «يا أيّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه...»[2].

وفي أحاديث الحوض من البخاري: عن أنس عن النبيّ ـ ص ـ قال: «ليردنّ عليَّ ناس من أصحابي الحوض، حتّىٰ إذا عرفتهم أُختلجوا[3] دوني، فأقول: أصحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[4]. وفي صحيح مسلم ـ في باب الحوض ـ: «... فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا علىٰ أدبارهم القهقرىٰ»[5].

وهذه الأحاديث الصريحة في ارتداد ثلّة من الصحابة بعد النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أخرجها البخاري ومسلم في باب الحوض[6]، ومسلم في باب «وكنت عليهم شهيداً»[7]، وأحمد في مسنده[8].

ومن الآيات النازلة في ذمّ الصحابة والطعن فيهم آية الإفك حول عائشة، في سورة النور من قوله تعالىٰ «إنّ الّذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم، لا تحسبوه شرّاً لكم،

---

١ . شرح صحيح مسلم ١ / ١١٢.

٢ . سورة المائدة / ٥٤.

٣ . أُختلجوا: أُجتذبوا واقتطعوا.

٤ . صحيح البخاري ٥ / ١٩٤، كتاب الرقاق، باب الحوض وقول الله تعالىٰ «إنّا أعطيناك الكوثر».

٥ . صحيح مسلم ٤ / ١٧٩٤، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبيّنا ـ ص ـ وصفاته.

٦ . صحيح البخاري ٥ / ١٩٢ ـ ١٩٥، كتاب الرقاق، باب الحوض وقول الله تعالىٰ: «إنّا أعطيناك الكوثر».

صحيح مسلم ٤ / ١٧٩٣ ـ ١٨٠٠، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا ـ ص ـ وصفاته.

٧ . صحيح مسلم ٤ / ١٨٠٠، كتاب فضائل الصحابة، باب «وكنت عليهم شهيداً».

٨ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ٢٣٣، ٢٣٥. ٢ / ٣٠٠، ٤٠٨. ٣ / ٢٨. ٥ / ٤٠٠. ٦ / ٢٩٧ ـ ٣١٧.

بل هو خير لكم، لكل امريء منهم ما اكتسب من الأثم، والّذي تولّىٰ كبره منهم له عذاب عظيم»[١]، فمن راجع تفاسير أهل السنّة والكتب المعتبرة عندهم، يرىٰ أنّ الأفّاكين المفترين كانوا جماعة من الصحابة[٢]. فدعوىٰ ابن تيمية كون الصحابة موثّقين مأمونين عن كلّ شين فرية بيّنة علىٰ القرآن الكريم.

ونحو إفكهم واتفرائهم علىٰ عائشة وتصريح القرآن بذمه ووعيدهم، قولهم للنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «الرجل يَهجُر»[٣]، ففي صحيح البخاري: عن ابن عبّاس قال: أشتدّ برسول الله ـ ص ـ وجعه يوم الخميس، فقال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند نبي تنازعٌ ـ فقالوا: هجر رسول الله[٤]. ومن حديث البخاري: عن ابن عبّاس: «فقالوا: أهجر؟ استفهموه»[٥].

والحديث أخرجه مسلم أيضاً في صحيحه[٦] ـ في كتاب الوصيّة ـ، وأحمد في «المسند»، وفيه: ... فقالوا: «ما شأنه أهجر؟» و «فقالوا: رسول الله يهجر»[٧]، وفي تاريخ أبي الفداء[٨]، وتاريخ الطبري «فتنازعوا، فقالوا: إنّ رسول الله يهجر. فذهبوا يعيدون عليه»[٩]. انتهىٰ.

أفليست هذه طامّة كبرىٰ جاءت به صحابة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ؟ حيث أوقعت أمّته في الضّلالة، وفرّقتهم إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة مختلفة في

---

١ . سورة النور / ١١.

٢ . جامع البيان في تفسير القرآن ١٧ / ٦٨ ـ ٦٩. الدرّ المنثور ٥ / ٢٥ ـ ٢٦.

٣ . يَهجُر : يقول الهذيان.

٤ . صحيح البخاري ٤ / ٣١، كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد.

٥ . صحيح البخاري ٥ / ١٢٨، كتاب المغازي باب مرض النبيّ و ...

٦ . صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٧، كتاب الوصيّة، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

٧ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ٢٢٢، ٣٥٥.

٨ . المختصر في أخبار البشر ١ / ١٥١.

٩ . تاريخ الرسل والملوك ٣ / ١٩٣.

الأصول والعقائد.؟

ومن الموبقات الّتي ارتكبها كثير من الصحابة اتباعهم لعائشة في خروجها بين أجلاف بني أُميّة وأجلاف أهل البصرة، وتبرّجها تبرّج الجاهليّة، وقد قال النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعلي ـ عليه السّلام ـ «إنّ الأُمّة ستغدر بك بعدي»[١]. وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لزوجاته: أَيتكنّ صاحبة الجمل الأدَبب[٢]، تنبحها كلاب الحوأب[٣]؟ إيّاك أن تكونيها يا عائشة!»[٤]. وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» رواه البخاري في صحيحه[٥].

وقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ للزبير: تحارب عليّاً وأنت له ظالم[٦]. ونزل في طلحة قوله تعالىٰ «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً»[٧].

وروىٰ البخاري ـ في صحيحه، في باب ما جاء في بيوتات أزواج النبيّ (ص) ـ قال: قام النبيّ ـ ص ـ خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: «ههنا الفتنة ـ ثلاثاً ـ من حيث يطلع قرن الشيطان»[٨]. ومن حديث مسلم ـ في صحيحه ـ، وأحمد (في «المسند» عنه[٩] قال: خرج رسول الله ـ ص ـ من بيت عائشة، فقال: «رأس الكفر من ههنا، من

١ . كنز العمال ١١ / ٢٩٧، شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ٨ / ١٠٧ .

٢ . الأدبَب: كثير الشعر، أو كثير وبر الوجه .

٣ . الحوأب: اسم مكان بين مكّة والبصرة .

٤ . تاريخ الرسل والملوك ٤ / ٤٥٧، الكامل في التاريخ ٣ / ١٠٧، شرح نهج البلاغة ٦ / ٢٢٤ .

٥ . صحيح البخاري ٨ / ٩١، كتاب الفتن .

٦ . كنز العمّال ١١ / ١٩٦، الإمامة والسياسة ١ / ٥٦. والمنقول بالمضمون .

٧ . سورة الاحزاب / ١٥٣ .

٨ . صحيح البخاري ٨ / ٨٩، كتاب الفتن، باب قول النبيّ ـ ص ـ الفتنة من قبل المشرق . والمنقول بالمضمون . وليس في المصدر «ثلاثاً» .

٩ . عنه: عن ابن عمر .

حيث يطلع قرن الشيطان»[١]. انتهىٰ.

وروىٰ ابن أبي الحديد في الشرح: إنّ عليّاً لمّا نزل بـ «ذي قار» كتبت عائشة إلىٰ حفصة، تخبرها أنّ عليّاً صار مرعوباً من عدتنا، فهو بمنزلة الاشقر إن تقدّم عُـقِر، وإن تأخّر نُحِر. فدعت حفصة جواري يتغنّين لها ويضربن بالدفوف، وأن يقلن «ما الخبر ما الخبر؟ علي في السفر، كالفرس الأشقر، إن تقدّم عُقِر، وإن تأخّر نُحِـر»، وجـعلت بـنات الطلقاء يدخلن علىٰ حفصة ويجتمعن لسماع ذاك الغناء...[٢].

أقول: بأي تفسير نفسّر هذه الأعمال؟ أم كيف نحملها علىٰ الصحّة وقد تظاهرت حفصة وعائشة علىٰ أمير المؤمنين ـعليه السّلام ـ، وهو إمامها بالحقّ، وذلك كتظاهرهما علىٰ رسول الله من قبل، حيث نزل فيهما قوله تعالىٰ «إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما، وإن تظاهرا عليه، فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين»[٣]. ومن حديث البخاري ـ باب لِمَ تحرِّم ما أحلّ الله لك من كتاب الطـلاق ـ: «إن تـتوبا إلىٰ الله» خـطاب لعـائشة وحفصة[٤]، «وإن تظاهرا عليه»: إن تتعاونا عـلىٰ النـبيّ ـص ـ بـايذائـه والخـروج عـن طاعته...

وأخرج السيوطي ـ في «الدرّ المنثور»: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عبّاس قال: «وصالح المؤمنين» هو علي بن أبي طالب. وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عبّاس قال «وصالح المؤمنين» هو عليّ بن أبي طالب. وأخرج ابن مـردويه عـن

---

١. صحيح مسلم ٤ / ٢٢٢٩، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق. مسند أحـمد بـن حنبل ٢ / ٢٣، ٢٦.

٢. بقيّته: فبلغ أُمّ كلثوم بنت علي ـعـليه السّـلام ـ، فـلبست جـلابيبها ودخـلت عـليهنّ فـي نسـوة متنكّرات، ثمّ أسفرت عن وجهها، فلمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت، فقالت أُمّ كـلثوم: لإن تـظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما علىٰ أخيه ـ أي رسول الله ـ، فأنزل الله ـ، فيكما ما أنزل. فقالت حفصة: كـفىٰ رحمك الله... شرح نهج البلاغة ١٤ / ١٣.

٣. سورة التحريم / ٤.

٤. صحيح البخاري ٦ / ١٥٧، كتاب الطلاق، باب «لم تحرّم ما أحلّ الله».

أسماء بنت عميس قالت: سمعتُ رسول الله ـ ص ـ يقول: وصالح المؤمنين» هو علي بن أبي طالب[١].

ورأينا أن نذكر هٰهنا أبياتاً من منظومة العلاّمة الطباطبائي، حيث يمثل الشيعة في بيان موقفهم ومعتقدهم من أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، قال ـ قدّس سرّه ـ:

يا عمرو لا تستبعد انحراف مَن ... أدرك صحبة النبيّ المؤتمن

أليس أصحاب الكليم من فدوْا ... أنفسهم في الدِّين بعد ما اهتدوا؟

واتّبعوا موسىٰ علىٰ برهانه ... وخاصموا فرعون في سلطانه

للسامري اتّبعوا بعد الهدىٰ ... واتّخذوا العجل إلٰهاً صمدا

واستضعفوا مَن قد تولّىٰ أمره ... ومن به شدّ الإلٰه أزره

أخاه هارون وكادوا مذ أمر ... بأمره أن يقتلوه فاصطبر

وكم هي من ذينك النورينِ ... رأوْا من الآيات رأي العين

وجاء في الحديث انّ ما وقعْ ... في الأُمم الماضين طرّاً سيقع

في أمّة النبيّ حذو النعل ... بالنعل فأت مثل هذا الفعل

وكيف ذو القلب السليم يطمئن ... بهم وأوحىٰ الله فيهم «أفإن»[٢]

«وإن «رأوْا تجارة أو لهواً» ... وغيرها وكم حديثٌ يروىٰ

وفي حديث الحوض أقوىٰ شاهدِ ... دلّ علىٰ ارتداد غير واحد

يا نفس كفّي عن مثالب الأول ... لا ناقة فيها لك ولا جَمَل[٣]

من بعد ما بان الهدىٰ واتّضحا ... مثل اتّضاح الشمس في رأد الضحىٰ[٤]

وقال ـ تغمّده الله برحمته ـ في معتقد الشيعة في السبّ واللعن:

---

١ . الدرّ المنثور ٦ / ٢٤٤.

٢ . المقصود قوله تعالىٰ «أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ..» .

٣ . مثلٌ يضرب عند التبرّي من الظلم والإساءة.

٤ . رأد الضحىٰ: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء.

إيّـاك أن تسبّ غـير مَـنْ ظـلم آلَ النـبيّ الغُـرّ شـافع الأُمـم
فـهو حـرامٌ بـاتّفاق العـلما وجـائز سـبّك مـن قـد ظـلما
فـلا تسبّ عُـمَراً كـلاّ ولا عـثمان والّـذي تـولّىٰ أولا
ومـن تـعاطىٰ سـبّهم فـفاسق حكـمٌ قـضىٰ بـه الإمـام الصـادق[1]
وفي البـخاري سـبابُ المسـلم فسـقٌ، ووجـه الكـفر لما يـعلم
وعـند مـن كـفَّر مَـن سبّ فـلا يكـفر مـن لا يـتعاطىٰ العَـمَلا
وإن يكـن ممّـن لديـه السبّ حـلْ فـالاعتقاد لا يـلازم العـمل
وعـندنا فـلا يحـلّ السبُّ نحـن وأيم الله لا نسبُّ
وسبُّ مـن صـاحبه فـلا تجـز مـا دام مـؤمناً وإلاّ فأجـز
وليس في اللعن علىٰ مـن قـد خـرج عـلىٰ ولي الأمـر مـطلقاً حـرج[2]

١ . لا يخفىٰ الظروف القاسية الّتي أملت إنشاء هذا البيت .

٢ . الشهاب الثاقب / ٦٤ ـ ٦٥. وليس فيه كلّ الأبيات المذكورة هنا.

حكمهم بكفر أبي طالب !!

جاء في البخاري ـ باب قصّة أبي طالب ـ: مسدّد عن يحيىٰ بن سعيد[1] عن [سفيان][2] عن عبد الملك، عن عبد الله بن الحارث عن العبّاس بن عبد المطّلب، قال للنبي ـص ـ: ما أغنيتَ عن عمّك، فإنّه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضَحضَاح[3] من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[4].

وفيه:

عن محمود عن عبد الرزّاق عن معمّر عن الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبيه: انّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دخل عليه النبيّ ـص ـ، وعنده أبو جهل، فقال: «أي عمّ! قل لا إله إلّا الله، كلمة أحجّ لك بها[5] عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أُميّة: «يا أبا طالب! ترغب عن ملّة عبد المطّلب». فلم يزالا يكلّمانه حتىٰ قال آخر شيء كلّمهم به «علىٰ ملّة عبد المطّلب». فقال النبيّ ـص ـ: لأستغفرنّ لك ما لم أُنْه عنه»، فنزلت: «ما كان للنبي والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربىٰ، من بعد ما تبيّن لهم

---

١ . لا يوجد في المصدر «بن سعيد».

٢ . الزيادة من المصدر.

٣ . الضَحضاح: الماء القليل الّذي لا يتجاوز الكعبين. وهو ـ هنا ـ كناية عن تخفيف العذاب عنه.

٤ . صحيح البخاري ٤ / ٢٢٩، باب قصّة أبي طالب.

٥ . احاج لك بها: اجعل الكلمة برهاناً وعذراً لك.

أنّهم أصحاب الجحيم»[١]، ونزلت «إنّك لا تهدي من أحببت...»[٢]. انتهىٰ[٣].

أقول: إنّ حديث البخاري في موت أبي طالب علىٰ الكفر من الموضوعات، اختلقوه إرضاءً لبني أُميّة، فروع الشجرة الملعونة الّذين أباحوا دماء العلويّين من سادات أهل الجنّة، وجهروا بالعداء والبغضاء مع آل أبي طالب.

وليس هذا بأعظم من اختلاقهم الحديث في قدح علي أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وقولهم: نزل فيه ـ عليه السّلام ـ قوله «ومن النّاس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا...»[٤]، واختلاقهم علىٰ لسان النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «يا علي أنت منّي بمنزلة قارون من موسىٰ».

وحسبك في اختلاق الحديث وكذبه أنّه من مرويّات الزهري، وقد مرّ عليك بيان حاله[٥]، واعلمناك أنّه مبغض لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، وكان ينال منه، كما في شرح ابن أبي الحديد. وقال الشيخ عبد الحقّ الدهلوي ـ في كتابه تحصيل الكمال»: انّ الزهري قد ابتلي بصحبة الأمراء، لقلّة الديانة، لضرورات عرضت له، وكان أقرآنه من العلماء والزهّاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم، فيقولون: ألا ترىٰ ما هم فيه وتسكت[٦]؟. انتهىٰ.

وذكر الغزالي ـ في كتاب أحياء العلوم، في باب الحلال والحرام ـ: إنّه لما خالط الزهري السلطان، كتب أخ له في الدِّين إليه: «.. واعلم انّ أيسر ما ارتكبت وأخفّ ما احتملت إنّك آنست وحشة الظالم، وسهّلت سبيل الغي بدنوّك ممّن لم يؤدّ حقّاً، ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتّخذوك قطباً تدور عليه رحىٰ ظلمهم، وجسراً يعبرون عليك إلىٰ

١ . سورة التوبة / ١١٣.

٢ . سورة القصص / ٥٦.

٣ . صحيح البخاري ٤ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠، باب قصّة أبي طالب.

٤ . سورة البقرة / ٢٠٤.

٥ . في الصفحة .

٦ . لم أجد المصدر.

بلائهم، وسلّماً يصعدون فيه إلىٰ ضلالتهم، يُدخلون بك الشكّ علىٰ العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمَّروا لك في جنب ما أخربوا[١] عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في أفسدوا عليك في دينك، فما يؤمنك ان تكون ممّن قال الله فيهم «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة...»[٢]، فإنّك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيء زادك فقد حضر سفر بعيد، وما يخفىٰ علىٰ الله من شيء في الأرض ولا في السماء. والسلام[٣]. انتهىٰ.

وقد تعرّض لهذا الكتاب الزمخشري في «الكشّاف» ـ في تفسير قوله تعالىٰ: «ولا تركنوا إلىٰ الّذين ظلموا بتمسّكم النار»[٤]، والطيبي في الكاشف، شرح المشكاة ـ عند شرحه لحديث «إذا مدح الفاسق، غضب الربّ تعالىٰ واهتزّ له العرش» ـ [٥]. وكذلك ذكر هذه الكتابة ـ المشتملة علىٰ نصيحة الزهري، الزبيري الحسيني في شرح إحياء العلوم، ثم قال: «وهذه القصّة قد أوردها أبو نعيم ف كتاب حلية الأولياء في ترجمة أبي حازم بأطول ممّا هنا»[٦]، حيث ذكرها بتمامها وتفصيلها، وما فيها من الاحتجاج بالآيات علىٰ الزهري وارتكابه الغير المشروع من الاتصال بالظلمة، طلباً للجاه والمنزلة، فهي ممّن ذكرنا أسماءهم صريحة في القدح والجرح منهم في الزهري سـ من أبي حازم، وهو المرسل للكتاب والناصح له.

وهذا[٧] ممّن نال أقصىٰ مرتبة المدح والثناء، إذ أثنىٰ عليه الذهبي في «الكاشف»[٨]،

---

١ . في المصدر «خرّبوا».

٢ . سورة مريم / ٥٩.

٣ . إحياء علوم الدّين ٢ / ١٤١ .

٤ . الكشّاف عن حقائق التنزيل ٢ / ٢٩٦.

٥ . لم أجد المصدر .

٦ . اتحاف السادة المتّقين ٦ / ٦٩٥ـ ٦٩٧.

٧ . هذا : أبو حازم.

٨ . المصدر مخطوط .

و«تذكرة الحفّاظ»[١]، والعسقلاني في «تهذيب التهذيب»[٢] ـ في الترجمة ـ، والشيخ عبد الحقّ الدهلوي في رجال المشكاة ـ في حرف الحاء ـ [٣]، وأخرج الحديث عنه كلّ من أصحاب الصحاح الستّة.

وأيضاً في طريق حديث البخاري «عبد الرزّاق بن همام التيمي». ففي الميزان ـ في الترجمة ـ: أبو زرعة قال: ودعت ابن عُيينة، فقلت: أريد عبد الرزّاق، قال: أخاف أن تكون من الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا. محمّد بن عثمان الثقفي البصري قال: لما قدم العبّاس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزّاق،أتيناه، فقال لنا ـ ونحن جماعة ـ: ألستُ وقد تجشّمت[٤] الخروج إلىٰ عبد الرزّاق ودخلت إليه، وأقمت عنده؟ و[الله][٥] الّذي لا إله إلّا هو انّ عبد الرزّاق كذّاب[٦].

وفي «تهذيب التهذيب» لابن حجر ـ في الترجمة ـ: قال العبّاس العنبري: لقد تجشّمت إلىٰ عبد الرزّاق، وإنّه لكذّاب، والواقدي أصدق منه. وذكر الاسماعيلي ـ في المدخل ـ عن الفرهياني قال: حدّثنا عبّاس العنبري عن زيد بن المبارك قال: كان عبد الرزّاق كذّاباً يسرق الحديث. وعن زيد قال: لم يخرج أحد من هؤلاء الكبار من هٰهنا إلّا وهو مُجمع أن لا يحدّث عنه[٧].

وقوله: «الواقدي أصدق منه...» هذا أقصىٰ درجة القدح في عبد الرزّاق وغاية تكذيبه في الحديث، لأنّ الواقدي ممّن رُمي بالكذب، ففي «ميزان الاعتدال» ـ في الترجمة ـ: قال أبو غالب: سمعتُ ابن المديني يقول: الواقدي يضع الحديث. وقال ابن راهوية: هو

---

١ . تذكرة الحفّاظ ٢ / ٥٩٤.

٢ . تهذيب التهذيب ٤ / ١٤٠، ١٤٣، ١٢ / ٦٥.

٣ . الإكمال في أسماء الرجال / ٨. وليس فيه مدح أو ثناء علىٰ ابن حازم.

٤ . تجشّمت: قصدت.

٥ . الزيادة من المصدر.

٦ . ميزان الاعتدال ٣ / ٦١٠ـ ٦١١.

٧ . تهذيب التهذيب ٨ / ٣١٤ـ ٣١٥.

عندي ممّن يضع الحديث[1] انتهىٰ.

وعن الخوارزمي في «مسند أبي حنيفة» ـ عند ذكره حديث إعطاء النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في غزوة بدر سهمين لمقداد ـ قال: فقد ذكره الواقدي كذلك في المغازي وقد طعنوا فيه، فقال يحيىٰ بن معين: وضع الواقدي علىٰ رسول الله ـص ـ عشرين ألف حديث. وقال أحمد بن حنبل: الواقدي يركب الأسانيد، وقا ابن المديني: لا يُكتَب حديثه. وقال الشافعي كُتُب الواقدي كذبٌ[2]. انتهىٰ.

فإذا كان الواقدي الّذي رُمي بالكذب في الحديث علىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فكيف بعبد الرزّاق الّذي يكون الواقدي أصدق منه؟

ثمّ إنّ من شواهد كذب حديث البخاري قوله: «قال النبيّ ـص ـ: لاستغفرنّ لك ما لم أنْه عنه، فنزلت: «ما كان للنبي والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين...»، وذلك لاجماع المفسّرين أنّ سورة التوبة ـ الّتي فيها هذه الآية ـ آخر ما نزلت بالمدينة، وانّ موت أبي طالب ـ سلام الله عليه ـ كان قبل الهجرة، ولو قيل بنزول خصوص الآية في مكّة قبل الهجرة، كانت مكيّة ولزم من ذلك خلاف الترتيب في نظم القرآن، فينافي دعواهم الاجماع علىٰ أنّ هذا الترتيب من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

كلّ ذلك مضافاً إلىٰ أن الخطاب في الآية متوجّه إلىٰ الّذين آمنوا، ولم يكن ذلك الحين من المؤمنين من يخاطب بالنهي عن الاستغفار لأبيه. هذا.

ثمّ إنّ حديث البخاري ـ في باب قوله «ما كان للنبي والّذين آمنوا...» ـ عن اسحاق بن إبراهيم بن نصر، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن مسيّب، عن أبيه: إنّ أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبيّ ـص ـ وعنده أبو جهل...[3].

---

١ . ميزان الاعتدال / ٦٦٣ ـ ٦٦٥.

٢ . لم أعثر علىٰ المصدر.

٣ . صحيح البخاري ٥ / ٢٠٨، كتاب التفسير، باب قوله «ماكان للنبي والّذين آمنوا أن...».

وفي اسناده ـ مضافاً إلىٰ عبد الرزّاق بن همّام والزهري المقدوجين، كما عرفت ـ «معمّر بن راشد». ففي «تهذيب التهذيب»: قال أبو حاتم: ما حدّث ابن راشد بالبصرة فيه أغاليط. وقال ابن أبي خثيمة: سمعت يحيىٰ بن معين يقول: إذا حدّثك معمّر عن العراقيين فخالفه الّا عن الزهري وابن طاووس، فإنّ حديثه عنهما مستقيم، فامّا أهل الكوفة وأهل البصرة فلا. قال يحيىٰ: حديث معمّر بن ثابت وعاصم بن أبي الفجور، وهشام بن عروة، وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام[1]. انتهىٰ.

قوله «إنّ حديث معمّر عن الزهري مستقيم»، فيه: لكن الزهري من موالي بني أُميّة، والجليس معهم، ومن معادي علي ـ عليه السّلام ـ، ولعلّ الآفة منه ومن أمثاله.

وأمّا سعيد بن المسيّب، فحسبك من تحامله علىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ ما في «منتخب كنز العمّال»: عن سعيد بن المسيّب قال: «إنما الخلافة ثلاثة، وسائرهم ملوك،: أبو بكر وعمر وعمر» ـ أراد بعمر الثاني عمر بن عبد العزيز ـ[2]. انتهىٰ. ورواه عنه أيضاً السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ـ في أحوال عمر بن عبد العزيز ـ[3]. وهذا صريح في انكاره خلافة علي ـ عليه السّلام ـ وعثمان وجعلهما من الملوك، وهذا يرجع إلى القدح في المعتقد المانع عن الاعتماد عليه في حديثه، لاتّهامه.

أقول: إنّ عبد الرزّاق هذا منصوص عليه ـ في التراجم ـ بالتشيّع، نسبه إليه ابن الأثير في تاريخه[4]، والمتّقي الهندي في «كنز العمّال[5]، والذهبي في «ميزان الاعتدال» ـ في ترجمته ـ[6]، والعسقلاني في «تهذيب التهذيب» ـ في الترجمة ـ[7].

---

١ . تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٤٥.

٢ . منتخب كنز العمّال ٥ / ٢٩٦.

٣ . تاريخ الخلفاء / ٩٠.

٤ . الكامل في التاريخ ٦ / ٤٠٦.

٥ . كنز العمّال ١٣ / ١٠٩.

٦ . ميزان الاعتدال ٢ / ٦١٠ ـ ٦١١.

٧ . تهذيب التهذيب ٦ / ٣١٣ ـ ٣١٤.

وفيه: قال محمّد بن أبي بكر المقدمي وجدت [في] عبد الرزّاق ما أفسد جعفر[1] غيره، يعني بالتشيّع. وقال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيىٰ بن معين ـ قيل له: قال أحمد: إنّ عبيد الله بن موسىٰ يردّ حديثه للتشيّع ـ فقال: كان عبد الرزّاق والله الّذي لا إله إلّا هو أغلىٰ في ذلك منه مائة ضعف، وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي: هل كان عبد الرزّاق يتشيّع ويفرط في التشيّع؟. قال أبو داود: كان عبد الرّزاق يعرّض بمعاوية[2]. انتهىٰ.

وفي الميزان: حدّثنا محمّد بن إسحاق بن يزيد البصري، سمعت مخلّد الشعيري يقول: كنتُ عند عبد الرزّاق، فذكر رجلٌ معاوية، فقال: لا تقذِر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان[3]. انتهىٰ.

فعلىٰ ذلك من صحّة نسبة التشيّع إلىٰ عبد الرزّاق، يلزم كذب نسبة البخاري إليه موت أبي طالب علىٰ الكفر، لأنّ من ضروري مذهب الشيعة ـ بلا خلاف ـ في إيمان أبي طالب ـ عليه السّلام ـ، وذلك بإجماع من العترة الطاهرة النبويّة، واجماعهم حجّة لدخول المعصوم فيه، فإن كان عبد الرزّاق شيعيّاً متبعاً لعليّ ـ عليه السّلام ـ من بعده، كان من المحال أن يتفوّه بشيء ينافي مذهبه ولقول امامه، فآفة الحديث ليست منه.

صحيح البخاري وحديث الضحضاح

ولا يخفىٰ انّ في اسناد «عبد الملك بن عمير» الّذي روىٰ الحديث عن عبد الله بن الحارث.

ففي «تهذيب التهذيب» ـ لابن حجر ـ (في الترجمة) قال علي بن الحسن الهسنجاني عن أحمد: عبد الملك مضطرب الحديث جدّاً، مع قلّة روايته، ما أرىٰ له خمسمائة حديث، وقد غلط في كثير منها. وقال اسحاق بن منصور: ضَعّفه أحمد جداً. وقال عن ابن معين:

---

١. المقصود هو جعفر بن سليمان الضُّبعي ـ رضوان الله عليه ـ.
٢. تهذيب التهذيب ٦ / ٣١٣ ـ ٣١٤.
٣. ميزان الاعتدال ٢ / ٦١٠.

مخلط. قال ابن أبي حاتم عن أبيه: أنّ عبد الملك بن عمير لم يوصف بالحفظ، وذكره ابن حيّان في الثقات، [وقال][١] كان مدلّساً[٢]. انتهىٰ.

وفي «ميزان الاعتدال» ـ للذهبي ـ: قال أبو حاتم: ليس بحافظ، تغيّر حفظه وقال أحمد: يغلط. وقال ابن معين: مخلط. وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه. وذكر الكوسج عن أحمد: انّه ضعفه جداً[٣].

وقد عرفت انّ في طريق حديث الضَحْضَاح ـ علي ما في البخاري ـ «سفيان الثوري».

وهو مقدوح ومجروح بالرياء في العمل، والعجب بالنفس، و العداء لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ، والخدعة، والتلبيس والتدليس في الحديث، كلّ ذلك حسب ما نطقت به كتب القوم. ففي «لواقح الأنوار» ـ للشعراني ـ (عند ترجمة مولانا الصادق ـ عليه السّلام ـ) قال: دخل علىٰ جعفر الصادق عليه السّلام ـ سفيان الثوري، فرأىٰ عليه جُبةٌ من خَز، فقال: إنّكم من بيت النبوّة تلبسون هذا؟ فقال: «ما تدري، أدخل يدك»، فإذا تحته مِسْحُ[٤] من شعر خشن، ثمّ قال: «يا ثوري! أرني ما تحت جبّتك»، فوجد تحتها قميصاً أرقّ من بياض البيض، فخجل سفيان، ثمّ قال «يا ثوري! لا تكثر الدخول علينا، تضرّنا ونضرّك»[٥]. انتهىٰ.

وهذا ـ كما ترىٰ ـ صريح في أنّ سفيان كان مرائياً وخادعاً ومتعرضاً للامام من أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، وسائلاً متعنّتاً، لقوله ـ عليه السّلام ـ «تضرّنا ونضرّك».

وأصرح من هذا حديث أبي نعيم الحافظ ـ في «حلية الأولياء» ـ باسناده إلى

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. تهذيب التهذيب ٦ / ٤١١ـ ٤١٢.

٣. ميزان الاعتدال ٢ / ٦٦٠.

٤. مِسْح: ما يُلبس من نسيج الشعر علىٰ البدن تقشّفاً وقهراً للجسد.

٥. لواقح الأنوار / ٤١٢.

الثوري قال: دخلتُ علىٰ جعفر بن محمّد، وعليه جُبّة خز[١] وكساء خز، فجعلتُ انظر إليه تعجباً، فقال «يا ثوري! مالك تنظر إلينا؟ لعلّك تعجّبت ممّا ترىٰ» قال: قلتُ: يا بن رسول الله! ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك. فقال لي «يا ثوري! كان ذلك زماناً مقفراً[٢] مقتراً[٣]، وكانوا يعملون علىٰ قدر إقفاره واقتاره، وهذا زمان قد أسبل[٤] كلّ شيء فيه عزّ اليه»، ثمّ حسّر عن رُدن[٥] جبته، فإذا تحتها جُبة صوف بيضاء، يقصر الذيل عن الذيل والرُدن، فقال لي: «يا ثوري! لبسنا هذا الله، وهذا لكم، فما كان الله اخفيناه، وما كان لكم أبديناه»[٦]. انتهىٰ.

وفي الحلية ـ أيضاً ـ: إنّه دخل الثوري علىٰ الصادق ـ عليه السّلام ـ وقال: لا أقوم حتّىٰ تحدّثني، قال جعفر ـ عليه السّلام ـ: «أما انّي أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير....».

وفيها ـ أيضاً ـ: عن أبي حازم المدني: قال: كنت عند جعفر بن محمّد ـ عليه السّلام ـ، فجاءه سفيان الثوري، فقال له جعفر «أنت رجل يطلبك السلطان، وأنا أتقي السلطان...»[٧]. وأورده أيضاً ابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمّة»، زاد فيه من كلام الصادق: «يطلبك السلطان في أكثر الأحيان[٨]، وتحضر عنده، وأنا اتّقي السلطان، فاخرج عنّي غير مطرود»[٩].

---

١ . خزّ: حيوان بحري يشبه الثعلب، له وبر يصنع منه الثياب. وجُبّة خزّ: الجبّة المصنوعة من وبر الخزّ الحيوان. وخز ـ أيضاً ـ ما نسج من صوف وحرير.

٢ . مقفراً: خالياً، ليس فيه شيء.

٣ . مقتراً: مضيقاً.

٤ . أسبل: كثُر وتوفّر.

٥ . رُدن: الكُمّ.

٦ . حلية الأولياء ٣ / ١٩٣.

٧ . لم أجده في المصدر.

٨ . في المصدر «في بعض الأوقات».

٩ . الفصول المهمّة / ٢٠٥.

وهذا صريح في أنّ سفيان كان محاضراً للسلطان ومتداخلاً معهم، غير مجانب عنهم، وهذه من الأوصاف المذمومة شرعاً.

قال ابن الجوزي ـ في كتابه «تلبيس ابليس» في الذمّ عن مخالطة الأُمراء والسلاطين ـ: من تلبيس إبليس علىٰ الفقهاء، مخالطتهم للامراء والسلاطين، ومداهنتهم وترك الانكار عليهم، مع القدرة علىٰ ذلك، وربّما رخصوا لهم ما لا رخصة فيه، لينالوا من دنياهم، فيقع بذلك الفساد...[١]. وفي «حلية الأولياء»: عن جعفر بن محمّد قال: الفقهاء أُمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين، فاتّهموهم[٢].

وقال الغزالي ـ في الإحياء ـ في علامات علماء الآخرة، ومنها: أن يكون مستقصياً عن السلاطين، فلا يدخل عليهم البتة، مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم ـ وإن جاؤا إليه ـ، فإنّ الدنيا حلوة خضرة، وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلّف في طلب مرضاتهم، واستمالة قلوبهم، مع أنّهم ظلمة...[٣].

قلت: ومن مساعدتهم في انجاح مقاصدهم جعل العلماء لهم أحاديث فيـ يرجع إلىٰ تنقيص علي ـعليه السّلام ـ بتكفير والده أبي طالب ـعليه السّلام ـ، وبإيمان أبي سفيان تطييباً لخواطر معاوية وسائر جبابرة بني أُميّة.

سفيان الثوري من المدلّسين[٤]: ففي الميزان ـ للذهبي في الترجمة ـ: سفيان بن سعيد الحجة الثبت المتّفق عليه، مع إنّه كان يدلّس عن الضعفاء، ولكن كان له نقدٌ وذوق، ولا عبرة بقول من قال: كان يدلّس ويكتب عن الكذّابين[٥]. انتهىٰ.

---

١. تلبيس ابليس / ١٢١.

٢. حلية الأولياء ٣ / ١٩٤.

٣. احياء علوم الدِّين ١ / ٧٣.

٤. المقصود من التدليس هنا هو تدليس الاسناد، وهو رواية الشخص الخبر عمّن لقيه مع عدم السماع منه، أو روايته عمّن عاصره لكن لم يلتقِ به أصلاً.

٥. ميزان الاعتدال ٢ / ١٦٩.

وفي «تهذيب التهذيب» ـ في الترجمة ـ: قال ابن المبارك: حدثت الثوري بحديث، فجئته وهو يدلّسه، فلمّا رآني استحيا، وقال: نرويه عنك...[١] وفي كتاب «التبيين لأسماء المدلّسين» ـ لسبط ابن العجمي الحلبي ـ: إنّ سفيان الثوري مشهور بالتدليس[٢].

وذكر ابن الجوزي ـ في كتابه «تدليس إبليس» ـ: إنّ من تلبيس إبليس علىٰ علماء المحدّثين رواية حديث موضوع من غير أن يبيّنوا أنّه موضوع، وهذه خيانة[٣] منهم علىٰ الشرع، ومقصودهم تنفيق[٤] أحاديثهم وكثرة رواياتهم، وقد قال النبيّ ـ ص ـ: «من روىٰ عنّي حديثاً يرىٰ أنّه كذب، فهو أحد الكذّابين». ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية، فتارة يقول أحدهم: «فلان عن فلان» أو «قال فلان عن فلان» يوهم أنّه سمع منه [المنقطع][٥]، ولم يسمع، وهذا قبيح، لأنّه يجعل المنقطع في مرتبة المتّصل. ومنهم من يروي عن الضعيف والكذّاب، فيعمي[٦] اسمه، فربما سماه، ربما كنّاه، وربما نسبه إلىٰ جدّه لئلاّ يعرف، وهذه خيانة للشرع المطهّر[٧]. انتهىٰ.

وقال النووي ـ في شرح صحيح مسلم ـ: فصلٌ، التدليس قسمان: أحدهما: أن يروي عمّن عاصره ما لم يسمع منه، موهماً سماعه، قائلاً: «قال فلان»، أو «عن فلان»، أو نحوه، وربما لم يسقط شيخه، واسقط غيره لكونه ضعيفاً أو صغيراً، تحسيناً لصورة الحديث، وهذا القسم مكروه جدّاً، ذمّه أكثر العلماء، وكان شعبة أشدهم ذماً له، وظاهر كلامه أنّه حرام، وتحريمه ظاهر، فإنّه يوهم الاحتجاج بما لا يجوز الاحتجاج به، وفريق من العلماء مَن عُرف منه هذا التدليس، صار مجروحاً عنده، لا يقبل رواية في شيء أبداً. قال:

---

١. تهذيب التهذيب ٤/ ١١٥.

٢. لم أجد المصدر.

٣. في المصدر «جناية».

٤. في المصدر: «ترويج».

٥. الزيادة من المصدر.

٦. في المصدر «ينفي».

٧. تلبيس إبليس / ١١٨.

وهذا الحكم في المدلِّس، صار مجروحاً عنده، لا يقبل رواية في شيء أبداً. وهذا الحكم في المدلِّس جار في مَنْ دلَّس مرّة واحدة، ولا يشترط تكراره منه[١]. انتهىٰ ما أردنا نقله.

إنّ من جميع ما ذكرنا تبيّن أنّ سفيان الثوري مقدوح عند جمع من العلماء مردود الرواية، فكيف جاز للبخاري إسناد الحديث الموضوع: «انّ أبا طالب في ضَحْضَاح من نار» إلىٰ سفيان الثوري المقطوع به الجرح؟ وإلىٰ عبد الملك بن عمير الّذي هو مقدوح مثل الثوري؟ وهو كالزهري من حيث التدليس والعداء لأهل البيت ـ عليهم السّلام ـ.

ومن هنا يتوجّه القدح والجرح في أحاديث مسلم في أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار[٢]، فإنّ سندها عبد الملك بن عمير والثوري وقد عرفت القدح فيهما، لأنّ القدح في أبي طالب ـ عليه السّلام ـ مبني علىٰ الأصل الأوّلي في القدح في سادات أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، نظير ما صنعه ابن تيمية في منهاجه في تنقيص الامام الباقر ـ عليه السّلام ـ قائلاً: فالزهري أعلم بأحاديث النبيّ ـ ص ـ وأحواله، وأقواله، باتّفاق أهل العلم من أبي جعفر محمّد بن عليّ[٣]. انتهىٰ. ومراده من «اتّفاق أهل العلم» إتّفاق أقرانه ومن هو مثله في النصب والعداء.

ومثل كلام ابن الهمام ـ في «فتح القدير»، في كتاب الطلاق ـ في الطعن علىٰ الإمام الحسن المجتبىٰ ـ عليه السّلام ـ، حيث ذكر قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «لعن الله كلّ ذواق مطلاق»، ثمّ قال: وأمّا ما فعله الحسن (رضي الله عنه) فرأيٌ منه ـ يعني من إكثاره الطلاق ـ في قبال النصّ.[٤]، ونحوه كلامه أيضاً ـ في «فتح القدير»، في باب الغنائم ـ، حيث

---

١. شرح صحيح مسلم ١ / ٤٧ ـ ٤٨.

٢. صحيح مسلم ١ / ١٩٥، كاب الايمان، باب أهون أهل النار عذاباً.

٣. منهاج السنّة النبويّة ٢ / ١٢٣.

٤. فتح القدير ٢ / ١٤.

ينبغي الالتفات إلىٰ أنّ موضوع إكثار سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسن من الطلاق، تُـهمة كـان للاعلام الأموي والعباسي دورٌ لا يُنكر في ترويجها في سبيل تشويه عظمة آل البيت عموماً والإمام الحسن خصوصاً، وذلك ضمن سيول الافتراءات الّتي أُعدّت بهذا الصدد وأخرجها شرذمة من القشريّين والمـرتزقة المتظاهرين بلباس أهل الدِّين.

تكلّم علىٰ الباقر ـعليه السّلام ـ في أخبر به عن جدّه علي بن أبي طالب ـعليه السّلام ـ: إنّه كان يرىٰ سهم ذي القربىٰ، لكن لم يعطهم مخافة أن يُدعىٰ عليه بخلاف سيرة أبي بكر وعمر، بكلام حاصله كون خبر أبي جعفر (عليه السّلام) عن ذلك خلاف الواقع، فيكون ذلك أمّا من جهله أو سهوه أو نسيانه أو كذبه علىٰ جدّه، لترويج مذهبه ومذهب الأئمّة من ولده[١]. انتهىٰ.

قال محمّد معين بن محمّد أمين السندي ـ في كتابه «دراسات اللبيب» ـ: كلّ ذلك ـ يعني من ابن الهمام ـ تقشعر منه جلود الّذين يخشون ربّهم. قال: فالفجيعة كلّ الفجيعة علىٰ الأُمّة ان خلت كتب المذاهب الأربعة عن مذهب أهل البيت ـ رضي الله عنهم ـ[٢].

ونحوه ما صدر عن الغزالي في تمجيد يزيد بن معاوية، إذ أطال في ردّ كثير ممّا نسب إليه، كقتل الحسين ـعليه السّلام ـ، فقال: لم يثبت من طريق صحيح أنّه قتله، ولا أمر بقتله. ثمّ إنّه بالغ في تحريم سبّه ولعنه[٣].

وكابن العربي المالكي، إذ قال: لم يقتل يزيد الحسين ـعليه السّلام ـ إلّا بسيف جدّه، يعني باعتقاد يزيد أنّه الإمام بالحقّ، وإنّ الحسين ـعليه السّلام ـ باغٍ عليه، والبيعة سبقت ليزيد[٤].

إلىٰ غير ذلك من الهفوات في سادات أهل الجنّة ومن أوجب الله تعالىٰ علىٰ الناس لهم المودّة، وأثبت لهم في محكم الكتاب والسنّة العصمة والطهارة، ومع ذلك خالف وتخلّف الحزب المرواني، فاثبتوا لهم كلّ منقصة، ونفوا عنهم كلّ فضيلة، فنفىٰ ابن تيمية (في منهاجه) أعلميّة علي ـعليه السّلام ـ، وعصمته، وتخرّص بخطئه في مسائل الفقه، وبان أبي بكر أتقىٰ وأسخىٰ وأزهد وأشجع من علي ـعليه السّلام ـ، بل وانّ فضيلة الخلفاء

---

١ . فتح القدير ٢ / ٢٨٠.

٢ . دراسات اللبيب / ٤٣٨.

٣ . إحياء علوم الدِّين ٣ / ١٢١.

٤ . العواصم من القواصم / ٢٣٢. والمنقول بالمضمون.

الأربع علىٰ الترتيب، وانّ عثمان أفضل من علي -عليه السّلام-[١]. فلابن تيمية نظائر لا يضرّهم إذا بنوا علىٰ كفر أبي طالب وإيمان أبي سفيان وحزبه من الطلقاء وأبناء الطلقاء، وإنّما الكلام مع من برّأه الله تعالىٰ، وأعطاه حسن الايمان.

وإلاّ فقد وقعت الشبهة من أهل السنّة - أيضاً - في إيمان آباء رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - وأجداده، بل في إيمان أبويه، مصرّحين بأنّهما ماتا علىٰ الكفر، كما عن ابن كثير الدمشقي في تفسيره عند قوله تعالىٰ: «ما كان للنبي والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربىٰ»[٢]، وحديثه عن الامام أحمد وعن علقمة بن مرثد، ومن ابن أبي حاتم،، وعن الطبراني من بكاء النبيّ- صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - عند قبر أُمّه آمنة وترحّمه لها، ونزول جبرئيل بالآية، ونهيه عن الاستغفار لها...[٣].

وكذلك قول ابن كثير - في تاريخه «البداية والنهاية - باخبار النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) عن أبويه وجدّه عبد المطّلب بأنّهم من أهل النار[٤].

وفي «المواهب اللدنية»: عن أبي الخطّاب بن دحية قوله «من مات كافراً، لم ينفعه الايمان بعد الرجعة». وحكىٰ عنه: انّ إحياء النبيّ -ص- أبويه، وايمانهما به موضوع، يرده القرآن والاجماع[٥]. انتهىٰ.

والغرض من هذا التطويل بيان أنّ الجماعة بنوا علىٰ موت آباء النبيّ - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - علىٰ الكفر، فضلاً عن أبي طالب، حتّىٰ أنّهم نسبوا القول إلى الشيعة، قال العلاّمة القسطلاني - في «المواهب اللدنية» -: نقل الامام أبو حبان في «البحر» - عند تفسير قوله تعالىٰ: «وتقلّبك في الساجدين»[٦]: إنّ الرافضة هم القائلون إنّ آباء النبيّ

---

١. منهاج السنّة النبويّة ٤/ ١٣٥، ١٣٧.

٢. سورة البراءة/ ١١٣.

٣. تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٩٣.

٤. البداية والنهاية ٣ / ١٢٤ - ١٢٥.

٥. المواهب الدنية ١ / ٤٤- ٤٥.

٦. سورة الشعراء: ٢١٩.

ـص ـ كانوا مؤمنين، مستدلّين بقوله تعالىٰ «وتقلّبك في الساجدين»، وبقوله ـص ـ «لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين»...[١].

قلت: وذلك من مفاخر الشيعة، وإنّه ممّا وافق عليه الكتاب والسنّة من قوله تعالىٰ: «وتقلّبك في الساجدين».

إذ معناه: وتقلّبك في أصلابك الموحّدين من نبي إلىٰ نبي، حتّىٰ أخرجه الله نبيّاً. وقيل معناه: أنّه يراك حين تقوم إلى الصلاة ويرىٰ تقلّبك بين المصلّين الساجدين معك عندما صليت الجماعة، ويرده أنّ الآية في سورة الشعراء، وهي مكيّة ـ كما في التفاسير ـ، ولقوله تعالىٰ «وأنذر عشيرتك الأقربين»[٢] النازل في مكّة باتّفاق أهل الحديث من العامّة والخاصّة، وهى قبل قوله تعالىٰ: «وتقلّبك في الساجدين»، ومن البديهة أنّه عند نزول الآية لم يكن مصلّي مع النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ حتّىٰ يُصلّي بهم جماعة.

ويدلّ عليه ـ أي: علىٰ إيمان آباء رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) أيضاً من السنّة قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام الطاهرات»، وحمله علىٰ الطهارة عن السِفاح[٣] مردودٌ بانّ قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عام، يعمّ الطهارة من كلّ رجس ونجس، ومنه الشرك، لقوله تعالىٰ «إنّما المشركون نجس»، فوجب أن لا يكون واحدٌ من آباء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مشركاً غير موحّد.

وهذا ليس من الخبر الواحد، وإنّما هو خبر متواتر، اعتمد عليه كلّ من نفىٰ الشرك عن آباء النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من الشيعة وأئمّة الشافعيّة والأشاعرة، حسب ما نصّ عليه ابن حجر الملكّي في «المنح المكيّة، شرح القصيدة الهمزيّة»، والشيخ علي الشراملسي المصري في حاشيته علىٰ «المواهب السنيّة» المسماة بـ «تيسير المطالب السنيّة» قال: إنّهم المستدلّون علي نجاة آباء النبيّ ـص ـ بالآية والحديث[٤].

---

١. المواهب اللدنية ١ / ٤٥.

٢. سورة الشعراء / ٢١٤.

٣. السِفاح: الزنا.

٤. لم أجد المصدرين.

ثمّ إنّ لنا علىٰ ذلك زيادة كاشفة عن إيمان آباء النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وإيمان أبي طالب، من الحديث الّذي رواه أخطب خوارزم ـ في المناقب ـ[١]، والنطنزي ـ في «الخصائص العلوية» ـ[٢]، والشيخ سلمان القندوزي ـ في «ينابيع المودّة» في الباب الأوّل قائلاً: وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» عن سلمان ـ[٣]: عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال: كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ، يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق آدم، أودع ذلك النور في صُلبه، فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً، حتّىٰ افترقنا في صُلب عبد المطّلب، ففيّ النبوّة، وفي علي الإمامة. وفي حديث آخر من قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: حتّىٰ أقرّنا في صُلب عبد المطّلب، ثمّ قسمه قسمين، فأخرج قسماً في صلب أبي ـ عبد الله ـ، وقسماً في صُلب عمّي أبي طالب...[٤].

ففي الحديث من الدلالة الواضحة علىٰ أنّ تلك الأصلاب هي الحاملة لنور النبوّة والإمامة، فلا تصحّ أن تكون مشركة ساجدة تجاه الاصنام النجسة والأوثان الرجسة، فالأنوار القدسيّة تلزمها أن تكون حاملها مقدّسة مكرّمة بكرامة الله تعالىٰ، فمن القبيح جدّاً أن يكون الشيء القذر يجعله الله تعالىٰ وعاءً للطاهر بالذات، فأبو طالب هو الحامل لنور الإمامة، فلا محالة يكون طاهراً عن أرجاس الجاهليّة، وهي الشرك وعبادة الأوثان.

إثبات إيمان أبي طالب ـ عليه السّلام ـ

ويكفي في إيمانه إجماع أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ واتّفاق سادات أهل الجنّة، ونهوض أحاديثهم متواترة، وبياناتهم في مقام الجواب مشافهة، وإنكارهم علىٰ من حكم بأنّه مات كافراً، ومن ضرورة الشرع وجوب اتّباع سنّة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ،

---

١. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / ٨٨.

٢. المصدر مخطوط.

٣. ينابيع المودّة / ١٠. واللفظ له.

٤. ينابيع المودّة / ١١.

وإنّها ممّا تقوم به الحجّة، لقول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ متواتراً: إنّي مخلّف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً. أورده ابن حجر في «الصواعق»[١]، وأحمد بن حنبل في «المسند»[٢] والحديث: مَثَل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق. أخرجه ابن حجر في «الصواعق»[٣]، والحاكم في «المستدرك»[٤]. فإنّ الحديث وما قبله صريح في الحثّ علىٰ الأخذ بسنّة أهل البيت، ومن سنّتهم اتّفاقهم علىٰ إيمان جدّهم أبي طالب ـ عليه السّلام ـ.

وحسبك من القرآن في إيمانه قوله تعالىٰ: «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان...»[٥]، وقوله تعالىٰ: «ألا أن تتّقوا منهم تقاة...»[٦]، التقاة: التكلم باللسان، والقلب مطمئنّ بالإيمان.

وأبو طالب في الإسلام حاله حال مؤمن آل فرعون في قومه، يكتم إيمانه، ويحفظ بذلك رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

وفي الشرح ـ لابن أبي الحديد ـ باسناده إلىٰ أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (عليه السّلام) عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: «إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر، فآتاهم الله أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك، فأتاه الله أجره مرّتين»[٧]. انتهىٰ.

وفيه أيضاً: بالاسناد إلى السجّاد علي بن الحسين زين العابدين ـ عليه السّلام ـ، إنّه سُئل عن إيمان أبي طالب، فقال: واعجبا! إنّ الله تعالىٰ نهىٰ رسوله ـ ص ـ ان يقرّ

---

١. الصواعق المحرقة / ١٤٩. والمنقول بالمضمون.

٢. مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٧، ٢٦، ٥٩ و ٤ / ٣٦٦.

٣. الصواعق المحرقة / ١٨٦.

٤. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٥٠.

٥. سورة النحل / ١٠٦.

٦. سورة آل عمران / ٢٨.

٧. شرح نهج البلاغة ١٤ / ٧٠.

مسلمة علىٰ نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلىٰ الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب إلىٰ أن مات»[1].

وفيه: قال واعلم إنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ كان يدعي التقدّم علىٰ الكلّ والشرف علىٰ الكلّ، والنعمة علىٰ الكلّ بابن عمّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ، وبنفسه، وبأبيه أبي طالب ـ عليه السّلام ـ، فانّ من قرأ علوم السِّير عرف أنّ الإسلام لم يستقم إلّا بوجود أبي طالب. وليس لقائل أن يقول: كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالىٰ باظهاره، سواء كان أبو طالب موجوداً أو معدماً؟ فالجواب: إنّه لا ينبغي أن يمدح رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ علىٰ أنّه هدىٰ الناس وأنقذهم من الجهالية، وأن لا يمدح أبو بكر علىٰ أنّه له أثراً في الإسلام، وإنّه لو لا عمر، لما كانت الفتوحات، فان قيل: إن هؤلاء يحمدون لأنّ الله أجرىٰ تقوية الاسلام علىٰ أيديهم، فكذلك يقال في شأن أبي طالب أيضاً[2].

وصيّة أبي طالب ولديه بحفظ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ

كيف لا يؤمن أبو طالب بالنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وقد أوصىٰ ولديه عليّاً ـ عليه السّلام ـ وجعفراً بحفظه، والصلاة معه، وعدم الانفكاك عنه؟ ولولا أنّه مصدِّق به في باطن الأمر لما أمرهما بالكون معه، والصلاة وراءه. وقد صرح بذلك أحمد بن زيني دحلان ـ هو من أعاظم علماء الجماعة ـ في كتابه «أسنىٰ المطالب»[3].

وأخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ في «الإصابة» ـ: عن أبي رافع قال: سمعتُ أبا طالب يقول: حدّثني محمّد ـ ص ـ انّ ربّه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبد الله وحده. ومحمّد عندي الصادق الأمين[4]. انتهىٰ.

---

١ . شرح نهج البلاغة ١٤ / ٦٩.

٢ . شرح نهج البلاغة ١ / ١٤٢.

٣ . اسنىٰ المطالب / ١٧.

٤ . الاصابة ٤ / ١١٦. والمنقول بالمضمون.

وقوله: «ومحمّد عندي الصادق الأمين» هو عين التصديق منه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في أنّه المبعوث من الله لنفي الشرك.

وأيضاً في «أسنىٰ المطالب» باسناده عن عروة الثقفي قال: سمعت أبا طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول: حدّثني ابن أخي الصادق الأمين، وكان والله صادقاً، إنّ ربّه أرسله بصلة الأرحام، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وكان يقول: أشكر تُرزَق، ولا تكفر تُعذِّب[1].

وأخرج الحافظ ابن حجر أيضاً ـ في «الإصابة» بالاسناد إلىٰ علي ـ عليه السّلام ـ انّه لما أسلم، قال له أبو طالب ـ عليه السّلام ـ: «إلزم ابن عمّك». واخرج أيضاً عن عمران بن حصين: انّ أبا طالب ـ عليه السّلام ـ قال لابنه جعفر لمّا أسلم: «صل جناح ابن عمّك»، فصلّىٰ جعفر مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ[2]. انتهىٰ.

وفي «منتخب كنز العمّال» عن علي ـ عليه السّلام ـ قال: كنت مع رسول الله ـ ص ـ في خباء لأبي طالب، إذ أشرف علينا، فبصر به النبيّ ـ ص ـ، فقال: يا عم! ألا تنزل فتصلّي معنا؟ قال: يا ابن أخي! إنّي لأعلم أنّك علىٰ الحقّ، ولكنّي أكره أن أسجد، فتعلوني استي، ولكن أنزل يا جعفر! فصل جناح عمّك. فنزل جعفر، فصلّىٰ عن يسار النبيّ ـ ص ـ...[3].

وروىٰ ابن أبي الحديد ـ في الشرح ـ عن علي (عليه السّلام) قال: ما عبد الله أحدٌ قبلي إلّا نبيّه (عليه السّلام)، ولقد هجم أبو طالب علينا ـ وأنا وهو ساجدان ـ فقال: افعلتموها؟. ثمّ قال لي ـ وأنا غلام ـ: «ويحك أُنصر ابن عمّك. ويحك لا تخذله»، وجعل يحثّني علىٰ مؤازرته ومكانفته[4]. فقال له رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: «أفلا تصلّي

---

١. اسنىٰ المطالب / ١٤ ـ ١٥.

٢. الاصابة ٤ / ١١٦.

٣. منتخب كنز العمّال ٥ / ١٥٦.

ولا يخفىٰ أنّ هذا الخبر كلّه أو جزأه الأخير مفترىٰ به علىٰ الإمام علي، وهدف المؤلّف من ذكره هو الإستدلال من كتب العامّة علىٰ ايمان سيّدنا أبي طالب بنبوّة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

٤. مكانفته: معاونته، صيانته.

أنت معنا يا عمّ!؟» فقال «لا أفعل يا ابن أخي، لا تعلوني استي». ثمّ انصرف[١]. انتهىٰ.

وفي السيرة الحلبيّة ـ لـ [ابن] [٢] برهان الدِّين الحلبي عن كتاب «أسد الغابة»، لابن الأثير ـ: إنّ أبا طالب رأى النبيّ ـص ـ وعليّاً ـعليه السّلام ـ يصلّيان، وعليٌ عن يمينه، فقال لجعفر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: «صل جناح ابن عمّك»، فصلّىٰ عن يساره، وكان اسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي بقليل[٣].

وفيها أيضاً: عن مقاتل: أنّ أبا طالب قال عند موته: يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمّداً وصدّقوه، تفلحوا وترشدوا. فقال له النبيّ ـص ـ: يا عم! أتأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدع نفسك؟ فقال: يا ابن أخي! قد علمتُ انّك صادق، لكنّني أكره أن يقال...[٤] وهذا تصريح بالتصديق والاعتقاد بالحقّ، غير انّه علّل عدم تجاهره بما فيه التصديق إذ كان يسكت عنه.

وفي السيرة الحلبيّة أيضاً: انّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطّلب فقال: «لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد ـص ـ وما اتّبعتم أمره، فاطيعوه ترشدوا»[٥].

وفيها أيضاً: انّ أبا طالب جمع إليه وجهاء قريش، فأوصاهم، وفي آخر وصاياه قال: إنّي أوصيكم بمحمّد خيراً، فانّه الأمين في قريش، وهو الصديق في العرب وقد جاء بأمرٍ قَبِلَهُ الجِنان وأنكره اللسان...، وأيم الله[٦]! كأنّي أنظر إلىٰ صعاليك[٧] العرب

---

١. شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٤.

وفيه ما ذكرناه في التعليقة ٣ من الصفحة السابقة.

٢. الزيادة من المصدر.

٣. انسان العيون ١ / ٢٦٩.

٤. انسان العيون ١ / ٣٥٠.

٥. انسان العيون ١ / ٣٥٢.

٦. أيم الله: اسم للقسم.

٧. صعاليك: ضعفاء.

والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، فصاروا رؤساء قريش[١]. فيا معشر قريش! كونوا له ولاة، والله لا يسلك أحدٌ منكم سبيله إلّا رشد، ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلّا سعد[٢]. انتهىٰ.

وفي «المواهب اللدنية»: إنّ النبيّ ـ ص ـ كان عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، إذ اجتمعت قريش يريدون بالنبي ـ ص ـ سوءاً، فقام أبو طالب ينشد هذه الأبيات:

تاللهِ لن يصلوا إليك بجمعهم — حتّىٰ أوسَّدَ في التراب دفينا
واصدَع بأمرك ما عليك غَضَاضةٌ — وابشر وقُرَّ بذاك منك عيونا[٣]
وعرضتَ ديناً لا محالة أنّه — من خير أديان البريّة دينا
لولا الملامة أو حذاري سبّة — لوجدتني سمحاً بذاك مبيّنا[٤]

ومن شعره الدال علىٰ إيمانه بالله تعالىٰ وبمحمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قبل بعثته، قوله في مدحه:

وأبيضَ يُستسقىٰ الغمامُ بوجههِ — ثِمالُ اليتامىٰ[٥]، عصمةٌ للأراملِ[٦]

إلىٰ قوله:

كذبتم وبيتِ الله، نُبزي[٧] محمّداً — ولمّا نُطاعِن حولَه ونناضل[٨]
ونُسلمُهُ حتّىٰ نُصرَّع حولَه — ونَذهَلَ عن أبنائنا والحلائل[٩]

---

١ . في المصدر: فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً.

٢ . انسان العيون ١ / ٣٥٢.

٣ . في المصدر بيت آخر بعد هذا البيت، وهو:

ودعوتني وزعمتَ أنّك ناصحي — ولقد صدقتَ وكنتَ ثمّ أمينا

٤ . المواهب اللدنية ١ / ٦٠ ـ ٦١.

٥ . ثِمال اليتامىٰ: غياث اليتامىٰ، الّذي يقوم بأمرهم.

٦ . الأرامل: الزوجات اللاتي مات عنهنّ أزواجهنّ، الرجال المحتاجون والضعفاء.

٧ . نُبزي: نغلب. وفي نسخة «يُبزىٰ»، أي: يُغلب.

٨ . نناضل: نرامي السهام.

٩ . السيرة النبويّة ١ / ٢٩١ ـ ٢٩٩.

هذا. فعن ابن التين: انّ في شعر أبي طالب دلالة علىٰ أنّه كان يعرف نبوّة النبيّ ـ ص ـ قبل أن يُبعث، لما أخبره بحيراء وغيره من شأنه.

وممّا هو صريح في إيمان أبي طالب ـ عليه السّلام ـ شعره إلى النجاشي يدعوه إلىٰ الإسلام، ذكره الحاكم في المستدرك الّذي صحّحه علىٰ شرط البخاري ومسلم من قوله:

ليعلم خيار الناس انّ محمّداً وزيرٌ لموسىٰ والمسيح بن مريم

أتىٰ بالهدىٰ مثل الّذي أتيا به[1] فكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصم

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا فإنّ طريق الحقّ ليس بمظلم[2]

انتهىٰ.

فقوله «إنّ محمّداً وزيرٌ لموسىٰ» ـ عليه السّلام ـ، وقوله انّه «أتىٰ بالهدىٰ»، وقوله «فكلّ بأمر الله يهدي» شهادة قاطعة منه بنبوّة محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وبنبوّة من كان قبله من موسىٰ ـ عليه السّلام ـ، وعيسىٰ ـ عليه السّلام ـ، فلا يكون كافراً. وقوله «فلا تجعلوا لله ندّاً» شهادة منه بالتوحيد، ونهي عن الشرك، ودعوة إلى الإسلام، فأيّ حجّة علىٰ أبي طالب أقوىٰ لولا العناد؟.

الإيمان عند أبناء العامّة

في «صحيح مسلم» ـ باب من لقي الله بالايمان ـ بطريقين عن عثمان قال: قال رسول الله: «من مات وهو يعلم أنّه لا إله إلّا الله دخل الجنّة...»[3].

وهو صريح في أنّ العلم بالوحدانيّة كاف في الخلاص من النار، ودخول الجنّة، ومرافقة الأنبياء والأولياء، سيـ فـ كان الكتمان إعزازاً للدّين، وحفظاً للأنبياء والمرسلين،

والمذكور هنا جزء من شعر ذي أربعة وتسعين بيتاً قاله أبو طالب في النبيّ.

١. في المصدر: «أتانا بهدي مثل ما أتيا به».

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٦٢٣.

والبيت الأخير المذكور هنا لا يوجد في المصدر.

٣. صحيح مسلم ١ / ٥٥، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أنّ من مات علىٰ التوحيد دخل الجنّة قطعاً.

كما في مؤمن آل فرعون في قوله تعالىٰ: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه: أتقتلون رجلاً ان يقول ربّي الله؟...»[١].

وفي «الفتاوىٰ السراجيّة»: قال أبو حنيفة: إنّ الايمان هو الإذعان بالجنان، وإنّما الاقرار باللسان لإجراء الأحكام، فإذا عرف الله بقلبه، فهو مسلم من أهل الجنّة. وقال: قول أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي اليسر الأشعري البصري وأصحابه إنّ الايمان عقد بالقلب، وإن أعلن [الكفر][٢]. وقال المحشي لـ«تاريخ بغداد» ـ عند رأي أبي حنيفة في الايمان ـ: وبعد فاعلم انّ أبا حنيفة ـ رض ـ قال: إنّ الأعمال ليست داخلة في حقيقة الايمان، ولكنّها شرايع الايمان، وقد قال بهذا جمهور الأشاعرة وأبو منصور الماتريدي[٣]. انتهىٰ.

ومن هنا ذهب شيخ الأشاعرة الامام الرازي ـ في «التفسير الكبير» ـ: إلىٰ أنّ الإيمان عبارة عن التصديق، واحتجّ لما ادّعاه بوجوه[٤]. وعن المولوي الشاه عبد العزيز الدهلوي ـ في كتابه «سفر السعادة» ـ: إنّ حقيقة الايمان هو التصديق القلبي، وشُرِطَ الاقرار لصحّة إجراء الأحكام في الدنيا، فمن حصل له التصديق فهو مؤمن بالله[٥]. انتهىٰ.

وقال ابن حزم ـ في كتاب «الفصل في الملل والنحل» ـ: إنّ مذهب أبي الحسن الأشعري إنّ المسلم من عرف الله بقلبه، و إن أظهر اليهوديّة والنصرانيّة، فإذا عرف الله بقلبه فهو مسلم من أهل الجنّة[٦]، وقال: قول أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي اليسر الأشعري البصري وأصحابه إنّ الايمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقيّة، وعبد الأوثان، أو لزم اليهوديّة والنصرانيّة في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات علىٰ ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزّ وجلّ، وليّ

---

١. سورة الغافر / ٢٨.

٢. لم أعثر علىٰ المصدر.

٣. لم أعثر علىٰ الحاشية المذكورة.

٤. التفسير الكبير ٢ / ٢٦.

٥. لم أعثر علىٰ المصدر.

٦. الفصل في الملل والأهواء ٣ / ١٠٥.

لله، ومن أهل الجنّة[١]. انتهىٰ.

أقول: وقد أطلق اسم الايمان علىٰ مجرّد عقد القلب مع عدم الإظهار، في آيات من القرآن، كقوله تعالىٰ: «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئن بالايمان»[٢]، وقوله تعالىٰ في أصحاب الكهف: «انّهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدىً»[٣]، وقوله تعالىٰ في مؤمن آل فرعون: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه...»[٤]، وقوله تعالىٰ في إبراهيم ـ عليه السّلام ـ: «أو لم تؤمن؟ قال: بلىٰ، ولكن ليطمئنّ قلبي...»[٥]، وقوله تعالىٰ: «كتب في قلوبهم الايمان»[٦].

النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وترحمه لأبي طالب ـ عليه السّلام! ـ

روىٰ السبط ابن الجوزي ـ في «تذكرة خواصّ الأُمّة» ـ: عن علي ـ عليه السّلام ـ قال: لما توفي أبو طالب أخبرت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فبكىٰ بكاءً شديداً، ثمّ قال: «اذهب فاغسله، وكفّنه، وواره، غفر الله له ورحمه»، فقال له العبّاس: يا رسول الله! إنّك ترجو له؟ فقال «أي والله، إنّي لارجو له»، وجعل رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يستغفر له أيّاماً لا يخرج من بيته. وقال الواقدي: قال ابن عبّاس: عارض[٧] رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ جنازة عمّه أبي طالب، وقال: وصلتك رحم، وجزاك [الله يا

١ . الفصل في الملل والأهواء: ٤/ ١٥٥.

٢ . سورة النحل / ١٠٦.

٣ . سورة الكهف / ١٣.

٤ . سورة الغافر / ٢٨.

٥ . سورة البقرة / ٢٦٠.

٦ . سورة المجادلة / ٢٢.

٧ . عارض: استقبل.

عم][1] خيراً[2]. انتهىٰ.

أقول: الحديث أيضاً ذكره الحلبي في «السيرة النبويّة»[3]، وأحمد بن زيني دحلان في «السيرة النبويّة»[4]، وابن كثير الشامي في «البداية والنهاية»[5]، وابن أبي الحديد في الشرح[6].

وفي تاريخ أبي الفداء: انّه لما تقارب من أبي طالب الموت، جعل يحرِّك شفتيه، فاصغىٰ إليه العبّاس بإذنه، وقال: يا بن أخي! لقد قال الكلمة الّتي أمرته أن يقولها، يعني الشهادة. فقال رسول الله ـ ص ـ: الحمد لله الّذي هداك يا عم[7]. انتهىٰ.

وقال الشيخ عبد الحقّ الدهلوي الحنفي ـ في كتابه «سفر السعادة» ـ: انّ النبيّ ـ ص ـ كان يمشي مع جنازة عمّه، ويترحّم له، ويقول: غفر الله لك ورحمك. وقال: إنّ الشيخ ابن حجر العسقلاني ـ في «فتح الباري» ـ ذكر أبيات أبي طالب، وهي:

وأبيض يُستسقىٰ الغمام بوجهه.......

قال: انّه ذكرها بطولها أبو إسحاق ـ في سيره ـ قائلاً: قائلاً: إن معرفة أبي طالب بنبوته جاءت في كثير من الأخبار، وتمسك بها الشيعة انّه كان مسلماً. وقال: رأيتُ لعلي بن حمزة البصري جزواً جمع فيه شعر أبي طالب، وزعم انّه كافر، واستدل لدعواه ما لا دلالة فيه[8]. انتهىٰ.

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . تذكرة خواصّ الأُمّة / ٨.

٣ . انسان العيون ١ / ٣٥٠.

٤ . السيرة النبويّة / ٨٤.

٥ . البداية والنهاية ٣ / ١٢٥.

٦ . شرح نهج البلاغة ١٤ / ٨٣. مع اختلاف غير مخلّ.

٧ . المختصر في تاريخ البشر ١ / ١٢٠.

٨ . لم أعثر علىٰ المصدر. والقسم الأخير من ذلك مذكور في فتح الباري ٧ / ١٥٣.

تقوّلاتهم علىٰ أبي طالب ـ عليه السّلام ـ

فنها: ما حكاه ابن حزم الأندلسي ـ في كتاب «الفصل في الأهواء والملل والنحل» ـ عن بعض الأشعريّة: انّ حبّ النبيّ (ص) لمن أحبّ ليس فضلاً، لأنّه أحبّ عمّه أبا طالب، وهو كافر، وقال تعالىٰ: «إنّك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء»[١] [٢]. انتهىٰ.

أقول: إنّ الآية منخرطة في سلك نظائرها من قوله تعالىٰ: «ولو شاء الله لجمعهم علىٰ الهدىٰ»[٣]، وقوله تعالىٰ حكاية عن إبراهيم ـ عليه السّلام ـ: «لإن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالين»[٤]، وقوله تعالىٰ: «ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتّىٰ يكونوا مؤمنين، وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله، ويجعل الرجس علىٰ الّذين لا يعقلون»[٥].

فعلىٰ هذا لا دخل لآية «إنّك لا تهدي من أحببت» بإيمان شخص خاصّ، ولا بكفر إنسان مخصوص، بل يعمّ الخلائق أجمع من أيّ شريعة كانوا، وأقصاها الدلالة علىٰ أنّ الهداية من الله تعالىٰ ببعث الرسول وأنزال الكتب، وإظهار المعجزات، وإراءة الآيات من غرق، أو حرق، أو مسخ، أو طوفان، أو نار نمرود، أو تسع آيات بيّنات، أو إحياء الموتىٰ، أو الإخبار عن المغيّبات، علىٰ ما هي مذكورة في القرآن. فالآية حينئذ تدلّ علىٰ أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لا يهدي من أحبّ هُداه من أمّته، ولكن الله يهدي من يشاء هُداه، وهذا معنىٰ فرضه تعالىٰ لكلّ مؤمن بأن يحبّ الهدىٰ لكلّ شخص، وعليه يبتني الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر الشريعة، وتعليم الأحكام، حتّىٰ بالالجاء والاضطرار، كما في باب الجهاد.

ومنها: ـ ما اقترفه ابن حزم ـ في «الفصل» ـ من أنّ رسول الله ـ ص ـ كان يحبّ

---

١. سورة القصص / ٥٦.

٢. الفصل في الاهواء والملل ٤ / ٩٩.

٣. سورة الأنعام / ٣٥.

٤. سورة الأنعام / ٧٧.

٥. سورة يونس / ٩٩ ـ ١٠٠.

عمّه في مكّة في حياته وبعد مماته، بقرينة قوله تعالىٰ: «إنّك لا تهدي من أحببت»، كما قاله الأشعري، حتّىٰ إذا ارتحل إلى المدينة، فأنزل الله تعالىٰ عليه «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم، أو عشيرتهم...»[١]، وأنزل الله تعالىٰ: «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والّذين معه، إذ قالوا لقومهم إنّا بُرَءاء منكم وممّا تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّىٰ تؤمنوا بالله وحده...»[٢]، إن كان رسول الله ـ ص ـ أحبّ أبا طالب، فقد حرّم الله عليه بعد ذلك ونهاه عن محبّته، فقد بطل انّ يحبّ النبيُّ ـ ص ـ أحداً غير مؤمن[٣]. انتهىٰ.

قلت: كما أنّه بطل أن يحبّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أحداً غير مؤمن، كذلك بطل دعوىٰ انّ أبا طالب مات وهو غير مؤمن، لأن حبّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعمّه، مكرمة وفضيلة كاشفة عن سبق إيمانه، ولقد عدّوا من فضيلة عائشة وأبيها الحديث الّذي رووه عن أنس بن مالك وعمرو بن العاص إنّه سأل النبيّ ـ ص ـ: من أحبّ الناس إليك؟ قال: عائشة. قال من الرجال؟. قال: فأبوها[٤].

قال ابن حزم ـ في «الفصل» ـ: صحّ أنّ كلامه ـ ص ـ انّها أحبّ الناس إليه، وحي أوحاه الله تعالىٰ إليه، [ويخبر بذلك][٥] لا عن الهوىٰ، إن هو إلّا وحي يوحىٰ[٦]. انتهىٰ؟

قلت: فكذلك حبّه لعمّه أبي طالب، بل هو أولىٰ بأن لم يكن عن هوىٰ النفس، بل لتقدمه في الدِّين ولاستحقاقه ذلك بعمل كان منه، فأوجب الرحمة والقرب والمنزلة

---

١. سورة المجادلة / ٢٢.

٢. سورة الممتحنة / ٤.

٣. الفصل في الأهواء والملل ٤ / ٩٩.

٤. صحيح مسلم ٤ / ١٨٥٦، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق.

٥. الزيادة من المصدر.

٦. الفصل في الأهواء والملل ٤ / ٩٥.

الرفيعة، لقوله تعالىٰ: «تلك الجنّة الّتي أورثتموها بما كنتم تعملون»[١]، وقوله: «وأن ليس للإنسان إلّا ما سعىٰ»[٢]. فلذا كان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لا يفتر عن الترحّم علىٰ عمّه، والاستغفار له طول حياته ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، ومعلوم أنّ ذلك يكون برضاء من الله تعالىٰ ووحي منه بقوله تعالىٰ: «من ذا الّذي يشفع عنده إلاّ بإذنه»[٣]، وقوله تعالىٰ: «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ»[٤]، فرضاؤه تعالىٰ وارتضاؤه لأبي طالب اقتضىٰ ترحّم النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ واستغفاره له. فكان ذلك أيضاً بوحي من الله تعالىٰ، فمن زعم خلاف ذلك فقد خالف ما مرّ من آيات القرآن وما صحّ عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من الترحّم لعمّه.

البحث حول قوله تعالىٰ «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»[٥]

ومن تقوّل ابن حزم ـ في «الفصل في الأهواء والملل» ـ احتجاجه بقوله تعالىٰ: «فلمّا جاءتهم آياتنا مبصرة، قالوا: هذا سحر مبين، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً»[٦] علىٰ عدم كفاية مجرّد اليقين القلبي في الايمان، لأنّ الله تعالىٰ حكم بكفر فرعون واتباعه لجحدهم بألسنتهم إن آيات موسىٰ ـ عليه السّلام ـ من الله، مع استيقانهم أنّها حقّ من عنده تعالىٰ، فالازم هو الإقرار باللسان طبق ما في الجنان من الاستيقان[٧]. انتهىٰ.

أقول: إنّ هذا الكلام باطل لوجوه:

---

١ . سورة الزخرف / ٧٢.

٢ . سورة النجم / ٣٩.

٣ . سورة البقرة / ٢٥٥.

٤ . سورة الأنبياء / ٢٨.

٥ . سورة النمل / ١٤.

٦ . سورة النمل / ١٣ ـ ١٤.

٧ . الفصل في الاهواء والملل ٤ / ١١٣.

أحدها: إنّ فرعون وقومه كانوا مشركين شركاً عبادياً لا خالقياً، فهو وإن كان معتقداً ان لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالىٰ، غير أنّه جوّز لنفسه العبادة والانقياد والطاعة، نظير مشركي العرب في الجاهليّة، إذ جوّزوا عبادة الأصنام حول الكعبة وقالوا: كما في القرآن ـ:«إذ نسوّيكم بربّ العالمين»[١]، يعني التسوية في العبادة، وهذا شرك بالله تعالىٰ،لقوله تعالىٰ «اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً»[٢]، وقوله: «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً»[٣]، دلّ علىٰ أنّ الله تعالىٰ لا شريك له في عبادته، كما أنّه لا شريك له في ملكه وسلطانه، وقوله تعالىٰ: «ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً، أن اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت»[٤].

وثانياً: إنّ فرعون ادّعىٰ الربوبيّة بقوله لموسىٰ ـعليه السّلام ـ: «ألم نربّك فينا وليداً، ولبثت فينا من عمرك سنين؟»[٥].

قال الفخر الرازي ـ في التفسير ـ: إنّما قال فرعون «فمن ربّكما؟» ولم يقل «فمن إلهكما؟» لأنّه أثبت لنفسه ربّاً في قوله «ألم نربّك فينا وليداً»، كأنّه قال: أنا ربّك، فلم تدّعي ربّاً آخر؟. وهذا الكلام يشبه كلام نمرود لابراهيم ـعليه السّلام ـ عند قوله «ربّي الّذي يحيي ويميت» قال [نمرود له][٦]: «أنا احيي وأميت»...[٧].

فبذلك المعنىٰ الّذي ادّعاه فرعون، وأراده نمرود، أثبت كلاًّ منهما لنفسه التقدّم على الناس، واستحقاق أن يكون معبوداً لهم، فهم وإن تبين لهم الحقّ في توحيد الربّ، غير أنّهم لم يوحّدوه في العبادة والخضوع والكبرياء والعظمة، وقد قال سبحانه: «يدعوننا

١ . سورة الشعراء / ٩٨.

٢ . سورة النساء / ٣٦.

٣ . سورة الكهف / ١١٠.

٤ . سورة النحل / ٣٦.

٥ . سورة الشعراء / ١٨.

٦ . الزيادة من المصدر.

٧ . التفسير الكبير ٢٢ / ٦٤.

رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين»[١].

والّذي دلّ علىٰ أنّ فرعون كان يُري نفسه شريكاً مع الله تعالىٰ قوله تعالىٰ: «حتّىٰ إذا ادركه الغرق قال: آمنت أنّه لا إله إلّا الّذي آمنت به بنو إسرائيل، وانا من المسلمين»[٢]، وهذا توفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالىٰ: «وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم...»، فانّ الاعتقاد القلبي بتوحيد الله تعالىٰ، وإنّ الآيات الظاهرة منه تعالىٰ، لا ينافي ادّعاءه في المرتبة النازلة أنّه من أرباب الأنواع، وانّه كبقيّة المدبّرات، كما في قوله تعالىٰ: «أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً»[٣]، فاعتبروا لتنسيق العالم السفلي مدبّرات والمثلات،، كقوم ابراهيم ـ عليه السّلام ـ، إذ كانوا يعبدون الكواكب والشمس والقمر، زعماً منهم انّ لها التدبير والأمر في هذا العالم.

وثالثاً: هب انّ فرعون كان عارفاً ومستيقناً بالله تعالىٰ، غير انّه كان يظهر الانكار تكبّراً وتجبّراً وزوراً وبهتاناً، وحسبك في هذا في كونه مضلاًّ وساعياً في الأرض الفساد، وتوجّه الذمّ والتوبيخ واللوم إليه في قوله تعالىٰ: «إنّ فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعاً...»[٤]، وقوله تعالىٰ: «اذهبا إلىٰ فرعون إنّه طغىٰ»[٥]، وقوله تعالىٰ: «واستكبر هو وجنوده في الأرض»[٦]، وهذا كاستكبار ابليس والاستخفاف بأمر الله تعالىٰ، إذا أمره بالسجود لآدم ـ عليه السّلام ـ، فامتنع، واحتجّ بقوله: «انا خير منه، خلقته من نار، وخلقتني من طين»[٧]، فاعترف بانّ الله تعالىٰ خالقه وخالق آدم، لكنّه استكبر وقال: «لم

١ . سورة الأنبياء / ٩٠.

٢ . سورة يونس / ٩٠.

٣ . سورة ص ـ / ٥.

٤ . سورة القصص / ٤.

٥ . سورة طه / ٣٣.

٦ . سورة القصص / ٣٩.

٧ . سورة الأعراف / ١٢.

أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون»[١]، وقال الله تعالىٰ: «فسجدوا إلّا إبليس»[٢]، واستكبر، فهو كافر مرتدّ، لمكابرته مع الله تعالىٰ.

وكذلك فرعون، فهو كافر كفر استكبار، لا كفر شرك، فحاله حال غيره من المعاندين للحقّ والمشاقّين للأنبياء والرسل، قال الله تعالىٰ: «ومن يشاقق الرسول من عبد ما تبيّن له الهدىٰ ويتّبع غير سبيل المؤمنين، نولّه ما تولّىٰ»[٣]، وقال سبحانه: «الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول، من بعد ما تبيّن لهم الهدىٰ»[٤] فهؤلاء المشاقون ان لم يرجعوا إلى الشرك ليسوا بمشركين، لما في قلوبهم من الاعتقاد واليقين، وإنّما يكونوا كافرين لانكارهم ضروري الدِّين من اتباع الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فالشرك أخصّ من الكفر، كما في القرآن: «لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتّىٰ تأتيهم البيّنة»[٥].

والغرض من الإطالة بيان فساد الاحتجاج بقوله تعالىٰ: «وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم» علىٰ كفر أبي طالب، وإن كان مؤمناً بقلبه، وقد عرفت انّ الايمان عند الأشعريّة وأبي حنيفة، بل وائمّة الشافعيّة ـ مثل الغزالي والفخر الرازي ـ ما هو القائم بالضمائر، وانّ الظواهر كاشفة عنها، وليست داخلة في حقيقة الايمان.

قال الفخر الرازي ـ في التفسير ـ عند إقامة الحجّة علىٰ أنّ الايمان عبارة عن التصديق بكلّ ما عرف بالضرورة كونه من دين محمّد ـ ص ـ: الرابع[٦]: انّ الله تعالىٰ كلّما ذكر الإيمان في القرآن أضافه إلى القلب، قال: «من الّذين قالوا آمنا بأفواههم، ولم تؤمن

١ . سورة الحجر / ٣٣.

٢ . سورة البقرة / ٣٤.

٣ . سورة النساء / ١١٥.

٤ . سورة محمّد / ٣٢.

٥ . سورة البيّنة / ١.

٦ . من الوجوه الدالّة علىٰ كون الإيمان عبارة من التصديق.

قلوبهم»[١]، وقوله «وقلبه مطمئن بالايمان»[٢]، «كتب في قلوبهم الإيمان»[٣]، «ولكن قولوا: أسلمنا، ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم...»[٤]. إلىٰ أن قال: إنّ من عرف الله بالدليل، ووجد من الوقت ما أمكنه أن يتلفّظ بالشهادة، ولكنّه لم يتلفّظ بها، قال الغزالي: انّه مؤمن، لعدم الاجماع علىٰ كفره، وانّ الامتناع عن النطق يجري مجرىٰ المعاصي الّتي يؤتىٰ بها مع الإيمان[٥]. انتهىٰ.

وقال ـ في التفسير ـ أيضاً: القسم الثاني: أن يحصل العرفان القلبي والانكار اللساني، فهذا الإنكار إن كان اضطرارياً، كان صاحبه مسلماً، لقوله تعالىٰ: «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان»، وإن كان اختياريّاً، كان كافراً معانداً[٦].

أقول: وعدم إقرار أبي طالب ـعليه السّلام ـ بلسانه ـ إنّ صحّ في مزاعم الخصم ـ انّما هو لغرض حفظ النبيّ ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عن بأس المشركين، سي عشيرته الأقربين، فهو معذور لا محالة.

قال الفخر الرازي ـ في نفس المصدر ـ: القسم الثالث: ان يحصل العرفان القلبي ويكون اللسان خالياً عن الاقرار والانكار، فهذا السكوت امّا أن يكون اضطراريّاً أو اختياريّاً[٧]، فهو كمن عرف الله بدليله، ثمّ انّه لم يأت بالإقرار، فهذا محلّ البحث، وميل الغزالي ـ رحمه الله ـ إلىٰ أن يكون مؤمناً، لقوله ـ ص ـ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من الايمان»، وهذا الرجل قلبه مملوء من نور الإيمان، فكيف لا يخرج من النار[٨]؟

---

١ . سورة المائدة / ٤١.

٢ . سورة النحل / ١٠٦.

٣ . سورة المجادلة / ٢٢.

٤ . سورة الحجرات / ١٤.

٥ . التفسير الكبير ٢ / ٢٦ ـ ٢٧.

٦ . التفسير الكبير ٢ / ٥٨ ـ ٥٩.

٧ . لعلّ هنا سقطٌ ـ وعبارة المصدر هكذا: ... امّا أن يكون اضطراريّاً أو اختياريّاً، فإن كان اضطراريّاً، فذلك إذا خاف ذكره باللسان، فهذا مسلم حقّاً، أو كما إذا عرف الله بدليله ثم لما تمّ النظر مات فجأة ....، وأمّا ان كان اختياريّاً فهو كمن عرف الله بدليله ....

٨ . التفسير الكبير ٢ / ٥٨ ـ ٥٩.

التقيّة في الشريعة [والبَداء]

هذا المقام يشتمل علىٰ أصلين من أصول الشيعة:

أحدهما: التقيّة.

وثانيهما: البَداء.

وحيث انّهما وقعا موقع الطعن من قبل خصومهم، لزمنا ذكرهما، وإقامة البرهان عليهما في منهجين:

المنهج الأوّل: في التقيّة

قال عبد الحليم بن تيمية ـ في منهاجه ـ عند اظهار نصبه وعدائه وتفحّشه في كلامه ببيان وجوه مشابهة الشيعة لليهود: ومثل استعمال التقيّة وإظهار الباطل خلاف ما يضمرون من العداوة، مشابهة لليهود[1]، انتهىٰ.

فنقول: إنّ توضيح مبحث التقيّة: [إنّ التقيّة] عبارة عن المداراة مع من يُخاف سطوته علىٰ نفسه، من قتل أو ضرر، أو علىٰ دينه من الذهاب به، أو علىٰ عرضه.

وقد قامت الأدلّة علىٰ حُسنها ولزومها، وانّ عليها العقل والفطرة المستقيمة، وكذلك النقل من الكتاب والسنّة وسيرة الصحابة، فانّ من الضرورة هجرة المسلمين ـ بواسطة تعدي المشركين ـ إلى الحبشة في بدو الدعوة، ومعلوم انّها كانت لأمر واجب ديني، نظير فرار أصحاب الكهف، وقول بعضهم لبعض ـ كما في القرآن ـ «إنّهم إن يظهروا عليكم يرجموكم، أو يعيدوكم في ملّتهم، ولن تفلحوا إذاً أبداً»[2].

قال الامام أبو زكريا يحيىٰ بن شرف النووي ـ في «شرح الاربعين» ـ: لا مبالات باثبات التقيّة وجوازها، وإنّما تكره عامّة الناس لفظها لكونها من معتقدات الشيعة، وإلاّ فالعالم مجبول علىٰ استعمالها، وبعضهم يسمّيها «مداراة»، وبعضهم «مصانعة»، وبعضهم

---

١ . منهاج السنّة النبويّة ١ / ٩.

٢ . سورة الكهف / ٢٠.

«عقلاً معاشيّاً»، ودلّ عليها دليل الشرع[1]. انتهىٰ.

وقال في كتاب «الأذكار»: قد تظافرت [نصوص][2] الكتاب والسنّة علىٰ تحريم الكذب في الجملة، وعليه اجماع الأُمّة، وإنّما المهمّ بيان ما يستثنىٰ علىٰ تحريم الكذب في الجملة، وذلك فقد روينا في البخاري ومسلم عن أم كلثوم، إنّما سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «ليس الكذّاب الّذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً ويقول خيراً». وزاد مسلم انّه قال ابن شهاب[3]: «ولم اسمعه يرخّص في شيء ممّا يقول الناس إلّا في ثلاث: الحرب، والاصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها» فهذا الحديث صريح في إباحة بعض الكذب للمصلحة، وقد ضبط العلماء ما يباح منه، وأحسن ما رأيت في ضبطه ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي فقال: الكلام وسيلة إلى المقاصد، وكلّ مقصود محمود يمكن الوصول إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام. وإن لم يمكن التوصّل إليه بالصدق، فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، وواجب ان كان المقصود واجباً، فإذا اختفىٰ مسلم من ظالم وسئل عنه، وجب الكذب باخفائه، وكذا لو كان عند غيره وديعة وسأل ظالم يريد أخذها منه، وجب الكذب باخفائها[4]. انتهىٰ.

وقال ـ في شرحه علىٰ صحيح مسلم، في باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، وقول النبيّ (ص): «ليس الكذّاب الّذي يصلح بين الناس ويقول خيراً أو ينمي خيراً» ـ قال القاضي: لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، يعني فيمارواه مسلم من الكذب في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها، ما هو؟ فقالت: طائفة: هو علىٰ أطلاقه، واجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وإن الكذب المذموم ما فيه مضرة، واحتجّوا بقول إبراهيم

١ . شرح الأربعين النوويّة / ٣٦.

٢ . الزيادة من المصدر.

٣ . في المصدر: قالت أُمّ كلثوم.

٤ . الاذكار في المنتخب من كلام سيّد الأبرار / ١٨٤ ـ ١٨٥.

ـعليه السّلام ـ: «بل فعله كبيرهم»[1]،و «إنّي سقيم»[2]،وقوله «إنّها أُختي»، وقول منادي يوسف ـعليه السّلام ـ «أيّتها العير! إنّكم لسارقون»[3].قالوا: ولا خلاف انّه قصد ظالم قتل رجل هو عنده مُختفٍ ،وجب عليه الكذب في أنّه لا يعلم أين هو.انتهىٰ.

وفي «صحيح البخاري» ـ باب يمين الرجل لصاحبه انّه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه ـ «وكذا كلّ مكرَهٍ ـ بفتح الراء ـ يخاف،فانّه يذُبُّ عنه الظالم». إلىٰ أن قال: قال النبي (ص): قال إبراهيم ـعليه السّلام ـ لامرأته: «هذه أختي، وذلك في دين الله تعالىٰ[4]. انتهىٰ.

التقيّة في القرآن

وذلك بالنسبة إلىٰ هذه الشريعة قوله تعالىٰ «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»[5]، وقوله تعالىٰ «لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء» إلىٰ قوله «إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة»[6]، وقوله «ما جعل عليكم في الدِّين من حرج»[7]، فإن لزوم الحرج والضرر علىٰ النفس والمال في مواضع التقيّة أمر معلوم يكون منفيّاً بقوله تعالىٰ «ما جعل عليكم..». ويدلّ علىٰ الرخصة في التقيّة قوله تعالىٰ «فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد، فلا إثم عليه...»[8]، ومن الاضطرار الوقوع في الخطر.

ففي هذه الآيات غنىً وكفاية في مشروعيّة التقيّة وجوازها، وإن كانت الضرورة ربما تؤدّي إلىٰ وجوبها.

---

١. سورة الأنبياء / ٦٣.

٢. سورة الصافّات / ٨٩.

٣. سورة يوسف / ٧٠.

٤. صحيح البخاري ٨ / ٥٥، كتاب الاكراه، باب يمين الرجل لصاحبه إنّه أخوه إذا...

٥. سورة البقرة / ١٩٥.

٦. سورة آل عمران / ٢٨.

٧. سورة الحجّ / ٧٨.

٨. سورة البقرة / ١٧٣.

وفي البخاري: ـ في كتاب الاكراه وباب قوله «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان» ـ قال: «إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة»[وهي التقيّة][1]. وفيه: عن الحسن قال: «التقيّة إلىٰ يوم القيامة»[2]. وقال القسطلاني ـ في الشرح ـ: إنّها ثابتة إلىٰ يوم القيامة، لا تختصّ بعهد النبيّ ـص ـ[3].

وفي تفسير الجلالين: «إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة»: مصدر تقيّة، أي: تخافوا مخافة، فلكم موالاتهم باللسان دون القلب[4]. وفي تفسير النيشابوري: «إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة»: قال الجوهري يقال: اتّقىٰ تقيّةً وتقاةً. وللتقيّة عند العلماء أحكامٌ، منها: إذا كان الرجل في قوم يخاف منهم علىٰ نفسه، جاز له أن يظهر المحبّة والموالاة[5]. وفي تفسير الفخر الرازي ـ عند قوله «إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة ـ انّه قال مجاهد: هذا الحكم[6]كان ثابتاً في أوّل الاسلام، لأجل ضعف المؤمنين، فأما عبد قوّة الاسلام فلا، وروي الحسن انّه قال: التقيّة جائزة للمؤمنين إلىٰ يوم القيامة، وهذا القول أولىٰ، لانّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان[7]. انتهىٰ.

تفسير قوله تعالىٰ «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئنّ...»[8]: ففي «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ غيره، في تفسير هذه الآية: إنّ المشركين أخذوا عمّار بن ياسر، فعذّبوه حتّىٰ قاربهم في بعض ما أرادوا، وسبّ النبيّ ـص ـ وذكر آلهتهم بخير، وانّه قال: «يا رسول

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . صحيح البخاري ٥ / ٥٢، كتاب الاكراه وقوله تعالىٰ «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان...».

٣ . ارشاد الساري ٨ / ١٤.

٤ . تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٠.

٥ . تفسير غرائب القرآن ٣ / ١٧٨.

٦ . هذا الحكم: التقيّة.

٧ . التفسير الكبير ٨ / ١٤.

٨ . سورة النحل / ١٠٦.

الله! ما تُركتُ حتّىٰ سببتُك[1] وذكرتُ آلهتهم بخير»، قال ـص ـ: «كيف تجدُ قلبك»؟، قال: «مطمئنّاً بالإيمان»، قال: «إن عادوا فعُد»، وفي ذلك نزل الله تعالىٰ «إلا مَنْ أُكره وقلبه مطمئنّ بالايمان»[2].

وفي تفسير الفخر الرازي: انّ عماراً أعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكرَهاً، فقيل: يا رسول الله! انّ عماراً كفر، فقال: «كلاّ، انّ عماراً مليء إيماناً من قَرنِه إلىٰ قدمه، واختلط الايمان بلحمه ودمه». فأتىٰ عمّار رسول الله ـص ـ وهو يبكي، فجعل رسول الله ـص ـ يمسح عينيه ويقول: «مالك؟ إن عادوا لك، فعُد لهم بما قلت»[3]. انتهىٰ.

وقال ابن عبد البرّ المالكي ـ في «الاستيعاب» في ترجمة عمّار ـ: كان عمّار وأُمّه سُميَّة ممّن عُذِّب في الله، ثمّ أعطاهم عمّار ما أرادوا بلسانه، وقلبه مطمئن بالايمان، وهذا ممّا اجتمع عليه أهل التفسير[4].

وقال القسطلاني ـ في شرح البخاري ـ: ومن ثمّ أُتّفق علىٰ أنّه يجوز أن يواتي المكرَه علىٰ الكفر إبقاءً لمهجته...[5].

وفي «لباب النقول في أسبا النزول» ـ للسيوطي ـ في قوله تعالىٰ «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان»: انّه نزل في أناس من أهل مكّة، آمنوا ثمّ هاجروا، فخرجوا يريدون المدينة، فادركتهم قريش في الطريق، ففتنوهم، فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية[6]. انتهىٰ.

وفي البخاري ـ أيضاً ـ في كتاب الإكراه: قال الله تعالىٰ «إنّ الّذين توفّاهم الملائكة

---

١. في المصدر: نلتُ منك.

٢. الدرّ المنثور ٤ / ١٣٢.

٣. التفسير الكبير ٢٠ / ١٢١.

٤. الاستيعاب ٣ / ١١٣٦.

٥. ارشاد الساري ١٠ / ٩٤.

٦. لباب النقول ٢ / ٤.

ظالمي أنفسهم، قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنّا مستضعفين في الأرض»[١]. قال القسطلاني[٢] «في أرض مكّة أو عاجزين عن إظهار الدِّين وإعلاء كلمته...»، قال: «فعذّر الله المستضعفين الّذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكرَه لا يكون إلّا مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما أمر به»، قال القسطلاني: «لا يقدر عن الامتناع من الترك، أي: تارك لأمر الله، فهو معذور، فكذلك المكرَه، لا يقدر علىٰ الامتناع من الفعل، فهو فاعل لأمر المكره، فهو معذور، أي كلاهما عاجزان»[٣].

وقال الحاكم في «المستدرك» ـ في قوله تعالىٰ «إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة» ـ التقاة: التكلّم باللسان، والقلب مطمئنّ بالايمان[٤]. وذلك كما في قصّة عمّار وشتمه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لخلاص نفسه، ومن ذلك فرار جعفر ومن معه من المسلمين إلىٰ بلاد الحبشة. انتهىٰ.

التقيّة في سنن الأنبياء

لدلالة القرآن المبين علىٰ أنّها من عمل المرسلين وشعار الصدّيقين عند خوفهم من إظهار الدِّين حسبما دلّت عليها الآيات، وهي بين طوائف:

الأولىٰ: ـ وهي عمدتها الّتي تخصّ بهذه الأمّة ـ ما قد اسمعناك عمومها وخصوصها.

واحتجّ الفخر الرازي ـ في تفسيره ـ بقوله «ما جعل عليكم في الدِّين من حرج»[٥]، وقوله «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العُسر»[٦]، وقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ

---

١ . سورة النساء / ٩٧. صحيح البخاري ٥ / ٥٢، كتاب الاكراه و...

٢ . في شرح «في الأرض».

٣ . إرشاد الساري ١٠ / ٩٤.

٤ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٢٩١.

٥ . سورة الحجّ / ٧٨.

٦ . سورة البقرة / ١٨٥.

«لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»[١] علىٰ انّ الأصل في المضارّ الحرمة[٢].

فنقول: إذا وقعت حادثة مشتملة علىٰ الضرر من كلّ الوجوه، فإن وجدنا نصّاً خاصّاً يدلّ علىٰ كونه مشروعاً، قضينا به، تقديماً للخاصّ علىٰ العامّ، وإلاّ قضينا عليه بالحرمة بناءً علىٰ هذا الأصل.

الطائفة الثانية :الآيات النازلة حكاية عمّا فعله إبراهيم الخليل ـعليه السّلام ـ مع قومه:

١ / منها قوله تعالىٰ «واعتزلكم وما تدعون من دون الله، وادعو ربّي»[٣]، فإنّه (عليه السّلام) بعد أن هدّده قومه بقولهم ـكما في القرآن ـ «لان لم تنته لأرجمنّك واهجرني مليّاً»[٤]. اعتزلهم وتباعد عنهم حيث كانت مصلحة نفسه ودينه، ولما كان الصلاح في هذا التباعد، مدحه الله تعالىٰ بقوله «فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله، وهبنا له إسحاق و يعقوب، وكلاًّ جعلنا نبيّاً، ووهبنا لهم من رحمتنا، وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً»[٥].

٢ / ومنها: قوله تعالىٰ: «فنظر نظرة في النجوم، فقال إنّي سقيم»[٦]، أراد إبراهيم ـعليه السّلام ـ بقوله «سقيم» انّه سقيم القلب من عمل قومه، لكنّه ـعليه السّلام ـ بعد نظره في النجوم أوهمهم أنّه ـعليه السّلام ـ استدلّ بعلائم سماويّة علىٰ أنّه سقيم البدن، ليتركوه، وجميع ذلك واقع منه ـعليه السّلام ـ اتّقاءً من قومه من عبادة أصنامهم وحضور أعيادهم الّتي فيها شعار الكفر.

٣ / ومنها: ذهابه ـعليه السّلام ـ خفاءً إلىٰ الأصنام، كما في قوله تعالىٰ: «فراغ إلىٰ

---

١. من لا يحضره الفقيه ٤ / ٢٤٣، غوالي اللآلئ ١ / ٣٨٣. ولم أجد في كتب العامّة الحديثيّة رواية الحديث مع لفظ «في الإسلام».

٢. التفسير الكبير ٢٠ / ٥٨.

٣. سورة مريم / ٤٨.

٤. سورة مريم / ٤٦.

٥. سورة مريم / ٤٩ـ ٥٠.

٦. سورة الصافّات / ٨٨ـ ٨٩.

آلهتهم»[١]، أي: ذهب إليها سرّاً، ومعنىٰ «راغ»، مال إلى الشيء علىٰ سبيل الخفية. ولولا الخوف علىٰ النفس لذهب إلىٰ آلهتهم علانية، كما ذهب إليها رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ جهاراً، وكسرها علانية.

٤ / ومنها: قوله تعالىٰ حكاية عن إبراهيم ـ عليه السّلام ـ: «قال: بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوهم إن كانوا ينطقون»[٢]. فإنّه ـ عليه السّلام ـ قال في جواب استفهامهم تهديداً «ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم»[٣]، فلم يعترف بانّه من فعله، بل قال: فعله كبيرهم»، ولم يقله إلّا خوفاً علىٰ نفسه من الهلاك[٤]، وفي الصحيحين: عن النبيّ ـ ص ـ قال: لم يكذب إبراهيم إلّا ثلاث كذبات، كلّها في ذات الله تعالىٰ: قوله «إنّي سقيم»، وقوله «بل فعله كبيرهم» وقوله في زوجته سارة «هي أختي»..[٥].

وروىٰ القسطلاني ـ في شرح البخاري ـ: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ـ ص ـ في كلمات إبراهيم الثلاث الّتي قال: ما منها كلمة إلّا ما حلّ بها عن دين الله ـ أي جادل ودافع ـ. وفي حديث ابن عبّاس ـ عند أحمد: «والله ما جادل بهنّ إلّا عن دين الله»... إلىٰ أن قال: الكذب في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمّل أخفّ الضررين دفعاً لأعظمهما، وقد اتّفق الفقهاء فيما لو طلب ظالم وديعة عند انسان ليأخذها غصباً، وجب علىٰ المودع عنده أن يكذب بمثل أنّه لا يعلم موضعها، بل يحلف علىٰ ذلك[٦]. انتهىٰ.

الطائفة الثالثة: الآيات النازلة في الوقائع المتعدّدة في الأمم الخالية الدالّة علىٰ صحّة التقيّة:

منها: قوله تعالىٰ ـ حكاية عن يعقوب ـ عليه السّلام ـ: «يا بُنيّ! لا تقصص رؤياك

---

١. سورة الصافّات / ٩١.

٢. سورة الأنبياء / ٦٣.

٣. سورة الأنبياء / ٦٢.

٤. هناك عدّة تفاسير في قول النبيّ إبراهيم «بل فعله كبيرهم هذا»، والمذكور هنا واحد منها.

٥. صحيح البخاري ٤ / ١١٢، كتاب بدأ الخلق، باب قوله تعالىٰ «واتّخذ الله إبراهيم خليلاً...».
صحيح مسلم ٣ / ١٨٤٠، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل.

٦. إرشاد الساري ٥ / ٢٧٩.

علىٰ إخوتك فيكيدوا لك كيداً»[١]، فإنّ يعقوب ـ عليه السّلام ـ لما علم من رؤيا يوسف ـ عليه السّلام ـ انّه يكون نبيّاً، خاف عليه من إخوته، فأمره بكتمان الرؤيا عنهم حتّىٰ لا يطلعوا علىٰ باطن أمره، فيحسدوه ويكيدوا له، كما مكروا به وفعلوا ما فعلوا، من هنا ترىٰ الأئمّة من أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ واظبوا علىٰ أنفسهم، ولم يظاهروا بالإمامة، خوفاً من أئمّة الجور وأشياع الضلالة، فحفظوا أسرارهم عمّن لا أهلية له من الأجانب والأقارب.

ومنها: قوله تعالىٰ ـ حكاية عن لوط ـ عليه السّلام ـ، وقوله لقومه ـ «لو أنّ لي بكم قوّة، أو آوي إلىٰ ركن شديد»[٢]، فانّ لوطاً ـ عليه السّلام ـ لما رأىٰ من قومه إساءة الأدب في حقّه وحقّ أضيافه ـ وهم رسل الله تعالىٰ ـ، ولم يقدر علىٰ الدفاع عن نفسه الشريفة وعنهم، تمنّىٰ أن تكون له قوّة وقدرة أو يكون له حصن حصين يأمن من شرّهم، حتّىٰ قال: «هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم»[٣].

ومنها: الآيات الواردة في قصّة أصحاب الكهف واعتزالهم، كما في القرآن من قوله تعالىٰ «إذ أوى الفتية إلى الكهف...»[٤]، وذلك حفظاً لدينهم، وقوله تعالىٰ ـ حكاية عن قولهم ـ «وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلّا الله فأووا إلى الكهف...»[٥]، وقوله تعالىٰ ـ من باب الحكاية ـ «وليتلطّف ولا يشعرنّ بكم أحداً، إنّهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم، ولن تفلحوا إذاً أبداً»[٦].

إن قيل: إنّ العود بالاكراه ينافي ما تقدّم من أنّ مظهر الكفر عن إكراه لا يكون كافراً، بل يكون مؤمناً مفلحاً.

---

١. سورة يوسف / ٥.

٢. سورة هود / ٨٠.

٣. سورة الحجر / ٧١.

٤. سورة الكهف / ١٠.

٥. سورة الكهف / ١٦.

٦. سورة الكهف / ١٩ ـ ٢٠.

قلنا: إنّ العود إلى الكفر لا يلزم أن يكون آنيّاً، بل قد يحصل العود تدريجيّاً، ولو بإلقاء الشبهات، مع ضعف النيّة وتمادي المدّة، ولا أقل يحصل الكفر بالنسبة إلىٰ الأعقاب والمواليد، وأحد الامرين هو المقصود بالعود إلى الكفر، لا بالإكراه.

الطائفة الرابعة: الآيات النازلة في موسىٰ ـ عليه السّلام ـ وقصّته مع فرعون وقومه، وهي دالّة علىٰ شدّة اتّقائه ـ عليه السّلام ـ منهم، كصريح قوله تعالىٰ: «فدخل المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها»[1]، فإنّه دخلها علىٰ عدم اطلاع من فرعون، كي لا يصيبه الضرر والأذىٰ منه، وقوله تعالىٰ «فخرج منها خائفاً يترقّب، قال: ربّ! نجّني من القوم الظالمين»[2]، وقوله تعالىٰ ـ حكاية عن كلامه ـ عليه السّلام ـ «ففرت منكم لما خفتكم...»[3] صريح في حُسن الفرار عن المهالك.

وذكر البيضاوي ـ عند قوله تعالىٰ (حكاية عن قول فرعون) «ولبثتَ فينا من عمرك سنين، وفعلتَ فعلتَك الّتي فعلتَ...» ـ[4]: إنّ نبي الله موسىٰ كان يعايشهم بالتقيّة[5]. انتهىٰ.

وممّا يدلّ علىٰ وجوب حفظ النفس وإن كان في سبيل الحقّ، قوله تعالىٰ ـ حكاية عن موسىٰ ـ عليه السّلام ـ: «ربِّ! إنّي قتلت منهم نفساً، فأخاف أن يقتلون، وأخي هارون هو أفصح منّي لساناً، فأرسله معي ردءاً» ـ يعني معيناً وناصراً ـ إلىٰ قوله تعالىٰ: «سنشدّ عضدك بأخيك...»[6] ـ أي: سنقوّيك به ـ، «فلا يصلون إليكما» أي: بسوء.

ومن ذلك أيضاً: قوله تعالىٰ: «وأوحينا إلىٰ موسىٰ وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة»[7]، ففي «الدرّ المنثور» إنّ ذلك حين منعهم فرعون الصلاة،

---

١. سورة القصص / ١٥.

٢. سورة القصص / ٢١.

٣. سورة الشعراء / ٢١.

٤. سورة الشعراء / ١٨ ـ ١٩.

٥. أنوار التنزيل واسرار التأويل ٣ / ٢٥٥.

٦. سورة القصص / ٣٣ ـ ٣٥.

٧. سورة يونس / ٨٧.

وأُمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم، وان يوجّهوها نحو القبلة، وذلك خوفاً من آل فرعون[١]. انتهىٰ.

وممّا يدلّ من القرآن علىٰ وجوب المداراة مع الّذين يحادّون الله، قوله تعالىٰ لموسىٰ وهارون: «اذهبا إلىٰ فرعون إنّه طغىٰ، فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشىٰ»[٢]، دلّت علىٰ وجوب المداراة مع فرعون اتّقاءً لشرّه، وتحفّظاً عن كيده، واستجلاباً لعواطفه، كما قال سبحانه لنبيّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «ادفع بالّتي هي أحسن، فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم»[٣].

ثمّ إنّ ممّا يدلّ علىٰ ترك النكير علىٰ مرتكب الكبائر، بل وعلىٰ أهل البدع والضلال عند خوف الضرر، سكوت هارون ـ عليه السّلام ـ في قبال عبدة العجل، واعتذاره بما في قوله تعالىٰ «قال يا ابن أمّ! إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني...»[٤]، وكذلك تركه النكير علىٰ السامري واتباعه خوفاً من الفساد والفتنة، كما في قوله تعالىٰ في سورة طه ـ حكاية عن خطاب هارون لموسىٰ ـ عليه السّلام ـ: «يا ابن أمّ! لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، انّي خشيت أن تقول: فرّقتَ بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي»[٥].

قال أبو السعود ـ في تفسير الآية ـ: إنّي خشيتُ لو قاتلتُ بعضهم ببعض، تفانوا وتفرّقوا التفريق الّذي لا يُرجىٰ بعده الإجتماع، وإنّي رأيت أنّ الاصلاح في حفظ الدهماء[٦]، والمداراة معهم إلىٰ أن ترجع إليهم، استأنيتك[٧] لتكون أنت المتدارك للأمر، حسبما رأيت، لا سيـ وقد كانوا في غاية القوّة، ونحن علىٰ القلّة والضعف، كما يعرب عنه

---

١. الدرّ المنثور ٣ / ٣١٤.

٢. سورة طه / ٤٣ـ ٤٤.

٣. سورة فصّلت: ٣٤.

٤. سورة الأعراف / ١٥٠.

٥. سورة طه / ٩٥.

٦. الدهماء: جماعة الناس.

٧. استأنيتك: انتظرتك.

قوله تعالىٰ: «إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[١]. انتهىٰ.

أقول: إنّ هذا هو السبب الوحيد في تسليم علي ـعليه السّلام ـ الأمر إلىٰ أبي بكر بعد واقعة الغدير، لأنّه إذا نازع، لتفرّق المسلمون فِرَقاً وأحزاباً، قسمٌ يلحقون بأبي بكر ـ وهم الأكثر ـ، وقسم يساعدون عليّاً ـ عليهم السّلام ـ، وفريق يتوقّفون شاكّين في أمر الإمامة، وهم حديثوا عهدٍ بالإسلام، ليس لهم من الدِّين إلّا اللفظ وصورة العمل، والمآل التضارب وسفك الدماء وارتداد الناس[٢]. فالآية أقوىٰ حجّة علىٰ مشروعيّة التقيّة، وانّ حال علي ـعليه السّلام ـ في هذه الأُمّة حال هارون في بني إسرائيل، من حيث السكوت وتقويم الاصلح والقبض علىٰ اليد.

وأيضاً: إنّ ذوي البصائر في الدِّين لا يـزالون يكـتمون إيمـانهم عـن المـعاندين لاقتضاء المصلحة، كمؤمن آل فرعون الممدوح في قوله تعالىٰ: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله، وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكـم..»[٣] وصريح هذه الآية مشروعيّة التقيّة وإضمار الحقّ لأجل المصلحة للنفس أو للعامّة، ولولا كتمان الإيمان من مؤمن آل فرعون لما تمكّن من السعي في حفظ موسىٰ ـعليه السّلام ـ، كما في قوله تعالىٰ: «وجاء رجل من أقصىٰ المدينة يسعىٰ، قال: يا موسىٰ! إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرج...»[٤]، فمن حفظه لموسىٰ ـعليه السّلام ـ صار في عداد الصـدّيقين، فـفي «الصواعق المحرقة» ـ لابن حجر، الحـديث الحـادي والثـلاثون في فـضائل عـلي (عـليه السّلام) ـ: اخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلىٰ إنّ رسول الله (ص) قال: الصدّيقون

---

١. ارشاد العقل السليم ٦ / ٣٤.

٢. ويؤيّد ذلك خطاب الامام علي ـعليه السّلام ـ يوم فُرِضَ عثمان حاكماً علىٰ المسلمين، حيث قال: «بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولىٰ بالأمر وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع أبو بكر لعمر وأنا والله أحق بالأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً...». مناقب علي بن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٢٢٤.

٣. سورة الغافر / ٢٨.

٤. سورة القصص / ٢٠.

ثلاثة: حبيب النجّار مؤمن آل ياسين قال «يا قوم اتّبعوا المرسلين»[١]، وحزقيل مؤمن آل فرعون الّذي قال «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله...»[٢]، وعلي بن أبي طالب ـعليه السّلام ـ، وهو أفضلهم[٣]. انتهىٰ.

ومن هذا الباب إخفاء أبي طالب ـعليه السّلام ـ إيمانه، اتقاءً لرسول الله ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وحفظاً له عن المشركين سيِ عشيرته الأقربين (كما مرّ عليك).

الجماعة ومقالتهم حول التقيّة

قالت الجماعة: إنّ التقيّة نفاق في الدِّين، وترويج للضلال، وطعن في عصمة الأنبياء والأوصياء، وعدم الوثوق بما بُعثوا إليه.

وقالت الشيعة: التقيّة من شرع الرسول (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) وشرع الأنبياء من قبله وشرع أوصيائه من بعده، فمن تفحّص عن أحوال النبيّ ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مع قومه، يرىٰ أنّه ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كان يعاشرهم بالمداراة، ويسالكهم بالتّقيّة وترك المعاداة والمحادّة، كما هو أدبه في القرآن من قوله تعالىٰ: «وما أنت عليهم بجبّار»[٤]، وقوله «لست عليهم بمسيطر»[٥]، وقوله «لستُ عليكم بوكيل»[٦]، وقوله «لا إكراه في الدِّين...»[٧]، وقوله «ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضيق ممّا يمكرون...»[٨] إلىٰ غير ذلك.

---

١. سورة ياسين / ٢٠.

٢. سورة الغافر / ٢٨.

٣. الصواعق المحرقة / ١٢٥.

٤. سورة ق / ٤٥.

٥. سورة الغاشية / ٢٢.

٦. سورة الأنعام / ٦٦.

٧. سورة البقرة / ٢٥٦.

٨. سورة النحل / ١٢٧.

فقولهم «التّقيّة نفاق» غلط، موضوعاً وحكماً، أمّا موضوعاً فلأنّ النفاق عبارة عن التظاهر بالحقّ مع انطواء القلب علىٰ الباطل، كما في قوله تعالىٰ: «وإذا لقوا الّذين آمنوا، قالوا: آمنّا. وإذا خلوا إلىٰ شياطينهم قالوا: إنّا معكم، إنّما نحن مستهزؤن»[1]، وقوله تعالىٰ: «إذا جاءك المنافقون، قالوا: نشهد انّك لرسول الله، والله يعلم انّك لرسوله، والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون»[2]. وهذا بخلاف الاتقاء من الأعداء، فانّ المؤمن يتظاهر خوفاً، ولكن قلبه منطو علىٰ الحقّ، كما في مؤمن آل فرعون، وفي عمّار بن ياسر الّذي كان يكتم إيمانه، فنزل فيه «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان».

وأمّا من حيث الحكم فقد أعلمناك انّ التقيّة من شرع المرسلين، إذا دعت إليه الضرورة وانتفت القدرة علىٰ إظهار الحقّ، فكان اللازم حينئذ التقيّة، لأنّ في المداراة مع أهل العناد مصلحة للعامّة واجبة الرعاية، ومن المداراة مع الكفّار فرار النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من بينهم إلى الغار، وكذلك قبول الصلح مع المشركين عام الحديبية، حقناً لدماء المسلمين، وكذا رضاء أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بالتحكيم، وهو يعلم بانّ معاوية من الظالمين، وكذلك قبوله حكومة أبي موسىٰ، وهو من الضآلّين المضلّين، وكذلك صلح الإمام المجتبىٰ ـ عليه السّلام ـ مع معاوية، وهو يرىٰ وجوب إزالته عن مركزه وإنّه علىٰ الباطل، فإنّ جميع هذه الأمور وقعت عن مصلحة عامّة.

أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ومذهبه في التقيّة

إنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ قد أباح لشيعته أن ينالوا[منه][3] إذا اضطرّوا إليه، وقال ـ عليه السّلام ـ في جملة كلام له: «ألا انّ معاوية سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، أمّا السبّ فسبّوني، فإنّه لي زكاة ولكم نجاة»[4].

---

١ . سورة البقرة / ١٤.

٢ . سورة المنافقون / ١.

٣ . الزيادة منّا.

٤ . نهج البلاغة / الخطبة ٥٧، «ومن كلام له ـ عليه السّلام ـ في صفة رجل مذموم ....».

ومن حديث «كنز العمّال» ـ لعلي المتقي الهندي ـ باسناده إلىٰ علي ـ عليه السّلام ـ قال: «إنّكم معرَضون علىٰ سبّي، فمن سبّني فهو في حلّ من سبّي، ولا يبرأ من ديني». وزاد الحاكم ـ في مستدرك الصحيحين علىٰ شرط الشيخين ـ من قول علي ـ عليه السّلام ـ «فلا[1] يمدد أحدكم عنقه، فإنّه لا دنيا له ولا آخرة»[2].

وفي «المستدرك» أيضاً: إنّ علي بن أبي طالب قال يوماً لحِجر بن قيس: يا حجر! إنّك تقام بعدي فتؤمر بلعني، فالعنّي[3]. ونحوه الحديث في «الصواعق المحرقة» ـ لابن حجر الهيثمي ـ[4].

وفي «تاريخ الخلفاء»: أخرج عبد الرزّاق عن حِجر المرادي[5] قال: قال لي علي بن أبي طالب «كيف بك إذا أُمرت أن تلعنني»؟ قلت: «أو كائن ذلك»؟. قال: «نعم». قلت: «فكيف أصنع»؟. قال: «إلعنّي، ولا تبرأ منّي». قال: فأمرني محمّد بن يوسف ـ أخو الحجاج، وكان أميراً علىٰ اليمن ـ أن العن عليّاً، فقلت «إنّ الأمير أمرني أن العن عليّاً، فالعنوه، لعنه الله، فما فطن لها إلّا رجل». وفيه أيضاً: أخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال: كان مروان أميراً علينا، فكان يسبّ عليّاً كلّ جمعة علىٰ المنبر، والحسن ـ عليه السّلام ـ يسمع، فلا يردّ شيئاً[6]. انتهىٰ.

واجمع المؤرّخون علىٰ أنّ معاوية كان قد أسّس سبّ علي ـ عليه السّلام ـ علىٰ المنابر، وكان يسبّه جهاراً بمحضر الحسن ـ عليه السّلام ـ، وهو ساكت.

جاء في صحاح أهل السنّة وكتبهم المعتبرة: إنّه كان لعليّ ـ عليه السّلام ـ بين الناس وجاهة حال حياة فاطمة ـ عليها السلام ـ، فلمّا توفّيت، انصرفت عنه وجوه الناس، فلمّا

---

١ . في المصدر «فليمدد».
٢ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٣٥٨.
٣ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٣٥٨.
٤ . الصواعق المحرقة / ١٢٨.
٥ . في المصدر «المدري».
٦ . تاريخ الخلفاء / ٧٣.

رأىٰ علي ذلك التمس مبايعة أبي بكر[١].

أقول: السرّ في ذلك[٢] هو أنّ فاطمة بنت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مادامت في الحياة كانت تدافع عن علي (عليه السّلام)، وهو متروك من أجلها، ولمّا قضت نحبها، ظهر لعلي ـ عليه السّلام ـ انّه غير متروك لا محالة، فللذبّ عن نفسه، أسرع إلىٰ مسالمة أبي بكر، وهذه من التقيّة في البيعة، كما ستأتي

وفي صحيح الأثر: إنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ قال يوم الشورىٰ لبقيّة الأصحاب: ليس هذا أوّل تظاهر تمّ علينا، فصبر جميل والله المستعان. وانّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ دخل في الشورىٰ كُرهاً، وهو يعلم انّه لا تصل إليه الخلافة، وإنّما أراد دفع الضرر عن نفسه، لأنّ عمربن الخطّاب أوصىٰ بضرب عنق من تخلّف عن الحضور[٣]، وإنّ عبد الرحمان بن عوف خوّف عليّاً ـ عليه السّلام ـ وهدده بالقتل إن أظهر الخلاف علىٰ الجماعة، وقال: يا علي! لا تجعلن علىٰ نفسك سبيلاً. ثمّ قال: يا أبا طلحة! ما الّذي أمرك به عمر؟ قال: أمرني أن أقتل من شقّ عصا الجماعة. فقال ابن عوف لعلي ـ عليه السّلام ـ: بايع إذاً، وإلاّ نفّذنا فيك أمرنا.

وورد ما يقرب عن التواتر انّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ لمّا أُخرج قهراً إلىٰ بيعة أبي بكر صاح ـ مخاطباً لرسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم): يا ابن أُمّ! إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[٤].

---

١. صحيح البخاري ٥ / ٧٨، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

صحيح مسلم ٣ / ١٣٨٠، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ ـ ص ـ «لا نورث...».

جامع الأصول ٤ / ٤٨٢، العقد الفريد ٥ / ١٣ ـ ١٤، مروج الذهب ٢ / ٣٠١ ـ ٣٠٢، الصواعق المحرقة / ١٥.

وقد سبق أن ذكرنا عدم وجود دليل علىٰ مبايعة الإمام علي لأبي بكر.

٢. علىٰ فرض صحّته.

٣. تاريخ الرسل والملوك ٤ / ٢٢٩، العقد الفريد ٥ / ٢٥.

٤. الامامة والسياسة ١ / ١٤، شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ١١ / ١١١.

رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ واتّقاؤه من المشركين

ومن ذلك ما في تفسير الفخر الرازي ـ عند قوله تعالىٰ «والله يعصمك من الناس...» في سورة المائدة ـ: إنّه روي أنّ النبيّ ـ ص ـ كان أيّام إقامته بمكّة يجاهر ببعض القرآن ويخفي بعضه، إشفاقاً علىٰ نفسه من تسرّع المشركين إليه وإلىٰ أصحابه، فلمّا أعزّ الله الإسلام وأيّده بالمؤمنين، قال له: «يا أيّها الرسول! بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك...»[1]، أي: لا تراقبنّ أحداً[2].

ومن شرع التقيّة ما رواه مسلم ـ في صحيحه، في باب بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ـ: عن حذيفة... قال: قلنا: يا رسول الله! أتخاف علينا، ونحن بين الستمائة والسبعمائة؟ قال ـ ص ـ: «إنّكم لا تدرون، لعلّكم أن تبتلوا». قال فابتلينا حتّىٰ جعل الرجل منّا يصلّي سرّاً[3].

وفي «السيرة الحلبيّة»: إنّ المدّة الّتي كان رسول الله ـ ص ـ يدعو الناس خفية بعد نزول «يا أيّها المدّثّر»[4] ثلاث سنين، فكان من أسلم إذا أراد الصلاة يذهب إلىٰ بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين. قال: ثمّ دخل هو ـ ص ـ وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم، ويعبدون الله تعالىٰ فيها إلىٰ أن أمره الله بإظهار الدّين[5]. انتهىٰ.

ومن شرع التقيّة ما في «صحيح البخاري» ـ عند غزوة الحديبية وكتابة الصلح ـ: انّه كاتب رسول الله (ص) سهيل بن عمرو، وكان فـ اشترط سهيل انّه قال: لا يأتينّك (يعني النبيّ ـ ص ـ) منّا أحد، وإن كان علىٰ دينك، إلّا رددته إلينا، وخلّيت بيننا وبينه، وأبىٰ سهل أن يقاضي ا لنبي ـ ص ـ إلّا علىٰ ذلك، فكره المؤمنون ذلك، وغضبوا وتكلّموا فيه، فلمّا أبىٰ سهيل أن يقاضي رسول الله ـ ص ـ إلّا علىٰ ذلك، كاتبه رسول الله (ص)،

---

١. سورة المائدة / ٦٧.

٢. التفسير الكبير ١٢ / ٤٨.

٣. صحيح مسلم ١ / ١٣١، كتاب الايمان، باب الاستسرار بالايمان للخائف.

٤. سورة المدثر / ١.

٥. انسان العيون ١ / ١٤٨.

فردّ النبيّ ـ ص ـ أبا جندل بن سهيل بن عمرو إلىٰ أبيه...[١].

قال ابن حجر ـ في «المواهب اللدنية» ـ: قال الخطابي: العلماء يأوّلون ما وقع في قصّة أبي جندل علىٰ وجهين: أحدهما: انّ الله تعالىٰ قد أباح التقيّة للمسلم إذا خاف الهلاك، ورخّص له أن يتكلّم بالكفر مع اضمار الايمان إن لم يمكنه التورية، فلم يكن ردّه إليهم تسليماً لأبي جندل إلى الهلاك، مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقيّة. والجه الثاني: انّه ردّه إلىٰ أبيه، والغالب انّ أباه لا يبلغ به إلى الهلاك، وإن عذّبه أو سجنه، فله مندوحة[٢] بالتقيّة أيضاً[٣]. انتهىٰ.

نصائح علي ـ عليه السّلام ـ في التقيّة

جاء في «رسالة المحكم والمتشابه» انّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ[٤] قال: وإمّا الرخصة الّتي صاحبها بالخيار فانّ الله نهىٰ المؤمن أن يتّخذ الكافر وليّاً، ثمّ مَنّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقيّة في الظاهر، وعليه ان يدين الله تعالىٰ في الباطن، بخلاف ما يظهر [لمن يخالفه][٥] من [المخالفة][٦] للمستولين علىٰ الأُمّة، قال الله تعالىٰ «لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، إلّا أن تتّقوا منهم تقاة، ويحذّركم الله نفسه...»، فهذه رحمة تفضّل الله بها علىٰ المؤمنين، ليستعملوها عند التقيّة في الظاهر، وقال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: «إنّ الله يحبّ أن يؤخذ

---

١. صحيح البخاري ٥ / ٦٣ ـ ٦٤.

والمنقول بالمضمون، وليس فيه كراهة وغضب المسلمين علىٰ ذلك.

٢. مندوحة: سعة.

٣. المواهب اللدنية ١ / ١٦٩.

٤. هكذا في النسخة المطبوعة. لكن الّذي يظهر من مراجعة المصدر انّ المقصود من «عليّاً» هو علي بن الحسين المعروف بالسيد المرتضىٰ، لا الامام علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ.

٥. الزيادة من المصدر.

٦. الزيادة من المصدر.

برُخَصِه، كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه»[١].

وفي تفسير الإمام العسكري ـ عليه السّلام ـ: قال: قال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: «التقيّة من أفضل أعمال المؤمن، يصون بها نفسه وإخوانه من الفاجرين، وقضاء حقوق الإخوان أشرف أعمال المتّقين»[٢].

وفي «الاحتجاج» للطبرسي ـ من احتجاج علي ـ عليه السّلام ـ وكلامه لبعض أصحابه: «وآمرك أن تستعمل التقيّة في دينك، فان الله يقول «لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، إلّا أن تتّقوا منهم تقاة..»، وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف إليه، وفي إظهار البراءة إن حملك الوجل عليه،...، فانّ تفضيلك أعداءنا [علينا][٣] عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرّنا، وإنّ إظهارك براءتك منّا عند تقيّتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا، ولإن تبرّأت منّا ساعة بلسانك وأنت مُوال لنا بجنانك، لتبقي علىٰ نفسك روحها الّتي بها قوامها، ومالها الّذي به قيامها، وجاهها الّذي به تمسكها[٤] وتصون من عرف أولياءنا[٥] وإخواننا، فإنّ ذلك أفضل من أن تتعرّض للهلاك، وتنقطع به عن عمل في الدّين[٦] وصلاح إخوانك المؤمنين، وإيّاك ثمّ إيّاك أن تترك التقيّة الّتي أمرتك بها، فإنّك شائط بدمك ودم إخوانك، معرِّض بنعمتك وبنعمتهم للزوال[٧]، مذلٌّ لهم في أيدي أعداء دين الله، وقد أمرك [الله] باعزازهم، فإنّك إن خالفت وصيّتي كان ضررك علىٰ إخوانك ونفسك أشدّ....»[٨].

---

١ . رسالة المحكم والمتشابه / ٣٤ ـ ٣٥.

٢ . تفسير الامام الحسن العسكري ـ عليه السّلام ـ / ٣٢٠.

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . في المصدر «تماسكها».

٥ . في المصدر «وتصون من عُرف بذلك، وعرفتَ به من أوليائنا».

٦ . في المصدر «عمل الدّين».

٧ . في المصدر «معرّض لنعمتك ونعمهم علىٰ الزوال».

٨ . الاحتجاج ١ / ٢٣٩.

في قدح قولهم: التقيّة نفاق في الدِّين

ما رواه مسلم (في صحيحه) والامام أحمد (في «المسند»): عن عائشة: انّ رجلاً استأذن علىٰ النبيّ ـص ـ، فقال: ائذنوا له، بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة، فلمّا جلس تطلّق النبيّ ـص ـ في وجهه وألان له في الكلام، فلمّا انطلق الرجل، قالت: فقلت: يا رسول الله ـص ـ! حين رأيت الرجل قلت ما قلت، ثمّ ألنت له في القول؟. فقال ـص ـ: يا عائشة! متىٰ عاهدتني فحّاشاً، انّ شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شرّه...[١].

قال القاضي عياض المالكي ـ في كتاب «الشفاء» ـ: إنّه كيف جاز للنبي ـص ـ أن يظهر لهذا الرجل خلاف ما أبطن، ويقول في ظهره «بئس ابن العشيرة»؟. فالجواب: انّ فعله هذا كان استئلافاً وتطييباً لخاطره، ليتمكّن من إيمانه، وينجذب بذلك إلىٰ الاسلام، ومثل هذا الوجه قد خرج عن حدّ مداراة الدنيا إلى السياسة الدينيّة. قال: ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرّة كان جايزاً، بل واجباً في بعض الأحيان[٢]. انتهىٰ.

أقول: هذه هي التقيّة الّتي تقول بها الشيعة في مواردها، ولا تقولها إلّا عند قيام الضرورة من الأخذ بالأصلح بحال الأُمّة ـ من الفعل أو الترك ـ.

ومن حديث الحافظ أبي نعيم ـ في «حلية الأولياء» ـ من قول النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) في الحديث المذكور: «إنّه رجل منافق، أُداريه علىٰ نفاقه[٣]، فأخشىٰ أن يفسد عليّ غيره»[٤]. انتهىٰ.

قلت: ويظهر من الحديث أنّ كتمان السرّ علىٰ أعداء الدِّين يكون من الدِّين، في

---

١ . صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٢، كتاب البرّ والصلة، باب مداراة من يتّقىٰ فحشه. مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٣٨.

والمنقول بالمضمون، وبعض ما جاء هنا لم أعثر عليه في المصدرين المذكورين.

٢ . الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢ / ١٩٥. والمنقول بالمضمون.

٣ . في المصدر: عن نفاقه.

٤ . حلية الأولياء ٤ / ١٩١.

«كنوز الدقائق» ـ للعلاّمة المناوي، حرف اللام ـ: «لا دين لمن لا تقيّة له»[١] وللديلمي ـ في «مسند الفردوس» ـ عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ[٢].

ومن ذلك كتمان النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أسامي المنافقين، مع تخصيص حذيفة بتعليمه إيّاها، ونهيه عن إفشائها، وكذلك أسماء المرتدّين المنقلبين علىٰ أعقابهم من بعده ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: اكتفاءً منه بقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «سيجاء برجال من أصحابي، فيحلئون عن الحوض»[٣]، من غير تصريح بهم. وكذا اخباره عليّاً ـ عليه السّلام ـ بأنّ القوم يغدرون به من بعده[٤]، ولم يسمّهم له، حتّىٰ انّه ـ عليه السّلام ـ عرفهم. ومن إخباره علياً ـ عليه السّلام ـ بانّه يحارب الناكثين والقاسطين[٥]، مع تركه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أسامي زعمائهم من عائشة والزبير وطلحة ومعاوية، وابن العاص. وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذاً علىٰ الحقّ»[٦]، ولم يُظهر لعمّار مَنْ الفئة الباغية. كلّ ذلك من الكتمان الموافق للمصلحة، ونحو ذلك صنع الأئمّة الطاهرين من ولده ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فإنّهم في زمنهم كانوا يبدون العقايد الدينيّة للشيعة سرّاً، وهو بأمن من بني أُميّة وبني العبّاس، إذا كانت التقيّة حينئذ شديدة.

وقال القاضي عياض ـ في «الشفا» ـ: انّ النبيّ ـ ص ـ كان يفعل الفعل من أمور الدنيا والدِّين مساعدة لأمّته وسياسته، وإن كان قد يرىٰ غيره خيراً منه، كتركه قتل المنافقين، وهو علىٰ يقين من أمرهم، مؤالفة، وكراهةً لأن يقول الناس انّ محمّداً يقتل أصحابه. وتركه بناء الكعبة علىٰ قواعد إبراهيم ـ عليه السّلام ـ مراعاة لقلوب قريش،

---

١. كنوز الدقائق ٢ / ١٦٦.

٢. المصدر مخطوط.

٣. شرح نهج البلاغة ٨ / ١٠٧، كنز العمّال ١١ / ٢٩٧.

٤. كنز العمّال ١١ / ٢٩٧، شرح نهج البلاغة ٨ / ١٠٧، تاريخ بغداد ١١ / ٢١٦.

٥. كنز العمّال ١٣ / ١١٠.

٦. فضائل عليّ ابن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٥٧.

وحذراً من نفارها. ويفعل النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ الفعل، ثمّ يتركه، لكون غيره خيراً منه[١]. انتهىٰ.

وفي «صحيح البخاري» من قول النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعايشة: لولا حداثة قومك بالكفر، لنقضتُ البيت، ثمّ لبنيته علىٰ أساس إبراهيم ـ عليه السّلام ـ»[٢].

وهذا الحديث نصّ علىٰ ترك النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من المشروع الّذي قدره، ما أدّت المصلحة إلىٰ تركه، فهل ترىٰ إقامة البيت علىٰ أساس إبراهيم ـ عليه السّلام ـ إلّا تصحيح لمركز العبادة لعامّة المسلمين إلىٰ يوم القيامة؟ وقد تركه حذراً من إنكار قريش عليه ذلك، فيرتدون. وهل التقيّة في الدِّين إلّا عبارة عن ترك أمر مشروع مهتمّ به بملاحظة ابتلائه بما هو الأهمّ منه والراجح عليه؟. ووقوع ذلك في الشرع أقوىٰ برهان علىٰ صحّته، وقد كفّ النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ورفع اليد عن إصلاح الكعبة، لحداثة عهد القريش بالإسلام، وكان مظنّة لارتدادهم، كما نصّ علىٰ ذلك فضل بن روزبهان ـ في كتابه إبطال الباطل ـ[٣]، وهو من أكابر علماء الجماعة.

وصيّة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لأبي ذر بالصبر

ومن التقيّة في الدِّين ما في «المسند» ـ لأحمد بن حنبل ـ، في مسند أبي ذرّ قال[٤]: قال النبيّ ـ ص ـ كيف تصنع ان أُخرجت من المدينة؟ قلت: إذاً ـ والّذي بعثك بالحقّ ـ أضع سيفي علىٰ عاتقي. قال ـ ص ـ: أو خير من ذلك. قلت: أو خير من ذلك؟. قال: تسمع وتطيع، وان كان عبداً حبشياً. ومن حديثه عن أبي ذر قال: قال ـ ص ـ: كيف أنت وأئمّة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟. قال: قلتُ: إذاً ـ والّذي بعثك بالحقّ ـ أضع سيفي

١. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢ / ١٩٥.

٢. صحيح البخاري ٢ / ١٤٤، كتاب الحجّ، باب التمتّع والقران.

٣. إبطال نهج الباطل / ١٧٧.

٤. أبو ذر.

علىٰ عاتقي ثمّ أضرب به حتّىٰ ألقاك أو ألحق بك. قال: أو لا أدلّك علىٰ خير من ذلك؟ تصبر حتّىٰ تلقاني[١]. انتهىٰ.

وفي الحديث دلالة علىٰ الطعن علىٰ عثمان فـ كـان يـفعله في الفيء من الاسراف والتبذير، ومدح أبي ذر وأمره بالصبر.

ومن حديث أحمد ـ في «المسند» ـ في قول النبيّ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) لأبي ذر ـ حين قال: آخذُ سيفي فأقاتل عنّي ـ: «ألا أدلّك علىٰ خير من ذلك؟ تنقاد لهم حيث قادوك، وتنساق لهم حيث ساقوك، حتىٰ تلقاني وأنت علىٰ ذلك»[٢].

وفيه من الدلالة علىٰ أنّ سوقهم لأبي ذر سوقُ جور وظلم، غير أنّه ينساق معهم حفظاً لنفسه من الهلكة، وهرباً من قيام الفتنة، فانّ بني أُميّة لا يرون لأحد من الصحابة إلّاً ولا ذمّة.

ومن حديث المتّقي الحنفي ـ في «كنز العمّال» ـ: انّه جعل النبيّ ـ ص ـ يضرب علىٰ منكبي ويقول: «صبراً[٣] يا أبا ذر ـ ثلاثاً ـ، تنقاد معهم حيث قادوك»[٤].

وفيه من الدلالة علىٰ تعطف النبيّ ـ ص ـ بأبي ذر قولاً وفعلاً.

ومثله في الدلالة علىٰ العطوفة حديث مسلم ـ في صحيحه ـ من قول أبي ذر: «إنّ خليلي رسول الله ـ ص ـ أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجدع الأنف»[٥]. ومن حديث الكنز قال ـ ص ـ لأبي ذر: اسمع وأطع، وإن كان عبداً أسوداً[٦].

وفيه وفي سابقه من الدلالة علىٰ وجوب إطاعة أُمراء الوقت من باب التقيّة وخوف الفتنة وحصول الفرقة.

---

١. مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٧٩ ـ ١٨٠.

٢. مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٤٥٧.

٣. في المصدر: «غفراً».

٤. كنز العمّال ٥ / ٧٨٧.

٥. صحيح مسلم ١ / ٤٤٨، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة...

٦. كنز العمّال ٦ / ٤٩. مع اختلاف غير مخلّ.

التقيّة في البيعة مع إمام باطل

في تاريخ الطبري أنّه لما قدم بُسر بن ارطاة المدينة قال: لا أمان ولا مبايعة حتّىٰ تأتون بجابر بن عبد الله الأنصاري، فانطلق جابر إلىٰ أمّ سلمة زوجة رسول الله ـ ص ـ، فقال لها: ماذا ترين؟ إنّي خشيتُ أن أُقتل، وهذه بيعة ضلالة. قالت: أرىٰ أن تبايع، وأمرتُ ختني[1] عبد الله بن زمعة أن يبايع. وعن البخاري ـ في تاريخه ـ زيادة قولها: ان يبايع علىٰ دمه وماله، وأنا أعلم أنّها بيعة ضلالة[2].

وفي تاريخ اليعقوبي ـ في واقعة بُسر بن ارطاة في المدينة ـ: انّه انطلق جابر إلىٰ أم سلمة، فقال: إنّي خشيتُ أن أُقتل، وهذه بيعة ضلال. قالت: إذاً فبايع، فإنّ التقيّة حملت أصحاب الكهف علىٰ أن يلبسوا الصليب، ويحضروا الاعياد مع قومهم[3].

وفي «تذكرة خواصّ الأُمّة» ـ لسبط ابن الجوزي في ترجمة علي بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) عن ابن سعد في الطبقات ـ انّ عليّ بن الحسين (عليه السّلام) قال: «التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره، إلّا أن يتّقي تقاة»، فقيل: وما «يتّقي تقاة»؟ قال: «يخاف جبّاراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغىٰ»[4].انتهىٰ.

قلت: ومن الطغاة يزيد بن معاوية الّذي أباح دماء أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ ودماء ثلاثمائة صحابي، زيادة علىٰ واقعة الحرّة في المدينة، وواقعة رمي الكعبة، فكيف لا يُتّقىٰ منه في أمور الدِّين والدنيا؟

ثمّ انّ أعمال هذا المولىٰ ـ وهو الامام الرابع من أهل البيت (عليهم السّلام) ـ مع الأعداء بحسب التواريخ واضحة، حيث سلّم الأمر ليزيد، وبايع عبد الملك بن مروان حقناً لدمه ودماء بني هاشم، وعلىٰ هذا المنوال جرت أعمال بقيّة الأئمّة، فانّهم كانوا يظهرون الموالاة لطغاة بني أُميّة وبني العبّاس.

---

١ . ختني: زوج بنتي.

٢ . التاريخ الكبير ٣ / القسم ١ / ٧.

٣ . تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٧ ـ ١٩٨.

٤ . تذكرة خواصّ الأمّة / ٣٢٧.

بيعة عبد الله بن عمر ليزيد بن معاوية: من التقيّة في البيعة ما في «المسند» لأحمد ـ: عن نافع قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر بنيه وأهله، وقال إنّا بايعنا هذا الرجل علىٰ بيع الله ورسوله، وإنّي سمعت رسول الله ـص ـ يقول: «إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان»، إنّ من أعظم الغدر أن يبايع رجل رجلاً علىٰ بيع رسوله ثمّ ينكث بيعته، فلا يخلعنّ أحد منكم يزيد[1]. انتهىٰ.

وحيث أنّ هذه البيعة ضالّة لابدّ من التأويل فيها، كي لا يتوجّه القدح علىٰ عبد الله بن عمر، فتحمل علىٰ التقيّة والخوف من الوقوع في التهلكة، وإلاّ فكيف تخفىٰ علىٰ ابن عمر موبقات أعمال يزيد؟ وقد قال الله تعالىٰ: «ولا تركنوا إلىٰ الّذين ظلموا، فتمسّكم النار...»[2]، وقال: «لا ينال عهدي الظالمين»[3]، وقال: «وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب منقلبون»[4].

ثمّ إنّ من التقيّة في البيعة لإمام باطل ما في «الكامل» ـ لابن الأثير ـ[5] وغيره من كتب التواريخ كـ«العقد الفريد»[6]، و«تاريخ الخلفاء» ـ للسيوطي ـ[7] حكاية أخذ معاوية البيعة ليزيد من أهل المدينة، سىٰ الأربعة، أعني: الحسين ـعليه السّلام ـ، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمان بن أبي بكر ـ، فأحضرهم وهدّدهم بالقتل إن خالفوه في يزيد، ثمّ قال: ـ افتراءً عليهم ـ: «إنّ هؤلاء رضوا بيزيد» وهم سكوت، ثمّ اعتذروا بعد ذلك بأنّ معاوية كادنا وغدر بنا، وخفنا منه القتل. انتهىٰ. كلّ ذلك من الصحابة حجة شرعيّة علىٰ من أنكر شرع التقيّة.

---

١. مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٤٨.

٢. سورة هود / ١١٣.

٣. سورة البقرة / ١٢٤.

٤. سورة الشعراء / ٢٢٧.

٥. الكامل في التاريخ ٣ / ٥٠٣ـ ٥١١.

٦. العقد الفريد ٥ / ١٢١ ـ ١٢٢. وليس فيه أنّ الإمام الحسين ـ عليه السّلام ـ بايع يزيداً.

٧. تاريخ الخلفاء / ٧٦. والمذكور فيه مختلف مع المنقول عنه هنا، وليس فيه انّ الإمام الحسين ـ عليه السّلام ـ بايع يزيداً.

الصحابة وعملهم بالتقيّة

١ / ففي «كنز العمّال» ـ في الفتن ـ: عن بجالة قال: قلت لعمران بن حصين: حدّثني عن أبغض [الناس] إلىٰ رسول الله ـص ـ قال: تكتم عليَّ حتّىٰ أموت؟. قلت: نعم. قال: بنو أُميّة وبنو[1] ثقيف[2]. انتهىٰ.

٢ / وفي البخاري ـ في باب حفظ العلم من حديث الواحد والستّين ـ: عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله ـص ـ وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قُطع هذا البُلعوم[3].

قال الشارح: الوعاء الّذي لم يبثه، الأحاديث الّتي فيها بيان أسامي أُمراء السوء وأحوالهم، وزمنهم، ولم يصرّح بهم خوفاً علىٰ نفسه[4].

٣ / وعن ابن عبد البرّ القرطبي ـ في كتاب «جامع بيان العلم» ـ: عن أبي هريرة انّه قال: لقد حدّثتكم بأحاديث لو حدّثت بها زمن عمر بن الخطّاب لضربني بالدرّة[5].

وروىٰ الذهبي ـ في كتابه «تذكرة الحفّاظ» ـ عن أبي سلمة قال: قلت لأبي هريرة: كنتَ تحدّثُ في زمن عمر هكذا؟. فقال: لو كنتُ أُحدّث في زمان عمر مثل ما أحدّثكم، لضربني بمخفقته[6] [7]. وفي صحيح الخبر أنّ أبا هريرة ترك الحديث عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ خوفاً من عمر، إذ قال له: أكثرت الحديث، لتكفنّ أو لأُلحقنّك بجبال قردة[8].

٤ / وفي «صحيح مسلم» ـ في أحاديث متعة الحجّ ـ: عن عمران بن حصين قال:

---

١ . في المصدر «ثقيف» من دون «بنو».

٢ . كنز العمّال ١١ / ٢٧٤.

٣ . صحيح البخاري ١ / ٣٨، كتاب العلم، باب حفظ العلم.

٤ . إرشاد الساري ١ / ٢١٢.

٥ . جامع بيان العلم / ٣٣٩.

٦ . لم أجده في المصدر.

٧ . مخفّقة: الدرّة يضرب بها، أو سوط من خشب.

٨ . جبال قردة: اليمن.

تمتّع نبي الله، وتمتّعنا معه، وقال رجل برأيه ما يشاء[١]. قال النـووي ـ في الشرح ـ: أراد بالرجل عمر بن الخطّاب، وترك اسمه خوفاً منه[٢].

٥ / وفي «جمع الجوامع» ـ للسيّوطي ـ وكتاب المتعة في «كنز العـمّال» ـ للـمتّقي الهندي ـ: عن نافع: انّ رجلاً سأل ابن عمر عن متعة النساء. فقال: هي حرام. فقال له: ابن عبّاس يفتي بها. فقال ابن عمر: ألا تَزَمرَم بها ابن عبّاس في زمن عمر، لو أخذ بهـا أحدُ لرجمه. رواه ابن جرير[٣] انتهىٰ. ومثله في «الدرّ المنثور»[٤].

٦ ـ إن عمر ممّن طعن في بيعة أبي بكر بعد موته، وقال: إنها كانت فلتة وقىٰ الله المسلمين شرّها[٥]. قال ابن أبي الحديد ـ في شرح النهج ـ نقلاً عن الشعبي انّه قال لرجل من أزد: لقد كان في صدر عمر ضبّ[٦] علىٰ أبي بكر، فكيف تصنع بالفلتة الّتي وقىٰ الله شرّها؟ أترىٰ عدواً يقول في عدو يريد أن يهدم ما بنىٰ لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر[٧]؟ انتهىٰ.

وهذا صريح في إضمار عمر غير ما كان يظهره لأبي بكر، فهل يعد ذلك نفاقاً في أمر الدِّين ـ أعني بيعة أبي بكر ـ كما تقوله السنّة في شأن التقيّة.

٧ / ومن أحاديث أهل السنّة في مسألة العَوْل في الفريضة[٨]: عن ابن عبّاس انّه

---

١ . صحيح مسلم ٢ / ٨٨٥، كتاب الحجّ، باب في المتعة بالحجّ والعمرة.

٢ . شرح صحيح مسلم.

٣ . جمع الجوامع مخطوط. كنز العمّال ١٦ / ٥٢.

٤ . الدرّ المنثور ١ / ١٤١.

٥ . صحيح البخاري ٨ / ٢٥، كتاب الفرائض، باب رجم الحبلىٰ من الزنا إذا احصنت.

٦ . ضبّ: حقد خفي.

٧ . شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩.

٨ . هذه مسألة فقهيّة، ملخّصها: لو خلّف الميّت أولاداً أربعة ـ مثلاً ـ وأبوين، فإنّ حصّة الأبوين جميعاً هو السدسان، وحصّة الأولاد أربعة أسداس، ففي هذا الحال لو خلف الميّت ـ بالإضافة إلىٰ هؤلاء ـ زوجة فإنّه ينقص من حصّة الأولاد فقط بمقدار حصّة الزوجة، ولا ينقص شيء من حصّة الأبوين. وهذا ما ورد صحيحاً عن أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ، ويقول به المذهب الشيعي، وفي المقابل يقول اتـباع بـعض المـذاهب انّ النقص يدخل حتّىٰ علىٰ حصّة الأبوين أيضاً، ودخول النقص علىٰ حصص الأولاد والأبـوين جـميعاً يسـمّىٰ

كان يضمر القول فيه في خلافة عمر، حتّىٰ إذا مات، فاظهر خلافه، وكان يقول: «لا عول، مَن شاء باهلته» قيل له: هلّا قلت هذا في أيّام عمر ـ وهو يقول بالعول في أيّامه ـ فقال: إنّ عمر كان رجلاً مهيباً، فهبته[1].

وقال القسطلاني ـ في «إرشاد الساري» ـ: إنّ من رأي ابن عمر انّه لا يبايع المفضول إلّا إذا خشي الفتنة، ولذا بايع معاوية، ثمّ ابنه يزيد، ونهىٰ بنيه عن نقض بيعته[2]. انتهىٰ.

٨ / ثمّ إنّ من الحجة القويّة علىٰ مشروعيّة التقيّة اجماع الصحابة قطعيّاً، وفيهم البدريّون وأهل بيعة الرضوان، وبقيّة العشرة المبشّرة، فانّهم أجمعوا علىٰ ترك الدفاع عن عثمان يوم الدار حذاراً عن بأس الثوار، حتّىٰ قُتل بين أظهرهم، وهذا يدل علىٰ أنّ رفع اليد عن الحقّ مخافة القتل كان أمراً متداولاً بين الأصحاب والتابعين.

٩ / إنّ من الحجّة علىٰ مشروعيّة التقيّة وترك النهىٰ عن المنكر، ما رواه العلاّمة السرخسي ـ في كتاب «المبسوط» في باب الأكراه ـ: عن مسروق (وهو من أعاظم علماء التابعين) قال: بعث معاوية بتماثيل من صفر[3] تباع بأرض الهند، فمرّ بها علىٰ مسروق ـ ره ـ قال: والله لو أنّي أعلم أنّه يقتلني لغرقتها، ولكنّي أخاف أن يعذّبني، فيفتنني، والله لا أدري أي الرجلين معاوية؟ رجل قد زين له سوء عمله، أو رجل قد يئس من الآخرة، فهو يتمتّع في الدنيا...

قال السرخسي: ولكن مسروقاً ـ ره ـ كان يبالغ في الاحتياط، فلا يجوز اتخاذ شيء من ذلك ولا بيعه، ثمّ كان تغريق ذلك من الامر بالمعروف عنده، وقد تركه مخافة علىٰ نفسه، وفيه تبين أنّه لا بأس باستعمال التقيّة، وانّه يرخص له في ترك بعض ما هو فرض

«عَوْلاً».

١ . السنن الكبرىٰ ٦ / ٢٥٣.

ويحتمل أن يكون نفس كلام ابن عبّاس «انّ عمر كان رجلاً مهيباً ،فهبته» تقيّة، ويكون السبب لعدم إظهار المخالفة لعمر في أيّام حياته شيء آخر ـ بناءً علىٰ صحّة انتساب هذا الكلام إليه ـ.

٢ . لم أعثر عليه في المصدر.

٣ . الصفر: نوع من المعدن.

عند خوف التلف علىٰ نفسه، ومقصوده من إيراد الحديث أن يبيّن انّ التعذيب بالسوط يتحقّق فيه إلّا كراه، كما يتحقّق في القتل، لانّه قال: «لو علمت انّه يقتلني لغرقتها، ولكن أخاف أن يعذبني» فتبين بهذا انّ السوط عنده أشدّ من فتنة القتل[1]. انتهىٰ.

الفريقان وحكمهم بالتقيّة

أمّا الشيعة فالتقيّة من ضرورة مذهبهم أخذاً عن أئمّتهم ـ سلام الله عليهم ـ وعقدوا لذلك في الفقه أبواباً مشتملة علىٰ أحاديث أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ في مشروعيّتها، ففي الوسائل من أبوابها:

١ ـ باب وجوب التقيّة في كلّ ضرورة بقدرها.

٢ ـ باب وجوب طاعة السلطان للتقيّة.

٣ ـ باب جواز إظهار كلمة التقيّة.

٤ ـ باب وجوب التقيّة في الفتوىٰ مع الضرورة.

٥ ـ باب عدم جواز التقيّة في الدم للحديث عن الامام أبي جعفر ـ عليه السّلام ـ قال: «إنّما جعل التقيّة ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم، فليس تقيّة».

٦ ـ باب وجوب كتم الدِّين عن غير أهله من التقيّة.

٧ ـ باب تحريم إذاعة الحقّ مع الخوف به[2]. هذه [عقيدة] مذهب الشيعة في التقيّة.

وأمّا علماء العامّة فعملهم أيضاً علىٰ التقيّة حفظاً للنفس عن الأذىٰ والهلاك، ففي إحياء العلوم ـ للغزالي ـ: إنّ جملة من الفقهاء إذا دخلوا علىٰ الحجاج بن يوسف الثقفي، كانوا ينالون من علي ـ عليه السّلام ـ تقرّباً إليه، وخوفاً من شرّه، منهم عامر الشعبي فقيه أهل الكوفة. وفيه: عن ابن عائشة قال: جمع الحجّاج فقهاء البصرة والكوفة في مجلسه، فدخلنا عليه، والحجّاج يسألنا عن المسائل، إذ ذكر علي ابن أبي طالب، فنال منه، ونلنا

---

١ . المبسوط ٢٤ / ٤٦ـ ٤٧.

٢ . وسائل الشيعة ١١ / ٤٧٠ـ ٤٩٧.

منه مقاربة له، وفزعاً من شرّه، والحسن البصري ساكت عاضّ علىٰ إبهامه. انتهىٰ.

وفي تفسير «الكشّاف» ـ للزمخشري ـ في ذيل قوله تعالىٰ: «لا ينال عهدي الظالمين» ـ: انّه كا أبو حنيفة يفتي سرّاً بوجوب نصرة زيد بن علي بن الحسين ـ عليه السّلام ـ، وحمل المال إليه، والخروج معه علىٰ اللص المتغلّب علىٰ الخلافة[١].

وقال الشهرستاني ـ في «الملل والنحل» في ترجمة الجاروديّة ـ: إنّ أبا حنيفة كان علىٰ بيعة زيد بن علي ـ عليه السّلام ـ، ومن جملة شيعته، حتىٰ رفع الأمر إلى المنصور، فحبسه حبس الأبد[٢]

وقال الفخر الرازي في التفسير ـ عند قوله تعالىٰ في سورة المائدة «اليوم يئس الّذينكفروا من دينكم فلا تخشوهم...» ـ: إنّ الآية دلّت علىٰ أنّ التقيّة جائزة عند الخوف[٣].

وقال في تفسيره ـ عند قوله تعالىٰ «إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة» ـ: الحكم الرابع: التقيّة جائزة لصون النفس. قال: الحكم الخامس: قال مجاهد: هذا الحكم[٤] ثابت في أوّل الاسلام لأجل المسلمين، وأمّا بعد قوّة الاسلام فلا. وروىٰ عون عن الحسن إنّه قال: التقيّة جائزة للمؤمنين إلىٰ يوم القيامة. وهذا القول أولىٰ، لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان[٥]. انتهىٰ.

وفي الشرح ـ لابن أبي الحديد المعتزلي ـ: روىٰ محرز بن هشام عن إبراهيم بن سلمة عن محمّد بن عبيد الله قال: قال رجل للحسن: ما لنا لا نراك [تُثني][٦] علىٰ عليّ وتقرّظه[٧] قال: كيف وسيف الحجّاج يقطر دماً؟ إنّه لأوّل من أسلم، وحسبكم

---

١. الكشّاف عن حقائق التأويل ١ / ٣٠٩.

والمقصود من اللصّ هو منصور الدوانيقي ـ كما في المصدر ـ.

٢. الملل والنحل ١ / ٢٥٥.

٣. التفسير الكبير ١١ / ١٣٧.

٤. هذا الحكم: التقيّة.

٥. التفسير الكبير ٨ / ١٤.

٦. الزيادة من المصدر.

٧. تقرّظه: تمدحه.

بهذا[١] انتهىٰ.

وفي «تهذيب الكمال» ـ للمزي ـ «وحاشية تذهيب التهذيب» ـ لصفيّ الدِّين ـ: عن يونس بن عبيد قال: سألتُ الحسن البصري: إنّك تقول: «قال رسول الله» وإنّك لم تدركه. قال: يا ابن أخي! لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، كلّ شيء سمعتني أقول «قال رسول الله» فهو عن علي بن أبي طالب، وإنّي في زمان لا أستطيع أن أذكر عليّاً[٢].

وأخرج الحاكم ـ في «مستدرك الصحيحين»، وقال بصحّته علىٰ شرط الشيخين ـ: إنّه سأل مالك بن دينار سعيد بن جبير، فقال له: من كان حامل راية رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ؟ قال: فنظر إليّ وقال: كأنّك مرخي البال. قال مالك: فغضبتُ، وشكوته إلىٰ إخوانه من القرّاء، فاعتذر بأنّه يخاف من الحجّاج أن يقل: كان حاملها علي بن أبي طالب[٣]. انتهىٰ.

وانّ من شدّة التقيّة تسليم الصحابة والتابعين لما صنعه الحجّاج بهم، ففي «تاريخ الخلفاء» ـ للسيوطي ـ: وفي سنة أربع وسبعين سار الحجّاج إلى المدينة، وأخذ يتعنّت علىٰ[٤] أهلها يستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله ـ ص ـ، وختم في أعناقهم وأيديهم يذلّهم بذلك، كأنس وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي، فإنا لله وإنّا إليه راجعون[٥]. انتهىٰ.

وفي «تاريخ الخلفاء ـ أيضاً ـ ذِكرُ أعاظم علماء عصر المأمون العبّاسي، وانّهم أُجبروا بالقول بخلق القرآن، فقالوا به من باب التقيّة، وكان يحيىٰ بن معين وغيره من مشايخ الحديث يقولون: أجبنا كلام الخليفة خوفاً من السيف[٦]. انتهىٰ.

---

١. شرح نهج البلاغة ١٣ / ٢٣١.

٢. تهذيب الكمال مخطوط. ولم أعثر علىٰ «حاشية تذهيب تهذيب الكمال». نعم هذا مذكور في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١ / ٢١٠ ـ ٢١١.

٣. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٣٧.

٤. يتعنّت علىٰ: يؤذي.

٥. تاريخ الخلفاء / ٨٣.

٦. تاريخ الخلفاء / ١٢٢.

تقيّة مالك بن أنس ـ إمام المالكيّة ـ

إن مالك بن أنس إمام المالكيّة كان يعمل بالتقيّة، ففي كتاب «المعارف» ـ لابن قتيبة[١]، و«وفيات الأعيان» ـ لابن خلكان ـ[٢]، واحياء العلوم ـ للغزالي ـ: إنّ مالك بن أنس كان يأتي المسجد ويشهد الصلاة والجمعة، والجنازة، ويعود المرضىٰ، ويقضي الحقوق، ويجلس في المسجد، ثمّ ترك ذلك كلّه، وكان ربما قيل له في ذلك فيقول: ليس كلّ الناس يقدر أن يتكلّم بعذره. وفي «ميزان الاعتدال» ـ للذهبي ـ: إنّ مالك بن أنس لم يكن يروي عن جعفر بن محمّد، حتّىٰ ظهر أمر بني العبّاس[٣]. انتهىٰ.

وفيه دلالة علىٰ أنّ مالك بن أنس كان يتّقي إمّا من بني أُميّة، فيترك الحديث عن الامام الصادق ـ عليه السّلام ـ في زمانهم إلىٰ أن انقرضت دولتهم، أو كان يتّقي من بني العبّاس، فلا يكتم الحديث عن الصادق ـ عليه السّلام ـ اعتناءً بشأنه، لكونه كبير بني هاشم، وهم المذعنون بعظم قدره.

[تقيّة أبي حنيفة]

ويقول الخطيب البغدادي ـ في تاريخه ـ فيـ يتعلّق بأبي حنيفة وإنّه أوّل من قال بخلق القرآن: عن سفيان بن وكيع قال: جاء عمر بن حمّاد بن أبي حنيفة، فجلس إلينا، فقال: سمعتُ أبي ـ حمّاد ـ يقول: بعث ابن أبي ليلىٰ إلىٰ أبي حنيفة، فسأله عن القرآن. فقال: مخلوق. فقال: تتوب وإلاّ أقدمتُ عليك. فقال: فتابعه. فقال: القرآن كلام الله. قال: فدار به في الخلق يخبرهم أنّه قد تاب من قوله: القرآن مخلوق. فقال أبي: فقلتُ لأبي حنيفة: كيف صرت إلىٰ هذا وتابعته؟ قال: يا بني! خفتُ أن يقدم عليَّ، فأعطيته التقيّة[٤]. انتهىٰ.

وفيه من التصريح بانّ التقيّة كانت مذهب أبي حنيفة في أمر ديني اعتقادي، أعني

---

١. المعارف / باب أصحاب الرأي.

٢. وفيات الاعيان ٤ / ١٣٦. واللفظ له.

٣. ميزان الإعتدال ١ / ٤١٤.

٤. تاريخ بغداد ١٣ / ٣٧٩.

قِدم القرآن أو حدوثه، فكيف يقال: أنّها نفاق؟

أبو حنيفة ومذهبه في خلق القرآن: ذكر الخطيب ـ في «تاريخ بغداد» [في الصفحات] المعقودة لأحوال أبي حنيفة وقوله بخلق القرآن، قال ـ: عن أبي يوسف قال: أوّل من قال بخلق القرآن أبو حنيفة. وقال سلمة بن عمرو القاضي علىٰ المنبر: لا رحم الله أبا حنيفة، فإنّه أوّل من زعم أنّ القرآن مخلوق. وعن أبي يوسف قال: مات أبو حنيفة يوم مات يقول: القرآن مخلوق، وعن أحمد بن يونس قال: اجتمع ابن أبي ليلىٰ وأبو حنيفة عند عيسىٰ بن موسىٰ العبّاسي ـ والي الكوفة ـ قال: فكلّمنا عنده، قال أبو حنيفة: القرآن مخلوق. فقال عيسىٰ لابن أبي ليلىٰ: فاستتبه، فإن تاب، وإلاّ فاضرب عنقه. وعن إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة يقول: قال أبو حنيفة! إنّ ابن أبي ليلىٰ ليستحلّ منّي ما لا استحلّ من بهيمة.

وفي التاريخ ـ فيمن كفّر أبا حنيفة ـ: حدّثنا سفيان الثوري، فقال: قال حمّاد بن أبي سلي ن، أبلغ عنّي أبا حنيفة المشرك انّي بريء منه. حدّثنا أبو نعيم ضرار بن صرد قال: سمعت سليم بن عيسىٰ المقري قال: سمعت سفيان بن سعيد الثوري يقول: سمعت حمّاد بن أبي سلي ن يقول: أبلغوا أبا حنيفة المشرك انّي من دينه بريء إلىٰ أن يتوب.

وفيه: انّ الّذي استتاب أبا حنيفة خالد القسري، وروي انّ يوسف بن عمر استتابه، وانّه لما تاب رجع وأظهر القول بخلق القرآن، فاستتب مرّة ثانية. وعن قيس بن الربيع قال: رأيتُ يوسف بن عثمان أمير الكوفة أقام أبا حنيفة علىٰ المصطبة[1]، يستتبه عن الكفر. وعن شريك بن عبد الله قاضي الكوفة: انّ أبا حنيفة استتيب من الزندقة مرّتين. وعن معاذ بن معاذ قال: سمعتُ سفيان الثوري يقول: استتبتُ أبا حنيفة مرّتين. وعنه وعن ثعلبة قال: سمعت سفيان الثوري وذكر أبا حنيفة فقال: لقد استتابه أصحابه من الكفر مراراً، إلىٰ آخر ما في تاريخ بغداد[2].

ومن جميع ذلك يعلم انّ توبة أبي حنيفة عن القول بخلق القرآن كانت عن خوفه علىٰ نفسه من القتل.

---

١ . المصطبة: مكان مرتفع عن الأرض يُجلس فيه.

٢ . تاريخ بغداد ٣ / ٣٧٨ ـ ٣٨٣.

الإمام الشافعي واتّقائه

ذكر أبو نعيم الحافظ ـ في «حلية الأولياء» ـ والفخر الرازي (في رسالته في مناقب الشافعي): انّه كان الإمام الشافعي من أصحاب عبد الله بن الحسن بن الحسن ـعليه السّلام ـ، وكان يقول بإمامته، وانّه أُتي به أسيراً مع جماعة من العلويّين من اليمن، وأُحضر مجلس الرشيد، فكانوا يدخلون عليه عشرة عشرة، فيأمر بضرب أعناقهم، حتّىٰ انتهىٰ الأمر إلى الشافعي، وهو مثقل بالحديد، فشهد في المجلس عليه أبو يوسف ومحمّد بن الحسن علىٰ أنّه رجل يرىٰ الأمر لنفسه ويزعم انّه أحقّ بهذا الأمر من الرشيد، فأنكر الشافعي ذلك عليهما، وتلا هذه الآية: «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا»[1] فسلّم الشافعي علىٰ الرشيد بإمرة المؤمنين، وأقرّ له بالخلافة، ودرأ بذلك عن نفسه الموت والعقوبة، وعفىٰ عنه الرشيد[2].

فلولا اعتراف الشافعي للرشيد بالخلافة (علىٰ خلاف معتقده في الباطن بإمامة عبد الله بن الحسن بن الحسن ـعليه السّلام ـ) وذلك تحفّظاً علىٰ نفسه لوقع في العذاب الشديد، كما وقع العلويون.

التقيّة في الصلاة مع المبتدع

فإنّها أيضاً من مواضع التقيّة، ففي البخاري ـ باب إمامة المفتون والمبتدع من كتاب الصلاة ـ: قال الزبيدي: قال الزهري: لا نرىٰ أن يُصلّىٰ خلف المُخنَّث[3] إلّا من ضرورة[4]، وفي «فتح الباري» ـ للعسقلاني ـ و «إرشاد الساري» (للقسطلاني) تفسير الضرورة: بان

---

١ . سورة الحجرات / ٦.

٢ . حلية الأولياء ٩ / ٨٥ـ ٨٦. مع اختلاف مع ما هنا، لكنّه غير مخلّ بالمقصود تقريباً.
مناقب الشافعي / ٤١ـ ٤٣. والمنقول بالمضمون.

٣ . الُمخنَّث: الّذي فيه لين وتكسّر وتثني، فيكون علىٰ أحوال النساء.

٤ . صحيح البخاري ١ / ١٧١، كتاب الصلاة، باب إمامة المفتون والمبتدع.

يكون صاحب شوكة، أو لخوف أو ثوران فتنة، فيصلّىٰ خلفه[١].

قال البخاري: حدّثنا محمّد بن أبان، قال: حدّثنا غندر، عن شعبة، عن أبي التياح انّه سمع أنس بن مالك يقول: قال النبيّ ـص ـ لأبي ذر: اسمع وأطع، ولو لحبشي كان رأسه زبيبة[٢]. قال القسطلاني: وسواء كان ذلك الحبشي مبتدعاً أو مفتوناً[٣]. انتهىٰ.

وفي «صحيح مسلم»: عن ابن عمر قال: صلّىٰ رسول الله ـص ـ بمنىٰ ركعتين، وأبو بكر بعده، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان صدراً من خلافته، ثمّ انّ عثمان صلّىٰ بعده أربعاً، وكان ابن عمر إذا صلّىٰ مع الإمام صّلىٰ أربعاً، وإذا صلاّها وحده، صلّىٰ ركعتين[٤].

وفيه ـ أيضاً ـ وفي «المسند» ـ لأحمد بن حنبل ـ في مسند أبي ذر: قال[٥]: قال رسول الله ـص ـ: كيف أنت إذا كانت عليك أُمراء يميتون الصلاة أو يؤخّرون عن وقتها؟. قلت: فما تأمرني قال: صلّ الصلاة لوقتها، فان ادركتها معهم، فصلّ، فإنّها لك نافلة. وفي حديث آخر قوله ـص ـ: فصلّ معهم، فانّها زيادة خير[٦]. انتهىٰ.

إنّ في هذا الحديث دلالة واضحة علىٰ موافقة أُمراء السوء في الصلاة الّتي هي أكمل الطاعات وأفضل العبادات، وذلك إمّا لمصلحة نفسه، إذ لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها، وقال الله تعالىٰ: «وما جعل عليكم في الدِّين من حرج»[٧]، وقال الله تعالىٰ: «يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر»[٨]، وقال تعالىٰ: «ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به»[٩]،

---

١ . إرشاد الساري ٢ / ٥٥ .فتح الباري ٢ / ١١٥ .

٢ . صحيح البخاري ١ / ١٧١ ،كتاب الصلاة ، باب إماتة المفتون والمبتدع .

٣ . إرشاد الساري ٢ / ٥٥.

٤ . صحيح مسلم ١ / ٤٨٢،كتاب الصلاة ، باب عقد الصلاة بمنىٰ .

٥ . أبو ذر .

٦ . صحيح مسلم ١ / ٤٤٨ـ ٤٤٩،كتاب الصلاة ، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار . . .
مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٥٩ ، ١٦٨ .

٧ . سورة الحجّ / ٧٨.

٨ . سورة البقرة / ١٨٥ .

٩ . سورة البقرة / ٢٨٦ .

وقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «لا ضرر ولا ضرار»[١]، «رُفعَ عن أمّتي تسعة» وعدّ منها: «وما استكرهوا عليه، وما اضطروا إليه»[٢].

وأمّا المصلحة العامّة، أعني اتّحاد الكلمة والتحذّر عن وقوع الحادثة، صرّح بذلك النووي ـ في الشرح علىٰ صحيح مسلم ـ، قال: ولهذا قال في الرواية الأخرىٰ عن أبي ذر: انّ خليلي أوصاني أن أسمع وأُطيع، وان كان مجدع الانف ـ كناية عن نفرة الناس عنه ـ[٣]. انتهىٰ.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ ما في «صحيح مسلم» من حديث الصلاة خلف ابن زياد مع تأخيره الصلاة عن وقتها، قال أبو العالية: ذكرتُ لعبد الله بن الصامت صنيع ابن زياد، فعضّ علىٰ شفتيه، وضرب علىٰ فخذي، وقال: إنّي سألتُ أبا ذر كما سألتني، فضرب فخذي كما ضربتُ فخذك، وقال: إنّي سألتُ رسول الله ـ ص ـ كما سألتني، فضرب فخذي كما ضربت فخذك، وقال: صلّ الصلاة لوقتها، فإن أدركت الصلاة معهم، فصلّ، لا تقل إنّي قد صلّيت، فلا أُصلّي[٤]. انتهىٰ. وهو أيضاً من حديث «المسند» ـ لأحمد ـ[٥].

وفيه من الدلالة الواضحة علىٰ وجوب التقيّة لأقصىٰ درجة، وعدم الانكار للصلاة مع المخالف للشريعة، حتّىٰ مثل ابن زياد الدعي بن الدعي، الملعون علىٰ لسان النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وكلّ نبي مجاب الدعوة.

---

١. الكافي ٥ / ٢٩٢، ٢٩٤. سنن ابن ماجة ٢ / ٧٨٤.

٢. فقيه من لا يحضره الفقيه ١ / ٣٦. التوحيد / ٣٥٣.

٣. شرح صحيح مسلم ٣ / ٣٣٢. مع اختلاف غير مخلّ.

٤. صحيح مسلم ١ / ٤٤٩، كتاب الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار...

٥. مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٦٠.

المنهج الثاني
في البداء ودفع الاشكال عنه

اعلم أنّا تعرّضنا لهذه المسألة حيث وقعت مورد الشكّ والحيرة، وعزي القول بالبداء إلى الشيعة، فإذاً نقول:

إنّ المذهب علىٰ جواز البداء علىٰ الله تعالىٰ بمعنىٰ المحو والإثبات، وانّه عندنا من شرع الأنبياء، وعليه أيضاً شرع القرآن في قوله سبحانه: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب»[1]، وقوله تعالىٰ: «كلّ يوم هو في شأن»[2]، وقوله تعالىٰ: «لا يُسأل عمّا يفعل...»[3].

والمخالف في ذلك أهل السنّة، فأنكروا البداء خلافاً علىٰ الله تعالىٰ، وادعوا استحالته للزوم الجهل علىٰ الله تعالىٰ والتغيير والتبديل في علمه الّذي هو عين ذاته.

وقال الفخر الرازي ـ في تفسيره ـ: قالت الرافضة: البداء جائز علىٰ الله تعالىٰ، وهو أن يعتقد شيئاً ثمّ يظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده، وتمسّكوا فيه بقوله تعالىٰ «يمحو الله ما يشاء ويثبت»، وهو باطل، لأنّ علم الله من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك، كان دخول التغيير والتبديل فيه محالاً[4].

وقال الفخر الرازي أيضاً ـ في كتاب المحصّل، في آخر بحث الإمامة ـ: ولنختم

---

١ . سورة الرعد / ٣٩.

٢ . سورة الرحمٰن / ٢٩.

٣ . سورة الأنبياء / ٢٣.

٤ . التفسير الكبير ١٩ / ٦٦.

الكلام بما يُحكىٰ عن سلـٰن بن جرير الزيدي انّه قال: إن أئمّة الرفضة وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظفر معهما أحدٌ عليهم:

الأوّل: القول بالبداء، فإذا قالوا انّه سيكون لهم قوّة وشوكة، ثمّ لا يكون الأمر علىٰ ما أخبروه، قالوا: بدا لله تعالىٰ فيه.

الثاني: التقيّة، فكلّما أرادوا شيئاً يتكلّموا به، فإذا قيل لهم هذا خطأ وظهر بطلانه، قالوا: إنّما قلناه تقيّة[١]. انتهىٰ.

أقول: وتحقيق الحال في الكلام:

أوّلاً: النقض في البداء بالنسخ الثابت بالضروة للاديان الماضية، والحال انّ اشكال انقلاب علمه بالجهل ولزوم التغيير والتبديل في علمه الذاتي في المسألتين سواء، ففي «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ: أخرج عبد الرزّاق والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه عن أنس بن مالك قال: فرضت علىٰ النبيّ ـص ـ ليلة أُسري به، الصلاة خمسين، ثمّ نُقصت حتّىٰ جعلت خمساً، ثمّ نودي: يا محمّد! إنّه لا يبدّل القول لديّ، وإنّ لك بهذه الخمس خمسين[٢].

وأمّا ثانياً: فلمّا قاله بعض المحقّقين من العلماء من أنّ البداء في التكوينات نظير النسخ في التشريعات، فكما انّ النسخ انتهاء أمد الحكم، لا رفعه، فكذا حقيقة البداء، انتهاءُ اتّصال إفاضة الوجود لتضييق دائرة اقتضاء الشرائط والمعدات والقوابل والاستعدادات...[٣].

وعن كتاب «أبو هريرة» ـ للامام شرف الدِّين ـ: البداء: ان يسبق أمر في علم الله الأزلي، ولم يكن ظاهراً للناس، فأراد الله إظهاره لهم، ويدلّ عليه حديث أبي هريرة ـ كما في «صحيح البخاري» ـ قال فيه: إنّ ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع وأعمىٰ، بدا

---

١ . محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين / ١٨٢.

٢ . الدرّ المنثور ٦ / ١٠٦.

٣ . فماهية النسخ نفس ماهية البداء، والفرق هو انّ النسخ يكون في الاحكام، فتغير الاحكام يسمّىٰ نسخاً، والبداء يكون في وقوع الحوادث، فتغير وقوع الحوادث يسمّىٰ بداءً، كما سيأتي.

لله عزّ وجلّ أن يبتليهم...[1] [2].

وتفصيل هذا الإجمال انّ البداء بحسب معناه اللفظيّ وإن كان هو الظهور، ـ كما في قوله «بَدا ليَ منها مِعصَمٌ حين جَمَّرَت»[3] ـ ولكنّه فـ أُضيف إلىٰ الله تعالىٰ يُراد منه «إظهاره الأمر الكوني للمخلوق بعد خفائه عليهم»، وهذا لا استحالة له عند العقل والعقلاء، ولا يخالفه النقل عن الشارع، وعليه تحمل الآيات والأحاديث المؤدّية إليه.

وأهل السنّة أخذوا علىٰ الشيعة البداء، وقالوا: لا ظهور بعد الخفاء بـالنسبة إلى المبدأ الأعلىٰ، والشيعة هم المعترفون بهذا المعنىٰ، لكن المسألة لمّا كانت عقليّة لا لفظيّة، لزم التوسّع في ألفاظ الكتاب والسنّة، وللتصرّف في المدلول باب واسع إذا زاحمته العقول، كما في ساير ما يطلق علىٰ الله من الرمي والامتحان والابتداء والفتنة والسخرية والاستهزاء وأمثالها، ولا يلزم الجهل والتغيير والتبديل في علم الله تعالىٰ، بل العقل و النقل متوافقان علىٰ أنّ الله تعالىٰ عالم بكلّ شيء، كليّاً كان أو جزئيّاً، متغيّراً كان أو ثابتاً، فالشيء معلوم عنده علىٰ ما هو به من الأحوال، من غير تغيير ولا اختلاف ولا تخلّف، وإنّما ذلك في علم العباد إذا أُخبروا بخلاف ما علموا، كما في قوله تعالىٰ: «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»[4].

ومن نظر في الآيات والأحاديث يرىٰ انّ الأنبياء كـانوا يخـبرون بـشيء لسـبب خاصّ، ثمّ يظهر لهم خلافه، لإطلاعهم ثانياً علىٰ سبب آخر يوجب رفعه، كـما في قـصّة إبراهيم ـ عليه السّلام ـ وقوله لابـنه إسماعـيل ـ عـليه السّـلام ـ: «إنّي أرىٰ في المـنام أنّي أذبحك»، ومعلوم أنه رآه عن مكاشفة صدق، لا مكاشفة كهانة أو تـنجيم عـن تجـربة ناقصة، ولذا إذا أخبر به الناس، أو أراد أن يعمل بمقتضاه كان قوله حقّاً وصدقاً، وعمله مرضياً عند الله تعالىٰ حتّىٰ إذا أخبره الله تعالىٰ بعلمه المكنون عنده بغير ما اطّلع عليه أوّلاً من الأمور المدبرة بالأسباب الخاصّة المقدّرة، فعلم إبراهيم ـ عليه السّلام ـ ما لم يكن يعلم،

---

١. صحيح البخاري ٤ / ١٤٦، كتاب بدأ الخلقة، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٢. أبو هريرة / ٢٣٤.

٣. هذا من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة، مذكورة في ديوانه / ٥٥٦.

٤. سورة الزمر / ٤٧.

إذ زعم أنّ غير الكائن هو الكائن، ثمّ ظهر له خلافه، فيقال لمثل هذا الأمر النسخ والبداء، ولا يمكن العلم به لأحد إلّا من جهة الله، لقوله تعالىٰ «وعنده أمّ الكتاب»[١]، وقال «فلا يظهر علىٰ غيبه أحدا، إلّا من ارتضىٰ من رسول»[٢].

فحال علم العبد في الكائنات بعد كشف الخلاف، حاله في الاُحكام بعد تبين النسخ والإنقطاع، كما انّ حال تلك الأمور الكائنة باسبابها المقدّرة ربما تكون مرتفعة بأسباب أخرىٰ أقوىٰ منها، بخطاب من الله تعالىٰ بقوله: «يا نار! كوني برداً وسلاماً»[٣]، أو بدعاء من العبد تؤثّر في مقتضيات العالم الكوني، كما في موارد الدعاء وصلاة الاستسقاء، أو بمعجزة من الأنبياء، من غرق أو خسف أو مسخ أو زلزلة، «قل كلّ من عند الله»،[٤] «وما رميت إذ رميت، ولكنّ الله رمىٰ»[٥].

ومن أجل ذلك صحّ القول بالبداء بمعنىٰ ظهور وجه الصلاح في أمر بعدما لم يكن ظاهراً، وإنّ شيئاً من قواعد الشرع غير مناف له، وإنّ المنكر له أنكره لمّا ضاق به الخناق، ولم يعلم من ظاهر القرآن انّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، وإنّ التقوىٰ تزيد في البركة من الله تعالىٰ في قوله «ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا واتّقوا، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض...»[٦]، وإنّ الاستغفار يزيد في الرزق ويكثر المال في قوله تعالىٰ «واستغفروا ربّكم، إنّه كان غفّاراً، يرسل السماء عليكم، ويمددكم بأموال وبنين...»[٧]، وقال عزّ من قائل: «ومن الليل فتهجّد به نافلة لك، عسىٰ أن يبعثك ربّك

---

١. سورة الرعد / ٣٩.

٢. سورة الجنّ / ٢٧.

٣. سورة الانبياء / ٦٩.

٤. سورة الأنفال / ١٧.

٥. سورة الأعراف / ٩٦.

٦. سورة النساء / ٧٨.

٧. سورة نوح / ١٠ـ١٢.

مقاماً محموداً»[١]، فإذا نهض العبد للتهجّد في الليل، نال المقام المحمود في الدنيا أو الآخرة، أو كليهما، لو لم يأت بما يوجب الإحباط، كما في قوله تعالىٰ «لإن أشركت ليحبطنّ عملك»[٢]، وجميع ذلك بنحو الجزم أو التعليق، والتقدير جار في علم الله، «لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها»[٣].

ثمّ إنّ في القرآن ما يظهر منه أنّ لله تعالىٰ لوحين، أُثبتت فيهما الحوادث من الجواهر والاعراض:

أحدهما: اللوح المحفوظ من المحو والاثبات، المصون من التغيير والتبديل، وهو المعبَّر عنه بـ «أُمّ الكتاب». قال الفخر الرازي ـ في التفسير ـ: انّ أُمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ، وهو الكتاب المشتمل علىٰ تعيين جميع الأحوال العلويّة والسفليّة، وهو الباقي[٤].

وثانيها: لوح المحو والاثبات. قال الفخر الرازي: الكتاب الّذي تكتبه الملائكة علىٰ الخلق محل المحو والاثبات. قال: وروىٰ أبو الدرداء عن النبيّ ـص ـ قال: «إنّ الله تعالىٰ في ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الكتاب الّذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء»[٥].

توجيه البحث نحو مقالة الفخر الرازي في البداء

أقول: إذاً فما الوجه في نسبة الفخر الرازي وأمثاله القول بالبداء إلى الشيعة، سيّما بعد كلامه أوّلاً وآخراً إنّ آية المحو والإثبات تعمّ كلّ الأشياء، وبعد ذكره حديث أبي الدرداء؟.

وقال الفخر الرازي – أيضاً ـ: في الآية قولان: الأوّل: إنّها عامّة في كلّ شيء، كما يقتضيه ظاهر اللفظ. قالوا: إنّ الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر، وهو مذهب عُمر وابن مسعود، والقائلون بهذا

---

١ . سورة الإسراء / ٧٩.

٢ . سورة الزمر / ٦٥.

٣ . سورة الكهف / ٤٩.

٤ . التفسير الكبير ١٩ / ٦٦.

٥ . التفسير الكبير: ١٩ / ٦٦.

القول كانوا يدعون ويتضرّعون إلىٰ الله في أن يجعلهم سعداء لا أشقياء، وهذا رواه جابر عن رسول الله ـص ـ[1].

أقول: فما بالهم لم يعترفوا بالبداء الّذي هو المحو والإثبات؟ وبنوا علىٰ أنّه خلاف المعقول والمنقول؟ وكيف يكون مخالفاً لهما مع انّ جابر وأبا الدرداء نسبا المحو والإثبات في مطلق الأشياء إلى النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عن الله تعالىٰ؟ بل في رواه الحاكم ـ في «المستدرك» ـ والذهبي ـ في «التلخيص» ـ عن ابن عبّاس قال: «لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر»[2]. انتهىٰ.

ثمّ قال الفخر: القول الثاني ـ ممّا قالوا في معنىٰ الآية ـ هو: أنّها خاصّة في بعض الأشياء، ففي الآية وجوه: الأوّل: إنّ المراد من المحو والإثبات نسخ الحكم المتقدّم وإثبات حكم آخر بدلاً عن الأوّل[3].

قلت: وعليه أيضاً يأتي إشكال البداء من ظهور الشيء بعد الخفاء علىٰ الله تعالىٰ، فإنّ النسخ في التشريعات منزلته منزلة البداء في التكوينات، فما في الأمر التشريعي نسخ فهو في الأمر التكويني بداء، فالنسخ بداء تشريعي، والبداء نسخ تكويني، فلا بداء في القضاء من الحكم أو الفعل لولا ما قالته الشيعة من التوجيه بانّ النسخ انتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره، لا رفعه، وعليه فمثله البداء، فإنّه انقطاع استمرار الأمر التكويني وانتهاء اتّصال الإفاضة، ومرجعه إلىٰ تحديد زمان الكون، وتخصّص وقت الإفاضة.

قال الفخر الرازي الثامن: [انّه][4] في الأرزاق والمحن والمصائب، يثبتها في الكتاب ثمّ يزيلها بالدعاء والصدقة، وفيه حث علىٰ الانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ. قال: العاشر: يزيل ما يشاء وثبت ما يشاء من حكمه، لا يطلع علىٰ غيبه أحداً، فهو المنفرد بالحكم كما شاء، وهو المستقل بالايجاد والاعدام، والاحياء والاماتة، والإغناء والافقار، بحيث لا يطلع علىٰ

١. التفسير الكبير ١٩ / ٦٤ ـ ٦٥.

٢. المستدرك على الصحيحين ٢ / ٣٥٠. التلخيص ٢ / ٣٥٠.

٣. التفسير الكبير ١٩ / ٦٥.

٤. الزيادة من المصدر.

تلك الغيوب أحد من خلقه. قال: فإن قال قائل: ألستم تزعمون انّ المقادير السابقة قد جفّت بها القلم وليس الأمر بآنف، فكيف يستقيم مع هذا المعنىٰ المحو والإثبات؟. قلنا: ذلك المحو والإثبات أيضاً ممّا جفّ به القلم، فلا يمحو إلّا ما سبق في علمه وقضائه محوه[1].

أقول: هذا من الفخر الرازي إقرار بوقوع التغيير والتبديل في مشيئة الله تعالىٰ وإرادته، فهل يمحو إلّا ما كان ثابتاً؟ وهل يثبت إلّا ما كان معدوماً؟ فكلّ من المحو والإثبات يقتضي سنوح أمر وزوال أمر آخر، فمن نظر في القرآن والأحاديث فلا محيد له عن القول بالبداء، وتوجيهه بما تقوله الشيعة.

والّذي أظنّه انّ الفخر الرازي في نسبته البداء إلى الشيعة أراد الفرية وإعمال العصبيّة، وإلاّ فما في ظاهر كلامه من قوله «يزيل ما يشاء ويثبت ما يشاء» هو الاقرار بالبداء، وهو المعقول والمنقول حسب ما أدّت إليه النصوص من أنّ صلة الرحم تزيد في العمر، والصّدقة تزيد في العمر والرزق، والبرّ بالوالدين تبدّل الشقاوة بالسعادة، وعلىٰ العكس بالعكس. بل الوقوع في القرآن من أقوىٰ الدليل علىٰ الامكان نظراً إلىٰ مسألة ذبح إسماعيل، ووقوع البداء فيه، وكذلك مسألة نجاة قوم يونس بعد توبتهم وتضرّعهم إلىٰ الله تعالىٰ، بل وكذلك نجاة يونس من بطن الحوت بعد تضرّعه وقوله «سبحانك انّي كنت من الظالمين»[2]، كما في القرآن «فلولا أنّه كان من المسبّحين، للبث في بطنه إلىٰ يوم يبعثون»[3].

حكمة البداء وجعل لوح المحو والاثبات

فإذا انتهىٰ الأمر إلى السؤال عن الحكمة في جعل لوح المحو والإثبات، قلنا:

أوّلاً: إنّ السبب فيه هو انّه كما قُضي في علمه تعالىٰ انّ الحوادث الكونية كلّها بالأسباب، كذلك قُضي في علمه تعالىٰ انّ تلك الحوادث تقع لو لم يزاحم موجبها موجب

---

١. التفسير الكبير ١٩ / ٦٥ ـ ٦٦.

٢. سورة الأنبياء / ٨٧.

٣. سورة الصافّات / ٤٣ ـ ٤٤..

آخر، مثل أن يكون عُمر زيد ـ بمقتضىٰ مزاجه ـ خمسين سنة لو لم يشرب السمّ، فشربه وقلّ عمره، أو انّه قوّىٰ مزاجه بمقوّ زاد بذلك عمره، وهذا لا كلام فيه عند أحد، وعليه لا وجه للسؤال عن انّ المقدّرات لم صارت بالاسباب والمعدّات.

وثانياً: إن وجه الحكمة (حسب ما هو المستفاد من النصوص) هو إعلام العباد ـ باخبار الرسل ـ عليهم السّلام ـ إنّ لأعمالهم الحسنة تأثيراً تامّاً في صلاح معاشهم ومعادهم، وكذلك لأعمالهم السيّئة تأثيراً في فساد أُمورهم، وعند ذلك يحصل لهم في نفوسهم الداعي إلى الخيرات، وكفّ النفوس عن السيّئات، فالطاعات ـ كالسيّئات ـ كلّها من موجبات المحو والإثبات، وكذلك الدعاء والابتهال إلىٰ الله تعالىٰ، أو جعل المقرّبين من الأنبياء شفعاء، كما في قوله تعالىٰ: «ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ»[1].

وفي ذلك من الفرج في الآخرة والأولىٰ، فالبداء فرج لأولياء الله، وانقلاب الأمر بالدعاء علىٰ أعداء الله، كما في ابتلاء المؤمنين في قوم نوح، وشدّة محنة بني إسرائيل في آل فرعون، فانتظار الفرج من نتائج البداء، كالفرج الحاصل للشيعة بزوال حكومة بني أُميّة، فانقلاعهم عن وجه الأرض من البداء المجهول عند الناس، حتّىٰ ظهر أمر بنّي العبّاس، فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين.

إنّ ما ذكرناه هو سرّ قول الطاهرين الصادقين من أئمّتنا ـ عليهم السّلام ـ انّه ما عُبد الله بمثل البداء[2]، أو ما عرف الله من لم يعرفه بالبداء، كيف لا؟ فمن حسنت عاقبته أو سيئت، فأدخل الجنّة بسعادته، أو أُدخل النّار بشقاوته، لا يكون ذلك إلّا بالمحو والإثبات.

بعض كلمات الجماعة في المحو والإثبات

١ / فعن المولوي الشاه ولي الله الدهلوي ـ في كتابه «حجّة الله البالغة»، وهو من

---

١ . سورة الضحىٰ / ٥.

٢ . بحار الأنوار ٤ / ١٠٧. والحديث مروي عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق ـ عليهما السّلام ـ، وتمامه: «ما عُبد الله عزّ وجلّ بشيء مثل البداء».

أكابر علماء السنّة ـ إنّه قال: قد بيّنت السنّة بياناً واضحاً انّ الحوادث يخلقها الله تعالىٰ قبل أن تحدث في الأرض خلقاً ما، ثمّ تنزل إلىٰ هذا العالم، فتظهر فيه كما خلق أوّل مرّة، سنّة من الله، ثمّ قد يمحىٰ الثابت، ويثبت المعدوم بحسب هذا الوجود، قال تعالىٰ «يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب»[1]، مثل أن يخلق البلاء خلقاً ما، فينزل علىٰ المبتلىٰ، ويصعد الدعاء فيرده، وقد يخلق الموت، فيصعد البرّ فيردّه...[2].

٢ / وقال الشيخ عبد الحقّ الدهلوي ـ في «مدارج النبوّة»، بعد الترجمة ـ: انّ القضاء وإن كان بتقدير إلٰهي قديم، ولكن كتابه حادث، وكتاب اللوح المحفوظ هو الّذي قد جفَّ القلم فيه بما هو كائن، ولكن هناك كتاباً يكتبه الملائكة في ليلة النصف من شعبان، و فيه المحو والإثبات حسبما ورد في الآثار[3].

٣ / وذكر الملاّ علي القاري ـ في حُكي عن رسالته في يتعلّق بليلة النصف من شعبان ـ قائلاً: التحقيق إنّ الله سبحانه قدّر المقدّرات قبل خلق الموجودات علىٰ وفق ما تعلّق به علمه بالمكنونات، ويعبِّر عن علمه سبحانه بـ «أمّ الكتاب» الّذي لا يتغيّر ولا يتبدّل في كلّ باب، ثمّ خلق اللوح المحفوظ، وأمر القلم أن يكتب ما كان وما يكون، فكتب كلّ أمر أطلعه إيّاه، ثمّ جفّ القلم بما هو كائن علىٰ وفق علم الله تعالىٰ، وغايته أنّه كتب فيه بعض الأشياء مجملاً، وبعضهامفصلاً، وبعضها مطلقاً، وبعضها معلقاً، فبهذا الاعتبار تجوز الزيادة والمحو بالنسبة إلى المنقوش في اللوح، ولذا قال الله تعالىٰ: «يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب»...[4].

وعن الشيخ أحمد الفاروقي ـ الموصوف عند الجماعة بالمجدّد في الألف الثاني، في مكاتيبه، علىٰ ما حكي ـ: القضاء علىٰ قسمين: قسم معلّق وقسم مبرم، والّذي يحتمل فيه التغيير والتبديل هو القضاء المعلّق دون المبرم، فإنّه لا مجال للتغيير والتبديل فيه، قال الله

---

١ . سورة الرعد / ٣٩.

٢ . لم أجد المصدر.

٣ . مدارج النبوّة / الجزء الأول.

٤ . لم أجد المصدر.

سبحانه: «ما يبدّل القول لدي»[١]، وهذا في القضاء المبرم، أمّا القضاء المعلّق فقد قال سبحانه «يمحو الله ما يشاء ويثبت»[٢]. انتهىٰ.

أقول: إنّ جميع ذلك هو الموافق للمذهب الّذي صرّح به علماء الإماميّة عن أئمّتهم من العترة الطاهرة، وهو أيضاً مذهب علي ـ عليه السّلام ـ، وعمر بن الخطّاب، وابن عبّاس، وابن مسعود، وابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وقيس بن عبّاد، وكعب الأحبار، روىٰ عنهم: أبو بكر بن شيبة، وعكرمة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وقتادة، ومجاهد، وأبو صالح، والكلبي، وعبد الرزّاق، والفاريابي ـ شيخ البخاري ـ، وأحمد بن حنبل، وأبو نعيم، ويعقوب بن سفيان، والديلمي، وابن نصر، والحاكم، والنسائي والبيهقي، وأبو يعلي، وابن أبي عمر المدني، واليمني الشافعي، وابن سعيد، وابن مردويه، وابن عساكر، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، الضحّاك، وأبو الشيخ، وعمر بن عادل الحنبلي، والحسن البصري.

الأحاديث الصريحة في البداء

إنّ في مفروض البحث أحاديث نبوية وقصص للأنبياء صريحة في البداء عموماً، وخصوصاً في هذه الشريعة وفي الشرائع الماضية.

الحديث الأوّل: ما ذكره السيوطي ـ في تفسيره «الدرّ المنثور» ـ قال: أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ـ رض ـ قال: قالت قريش ـ حين نزلت «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلّا بإذن الله»[٣] ـ: ما نراك يا محمّد تملك من شيء، ولقد فُرغ من الأمر. فأُنزلت هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم: «يمحو الله ما يشاء...»، انّا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا، ويحدث الله في كلّ رمضان، فيمحو الله ما يشاء

---

١ . سورة ق / ٢٩.

٢ . الدرر المكنونات النفيسة ١ / ١٠٠.

٣ . سورة الرعد / ٣٨.

ويثبت من أرزاق الناس، ومصائبهم، وما يعطيهم وما يقسم لهم[١]. انتهىٰ.

وأنت ترىٰ صراحة الحديث في البداء، وحصول التغيير والتبديل في المقدّرات الإلٰهيّة من عنده تعالىٰ في أمر رزق العباد وعطاياهم ومحنهم ومصائبهم، فيمحو بعض ما أثبته، ويثبت بعض ما نفاه بمقتضىٰ حكمته البالغة، وذلك رداً علىٰ اليهود الّذين قالوا: «يد الله مغلولة» بعد أن فرغ من أمر الخلق والنظام التامّ، ويردهم أيضاً قوله تعالىٰ «بل يداه مبسوطتان..»[٢]، وقوله «كلّ يوم هو في شأن»[٣]، يعني من إحياء وإماتة، وإحداث وإهلاك، وإعطاء وحرمان، وقبول توبة، وتعجيل العذاب بالغرق والحرق والخسف والمسخ بالقردة والخنازير، فإذاً نفي البداء تعطيلٌ في حقّه تعالىٰ، وهو من قسم أقوال أهل البدع والضلال.

الحديث الثاني: أيضاً ما في «الدرّ المنثور»: قال: أخرج عبد الرزّاق والفاريابي وابن جرير وابن نصر[٤] وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي ـ في شعب الايمان ـ عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال: ينزل الله في كلّ شهر رمضان إلىٰ سماء الدنيا، فيدبّر أمر السنة في ليلة القدر، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، إلّا الشقاوة والسعادة والحياة والمماة[٥]. انتهىٰ.

وهذا الحديث وإن اقتضىٰ تخصيص المحو والإثبات ببعض الأشياء دون بعض، لكنّه يكفي هذا المقدار في كسر صولة الإنكار، وبطلان ما يزعمه الخصم من الدليل العقلي علىٰ

---

١. الدرّ المثور ٤/ ٦٥.

٢. سورة المائدة / ٦٤.

٣. سورة الرحمٰن / ٢٩.

٤. لا يوجد هذا الاسم في المصدر.

٥. الدر المنثور ٤/ ٦٥. والمنقول بالمضمون.

لا يخفىٰ أنّ ذكر هذا الحديث المزعوم لأجل الاستدلال علىٰ أنّ الأحاديث الّتي ذكرها السنّة أنفسهم جاء فيها التصريح بالبداء، فلا داعي لايجاد الغوغائية والتهريج علىٰ الشيعة بهذا الشأن.

وأمّا هذا الحديث بالخصوص فهو موضوع، إذ انّ مفاده جسميّة الله سبحانه، وهو ما يتنافىٰ مع أوّليات العقائد الإسلاميّة.

فساد البداء علىٰ الله تعالىٰ، فانّ حكم العقل ـ إن تمّ ـ فلا يكاد يخصّص ببعض دون بعض، وسيأتيك ما يدلّ علىٰ العموم.

الحديث الثالث: ما أورده السيوطي أيضاً ـ في «الدرّ المنثور» ـ: انّه أخرج ابن سعد وابن جرير وابن مردويه عن الكلبي ـ في الآية ـ: قال يمحو الله من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه. فقيل: من حدّثك بهذا؟. قال: أبو صالح عن جابر بن عبد الله الأنصاري [عن النبيّ ـص ـ][1] [2].

وأورد السيوطي أيضاً هذا الحديث بنصّه في زيادة العمر ونقصه في كتابه «الاتقان»[3]، وأيضاً في رسالته «إفادة الخبر» ـ الّتي صنّفها جواباً للسؤال الّذي سئل من والده في قوله تعالىٰ «لكلّ أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب» ـ قال: وأخرج ابن جرير وابن مردويه ـ في تفسيرها ـ عن الكلبي قال: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه[4].

أقول: وأورد ابن جرير ـ في التفسير، في تفسير الآية في سورة الرعد ـ عن الحسن قال: آجال بني آدم في كتاب، يمحو الله ما يشاء من أجَله، ويثبت، وعنده أم الكتاب[5]. وإن هذا إلّا عين البداء في المقدّرات الإلٰهيّة من الرزق والحياة والمماة؟ وهو ـ كما عرفت ـ مذهب ثلّة من أعاظم علماء الجماعة.

الحديث الرابع: أيضاً في «الدرّ المنثور» عن ابن عبّاس قال: إنّ لله تعالىٰ لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام، من درّة بيضاء، له دفّتان من ياقوت، والدفّتان لوحان لله، كلّ يوم ثلاث وستون لحظة، يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب[6].

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . الدرّ المنثور ٤ / ٦٦.

٣ . الاتقان في علوم القرآن ٤ / ٢٣١.

٤ . لم أجد المصدر.

٥ . جامع البيان ١٣ / ١١٤.

٦ . الدرّ المنثور ٤ / ٦٥.

الحديث الخامس: ما ذكره السيوطي ـ في «الدرّ المنثور» وكذلك في رسالته «إفادة الخبر» بنصّه ـ: أنّه أخرج ابن مردويه (في تفسيره) وابن عساكر ـ في تاريخه ـ عن علي (رض) انّه سأل رسول الله ـ ص ـ عن قول «يمحو الله ما يشاء ويثبت»، فقال: «لاقرّنّ عينيك بتفسيرها، ولاقرّنّ عين أُمّتي بعدي بتفسيرها: الصدقة علىٰ وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف، يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء»[1].

الحديث السادس: ما في تفسير الطبري و «الدرّ المنثور» ـ واللفظ للثاني ـ قال: أخرج ابن جرير الطبري عن قيس بن عباد، قال: العاشر من رجب يمحو الله فيه ما يشاء[2].

وفيه: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي ـ في الشعب ـ [عن][3] قيس ابن عباد، قال: لله أمر في كلّ ليلة العاشر من الأشهر الحُرُم، أمّا العاشر من الأضحىٰ فيوم النحر، وأمّا العاشر من المحرّم فيوم عاشوراء، وأمّا العاشر من رجب ففيه يمحو الله ما يشاء ويثبت. قال: ونسيتُ ما قال في ذي القعدة[4].

الحديث السابع: أيضاً في «الدرّ المنثور»: قال: أخرج ابن جرير، ومحمّد بن نصر، وابن أبي الحاتم، والحاكم ـ وصحّحه علىٰ شرط الشيخين ـ عن ابن عبّاس: «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال: من أحد الكتابين، هما كتابان، يمحو الله ما يشاء أحدهما، «ويثبت، وعنده أمّ الكتاب» أي: جملة الكتاب[5]. انتهىٰ. ونحوه الحديث في تفسير الطبري عن سليمان عن عكرمة[6].

الحديث الثامن: ما في تفسير الطبري و «الدرّ المنثور»: قال: أخرج ابن جرير عن الضحّاك ـ في الآية ـ يقول: أنسخُ ما شئتُ، وأصنعُ في الآجال ما شئتُ، إن شئتُ زدتُ

---

١ . الدرّ المنثور ٤ / ٦٦. ولم أجد «إفادة الخبر».

٢ . جامع البيان ١٣ / ١٧٠. الدرّ المنثور ٤ / ٦٦.

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . الدرّ المنثور ٤ / ٦٦.

٥ . الدرّ المنثور ٤ / ٦٥.

٦ . جامع البيان ١٣ / ١١٢.

فيها، وإن شئتُ نقصتُ، «وعنده أمّ الكتاب» قال: جملة الكتاب وعلمه، يعني بذلك ما ينسخ منه وما يثبت[١].

الحديث التاسع: السيوطي في «الدرّ المنثور» قال: أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطّاب قال ـ وهو يطوف بالبيت ـ: «اللّهم إن كنتَ كتبتَ عليَّ شقاوة أو ذنباً فامحه، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب، فاجعلها سعادة ومغفرة»[٢]. انتهىٰ. وقريب من ذلك حديث الطبري ـ في التفسير ـ عن كلّ من: عمر وابن مسعود وعبد الله بن عمر[٣].

وعن عمر بن العادل الحنبلي ـ في كتابه تفسير اللباب في علوم الكتاب ـ قال: كان عبد الله بن عمر وابن مسعود قائلين بمحو السعادة والشقاوة، ومحو الرزق والأجل. وروي عن عمر أنّه كان يطوف البيت وهو يبكي ويقول: «اللّهمّ إن كنت كتبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب». ونحوه عن ابن مسعود[٤].

الحديث العاشر: ما في «الدرّ المنثور»: انّه أخرج ابن جرير عن شقيق بن أبي وائل، قال: ممّا يكثر أن يدعىٰ بهذه الدعوات: «اللّهمّ أن كنت كتبتنا أشقياء، فامحُنا [واكتبنا سعداء][٥] وان [كنتَ][٦]كتبتنا سعداء، فأثبتنا، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أُم الكتاب». وفيه: وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني عن ابن مسعود انّه كان يقول: «اللّهمّ إن كنت كتبتني في السعداء، فأثبتني في السعداء، وإن كنت كتبتني من الأشقياء، فامحني من الأشقياء، وأثبتني في السعداء، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أُمّ الكتاب[٧].

الحديث الحادي عشر: في «الدرّ المنثور»: أخرج ابن أبي شيبة ـ في المصنّف ـ وابن

---

١. جامع البيان ١٣ / ١١٣. الدرّ المنثور ٤ / ٦٧.

٢. الدرّ المنثور: ٤ / ٦٦.

٣. جامع البيان ١٣ / ١١٣.

٤. المصدر مخطوط.

٥. الزيادة من المصدر.

٦. الزيادة من المصدر.

٧. الدرّ المنثور ٤ / ٦٧.

أبي الدنيا ـ في الدعاء ـ عن ابن مسعود قال: ما دعا عبد قطّ بهذه الدعوات إلّا وسع الله عليه في معيشته: «يا ذا المنّ ولا يمنّ عليه!، يا ذا الجلال والإكرام!، يا ذا الطَول! لا إله إلّا أنت، ظهر اللاجين، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، إن كنتَ كتبتني عندك في أُمّ الكتاب شقيّاً، فامح عنّي اسم الشقاوة، وثبتني عندك سعيداً، وإن كنتَ كتبتني عندك في أُمّ الكتاب محرماً مقتراً عليّ رزقي، فامح حرماني ويسّر رزقي، وثبّتني عندك سعيداً موفّقاً للخير، فإنّك تقول في كتابك الّذي أنزلت «يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب»[1].

الحديث الثاني عشر: ما في تفسير الطبري و «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ عن كعب الأحبار انّه قال لعمر: يا أمير المؤمنين! لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة. قال: وما هي؟ قال: قول الله «يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب»[2].

قلت: إن صحّ الحديث عن كعب، كان لازمه أعلميّته من عمر في الخبر عمّا يكون إلىٰ يوم الحشر، وهو كذلك بحسب تقرير عمر كلام كعب وعدم تكذيبه في ادّعائه «لأنبأتك بما هو كائن».

وكيف ما كان فهذه الأحاديث حجّة علىٰ من أنكر البداء، وانّ المحو والإثبات عام لجميع الأشياء.

القرآن وقصص الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ في البداء[3]

فمن تلك القصص:

أ / حكاية يونس ـ عليه السّلام ـ وقومه، كما في قوله تعالىٰ: «فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها، إلّا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا،

---

١ . الدرّ المنثور ٤ / ٦٦.

٢ . جامع البيان ١٣ / ١١٣.

الدرّ المنثور ٤ / ٦٧.

٣ . يجب الالتفات إلىٰ أنّ الهدف من سرد هذه القصص البرهنة علىٰ وجود ما يفيد وقوع البداء في كتب السُّنّة، وليس المقصود إثبات مضامين القصص، فعدد منها يحتوي علىٰ أمور تتنافىٰ مع أصول عقائد الإسلام، وهذا يكشف عن توغّل الوضع أو التحريف في هذه المجالات أيضاً.

ومتّعناهم إلىٰ حين»[١].

ففي «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ: أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبيّ ـ ص ـ قال: إنّ يونس دعا قومه، فلمّا أبوا أن يجيبوه، وعدهم العذاب، فقال: إنّه يأتيكم يوم كذا وكذا، ثمّ خرج عنهم، وكانت الأنبياء إذا وعدت قومها العذاب خرجت، فلمّا أظلّهم العذاب، خرجوا، ففرقوا بين المرأة وولدها، وبين السخلة وأولادها، وخرجوا فعجّوا إلىٰ الله، وعلم الله منهم الصدق، فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب، وقعد يونس في الطريق ليسأل عن الخبر، فمرَّ به رجل، فقال: ما فعل قوم يونس؟. فحدّثه بما صنعوا. فقال: لا أرجع إلى القوم، فقد كذبتهم. وانطلق مغاضباً[٢]. انتهىٰ.

أقول: وقريب من ذلك الحديث في تفسير الفخر الرازي ـ في تفسير سورة يونس ـ، مع زيادة قوله: انّهم خرجوا إلىٰ شيء من بقيّة علمائهم، فقالوا: قد نزل بنا العذاب، فما ترىٰ؟ فقال: قولوا: يا حيّ، حين لا حي، ويا حيّ، يا محيي الموتىٰ، ويا حيّ، لا إلٰه إلّا أنت. فكشف الله العذاب عنهمْ. وعن الفضل بن عبّاس: أنهم قالوا: [اللّهمّ][٣] إنّ ذنوبنا قد عظمت وجلّت، وأنت أعظم منها وأجلّ، اِفعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله[٤]. انتهىٰ.

والأحاديث ـ بعد القرآن ـ من التفاسير وكتب الحديث من العامّة والخاصّة في البداء ودفع العذاب عن قوم يونس بواسطة التوبة والإنابة والدعاء، بلغت مبلغ الضرورة، وتلك حجّة علىٰ من أنكر القضاء بالمحو والإثبات في المقدّرات، فلا تكن من الغافلين، والعجب من الفخر إذ يحكي دفع العذاب عن قوم يونس ـ عليه السّلام ـ، ويغمض النظر عن أنّه من المحو والإثبات في القضاء المعلّق.

ففي «الدرّ المنثور»: انّه أخرج ابن أبي الحاتم واللالكائي ـ في السنة ـ عن علي بن أبي طالب قال: انّ الحذر لا يردّ القدر، وانّ الدعاء يرد القدر، وذلك في كتاب الله «إلاّ

١ . سورة يونس / ٩٨.

٢ . الدرّ المنثور ٣ / ٣١٨.

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . التفسير الكبير ١٧ / ١٦٥.

قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي»[1]. وأخرج أبو الشيخ وابن المنذر عن ابن عبّاس قال: إنّ الدعاء ليردّ القضاء، وقد نزل من السماء، اقرأوا إن شئتم: «إلاّ قوم يونس لما آمنوا، كشفنا عنهم عذاب الخزي»، دعوا، فصرف عنهم العذاب[2]. انتهىٰ.

فالحديثان صريحان في تصريح علي ـعليه السّلام ـ وابن عبّاس بوقوع البداء، ودفع العذاب، ورفع القدر والقضاء بالدعاء.

ب / ومنها: قصّة موسىٰ ـعليه السّلام ـ، علىٰ ما في القرآن من قوله تعالىٰ: «وواعدنا موسىٰ ثلاثين ليلة...»[3].

ففي «الدرّ المنثور»: أخرج عبد الرزّاق وعبد بن حميد عن مجاهد: «وواعدنا موسىٰ ثلاثين ليلة» قال: ذو القعدة، «وأتممناها بعشر» [قال: عشر ذي الحجّة][4]. قال: إن موسىٰ قال لقومه: إنّ ربّي وعدني ثلاثين ليلة أن ألقاه، وأخلف هارون فيكم. فلمّا اتّصل[5] موسىٰ إلىٰ ربّه، زاده الله عشراً، فكانت فتنتهم في العشر الّتي زادها الله[6].

وفي «الدرّ المنثور» ـ أيضاً ـ في حديث رواه عن ابن أبي عمر المدني وعبد بن حميد والنسائي وأبي يعلىٰ وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم وابن مردويه: إنّ قوم موسىٰ قالوا: فما بال موسىٰ وعدنا ثلاثين ليلة، ثمّ أخلفنا، فهذه أربعون ليلة[7]. انتهىٰ.

انّ الحديث كما ترىٰ ظاهر في وقوع البداء في وعد الله تعالىٰ من ثلاثين ليلة، وإنّ قوم موسىٰ ـعليه السّلام ـ طعنوا فيه بالخُلف عمّا وعدهم، ولم يعلموا إنّ لله تعالىٰ إرادات، وله المحو والإثبات طبقاً لاختلاف المصالح وتخلف الشروط والمقتضيات، وإن كان كلّ ذلك

١ . سورة يونس / ٩٨.
٢ . الدرّ المنثور ٣ / ٣١٧.
٣ . سورة الأعراف / ١٤٢.
٤. الزيادة من المصدر.
٥ . في المصدر: «فصل».
٦ . الدرّ المنثور ٣ / ١١٤ ـ ١١٥.
٧ . الدرّ المنثور ٣ / ١١٦.

جرىٰ في علمه تعالىٰ، «ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما يشاء...»[١].

جـ / ومنها: حكاية عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ مع القصّار[٢]، ففي كتاب «روضة العلماء» ـ للزندوبستي، وهو من أكابر علماء الحنفيّة، كما في «إعلام الأخبار» للكفوي[٣] ـ قال: حدّثنا أبو عبد الله المطوعي باسناد له عن وهب قال: كان عيسىٰ النبيّ ـ عليه السّلام ـ قاعداً مع الحواريين، إذ مرّ قصّار وعلىٰ ظهره حزمة ثياب، فقال عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ للحواريين: إنّ هذا القصّار ليهلك الساعة، ويردّ عليَّ جنازته. فجلسوا، فلما كان عند المساء رجع القصّار سالماً مع ثيابه، فتعجّب الحواريون بذلك، فقال عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ للقصّار: أخبرني عن قصّتك. قال: خرجتُ بالغداة ومعي ثلاثة أرغفة، فاستقبلني سائل، فدفعتُ إليه واحداً، فدعا وقال: صرف الله عنك السوء. فمضيتُ، فاستقبلني سائل آخر، فسألني، فدفعت إليه الرغيف الثاني، فقال: صرف الله عنك البلاء. فلمّا فتحتُ حزمة ثيابي، رأيتُ فيها حيّة سوداء تلتهب النار من عينها، وفي عنقها سلسلتان، وإذا بملكين يمدان تلك الحية حتّىٰ أخرجاها من حزمة ثيابي فقال عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ: لذلك الرغيف سلمك الله، وزاد في عمرك[٤].

د / ومنها: ما في كتاب «حياة الحيوان» ـ للدميري ـ: قال: روىٰ أحمد في كتاب الزهد[٥] عن سالم أبي الجعد قال: كان رجل من قوم صالح ـ عليه السّلام ـ قد آذاهم، فقالوا: يا نبي الله! ادع الله عليه. فقال: اذهبوا فقد كفيتموه. قال: وكان يخرج كلّ يوم يحتطب، فخرج يومئذ ومعه رغيفان، فأكل أحدهما وتصدّق بالآخر، قال: فاحتطب، ثمّ جاء بحطبه سالماً لم يصبه شيء، فجاؤا إلىٰ صالح وقالوا: قد جاء بحطبه سالماً، لم يصبه شيء، فدعاه صالح وقال له: أي شيء صنعت اليوم؟. قال: خرجت ومعي قرصان، فتصدّقت بأحدهما

---

١ . سورة البقرة / ٢٥٥.

٢ . القصّار: غسّال الثياب.

٣ . لم أجد المصدر.

٤ . لم أجد المصدر.

٥ . في المصدر «كتاب الزهري».

وأكلتُ الآخر. فقال صالح ـ عليه السّلام ـ: حلّ حطبك. فحلّه، فإذا فيه أسود سالخ[١] مثل الجذع[٢]، عاض علىٰ جزل[٣] من الحطب، فقال: بهذا دُفع عنك ـ يعني بالصدقة ـ [٤].

هـ / ومنها: الخبر الّذي أورده اليمني الشافعي ـ في كتاب «الاكتفاء» ـ والعلاّمة السيوطي ـ في «الدرّ المنثور» ـ بالإسناد إلىٰ كعب الأحبار قال: كان في بني إسرائيل ملك، إذا ذكرناه، ذكر عمر، وإذا ذكرنا عمر، ذكرناه، وكان إلىٰ جنبه نبي يوحىٰ إليه، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلى النبيّ أن يقول له: إعهد عهدك، واكتب وصيّتك، فإنّك ميت إلىٰ ثلاثة أيّام، فأخبره النبيّ بذلك، فلمّا كان في اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير، ثمّ جاء إلىٰ ربّه فقال: اللّهمّ! إن كنت تعلم انّي كنت أعدل في الحكم، وإذا أُختلف، اتّبعت هداك، وكيت وكيت، فزدني في عمري، حتّىٰ يكبر طفلي ويربو أُمتي. فأوحىٰ الله إلى النبيّ انّه قد قال كذا وكذا، وقد صدق، وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة، ففي ذلك ما يكبر ولده، ويربو أمته. فلمّا طُعِنَ عمر، قال كعب: لإن سأل عمر ربّه ليبقيه. فأُخبر بذلك عمر، فقال: اللّهمّ! اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم.

و / ومنها ما رواه السيوطي ـ في «الدرّ المنثور»: عن ابن عبّاس عن النبيّ ـ ص ـ قال: كان في بني إسرائيل ملكان اخوان علىٰ مدينتين، وكان أحدهما برّاً برحمه، عادلاً في رعيّته، وكان الآخر عاقّاً برحمه، جائراً علىٰ رعيّته، وكان في عصرهما نبي، فأوحىٰ الله إلىٰ ذلك النبيّ انّه قد بقي من عمر هذا البارّ ثلاث سنين، وبقي من عمر هذا العاقّ ثلاثون سنة. قال: فأخبر النبيّ رعيّة هذا ورعيّة هذا، فأحزن ذلك رعيّة الجائر، وأحزن ذلك رعيّة العادل، قال: ففرّقوا بين الأطفال والأمّهات، وتركوا الطعام والشراب، وخرجوا إلى الصحراء يدعون الله أن يمتّعهم بالعادل ويزيل عنهم أمر الجائر، فأقاموا ثلاثاً، فأوحىٰ الله إلىٰ ذلك النبيّ أن أخبر عبادي: بأنّي قد رحمتهم، وأجبت دعاءهم، فجعلت ما بقي من عمر

---

١. أسود سالخ: أفعىٰ سمّي شديد السواد.

٢. جذع: ساق النخلة.

٣. جزل: قطعة.

٤. حياة الحيوان ١ / ٢٥.

هذا البارّ لذلك الجائر، وما بقي من عمر الجائر لهذا البارّ. قال: فرجعوا إلىٰ بيوتهم، ومات العاقّ لتمام ثلاث سنين، وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة، ثمّ تلا رسول الله ـص ـ «وما يعمّر من معمّر، ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب، إنّ ذلك علىٰ الله يسير»[١] [٢]. انتهىٰ.

ز / ومنها: حكاية أبي رومي الصحابي، ففي «الدرّ المنثور»: أخرج ابن مردويه والديلمي عن ابن عبّاس قال: كان أبو رومي من شرّ أهل زمانه، وكان لا يدع شيئاً من المحارم إلّا ارتكبه، وكان النبيّ ـص ـ يقول: «لإن رأيتُ أبا رومي في بعض أزقة المدينة، لاضربنّ عنقه»، وإن بعض أصحاب النبيّ ـص ـ أتاه ضيف له، فقال لامرأته: اذهبي إلىٰ أبي رومي فخذي لنا منه بدرهم طعاماً حتّىٰ ييسر الله تعالىٰ، فقالت: إنّك لتبعثني إلىٰ أبي رومي وهو أفسق أهل المدينة؟. فقال: اذهبي، فليس عليك منه بأس إن شاء الله تعالىٰ، فانطلقت، فضربت عليه الباب، فقال: من هذا؟. قلت: فلانة: قال: ما كنتِ لنا بزوّارة، ففتح لها الباب، فأخذها بكلام رفث[٣]، و[مدّ][٤] يده إليها، فأخذتها رعدة شديدة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إن هذا عمل ما عملته قطّ. فقال أبو رومي: ثكلت أبا رومي أُمّه، هذا عمل عمله وهو صغير[٥]، لا تأخذه رعدة، ولا يبالي، علىٰ أبي رومي عهد الله إن عاد لشيء من هذا أبداً. فلمّا أصبح غداً علىٰ النبيّ ـص ـ، فقال: مرحباً يا أبا رومي!. وأخذ يوسع له المكان، وقال له: يا أبا رومي! ما عملت البارحة؟. فقال: ما عسىٰ أن أعمل يا نبي الله! أنا شرّ أهل الأرض، فقال النبيّ ـص ـ: إنّ الله قد حوّل مكتبك إلى الجنّة، فقال «يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب»[٦]. انتهىٰ. والحديث أيضاً أخرجه أبو نعيم الحافظ[٧].

---

١ . سورة فاطر / ١١.

٢ . الدرّ المنثور ٥ / ٢٤٧.

٣ . رفث: قول الفُحش.

٤ . الزيادة من المصدر.

٥ . في المصدر: «عمله منذ هو صغير».

٦ . الدر المنثور ٤ / ٦٦ ـ ٦٧.

٧ . لم أجده في المصدر.

الدعاء وتأثيره في البداء

إنّ بداهة الشرع ـ علىٰ ما عرفت ـ ناهضة بالبداء مطلقاً، في الكائنات وفي الشرعيّات، وانّه في الأولىٰ يتبدّل القضاء بالصدقة والدعاء، ويزيدك وضوحاً ما دعا به رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يوم بدر، وطلبه من الله النصر، وكذلك دعاؤه لعلي ـ عليه السّلام ـ يوم الأحزاب في قبال عمرو بقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: ربّ! لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. كما في «كنز العمّال» للمتّقي الحنفي[1]. ولولا تأثير الدعاء في البقاء، لوقع لغواً من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بلا فائدة.

قال الشيخ عبد الحقّ الدهلوي ـ وهو من أكابر علماء أهل السنّة ـ في كتابه «مدارج النبوّة»: إنّ من الجائز تأخير إجابة الدعاء من الله تعالىٰ عن وقته المعين، فإنّ انجاز الدعاء كان مشروطاً بشرط، ومعلّقاً علىٰ أسباب، وكان علمه محجوباً عن العبد، ولا يجب علىٰ الله تعالىٰ أن يظهر لعبد ما مضىٰ في علمه بجميع خصوصيّاته، ولا ينافي ذلك صدق وعده، فإنّه ربّما يكون وقوع ما وعده في وقت معيّن معلقاً علىٰ أسباب استأثر سبحانه بعلمه، وقضت الحكمة بستره وكتمانه[2]. انتهىٰ.

قلت: إنّ للدعاء تأثيراً في الإجابة لا محالة، لقوله تعالىٰ: «بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه»[3]، وقوله: «ادعوني استجب لكم»[4]، وقوله: «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه،ويكشف السوء»[5].

ولقد أثّر الدعاء في قوله تعالىٰ: «فتلقّىٰ آدم من ربّه كلمات فتاب عليه...»[6]، وقوله تعالىٰ «ادخلوا الباب سجّداً، وقولوا حطّة، نغفر لكم خطاياكم...»[7]، وقوله في دعاء

---

١ . كنز العمّال ١٠ / ٤٥٦. مع اختلاف غير مخلّ، وليس فيه «ربّ سلّم لي عليّاً».

٢ . مدارج النبوّة / الجزء الأوّل.

٣ . سورة الأنعام / ٤١.

٤ . سورة المؤمن / ٦٠.

٥ . سورة النمل / ٦٢.

٦ . سورة البقرة / ٣٧.

٧ . سورة البقرة / ٥٨.

عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ بنزول المائدة في قوله تعالىٰ «اللّهمّ ربّنا! أنزل علينا مائدة من السماء، تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا، وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين...»[١]، وفي دعاء زكريا ربّه في قوله تعالىٰ: «ربّ! لا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين»[٢]، وفي دعاء يونس في بطن الحوت بقوله: «لا إله إلّا أنت سبحانك، إنّي كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ، وكذلك ننجي المؤمنين»[٣].

دفع المناقشات في المحو والإثبات

كيف يدّعي من يصارم القرآن بانّه لا تأثير في الدعاء في رفع القدر، قياساً للقضاء المعلّق والتقدير ـ علىٰ بعض الوجوه ـ علىٰ القضاء المبرم، والتقدير علىٰ جميع التقادير، ببيان أنّ الله تعالىٰ قدّر المقادير، وقد جفّ القلم بما هو كائن، وما يبدل القول لديه تعالىٰ؟

وهذا قياس باطل، للفرق الواضح بين القضاء المنجّز والقضاء المعلّق، وانّ الله تعالىٰ قدر كلاً منهما بقدره، إن كان مبرماً فمبرماً، وإن كان معلّقاً فمعلّقاً، ومن ذلك القضاء الّذي يزول بالدعاء، ووجه الحكمة في الخلق والأمر بيده، فربّما ينخرط ما ليس بكائن في الكائن ـ بواسطة الدعاء ـ، فتترتّب عليه المصلحة من جهة إجابة دعوة العبد ورفع البلاء عنه.

وفي «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ: [روىٰ] ابن جرير عن قتادة في قوله تعالىٰ «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال: هي مثل قوله تعالىٰ «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها...»[٤]، وقوله: «وعنده أمّ الكتاب» أي: جملة الكتاب وأصله[٥]. انتهىٰ.

ثمّ إنّه لولا اختلاف وجه الحكمة والمصلحة، وعدم الجزاف في المقدّرات الإلٰهيّة، حتّىٰ في صنعه وحكمه ـ علىٰ مذهب الأشاعرة ـ، لما وقع الإختلاف والتخلّف، فلو أخبر

---

١. سورة المائدة / ١١٤.

٢. سورة الأنبياء / ٨٧.

٣. سورة الأنبياء / ٨٧.

٤. سورة البقرة / ١٠٦.

٥. الدرّ المنثور / ٤ / ٦٧.

تعالىٰ بوقوع بعض الحوادث من موت أو غرق أو حرق أو تعذيب أو مسخ، كان له تعالىٰ رفع ما أخبر به إذا وقع مقتضىٰ الرفع من الدعاء والتضرّع والتوبة والاستغفار، فالتعذيب في الدنيا لابدّ له من سبب حادث، والعفو عنه كذلك، يلزمه سبب آخر، فلا يوجد المعلول من الأمرين إلّا بواسطة علّته المؤثرة، ولا يلزم خلاف المقدّر، لأنّ المقدّر في علم الله هكذا، ألا ترىٰ أنّ هلاك فرعون وقومه كان بدعاء موسىٰ وهارون في قوله تعالىٰ: «ربّنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم، فلا يؤمنوا حتّىٰ يروا العذاب الأليم، قال: قد أجيبت دعوتكما...»[١]، وكذا ما ورد في قصّة بلعم من قوله تعالىٰ: «واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا، فانسلخ منها فاتبعه الشيطان...» إلىٰ قوله «فمثله كمثل الكلب...»[٢]، قوله «فانسلخ منها» كاشف عن أنّ ثبوت تلك الآيات لبلعم بن باعور لم يكن أمراً مبرماً، فنزع الله منه الاسم الاعظم، كما في التفسير.

هكذا كلّه مضافاً إلىٰ ما صحّ عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ إنّ الزنا يورث الفقر، وانّه ما من قوم يظهر فيهم الزنا إلّا اخذوا بالسنين[٣]، فالله تبارك وتعالىٰ وإن اعطىٰ الوعيد والتهديد للعصاة المردة، إلّا انّه برحمته الواسعة فتح لهم باب التوبة وباب الشفاعة في قوله تعالىٰ: «ولو انّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله تواباً رحيماً»[٤].

شبهة وإزاحة

قد قيل أو يقال: إنّ كلاً من السعادة والشقاوة إن كان من الله، كان واجب الوقوع، وما كان واجب الوقوع، لا يقع خلافه، وإلاّ لزم التغيير في علمه تعالىٰ، فلا فائدة حينئذ في الدعاء وطلب السعادة من الله.

---

١ . سورة يونس / ٨٨.

٢ . سورة الأعراف / ١٧٥ ـ ١٧٦.

٣ . السنين: القحط والجدب.

٤ . سورة النساء / ٦٤.

قلنا: فكما انّ السعادة والشقاوة من الله تعالىٰ، كذلك تكون الهداية منه تعالىٰ، لقوله: «من يهد الله فهو المهتد...»[١]، وقوله «من يضلل الله فلا هادي له...»[٢]، وقوله «إنّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء...»[٣]، فعند ذلك يصحّ للعبد الدعاء والتضرّع وطلب السعادة في الدنيا والآخرة من الله تعالىٰ، وعلىٰ الله أن يهديه سبيل الحقّ، ويدلّه طريق النجاة، كما فعل بالمؤمنين في جميع الأديان، حتّىٰ قالوا: «الحمد لله الّذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ، ونودوا أن تلكم الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون»[٤] دلّ قوله تعالىٰ «بما كنتم تعملون» علىٰ أنّ للأعمال الخيريّة والطاعات والعبادات تأثيراً في الدخول في الجنّة، وهي السعادة الأبديّة.

فعليه يقال: إن الاشكال متوجّه، لأنّ هذا الشخص إن كان سعيداً، فلا حاجة له إلىٰ الأعمال الخيريّة، وإن كان شقيّاً فلا فائدة في العبادة.

ويناقضه صريح الآية الدالّة علىٰ أنّ الطاعات توجب السعادة، وإنّ المعصية تبعدهم عن الرحمة، وإن الشفاعة توثّر في المغفرة، وعليك بالنظر في قوله تعالىٰ: «ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ»[٥]، وقوله تعالىٰ: «فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا، ولكن قست قلوبهم، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون»[٦]، وفي آية مسخ بني إسرائيل قردة من قوله تعالىٰ: «فلمّا عتوا عمّا نُهوا عنه، قلنا لهم: كونوا قردة خاسئين»[٧]، دلّت الآية علىٰ البداء والتغيير في المقدّرات حتّىٰ بالنسبة إلى السعادة والشقاوة، وكذلك قوله تعالىٰ: «فلما نسوا

---

١ . سورة الأعراف / ١٧٨.

٢ . سورة الأعراف / ١٨٦.

٣ . سورة القصص / ٥٦.

٤ . سورة الأعراف / ٤٢.

٥ . سورة الضحىٰ / ٥.

٦ . سورة الأنعام / ٤٣.

٧ . سورة الأعراف / ١٦٦.

ما ذُكّروا به، انجينا الّذين ينهون عن السوء، وأخذنا الّذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون»[١].

ثمّ إنّ القول بعدم تأثير الدعاء في السعادة وكون شقاوة الشقي ذاتيّة، وكذلك سعادة السعيد، لازمة بطلان بعث الأنبياء، إذ لا فائدة في البعث مع الشقاء، وهذا مصادم للقرآن من قوله تعالىٰ: «كان الناس أمّة واحدة، فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحقّ، ليحكم بين الناس فيـ اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلّا الّذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم، فهدىٰ الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ باذنه، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم»[٢]، تضمّنت الآية لوجه الحكمة في بعث الرسل وإنزال الكتب، وهي البشارة والنذارة وتحصيل العلم والمعرفة الّتي بها تقوم الهداية «ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيىٰ من حيَّ عن بيّنة...»[٣].

وقال تعالىٰ شأنه: «هو الّذي بعث في الأميّين رسولاً منهم، يتلوا عليهم آياته، ويزكّيهم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»[٤]. دلّت علىٰ قابليّة الضلالة والشقاوة للرفع والتبدّل بالهداية وتزكية النفس ومعرفة الكتاب والحكمة.

وقال في رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «إنّك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم»[٥]، وقال تعالىٰ: «اتّبعوه لعلّكم تهتدون»[٦]، وقال: «قرآناً عربيّاً غير ذي عوج، لعلّهم يتّقون»[٧]، وقال «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور...»[٨].

وقال: «ويوم يعضّ الظالم علىٰ يديه، يقول: يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلاً،

---

١. سورة الاعراف / ١٦٥.

٢. سورة البقرة / ٢١٣.

٣. سورة الأنفال / ٤٢.

٤. سورة الجمعة / ٢.

٥. سورة الشورىٰ / ٥٢.

٦. سورة الاعراف / ١٥٨.

٧. سورة الزمر / ٢٨.

٨. سورة إبراهيم / ١.

ياويلتا! ليتني لم اتّخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً»[١]. دلّت الآية علىٰ تحتّم السعادة والشقاوة للإنسان، وإنّ كلاًّ منها يقبل التبدّل بالآخر لحصول الموجب، فالموجب للسعادة اتّباع الرسول، والموجب للشقاوة اتّباع أخلاّء السوء، وكلّ من الموجبين تحت اختيار الإنسان، لنسبة الاتّخاذ إلىٰ نفسه في صريح الآية، ومن الموجب طلب الهداية من الله تعالىٰ، والسعي في مرضاته، واتّباع هدىٰ رسوله، كما في قوله تعالىٰ: «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا...»[٢].

كيف يظنّ الجاهل بامتناع تأثير الدعاء نظراً إلىٰ أنّه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالىٰ، والحال انّ الله هو الّذي جعل الدعاء والتضرّع مؤثّراً في مصالح العباد، وحثّ الناس علىٰ طلبها في قوله عزّ شأنه: «بل إيّاه تدعون، فيكشف ما تدعون إليه...»[٣]، وقوله تعالىٰ: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء...»[٤]، وقوله: «وقال ربّكم ادعوني، استجب لكم...»[٥]، وقوله: «وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب، أجيبُ دعوة الداع إذا دعاني....»[٦].

والآيات في ذلك كثيرة، وانكار تأثير الدعاء في مصلحة العبد انكار لضرورة الكتاب والسنّة، قال الفخر الرازي ـ في تفسيره ـ: انّه يجوز أن يصير ما ليس بمصلحة مصلحة بحسب سبق الدعاء[٧]. انتهىٰ.

ولنختم الكلام بما حكاه الفخر الرازي عن سلـ ن بن جرير الزيدي من أنّ أئمّة الرفضة وضعوا مقالتين لشيعتهم من القول بالبداء والقول بالتقيّة إلىٰ آخر كلامه[٨]. وقد عرفت صحّة مقالة الشيعة في البداء والتقيّة، مع ذلك فحقّ لنا أن نقول:

---

١ . سورة الفرقان / ٢٧ ـ ٢٩.

٢ . سورة العنكبوت / ٦٩.

٣ . سورة الأنعام / ٤١.

٤ . سورة النمل / ٦٢.

٥ . سورة الغافر / ٦٠.

٦ . سورة البقرة / ١٨٦.

٧ . التفسير الكبير ٥ / ١٠٩.

٨ . محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين / ١٨٢.

[اجتهادات في مقابل النصوص]

القوم وتصحيح أعمال خلفائهم بالاجتهاد:

إنّ أئمّة القوم وضعوا مقالة عجيبة علىٰ خلاف الكتاب والسنّة، من جواز العمل بالرأي والاعتماد علىٰ الظنّ مطلقاً، وان زاحمه النصّ، وسموه اجتهاداً، وأخرجوا له حديثاً عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، كما في البخاري (في باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ من كتاب الإعتصام): من عمر بن العاص عن النبيّ ـ ص ـ قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثمّ أصاب فله أجران، وإذا حكم المجتهد ثمّ أخطأ فله أجر»[1]. زعموا انّ الحديث عذر لهم مطلقاً ـ حتّىٰ قبال النصّ ـ من كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وصحّحوا بذلك كثيراً من أخطاء زعمائهم، فبلغ التوسع في الاجتهاد منهم إلىٰ تقديم المفضول ـ وهو أبو بكر ـ علىٰ الأفضل ـ وهو عليّ (عليه السّلام)، كما عليه المعتزلة، في قبال ما سيأتيك من انباء أفضليّة عليّ ـ عليه السّلام ـ (في الجزء الثاني) علىٰ جميع الصحابة من جميع الوجوه[2].

ثمّ إنّهم وسّعوا الاجتهاد، فجوّزوه لأبي بكر، مع انّه لم يعرف المراد من «الكلالة»، وقال: «أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان»،

---

١ . صحيح البخاري ٨ / ١٥٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد....

٢ . وهو الجزء الثالث من هذه الطباعة.

رواه عنه السيوطي في «الدرّ المنثور»[١]، ومثل هذا الاجتهاد يمكنه كلّ أحد، ويقول بمثل مقالة أبي بكر.

ثمّ إنّه كيف يوسّع له الاجتهاد وهو الّذي أقرّ علىٰ نفسه بانّ له شيطاناً يعتريه[٢]؟ كما في «الصواعق المحرقة»[٣].

وأوسع من ذلك اجتهاده في تولية خالد بن الوليد، وسماّه «سيف الله»، وهو الّذي نصّ عليه النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بقوله ثلاثاً «اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من صنع خالد»[٤]، ثمّ بعثه إلىٰ قتال المسلمين المانعين لدفع الزكاة إليه، وسماّهم المرتدّين، وردّ شهادة عمر وابنه عبد الله وأبي قتادة الانصاري في أنّهم كانوا مسلمين، كما في: «أُسد الغابة في معرفة الصحابة»[٥]، وتاريخ أبي الفداء[٦]، و «فتوح البلدان» للبلاذري[٧]، والشرح لابن أبي الحديد[٨].

ومع ذلك لم يجر أبو بكر الحدّ والقصاص علىٰ خالد الّذي قتل مالك بن نويرة، وقارب زوجته ليلة قتله، كما في: «تاريخ الخميس»[٩] و «أسد الغابة»[١٠]، و «الإصابة» لابن حجر[١١]، و «الصواعق المحرقة»[١٢].

---

١ . الدرّ المنثور ٥ / ٢٥٠.

٢ . يعتريه: يعرض له.

٣ . الصواعق المحرقة / ١٢.

٤ . صحيح البخاري كتاب المغازي، باب ٥٨. البداية والنهاية ٤ / ٣١٣، الاستيعاب ٢ / ٤٢٨، مسند أحمد ٢ / ١٥٠، المغازي ٢ / ٨٧٥ـ ٨٨١.

٥ . أُسد الغابة ٢ / ٩٥، مع اختلاف.

٦ . المختصر في تاريخ البشر ١ / ١٥٨.

٧ . فتوح البلدان / ١٠٥.

٨ . شرح نهج البلاغة ١ / ١٧٩.

٩ . تاريخ الخميس ٢ / ٢١٧ـ ٢١٨.

١٠ . أُسد الغابة ٢ / ٩٥.

١١ . الإصابة ١ / ٤١٤ـ ٤١٥.

١٢ . الصواعق المحرقة / ٣٦.

وهذا «اجتهاد موسّع» لأبي بكر،حسب ما نصّ عليه ابن حجر ـ في صواعقه ـ[١]، كتوسّعهم لعمر بالاجتهاد، مع اعترافه بانّ «كلّ الناس أفقه من عمر»[٢] «لولا معاذ لهلك عمر»[٣]، وقوله «لولا علي لهلك عمر»[٤]،كما في أسانيدهم.

فإذا قيل لهم: لماذا خالفت الصحابة، وتخلّفت عن جيش أسامة مع تصريح النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مكرّراً، حتّىٰ في مرضه، بالخروج إلى الجيش؟

أجابوا: بانّ ذلك لتثاقلهم عن الخروج تحت راية أُسامة، وطعنهم في التأمير عليهم، كما في «صحيح البخاري»، وانّه خرج النبيّ ـ ص ـ مغضباً وقال: «ان تطعنوا في إمارته، فقد طعنتم في إمارة أبيه»[٥].

وإذا قيل لهم: بأيّ وجه صحيح ردّ عمر علىٰ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بقوله: «يهجر»، أو «غلب عليه الوجع» حيث قال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «ايتوني بدواة وكتف لاكتب لكم كتاباً لن تضلّوا أبداً»، فردّوا عليه قائلين «أهجر؟ استفهموه»، وقال عمر: «قد غلب عليه الوجع» أو كلاماً يشبه مقالتهم[٦].

قالوا: إنّ عمر قاله وقالوه أيضاً إشفاقاً للنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عن تعب الكتابة، أو أنّ عمر خاف علىٰ الناس الفتنة.

وهذا هو الاجتهاد الخطائي الّذي جوّزوه في قبال النصّ التعبّدي علىٰ وجوب إطاعة

---

١ . الصواعق المحرقة / ٣٦.

٢ . السنن الكبرىٰ ٧ / ٢٣٣، شرح نهج البلاغة ١ / ١٨٢، الدرّ المنثور ٢ / ٢٦٦.

٣ . شرح نهج البلاغة ١٢ / ١٧٩.

٤ . الرياض النضرة ٢ / ١٩٦، كفاية الطالب / ٢٢٦، مناقب عليّ بن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٨١، الدرّ المنثور ١ / ٢٨٨، ذخائر العقبىٰ / ٨٢.

٥ . صحيح البخاري ٥ / ١٣٥، كتاب المغازي، باب بعث النبيّ أسامة بن زيد.

٦ . صحيح البخاري ٥ / ١٢٨ ـ ١٢٩، كتاب المغازي باب مرض النبيّ، مسند أحمد بن حنبل، ٣٢٤، ٣٣٦، شرح نهج البلاغة ٦ / ٥١، البداية والنهاية ٥ / ٢٢٧، تذكرة الخواصّ / ٦٢.

النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ[١] وإنّه لا ينطق عن الهوىٰ[٢]، بل وادخلوا عليه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ السخط والغضب بتنازعهم، حتّىٰ قال لهم: «قوموا عنّي»[٣].

وإذا قيل لهم: كيف بادرت الصحابة من الأنصار والمهاجرين إلى التقيّة لتدبير الامارة والسلطة الزمنية، وتركوا جثمان النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وحضور جنازته؟

قالوا: إنّهم اجتهدوا في أمر الخلافة خوفاً من الفتنة. والحال انّهم بفعلهم أسّسوا الفتنة، وأوقعوا الفرقة، إذ بايعوا أبا بكر من غير مشاورة، ولذا قال عمر بن الخطّاب: بيعة أبي بكر فلته، وقىٰ الله المسلمين شرّها[٤].

وإن قيل: بأيّ وجه مشروع كشفوا عن بيت فاطمة ـ عليها السّلام ـ وادخلوها الرجال، وأبو بكر قد عرف خطأه في ذلك، وتمنّىٰ في مرض موته قائلاً: «ليتني لم أكشف عن بيت فاطمة بنت رسول الله ـ ص ـ وادخلته الرجال»، كما في تاريخ اليعقوبي[٥]، والطبري[٦]، والعقد الفريد ـ باب خلافة أبي بكر واستخلافه لعمر ـ، حتّىٰ صرّح النظام المعتزلي القادح في علي (عليه السّلام) بأنّ عمر ضرب بطن فاطمة ـ عليها السّلام ـ يوم البيعة حتّىٰ ألقت محسنها من بطنها، وكان يصيح أحرقوها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين. كما في «الملل والنحل»[٧]؟!

قالوا: إنّ ذلك اجتهاد من أبي بكر وعمر واجلاب لعلي ـ عليه السّلام ـ حتّىٰ لا يقع

---

١. مثل قوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا! أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم». النساء / ٥٩.

٢. سورة النجم / ٣ ـ ٤.

٣. صحيح البخاري ١ / ٣٩، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

٤. صحيح البخاري ٨ / ٢٥، كتاب الحدود، باب رجم الحلبىٰ من الزنا إذا احصنت. جامع الأصول ٤ / ٤٧٦. البداية والنهاية ٥ / ٤٥، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٦.

٥. تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٧، والّذي فيه «ليتني لم أفتّش بيت فاطمة...».

٦. تاريخ الرسل والملوك ٣ / ٤٣٠.

٧. الملل والنحل ١ / ٧٧.

الاختلاف، والحال انّه لا يجوز القهر علىٰ البيعة إلّا بعد إتمام الحجّة، ولم تقم هناك حجّة علىٰ صحّة خلافة أبي بكر، في قبال قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعلي (عليه السّلام): حربكَ حربي، وسلمك سلمي، ومن عاداك عاداني. وقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: علي (عليه السّلام) باب حطّة، من دخله كان مؤمناً، ومن خرج عنه كان كافراً. وهو من أحاديث ابن حجر المكي ـ في صواعقه ـ. وفيه عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: قال: عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب (عليه السّلام)، وفيه من الحديث: «علي مع الحقّ» و «علي مع القرآن». وقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في علي (عليه السّلام) يوم الغدير: اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، وقوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «علي وليّكم بعدي»[1].

وإذا قيل لهم: إنّ أبا بكر بأيّ وجه مشروع أحرق الفجاءة الأسلمي أيّام خلافته، بأن أمر، فأوقد له النار في مصلّىٰ المدينة، ثمّ رُمي فيها وهو مقموط، كما في تاريخ الطبري[2]؟

أجابوا عن ذلك ـ كما في كتاب المواقف وشرح التجريد للقوشجي ـ: بانّ أبا بكر مجتهد، وإحراقه الفجاءة لاجتهاده وعدم قبول توبته[3].

وفيه انّه اجتهاده في قبال النصّ الناهي عن الإحراق، وانّه لا يحرق بالنار إلّا ربّ النار، وفجاءة الأسلمي علىٰ فرض كونه مفسداً، يُقتل أو يُصلب، لا انّه يُحرق حيّاً.

وإذا قلنا لهم: كيف جاز لأبي بكر انتزاع الفدك من فاطمة ـ عليها السّلام ـ، كما في الصواعق المحرقة[4]، ثمّ يطالب منها البيّنة علىٰ ما في يدها؟

حاروا في الجواب، وذلك لأنّ شرع الاسلام علىٰ أنّ البيّنة على المدّعي، واليمين علىٰ من أنكر، وأبو بكر هو المدّعي من قبل المسلمين بانّ الأنبياء لا يورثون، وإنّ ما كان للنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من طعمه، فلوالي الأمر من بعده، يضعه كيف يشاء،

---

١ . الصواعق المحرقة / ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ٢٢٥.

٢ . تاريخ الرسل والملوك ٣ / ٢٦٤.

٣ . شرح تجريد الكلام / ٤٠٧.

٤ . الصواعق المحرقة / ١٤ ـ ١٥.

فعليه إقامة البيّنة، لا علىٰ من كان المال تحت تصرّفه[١].

ونحو هذا الأجتهاد الخطأ الموسّع من غير حجّة، اجتهاد أبي بكر في منع ذي القربىٰ سهمهم من الخمس في قبال قوله تعالىٰ: «واعلموا أنّما غنمتم من شيء، فإنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ...»[٢].

ثمّ إنّ القول بالاجتهاد بلغ بهم الحال إلىٰ أن أباحوا دم علي -عليه السّلام-!!!، ففي «الامامة والسياسة»: إنّ عمر مشىٰ ومعه جماعة إلىٰ باب فاطمة - عليها السّلام -، فهي لمّا سمعت أصواتهم، نادت بأعلىٰ صوتها: «يا أبت! يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب، وابن أبي قحافة». فأخرجوا عليّاً ومضوا به إلىٰ أبي بكر، وقالوا: بايع وإلاّ ضربنا عنقك (!!!). وقال علي -عليه السّلام-: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله. قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا. فقال عمر لأبي بكر: ألا تأمرنا فيه بأمرك؟. فلحق علي -عليه السّلام- بقبر رسول الله -صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم- يصيح ويبكي وينادي: «يا بن أمّ! إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[٣] انتهىٰ.

هذا هو الاجتهاد الخطأ من غير رويّة في قبال النصّ الجلي في علي -عليه السّلام- وفاطمة (عليها السّلام).

فإن قيل: إنّ فاطمة -عليها السّلام- ماتت وهي واجدة علي أبي بكر وعمر -كما في الصحيحين-[٤].

---

١. هذا بالإضافة إلى أنّه ثبت أنّ النبيّ في أيّام حياته أعطىٰ فدك للسيّدة فاطمة الزهراء، فليس هو بموروث عن النبيّ أصلاً كي يُبحث عن مصيره. واعتراض السيّدة الزهراء علىٰ أبي بكر بابطال القول بعدم توريث النبيّ كان من باب تسليم انّ النبيّ لم يعطها فدك، فلماذا تحرم من إرثه؟ وقد أثبتت السيّدة بمطالبتها فدكاً عدم شرعيّة أبي بكر وكشفت واقعه للناس. وأبو بكر كان مستعدّاً لارتكاب كلّ عمل في سبيل الحكومة علىٰ الناس، ومن ذلك افتراؤه علىٰ رسول الله وعلىٰ جميع الأنبياء بأنّهم لا يورّثون.

٢. الدر المنثور ٣ / ١٨٧، شرح نهج البلاغة -لابن أبي الحديد- ١٦ / ٢٣٠ - ٢٣١.

٣. الإمامة والسياسة ١ / ١٣ - ١٤. والمنقول بالمضمون.

٤. صحيح البخاري ٥ / ٧٧ - ٧٨، كتاب المغازي باب غزوة خيبر.

صحيح مسلم ٣ / ١٣٨٠، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ -ص- «لا نورث...».

أجابوا: بأنّ ما فعلاه مقتضىٰ اجتهادهما.

والحال إنّ النصوص في صحاحهم مستفيضة علىٰ أنّ الله يـرضىٰ لرضـا فـاطمة، ويغضب لغضب فاطمة ـ عليها السّلام ـ[١] وفي «صحيح البخاري» «فاطمة بضعة مـنّي، فمن أغضبها أغضبني»[٢]. فكيف يجوز الاجتهاد والعمل بالظنّ في قبال النصّ القطعي.

وإنّ من اجتهاد عمر في قبال النصّ حكمه بضرب عنق من تخلّف عن الشورىٰ من الستّة من العشرة المبشّرة[٣]. وقد قال النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ «لا ترجعوا بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»[٤]، وقال في حجّة الوداع: «ألا إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا»[٥].

وإن قيل لهم إنّ عثمان فعل الأفاعيل الموحشة، من حرقه المصاحف، وضربه عماراً وابن مسعود، وإخراجه أبا ذر إلى الربذة، وغيرها. قالوا: إنّه اجتهد.

والحال إنّ عمّاراً هو الّذي مليء إيماناً من رأسه إلىٰ أخمص قـدميه، وفي الحـديث المتّفق عليه من الطرفين قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «اهتدوا بهدي عمّار»[٦]. وفي «المسند» ـ لأحمد ـ: قال رسول الله ـ ص ـ: «عادىٰ[٧] الله من يعاد عمّاراً، ومن يبغض عمّار أبغضه[٨] الله، ومن يسبّه عمّار يسبّه الله»[٩].

وقال النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في ابن مسعود: «رضيتُ لكم مـا رضي

---

١. المستدرك علي الصحيحين ٣ / ١٥٣، تلخيص المستدرك ٣ / ١٥٣، ذخائر العـقبىٰ ٣٩، مـيزان الاعتدال ٢ / ٧٢، كنز العمّال ١٢ / ٩٦، ١١١، الصواعق المحرقة / ١٧٥.

٢. صحيح البخاري ٤ / ٢١٠، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبة فاطمة..

٣. تاريخ الرسل والملوك ٤ / ٢٢٩، العقد الفريد ٥ / ٢٨ ـ ٢٩، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٤.

٤. صحيح مسلم ١ / ٨١، كتاب الايمان، باب بيان معنىٰ قول النبيّ «لا ترجعوا بعدي...».

٥. صحيح مسلم ٢ / ٨٨٩، كتاب الحجّ، باب حجّة النبيّ ـ ص ـ.

٦. المسند ـ للحميدي ـ ١ / ٢١٤. تاريخ بغداد ٧ / ٤٠٣، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٩٠.

٧. في المصدر: «يعادي».

٨. في المصدر: «يبغضه».

٩. مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٩٠.

لكم ابن أُمّ عبد» رواه الحاكم في «المستدرك»، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد[١]. وابن أُمّ عبد هو عبد الله بن مسعود.

وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في أبي ذرّ: «ما أظلّت الخضراء[٢]، ولا أقلّت الغبراء[٣] علىٰ ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ»[٤].

فكيف يجوز لعثمان الفتك بهؤلاء لولا الاجتهاد الموسّع الغير مرضي؟.

ثمّ إنّ عائشة اجتهدت وأمرت بقتل عثمان، وجاهدت بقولها: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»، كما في الطبري وابن الأثير[٥].

ثمّ إنّها تبرّجت تبرّج الجاهليّة، وخرجت علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، وقتلت النفوس البريئة.

وكاجتهادها اجتهاد الزبير وطلحة، واجتهاد الفرقة الباغية، والفرقة المارقة. من قتل العترة النبويّة، وإباحة المدينة، وقتل الصحابة و بقيّة أهل بدر وبيعة الشجرة. وإنّ ذلك كلّه كان بوصيّة من معاوية لولده يزيد، ففي «الامامة والسياسة»: كان معاوية قد أوصىٰ يزيد وقال: ان يريبك منهم ـ يعني من أهل المدينة ـ ريب، أو انتقض عليك منهم أحد، فعليك بأعور بني مرّة مسلم بن عقبة[٦]. انتهىٰ.

وذكر ابن الأثير ـ في التاريخ ـ إنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي مرّ بخالد بن يزيد بن معاوية، وقال له: أنا الّذي ضربت بسيفي هذا مائة ألف، كلّهم يشهدون أنّ أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر[٧]. انتهىٰ.

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ٣١٩.

٢. الخضراء: السماء.

٣. الغبراء: الأرض.

٤. كنز العمّال ١١ / ٦٦٦.

٥. تاريخ الرسل والملوك ٥ / ٤٥٩. الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠٦.

٦. الامامة والسياسة ١ / ١٧١ ـ ١٧٢.

٧. الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨٧.

ثمّ إنّ من كلفة اجتهاد أهل السنّة تبرئة معاوية وابن العاص وأبي العادية عن قتلهم الصحابة من البدريين والأُحديين وأهل بيعة الرضوان، وخالفوا صريح قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فيهم وفي عمّار: «يا عمّار! تقتلك الفئة الباغية، قاتل عمّار في النار»[١].

فلو قالت الشيعة مثل مقالتهم من التأويل بلا حجّة، لردوا عليهم بمثل ما رددنا عليهم سواء بسواء، فما لهم لا يفقهون؟ وفي القرآن: «ولكن لا تحبّون الناصحين»[٢]، وقال تعالىٰ: «ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الفاسقون»[٣]، وقال: «ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون»[٤]، وقال: «ولا يحيق المكرُ الشيء إلّا بأهله...»[٥].

ومن توسّع الاجتهاد للجماعة مصيرهم إلىٰ خلافة بني أُميّة، والحال أنهم الشجرة الملعونة في القرآن، وأنّهم إخوان القردة، بنصّ من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وابغض الاحياء إلىٰ رسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، ومروان بن الحكم هو الوزغ بن الوزغ، وإنّ حديث سفينة عن النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[٦]، ينفي عنهم الامامة، فتبقىٰ لهم الملوكيّة القهارة الجبارة.

وهذا التوسّع في الاجتهاد اقتضىٰ القول كل باغ وطاغ، من غير اختصاص بأهل البيت ـ عليهم السّلام ـ [الّذين][٧] أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ولا تخصيص بالعدول من المؤمنين، فضلاً عن المعصومين ـ عليهم السلام ـ، بل ولا أن يكون

---

١ . كنز العمّال ١٣ / ٢٥٨. وفي مختصر أخبار البشر ١ / ١٧٦: «الصحيح المتّفق عليه انّ رسول الله ـ ص ـ قال: يقتل عمّار الفئة الباغية».

٢ . سورة الأعراف / ٧٩.

٣ . سورة المائدة / ٤٧.

٤ . سورة المائدة / ٤٤.

٥ . سورة فاطر / ٤٣.

٦ . كنز العمّال ٦ / ٨٧.

٧ . الزيادة منّا.

ممّن اجتمعت عليه أهل الحلّ والعقد، وإنّما السلطة الجبّارة عندهم كافية في ثبوت الخلافة الإلٰهيّة، فلا يشترطون في الإمام والحجّة القائم بالأمر أن يكون عالماً عادلاً، ولذا صحّحوا خلافة عبد الملك هادم الكعبة، والوليد ممزّق القرآن!! قال الله تعالىٰ: «أفحكم الجاهليّة يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»؟[1].

قال العلاّمة الطباطبائي ـ في منظومته ـ:

فآل أمرهم إلىٰ يزيدا ... من حارب الكتاب والتوحيدا

بقتل سبط سيّد الانامِ ... وآله وحزبه الكرامِ

وهَتْك أهلِ البيت بعده فقدْ ... سباهم من بلد إلىٰ بلدْ

وهتكه الدِّين القويم جهرة ... بفعله الشنيع يوم الحرّة

ومُذ أراد الرجس هدم الكعبة ... قضىٰ برغم الأنف منه نحبه

وكفره مذ «نعِب» الغراب» ... بان ومنه انكشف الحجابُ

وكيف لا يكفر من تمثّلا ... في «لعبت هاشم بالملك فلا»

ويحك هل هذا ولي الأمرِ ... من وجبت طاعته في الذِّكرِ

مقرونة بطاعة الله ومَنْ ... قام بتبليغ الفروض والسُّنن

وكم تولّىٰ الأمر غير اللائق ... من ملحدٍ منافقٍ وفاسق

فانظر إلىٰ وليدهم كيف اعترف ... بالكفر لمّا نصب الذكر هدف

يقول: قل مزّقني الوليد ... مستهزءاً فيخسأ العنيدُ

فلا وأيم الله لا يليقُ ... من قام للفسوق فيه سوقُ

وقد كفانا حجّة في الردِ ... نصّ الكتاب «لا ينال عهدي»[2]

انتهىٰ.

---

١ . سورة المائدة / ٥٠.

٢ . الشهاب الثاقب / ١٥ ـ ١٧ .وليس فيه كلّ الابيات المذكورة هنا.

الجماعة واجتهادهم في الفروع

فمنها: حكمهم بحرمة المتعة، علىٰ خلاف تصريح القرآن في قوله تعالىٰ «فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ...»، وعلىٰ خلاف شهادة عمر بالحليّة في قوله «متعتان كانتا في عهد رسول الله ـص ـ، وأنا أنهىٰ عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحجّ، ومتعة النساء»، كما في «الدرّ المنثور»[1] للسيوطي، وتفسير الفخر الرازي[2]، و «روح المعاني» للسيّد الآلوسي[3].

قد عرفت صراحة كلام عمر في تحريمه متعة الحجّ، وهذا شرع يقابل شرع القرآن، إذ يقول: «فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ، فما استيسر من الهدي، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ، وسبعة إذا رجعتم، تلك عشرة كاملة، ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام...»[4].

ومن شرع أهل السنّة ـ تبعاً لسنّة عمر ـ جعلهم قول الزوج لزوجته «أنتِ طالق ثلاثاً» بمنزلة التطليقات الثلاث في تحريم الزوجة حتّىٰ تنكح زوجاً غيره.

وهذا مخالف للقرآن في قوله تعالىٰ: «الطلاق مرّتان، فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان» إلىٰ قوله «فلا تحلّ له من بعد حتّىٰ تنكح زوجاً غيره...»[5].

---

١ . الدرّ المنثور ٢ / ١٤٠ ـ ١٤١.

٢ . التفسير الكبير ٥ / ١٦٧.

٣ . روح المعاني في تفسير القرآن ٥ / ٦.

٤ . سورة البقرة / ١٩٦.

٥ . سورة البقرة / ٢٢٩.



الجماعة وقولهم بانسداد باب الاجتهاد

إنّ هذا حكم يناقضه القرآن في قوله تعالىٰ: «فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة، ليتفقّهوا في الدِّين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، لعلّهم يحذرون»[1]، دلّت هذه الآية علىٰ الترغيب والتحضيض علىٰ وجوب النفر[2] من أجل التفقّه في الدِّين، ثمّ رجوع النافرين إلى الباقين، ودعوتهم إلىٰ مسائل الدِّين، ليعرفوا الحلال والحرام، فالمراد من الآية وجوب النفر إلى النبيّ ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ للتعلّم والتفقّه، وهذا في زمانه، ومن بعده يجب الخروج إلىٰ أوصيائه ونوّابه، وهذا تكليف ثابت في جميع أدوار التكليف.

وممّا يدلّ علىٰ انفتاح باب العلم والاجتهاد قوله تعالىٰ: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»[3]، أوجب الله تعالىٰ رجوع الجاهل إلىٰ من هو من «أهل الذكر»، وهو العارف بأحكام القرآن بالعلم واليقين، ولو كان المراد مجرّد معرفة الحكم من دون تقليد، كأن يرجع إلىٰ مقلِّد مثله، لم يكن للأمر بخصوص السؤال من أهل الذكر فائدة، لأنّ الإطلاع علىٰ الحكم لا يختصّ به، بل يحصل من غيره، فكان اللازم أن يقال: «فسألوا إن كنتم لا تعلمون»، فقوله تعالىٰ «فاسألوا...» خطاب عامّ، أمرَ الله تعالىٰ كلّ من لم يعلم شيئاً من أصول الدِّين وفروعه ـ إلىٰ يوم القيامة ـ بالرجوع إلىٰ أهل الذكر والسؤال منهم.

وممّا يدلّ علىٰ بقاء الاجتهاد وصحّة الرجوع إلى المجتهدين في كلّ زمان، قوله

---

١ . سورة البراءة / ١٢٢.

٢ . النفر: الذهاب.

٣ . سورة النحل / ٤٣.

تعالىٰ: «ولو ردّوه إلى الرسول وإلىٰ أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم....»[١]، وقوله: «بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم...»[٢]، وقوله تعالىٰ: «كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون»[٣]، وقوله تعالىٰ: «والربّانيّون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله، وكانوا عليه شهداء...»[٤]، وقوله تعالىٰ: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون....»[٥]، وقوله تعالىٰ: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله، وكونوا مع الصادقين»[٦].

---

١ . سورة النساء / ٨٣.

٢ . سورة العنكبوت / ٤٩.

٣ . سورة آل عمران / ٧٩.

٤ . سورة المائدة / ٤٤.

٥ . سورة الزمر / ٩.

٦ . سورة البراءة / ١١٩.

أبناء العامّة وحصرهم المراجع في الأربعة

وذلك كـ: مالك بن أنس، وأبي حنيفة، والشافعي وأحمد بن حنبل. فاوجبوا الرجوع إليهم في أحكامهم، وحجّتهم علىٰ ذلك الاجماع عليهم.

وحجّتهم هذه داحضة، لأنّ الاجماع عليهم ـ علىٰ فرض القبول ـ مسبوق بالرجوع إلىٰ غيرهم من العلماء من عهد الخلفاء إلىٰ زمانهم، بل والاجماع علىٰ عدم اتّباعهم بالخصوص في عهدهم، بل يعدّون في عداد غيرهم من الفقهاء، مضافاً إلىٰ ما قيل في حقّ كلّ واحد منهم من القوادح، لسنا بصدد ذكرها. والكتاب أو السنّة تضمّنتا وجوب الرجوع إلىٰ كلّ عالم ديني ـ كما عرفت ـ، فالحصر والإكراه عليه بدعة في الشريعة.

قال ابن تيمية ـ في «منهاج السنّة»: إنّ الحقّ عدم جعل الأئمّة محصورين في عدد معيّن، وذلك لقوله تعالىٰ: «أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم...»[1]، ولم يوقتهم بعدد معيّن، وهكذا النبيّ ـ ص ـ في الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة لم يوقّت ولاة الأمر في عدد معيّن[2].

وقال أيضاً ـ في المنهاج ـ: إنّ هؤلاء الأئمّة لم يكونوا علىٰ عصر واحد، بل أبو حنيفة توفّي سنة خمسين ومائة، ومالك سنة تسع وسبعين ومائة، والشافعي سنة أربع ومائتين، وأحمد بن حنبل سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين، وليس في هؤلاء من يقلد الآخر،

---

١ . سورة النساء / ٥٩.

٢ . منهاج السنّة النبويّة ٢ / ٨٥.

ولا من يأمر باتباع الناس له، بل كلّ منهم يدعو إلىٰ متابعة الكتاب والسنّة، وإذا قال غيره قولاً يخالف الكتاب والسنّة عنده، ردَّه، ولا يوجب تقليده، واتباع الناس لهم لم يحصل بموطاة، بل اتّفق أنّ قوماً اتّبعوا هذا، وقوماً اتّبعوا هذا، كالحُجّاج الّذين طلبوا من يدلّهم علىٰ الطريق فرأوا قوماً هذا دليلاً خيراً فاتّبعوه، وكذلك آخرون[١].

وقال أيضاً ـ في المنهاج ـ: إنّ أهل السنّة لم يقل أحد منهم إنّ اجماع الفقهاء حجّة معصومة، ولا قال إنّ الحقّ منحصر فيها، وانّ ما خرج عنها باطل، بل إذا قال من ليس من اتباع الأئمّة ـ كسفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعيد، ومن قبلهم ومن بعدهم من المجتهدين ـ قولاً يخالف قول الأئمّة الأربعة، رُدَّ ما تنازعوا فيه إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ رسوله، وكان القول الراجح هو الّذي قام عليه الدليل.. إلىٰ أن قال: إنّ المجتهدين يتنازعون في فهم كلام رسول الله ـ ص ـ لغرض حفظ الدِّين، حتّىٰ يكونوا كما وصفهم الله «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر». وليس العلماء بأكثر من الأنبياء، وقد قال الله تعالىٰ: «وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، إذ نفشت فيه غنم القوم، وكنّا لحكمهم

---

١ . هذا غير صحيح، لأنّ نشوء هذه المذاهب الأربعة كان نتيجة رغبة الحكّام العبّاسيّين في ايجاد بدائل عن أئمّة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ والسائرين علىٰ نهجهم، وذلك كي لا ترجع الجماهير المسلمة إليهم لكسب المعرفة الدينية المتعلقة بالأصول والفروع، وقام أُولئك الحكام بتضخيم هؤلاء الأربعة وتشجيع الناس للرجوع إليهم وحضور حلقات دروسهم، وأضفوا عليهم مجموعة من العناوين الّتي لا يستحقونها، وحظروا الرجوع إلىٰ أئمّة أهل البيت والسائرين علىٰ نهجهم. كما أنّ بعض الحكام اجبروا الناس علىٰ اعتناق مذهب معيّن، مثلاً أجبر صلاح الأيّوبي الناس في مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب علىٰ مهذب الاشعري، وبعد ذلك أجبر الملك ظاهر الناس في مصر علىٰ المذهب الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي.. وبعد ذلك ظلّت النخب الحاكمة في العالم الإسلامي تسير علىٰ نفس النهج وتقوم بممارسة الإضطهاد بحقّ السائرين علىٰ نهج أهل بيت رسول الله.

شاهدين، ففهّمناها سليمان، وكلاً آتينا حكماً وعلماً»[١] [٢].

وقال ابن القيم ـ في «أعلام الموقعين» ـ: اجتهد الصحابة في زمن النبيّ ـص ـ في كثير من الأحكام، ولم يعنّفهم رسول الله ـص ـ، كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلّوا العصر في بني قريظة، فاجتهد بعضهم وصلاّها في الطريق وقال: لم يرد منّا التأخير، وإنّما أراد السرعة، واجتهد آخرون وأخّروها إلىٰ بني قريضة، فصلّوها ليلاً[٣]. انتهىٰ.

قلت: ذلك كلّه دليل علىٰ صحّة الاجتهاد وحريّة المجتهدين في آرائهم المستخرجة من الكتاب و السنّة، وإنّ إيجاب الرجوع إلىٰ واحد من الأربعة شرع لغير الله تعالىٰ، بل يجوز للمسلم تقليد من وافق قوله من هؤلاء لقول الله ولقول رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، ويرجع إليه، كذلك يجوز تقليد غيرهم إذا وافق قوله الكتاب والسنّة، والمناقشة في طريق الاستفادة وفي صحّة اسناد الرواية جهة مشتركة بين جميع المذاهب حتّىٰ المذاهب الأربعة.

ولقد أجاد فيما أفاد العلاّمة الطباطبائي في ا لمبحث ـ نظماً ـ قائلاً:

وأنتُم خالفتُم أبا الحسنْ ... وآلَه بعد النبيّ المؤتمن

وما أخذتم منهُم وعنهمُ ... بل اتّبعتم من همُ دونهمُ

حتّىٰ انتهىٰ الأمر إلى التقليد في ... شرائع الدِّين القويم الحنفي

قلّدتم النعمان أو محمّداً ... أو مالكَ بن أنسٍ وأحمدا

فهل أتىٰ الذكرُ أو أوصىٰ ... به النبيُ أو وجدتم نصّا؟

قيل: فتحتم بابَ الاجتهاد ... في الدِّين من بعد النبيّ الهادي

لكي تنالوا منه ما قد نِلتُمُ ... وتفعلوا في الدِّين ما فعلتُمُ

حتّىٰ رأيتم بلغَ السيلُ الزُّبىٰ[٤] ... جعلتُم التقليد فيه مذهبا

---

١ . سورة الأنبياء / ٧٨ ـ ٧٩.

٢ . منهاج السنّة النبويّة ٢ / ٩١ ـ ٩٢.

٣ . أعلام الموقعين ١ / ٢٢٢.

٤ . بلغ السيل الزُّبىٰ: مثل يضرب لما جاوز الحدّ وعند اشتداد الأمر.

وقــــد بــنيتم في الجـــنان غُــرَفا لـمـــا خـلا شـيعة آل المـصطفىٰ
فـــــفرقةٌ هـــالكةٌ والبـــاقية لهــم قــصورٌ في الجـــنان عـالية
لقــد نــطقتُم بــعكس مــا نـطق بــهِ النــبيُّ في حـديث قـد سبق
فــمذهبُ الصــادق خـير مـذهبِ وَهــوَ وبـيت الله أولىٰ بـالنبي[1]

«زُبىٰ» : الأمكنة المرتفعة من الا رض الّتي لا تعلوها الماء ، إلّا إذاكان السيل جارفاً مجحفاً .

١ . الشهاب الثاقب / ٥، ٩، ١٠.

أهل السنّة ورأيهم في القرآن

قالت الأشعريّة ـ وهم اليوم من أهل السنّة جميعهم ـ: إنّ كلام الله تعالىٰ صفة ذاتٍ كباقي أوصافه الذاتيّة من العلم والقدرة، فهو غير حادث ولا مخلوق، وواحدٌ غير متكثّر، ولا بعلمٍ ولا إرادة، فليس لله تعالىٰ إلّا كلام واحدٌ قديم قائم بنفسه المقدّسة.

وقالت الإماميّة: إنّ كلام الله تعالىٰ فعلٌ، كالخلق والصنع والإبداع والرزق، ومعنىٰ قوله تعالىٰ «وكلّم الله موسىٰ تكليماً»[1] أنّه أحدثه، كما أنّ معنىٰ قوله «خالق كلّ شيء»[2] هو خلقه وصنعه من غير أن يلزم قيام الحادث بالقديم، وإنّما اللازم قيام الخَلق بالمخلوق، وقيام الحدوث بالحادث، لا المحدَث، وهم في مذهبهم هذا تابعوا أئمّتهم الطاهرين.

قال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في وصفه القرآن الّذي هو كلامه تعالىٰ: «جَعَلَهُ اللهُ ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومَحَاجَّ[3] لطُرُق الصُّلحاء ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظُلمة، وحَبلاً وثيقاً عُروتُه، وهدىً لمن ائتمّ به،... وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفَلَجاً[4] لمن حاجَّ به،... وآية لم تَوسَّم[5]، وجُنَّةً[6] لمن إستلأم[7]،

١. سورة النساء / ١٦٤.

٢. سورة الأنعام / ١٠٢.

٣. مَحاجّ: أواسط الطريق.

٤. فَلج: الظَفَر.

٥. تَوسَّمَ: طَلَبه علامةً.

٦. جُنّة: ما يقي من السلاح.

وعِلماً لمن وعىٰ، وحديثاً لمن روىٰ، وحُكماً لمن قضىٰ»[٨]. انتهىٰ. فوصف ـ عليه السّلام ـ القرآن بأوصاف تدلّ علىٰ حدوثه، وانّه عبارة عن الألفاظ المسموعة، أو المكتوبة المنتظمة بنظم حروف الهجاء الموجب لفصاحته وبلاغته، وإنّه الهادي والحجّة والبرهان، والآية للمتوسّم، وكلّ ذلك من لوازم كلام الله الحادث المركّب من الحروف والأصوات القارعة للأسماع، دون القديم الغير معلوم بحسب المفهوم.

قوله «وحديثاً لمن روىٰ» قال ابن أبي الحديد في الشرح: قد سمّاه الله تعالىٰ حديثاً، فقال: «الله نزّل أحسن الحديث، كتاباً متشابهاً ..»[٩]، وأصحابنا يحتجّون بها علىٰ أنّ القرآن ليس بقديم، لأنّ الحديث ضدّ القديم، وليس للمخالف أن يقول: ليس المراد بقوله «أحسن الحديث» ما ذكرتم، بل المراد أحسنُ القول وأحسنُ الكلام، لأنّ العرب تسمِّي الكلام والقول حديثاً، لأنّا نقول: لعمري أنّه هكذا، ولكن العرب ما سمّت القول والكلام حديثاً، إلّا أنّه مستحدث متجدّد حالاً فحالاً، ألا ترىٰ إلىٰ قول عمرو لمعاوية: «قد مللتُ كلّ شيء إلّا الحديث»، فقال: «إنّما يُملُّ العتيق»، فدلّ ذلك علىٰ أنّه فهم معنىٰ تسميتهم الكلام والقول حديثاً، وفطن لمغزاهم ومقصدهم في هذه التسمية، وإذ كنّا قد كُلّفنا أن نجري علىٰ ذاته وصفاته وأفعاله ما أجراه سبحانه في كتابه، ونُطلِق ما أطلقه علىٰ سبيل الوضع والكيفيّة الّتي أطلقها، وكان قد وصف كلامه بأنّه حديث، وكان القرآن في عرف اللغة إنّما سُمّي حديثاً لحدوثه وتجدّده، فقد ساغ لنا أن نُطلِقَ علىٰ كلامه أنّه محدث ومتجدّد، وهذا هو المقصود[١٠] انتهىٰ.

قلت: ويدلّ علىٰ حدوث كلامه تعالىٰ ما في القرآن من تسميته وحياً وحديثاً وحكاية وقصصاً وكتاباً وكلمات وتكليماً، قال الله تعالىٰ: «فبأيّ حديث بعد الله وآياته

---

٧. إستلأم: لبس اللامة ـ وهي الدرع ـ والظاهر أنّ المقصود هو أنّ القرآن وقاية لمن توقّىٰ به.

٨. نهج البلاغة / الخطبة ١٩٨ «ومن خطبة له ـ عليه السّلام ـ ينبّه علىٰ إحاطة علم الله بالجزئيّات ...».

٩. سورة الزمر / ٢٣.

١٠. شرح نهج البلاغة ١١ / ٢٢٠ ـ ٢٠١.

يؤمنون»[١]، وقال: «ما يأتيهم ذكر من ربّهم محدث إلّا استمعوه وهم يلعبون»[٢]، وقال تعالىٰ: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثاً يفترىٰ، ولكن تصديق الّذي بين يديه...»[٣]، وقال تعالىٰ: «نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك...»[٤]، وقال تعالىٰ: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب...»[٥]، وقال تعالىٰ: «وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر أُمّ القرىٰ ومن حولها...»[٦]، دلّت هذه الآية علىٰ أنّ القرآن هو وحيه الّذي كلامه العربي حقيقة لا مجازاً.

وقال تعالىٰ «نتلوا عليك من نبأ موسىٰ وفرعون....»[٧]، وقال تعالىٰ: «وكلاًّ نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك...»[٨]، وقال تعالىٰ: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء...»[٩]، وقا تعالىٰ: «وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً...»[١٠]، وقال تعالىٰ: «وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ...»[١١]، وقال تعالىٰ: «إنّه لقرآن كريم، في كتاب مكنون،لا يمسّه إلاّ المطهّرون»[١٢]. دلّت الآيات علىٰ أنّ القرآن الّذي أتىٰ به الرسول ـ صلّىٰ ا لله عليه وآله وسلّم ـ وكَلَّمنا به، هو كتابه تعالىٰ ووحيه إلىٰ نبيّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ. فالقرآن الموحىٰ إليه هو

---

١ . سورة الجاثية / ٦.

٢ . سورة الأنبياء / ٢.

٣ . سورة يوسف: / ١١١.

٤ . سورة يوسف / ٣.

٥ . سورة الشورىٰ / ٥٢.

٦ . سورة الشورىٰ / ٧.

٧ . سورة القصص / ٣.

٨ . سورة هود / ١٢٠.

٩ . سورة الشورىٰ / ٥١.

١٠ . سورة الأنعام / ١١٥.

١١ . سورة البقرة / ١٢٤.

١٢ . سورة الواقعة / ٧٧ـ ٧٩.

كلام الله، وقد سمّاه وحيّاً وتكليماً في قوله تعالىٰ: «وكلَّمَ الله موسىٰ تكليماً»[١]، وبهذا وقع التفضيل في قوله تعالىٰ: «تلك الرسلُ فضّلنا بعضهم علىٰ بعض، منهم من كلّم الله....»[٢]، ومن المعلوم أنّ هذا التكلّم إنّما كان علىٰ وجه المتعارف المألوف المركّب من الأصوات والحروف، حتّىٰ فهمه كلّ من كان مع موسىٰ ـ عليه السّلام ـ في الميقات، فعند ذلك سألوا أن يريهم الله جهرة، وإلاّ فالاطلاع علىٰ الصفة القائمة بالذات لا يسمّىٰ تكليماً، وبقيامها بالذات لا يكون كلاماً، بل كلامه تعالىٰ بوجوده المدلولي لتلك الحروف ـ كما في قول الشاعر:

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادُ وإنّما جُعل اللّسان علىٰ الفؤاد دليلاً

أمرٌ حادث مرتّب طبق ترتيب الحروف في قولك «زيدٌ قائمٌ».

وأمّا علمه تعالىٰ بتلك المداليل الخبرية أو الإنشائيّة، فهو كان قديماً، غير أنّ الأشعري مصرّح بأنّ كلامه تعالىٰ بوجوده العلمي شيء آخر وراء كلامه، وإنّه مغايرٌ للعلم والإرادة، وبذلك أثبت الكلام النفسي واحتجَّ علىٰ أنّه غير العلم بأنّ اللفظ الخبري قد ينفكّ عن العلم، فيخبر الرجل عمّا لا يعلمه أو يعلم خلافه، وعلىٰ أنّه غير الارادة بأنّه قد يأمر الإنسان ما لايريده أصلاً، كما في الأمر الامتحاني.

والّذي يتوجّه علىٰ الأشعري انّه إن أراد بقوله تصوير انفكاك الضمير عن العلم اليقيني وإحالة معقول عنده إلىٰ أمر معقول، فنقول: إنّ المعقول المتصوّر في حقّ الله تعالىٰ من الصفة في القضايا الخبريّة أو الإنشائيّة هو العلم والإرادة، ووراء ذلك ليس إلّا الإحالة إلى المجهول، إذ أنّه يرجع إلىٰ قولك إنّ لله تعالىٰ صفة لا ندركها بعقولنا، ومثل هذا نسمّيه كلاماً لله تعالىٰ. وأمّا مسألة خلوّ الكلام اللفظي عن العلم اليقيني التصديق فهو كذلك فينا، وأمّا خلوّه عن المنقدح الذهني فلا، حتّىٰ في ما أَخبر المخبر كذباً، وأمّا القضيّة الإنشائيّة الآمرة أو الناهية عن الإرادة الباعثة أو الزاجرة، فلا يكون كذلك، وإنّما المُنشأ

---

١ . سورة الأنبياء / ١٦٤.

٢ . سورة البقرة / ٢٥٣.

باللفظ هو الطلب، وإن كان بداعي الاختبار، ولولا إنشاء المولىٰ الطلب المدلولي لما حصل الامتحان.

ما ذكره الفخر الرازي[١] في تفسيره ـ ناسباً إلى الحنابلة والحشويّة ـ من انّ الكلام المركّب من الحروف والاصوات قديم، قال الفخر: وهذا القول أخسّ الأقوال، ولا يلتفت إليه عاقل، لأنّ هذه الكلمات المسموعة المفهومة إنّما تكون مفهومة إذا كانت حروفها متوالية، وبالضرورة تكون حادثة، لأنّ الحروف إذا كانت متوالية، فعند مجيء الثاني ينقضي الأوّل، فالأوّل حادث، لأنّ كلّ ما كان ثبت عدمه امتنع قِدمه، والثاني حادث، لأنّ كلّ ما كان وجوده متأخّراً عن وجود غيره فهو حادث، فثبت انّه بتقدير أن يكون كلام الله عبارة عن مجرّد الحروف والأصوات فهو محدث[٢]. انتهىٰ.

قال ابن حزم الاندلسي ـ في كتابه الفصل في الملل والنحل ـ: وقال قوم في اللفظ بالقرآن، ونسبوا إلىٰ أهل السنّة انّهم يقولون انّ الصوت غير مخلوق والخطّ غير مخلوق، قال أبو محمّد[٣]: وهذا باطل، وما قال قطّ مسلم انّ الصوت الّذي هو الهواء غير مخلوق وأنّ الخطّ غير مخلوق. انتهىٰ. وقال: وأمّا الصوت فهو الهواء المندفع من الحلق إلىٰ آذان السامعين، وحروف الهجاء والهواء، والهواء وحروف الهجاء مخلوق بلا خلاف، قال الله تعالىٰ: «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم...»[٤]، وقال عزّ وجلّ: «بلسان عربي مبين...»[٥]، ولسان العربي ولسان كلّ قوم هي لغتهم، واللسان واللغات كلّ ذلك مخلوق بلا شكّ...، وأمّا المصحف فإنّما هو ورق وجلد مركّب منهما ومن مداد، وكلّ ذلك مخلوق، وكذلك حركة اليد في خطّه، وحركة اللسان في قراءته، واستقرار كلّ ذلك في النفوس، هذه كلّها أعراض مخلوقة...، وأمّا علم الله تعالىٰ فلم يزل وهو كلام الله تعالىٰ،

---

١ . هذا عطف علىٰ قول السيّد المؤلف «ويدلّ علىٰ حدوث كلامه تعالىٰ ما في القرآن...» فهذا دليل ثان علىٰ حدوث كلام الله عزّ وجلّ، وكان الدليل الأوّل «ما في القرآن».

٢ . التفسير الكبير ١٤ / ٢٢٨.

٣ . وهو مؤلّف كتاب الفصل.

٤ . سورة إبراهيم / ٤.

٥ . سورة الشعراء / ١٩٥.

وهو القرآن وهو مخلوق، وليس هو غير الله تعالىٰ أصلاً، ومن قال إنّ شيئاً غير الله تعالىٰ لم يزل مع الله عزّ وجلّ، فقد جعل لله عزّ وجلّ شريكاً، ونقول: إنّ لله تعالىٰ كلاماً حقيقة، وانّه كلّم موسىٰ تكليماً حقيقة لا مجازاً...، ومن قال انّ الله مكلّم موسىٰ لم ننكره،لأنّه يخبر عن فعله تعالىٰ الّذي لم يكن ثمّ كان[1]. انتهىٰ.

قال شيخ الأشاعرة الفخر الرازي ـ في التفسير ـ: والجواب أن نقول: هذا الّذي نسمعه ليس عين كلام الله علىٰ مذهبكم، لأنّ كلامه هي الحروف الّتي خلقها أوّلاً، وقد انقضت، وهذا ا لمسموع هو من فعل الإنسان[2]. انتهىٰ.

ويرده أنّ ذلك خلافٌ لقوله بالكلام النفسي، واعتراف بانّ كلام الله تعالىٰ هي الحروف الّتي خلقها، وهذا تناقض في المذهب، ومع الإقرار بأنّ الحادث من كلامه تعالىٰ هو اللفظي، لا وجه للمصير إلى القول بكلام قديم لم يزل مع الله تعالىٰ، ولا طريق إلىٰ تعقّله فضلاً باثباته، مضافاً إلىٰ أنّ القرآن علىٰ خلافه، إذ يقول: «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّىٰ يسمع كلام الله....»[3]، وقال تعالىٰ: «وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه...»[4] دلّ علىٰ أنّ المسموع من النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وهو الصوت الملفوظ هو القرآن، وهو كلام الله المتلوّ، والمقروء في قوله تعالىٰ «فاقرأوا ما تيسّر من القرآن....»[5]، وقوله تعالىٰ «... حتّىٰ تأتيهم البيّنة، رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة، فيها كتب قيّمة»[6]، فالصحف والكتب السماويّة هي كلمات الله البيّنة، قال تعالىٰ: «إنّه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لا يمسّه إلّا المطهّرون، تنزيل من

١ . الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ / ٧ ـ ٩.

٢ . التفسير الكبير ١٥ / ٢٨٨.

٣ . سورة التوبة / ٦.

٤ . سورة البقرة / ٧٥.

٥ . سورة المزمّل / ٢٠.

٦ . سورة البيّنة / ١ ـ ٣.

ربّ العالمين»[١]، فدعوىٰ الفخر الرازي أنّ المقروء والمتلوّ والمسموع والمكتوب والمحرّف والمحفوظ في الصدور ليس من القرآن، فقد عاند القرآن فيها.

قال ابن حزم الأندلسي في كتاب الفصل: وقالت أيضاً هذه الطائفة المنتمية إلىٰ الأشعريّة انّ كلام الله تعالىٰ لم ينزل به جبرئيل ـ عليه السّلام ـ علىٰ قلب محمّد ـ ص ـ، وإنّما نزل عليه بشيء آخر، وهو عبارة عن كلام الله تعالىٰ، وإنّ الّذي نقرأ في المصاحف ويُكتب فيها ليس شيء منها كلام الله، وانّ كلام الله لا يزايل الباري[٢]، ولا يقوم بغيره، ولا يحلّ في الأماكن، ولا ينتقل، ولا هو حروف موصلة، ولا بعضه خير من بعض، ولا أفضل ولا أعظم من بعض... قال أبو محمّد: وهذا كفر مجرّد بلا تأويل، وذلك انّنا نسألهم عن القرآن أهو كلام الله أم لا؟ فإن قالوا: ليس من كلام الله، سألناهم عن القرآن أهو الّذي يُتلىٰ في المساجد ويكتب في المصاحف ويُحفظ في الصدور أم لا؟ فإن قالوا: لا، كفروا بإجماع الأُمّة، وإن قالوا: نعم، تركوا قولهم الفاسد، وأقرّوا انّ كلام الله في المصاحف ومسموع من القُرّاء ومحفوظ في الصدور، كما قول جميع أهل الإسلام[٣]. انتهىٰ.

وقال ـ في الفصل ـ: وكان لشيخهم الأشعري قول آخر في إعجاز القرآن، وهو أنّ المعجز هو الّذي لم يفارق الله عزّ وجلّ قطّ، ولم يزل غير مخلوق، ولا سمعناه قطّ ولا سمعه جبرئيل ولا محمّد ـ عليهما السّلام ـ قطّ، وانّ الّذي نقرأ في المصاحف ونسمعه ليس معجزاً، بل مقدورٌ علىٰ مثله. وهذا كفر صريح وخلاف لله تعالىٰ ولجميع أهل الإسلام[٤].

وقال انّه قالت الأشاعرة كلّهم انّ القرآن لم ينزل به جبرئيل قطّ علىٰ قلب محمّد ـ عليه الصلاة السّلام ـ، وإنّما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله، وإنّ القرآن ليس عندنا البتة إلّا علىٰ هذا المجاز، وإنّ الّذي نرىٰ في المصاحف، ونسمع من القُرّاء، ونقرأ في الصلاة، وتُحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة، ولا شيء منه كلام الله البتة،

---

١. سورة الواقعة / ٧٧ ـ ٨٠.

٢. هذه العبارة تختلف مع ما في المصدر.

٣. الفصل في الملل والأهواء ٣ / ٦ ـ ٧.

٤. الفصل في الملل والأهواء ٤ / ٢٠٧.

بل شيء آخر، وإنّ كلام الله لا يفارق ذات الله عزّ وجلّ. انتهىٰ. قال: وقال السمناني انّ الباقلاني وشيوخه قالوا انّ النبيّ ـص ـ إنّما أطلق القول بأنّ ما أنزل الله هو القرآن، وهو كلام الله علىٰ معنىٰ أنّه عبارة عن كلام الله، وانّه يفهم منه أمره ونهيه فقط. قال أبو محمّد بن حزم: وهذا من أعظم الكفر، لأنّ الله تعالىٰ قال «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ»[١]، وقال: «نزل به الروح الأمين علي قلبك...»[٢] وقال: «... فأجره حتّىٰ يسمع كلام الله...»[٣]...، وقال فثبت أن ليس هو القرآن، ولا هو كلام الله إلّا العبارة المسموعة، والكلام المقروء، والخطّ المكتوب في المصحف بلا شكّ،إذ لم يبق غير ذلك أو الكفر وتكذيب الله تعالىٰ وتكذيب رسول الله ـص ـ في أنّ القرآن أُنزل عليه وانّنا نسمع كلام الله[٤].

أقول: بل يسمعه المؤمن والكافر والانس والجنّ،كما في قوله تعالىٰ: «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّىٰ يسمع كلام الله...»[٥]، وقوله تعالىٰ: «قل أُوحي إليَّ أنّه استمع نفر من الجنّ، فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً، يهدي إلى الرشد...»[٦]، فعبّر عن المسموع بانّه القرآن، وعن القرآن بانّه كلام الله تعالىٰ، ثمّ انّه تعالىٰ وصف القرآن الّذي هو كلامه بقوله «تنزيلاً» و «منزّلاً» في قوله تعالىٰ «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ...»[٧]، وقوله: «حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم»[٨]، وقوله: «إنّا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً»[٩]، وقوله تعالىٰ: «وانّه لتنزيل ربّ العالمين،

---

١ . سورة البروج / ٢١ ـ ٢٢.
٢ . سورة الشعراء / ١٩٣ ـ ١٩٤.
٣ . سورة التوبة / ٦.
٤ . الفصل في الملل والأهواء ٤ / ٢١١ ـ ٢١٢.
٥ . سورة التوبة / ٦.
٦ . سورة الجنّ / ١ ـ ٢.
٧ . سورة الزمر / ١ ـ ٢.
٨ . سورة غافر / ١ ـ ٢.
٩ . سورة الإنسان / ٢٣.

نزل به الروح الأمين»[١]، وقوله: «تنزيل من حكيم حميد»[٢]، وقوله تعالىٰ: «إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون»[٣]، وقوله تعالىٰ: «وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل...»[٤]، وقوله تعالىٰ: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة...»[٥]، وقوله تعالىٰ: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر»[٦]، فلو كان كلامه تعالىٰ المعبَّر عنه بالقرآن قديماً بقِدَم الله ـ كعلمه وقدرته ـ، لم يقبل الانفصال والتجاوز عنه تعالىٰ.

وقولُ الفخر الرازي ـ في التفسير ـ انّ وصف القرآن بكونه تنزيلاً ومنزّلاً إنّما هو بالنسبة إلى الحروف والكلمات، وهي عندنا مخلوقة[٧]، مردودٌ بانّه هل القرآن الّذي هو كلام الله تعالىٰ إلّا عبارة عن هذه الألفاظ المنتقلة من حال إلىٰ حال؟ حسبما وصفه الله تعالىٰ به في كلامه المحمول علىٰ حقيقته، إذ قال سبحانه: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه...»[٨].

ثمّ انّ كلامه تعالىٰ مشتمل علىٰ الأمر والنهي، وذلك التكليف حادث بحدوث المكلّف كما في قوله تعالىٰ ـ مخاطباً لموسىٰ ـ عليه السّلام ـ: «اخلع نعليك، إنّك بالوادي المقدّس طوىٰ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحىٰ»[٩]، وقوله تعالىٰ «فلمّا أتاها نودي يا موسىٰ! إنّي أنا ربّك...»[١٠]، وبالضرورة انّ خطابه تعالىٰ لو كان قديماً، لكان مخاطباً لموسىٰ قبل وجوده، وذلك سفه محض، ونحوه قوله تعالىٰ لإبراهيم ـ عليه السّلام ـ: «فخذ أربعة

---

١ . سورة الشعراء / ١٩٢ـ١٩٣.

٢ . سورة فصّلت / ٤٢.

٣ . سورة الحجر / ٩.

٤ . سورة الإسراء / ١٠٥.

٥ . سورة الدخان / ٣.

٦ . سورة القدر / ١.

٧ . التفسير الكبير ٢٧ / ٢٥.

٨ . سورة الشورىٰ / ٥١.

٩ . سورة طه / ١٢ـ١٣.

١٠ . سورة طه / ١١ـ١٢.

من الطير، فصرهنّ إليك، ثمّ اجعل علىٰ كلّ جبل منهنّ جزءاً، ثمّ ادعهنّ يأتينك سعياً»[١]، فإنّ هذه الأوامر توجه من الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم ـ عليه السّلام ـ عند قوله: «أرني كيف تحي الموتىٰ»[٢]، فأراد الله بذلك اطمئنان خاطره، فالجواب حادث بالضرورة عند حدوث السؤال، كما انّ قوله تعالىٰ: «فلمّا أتاها نودي يا موسىٰ»! مشتمل علىٰ ترتّب النداء علىٰ إتيان موسىٰ ـ عليه السّلام ـ كترتّب الجزاء علىٰ شرط حادث، ومعلوم انّ هذا النداء كان بخلق الحروف والأصوات.

الأشاعرة واستدلالاتهم الباطلة [علىٰ أزليّة كلام الله]

أحدهما: قول الفخر الرازي وغيره انّ كلامه تعالىٰ ـ وإن كان قديماً في الأزل، إلّا أنّه ـ في الأزل لم يكن أمراً ولا نهياً ولا إخباراً ولا إنشاءً، فإنّ هذه كلّها من لوازم الكلام اللفظي المركّب من الحروف والاصوات، دون الكلام النفسي القائم بذات الباري تعالىٰ، وإنّه واحد لا تعدّد ولا تركّب فيه، كباقي أوصافه من العلم والقدرة والوجود والحياة، فكما انّ قدرته تعالىٰ واحدة تتعلّق بمقدورات متعدّدة في الخارج، كذلك كلامه صفة واحدة، تنقسم باعتبار المتعلّق والمتوجّه إلىٰ الأشخاص إلىٰ الأمر والنهي والإخبار والإنشاء، وذلك لا سفه فيه. انتهىٰ.

ويردُّ عليه أن السفه حاصل، نظراً إلىٰ أنّ حقيقة التكليف الّذي هو توجيه الطلب الحقيقي نحو المكلّف يبقىٰ بلا مورد، إذ لا أمر ولا مأمور، ولا إنشاء ولا اخبار، فما الّذي يريده الله تعالىٰ وما المنقدح في نفسه المقدّسة من قوله تعالىٰ: «أقيموا الصلاة...»[٣]، وقوله: «أوفوا بالعقود...»[٤]، وقوله: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان...»[٥] وقوله: «لا

١. سورة البقرة / ٢٦٠.

٢. سورة البقرة / ٢٦٠.

٣. سورة البقرة / ٤٣.

٤. سورة المائدة / ١.

٥. سورة الحجّ / ٣٠.

تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل...»[١]، وقوله: «لا تقتلوا النفس الّتي حرّم الله...»[٢]، وكذلك من قوله تعالىٰ: «إنّا أرسلنا نوحاً...»[٣]، أو «أوحينا إلىٰ إبراهيم»[٤]، أو «إنّا أهلكنا القرون الأولىٰ...»[٥]، أو «وكم أهلكنا من القرون...»[٦]، إلىٰ غيرها من الآيات المشتملة علىٰ حكايات وقصص الأمم الماضية؟. ولازم القول بالكلام النفسي الازلي أن لا يكون ما في القرآن من الألفاظ كواشف عنه، وأن يكون إخباره تعالىٰ [عمّا][٧] وقع في الماضي إخباراً عن ما يقع في المستقبل، وفي ذلك انفكاك لعلمه تعالىٰ عن معلومه.

قال فضل بن روزبِهان ـ في كتابه إبطال الباطل ـ: «إنّ الكلام النفسي هو المعنىٰ القائم بذات الله تعالىٰ في الأزل، ولا تلفّظ للكلام، بل هو لجماعة سيحدّثون، ويكون التلفّظ به بعد حدوثهم، وحدوث أفعالهم، الّتي تقتضي الأمر والنهي والإخبار والإستفهام، فلا سفه ولا حماقة»[٨].

ويتوجّه عليه أنّه أيّ سفه أعظم من إيراد كلام لفظي بنحو التنجيز، ولا مدلول له إلاّ الكلام النفسي الثابت بنحو التعليق؟ فيبقىٰ في حقّه تعالىٰ مدلول من غير دالّ، أو دالّ بلا مدلول، وهذا شيء لا تساعد عليه القواعد الكلاميّة لدىٰ المحاورة والخطابات الشرعيّة أيضاً، والقول بكون هذه الخطابات تنجيزيّة في حقّ من وُجد ومعلقة علىٰ وجود من يوجد، يلزمه كون الكلام النفسي المدلولي أيضاً كذلك طبقاً للدالّ عليه، لا كون المدلول أزلاً تعليقيّاً والدالّ عليه في زمن الخطابات تنجيزيّاً، علىٰ خلاف أهل العقول من

---

١ . سورة البقرة / ١٨٨ .

٢ . سورة الإسراء / ٣٣.

٣ . سورة نوح / ١.

٤ . سورة النساء / ١٦٣ .

٥ . سورة القصص / ٤٣.

٦ . سورة الإسراء / ١٧ .

٧ . الزيادة منّا توضيحاً.

٨ . إبطال نهج الباطل / ٣٥.

متكلّمي بني آدم، وهذا أقوىٰ برهان علىٰ أنّ الكلام النفسي ـ ما يقوله الأشعري ـ غير متصوّر أصلاً، وأن المعقول الموجود في النفس هو العلم التصوّري أو التصديق المتعلّق بشيء ثابت موجود أو شيء سيوجد، وهذا هو الصحيح من المعنىٰ القائم بالنفس المساوية فيه القضايا الإنشائيّة والخبريّة، وإلاّ فلازم كلام الأشعري كون إخباره بما وقع متخلّفاً عن واقعه، ويكون إخباراً بما لم يقع، وهذا من الكذب القبيح علىٰ الله تعالىٰ.

ثمّ إنّنا وإن كنّا لا ننكر الأمر المتعلّق علىٰ وجود المكلّف أو علىٰ شيء آخر، لكن هذا النحو من الأمر أيضاً ثابت بالخطاب اللفظي من الموالي ويكن مدلوله أيضاً طلباً تعليقيّاً من غير انفكاك كالأمر التنجيزي، ولازم القول بالكلام النفسي انّه ليس في نفسه تعالىٰ أمرٌ ولا نهي، ولا تنجيزي ولا تعليق، وإنّما ذلك من أوصاف الكلام اللفظي، وهذا يناقض قولهم انّ الكلام النفسي هو مدلول الكلام اللفظي المركّب من الحروف، كما في شرح التجريد ـ للقوشجي ـ[1].

ومثل ذلك في كتاب إبطال الباطل ـ لفضل بن روزبِهان ـ بأنّه «إذا أراد المتكلّم الكلام، فهل يفهم من ذاته أنّه يُزوِّر[2] ويرتّب المعاني فيعزم علىٰ التكلّم بها، كما أن من أراد الدخول علىٰ السلطان أو العالم فانّه يترتّب في نفسه معاني أو أشياء، يقول في نفسه: سأتكلّم بهذا، فالمنصف يَجدُ من نفسه هذا، فهذا هو الكلام النفسي»[3] انتهىٰ.

أقول: انّ الإنصاف قاض بأنّ ترتّب المعنىٰ في النفس وتزويره طبق اللفظ يقتضي حدوثه وتركّبه طبق ما يُحكىٰ، أمراً كان أو نهياً، زوّره في النفس منجزاً أو متعلّقاً، ولولاه لم يكن مدلولاً مطابقيّاً، وإن هذا إلّا التناقض في القول.

وثانيها: قولهم: «أنّ لله تعالىٰ كلاماً واحداً غير متكثّر».

قال ابن حزم في كتاب الفصل: وأمّا قول الأشعريّة: ليس لله تعالىٰ إلّا كلام واحد،

---

١ . الشرح الحديث / ٢١٣.

٢ . يُزوّر: يُحسّن ويقوّم.

٣ . إبطال نهج الباطل / ٢٠٤.

فخلاف مجرّد لله تعالىٰ وأهل الإسلام، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي...»[١]، ويقول تعالىٰ:«ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله...»[٢]. قال أبو محمّد: ولا ضلال أضلّ، ولا حياء أعدم، ولا مجاهرة أطمّ، ولا تكذيب لله أعظم ممّن سمع هذا الكلام الّذي لا يشكّ مسلم أنّه خبر الله تعالىٰ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بأن لله كلمات لا تنفد، ثمّ يقول هو من رأيه الخسيس أنّه ليس لله تعالىٰ إلّا كلام واحد[٣].

وقال فيه: وقالوا كلّهم: إنّ الله تعالىٰ ليس له إلّا كلام واحد، وليس له كلمات كثيرة. قال أبو محمّد: وهذا كفر مجرّد، لخلافه القرآن، وتكذيب لله عزّ وجلّ في قوله «لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً»، وإذ يقول: «ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله....»، مع أنّ قولهم «ليس لله تعالىٰ إلّا كلام واحد» قول أحمق لا يعقل، ولا يقوم به برهان شرعي، ولا يوجبه عقل، إنّما هو هذيان محض، ويقال لهم: لا يخلو القرآن عندهم من أنّه كلام الله تعالىٰ أو ليس هو كلام الله عزّ وجلّ، فإن قالوا: ليس هو كلام الله تعالىٰ، كفروا من قرب وكفىٰ الله مؤنتهم، وإن قالوا: هو كلام الله تعالىٰ، فالقرآن مائة وأربعة عشر سورة، فيها ستّة آلاف آية ونيف، وكلّ سورة منها عند أهل الإسلام غير الأخرىٰ، وكلّ آية غير الأخرىٰ، فكيف يقول هؤلاء انّه ليس لله تعالىٰ إلّا كلام واحد، أمّا هذا من الكفر البارد، والقُحّة السَّمجَة[٤]، ونعوذ بالله من الضلال[٥]. انتهىٰ.

وثالثها: احتجاج الأشعري علىٰ قدم كلام الله تعالىٰ بقوله تعالىٰ «ألا له الخلق

---

١ . سورة الكهف / ١٠٩.

٢ . سورة لقمان / ٢٧.

٣ . الفصل في الملل والأهواء ٣ / ٥ ـ ٦ .

٤ . القُحّة السَّمجَة : القُبح الخالص .

٥ . الفصل في الملل الأهواء ٤ / ٢١٠ ـ ٢١١.

والأمر، تبارك الله ربّ العالمين»[١]، فإنّ الله ميّز بين الخلق والأمر، ولو كان الأمر مخلوقاً لما صحّ هذا التمييز.

ويرده أنّ المراد من الأمر هو قوله «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن، فيكون»[٢]، والأمر معلّق في كلامه تعالىٰ علىٰ مشيئته، وبالضرورة أن المعلّق علىٰ المشيئة حادث عند حدوث المشيئة، إذ المعلول يحدث بحدوث العلّة لا محالة، لأن معنىٰ التعليق عليها هو أنّه إن شاء فعل وإن شاء ترك، نظير ترتّب الخلق علىٰ مشيئته تعالىٰ في أي وقت شاء.

ورابعها: احتجاج ابن تيمية، حيث قال ـ في منهاجه ـ ما ملخّصه: إنّ الله تعالىٰ إذا كان قد خلق كلامه منفصلاً عنه، لم يكن كلامه، فإنّ الكلام والقدرة والعلم وساير الصفات إنّما يتّصف بها مَن قامت به، لا مَن خلقها وفعلها في غيره، ولهذا إذا خلق الله حركة وعلماً وقدرة في جسم، كان ذلك الجسم هو المتحرّك العالم القادر بتلك الصفات، ولم تكن صفات الله، بل مخلوقات له، ولو كان متّصفاً بمخلوقاته المنفصلة عنه، لكان إذاً نُطق الجامدات، كما قال: «يا جبال! أوّبي معه، و الطير!..»[٣]، وكما قال: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون»[٤]، «وقالوا لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء...»[٥]، وكما قال: «اليوم نختم علىٰ أفواههم، وتكلّمنا أيديهم، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون»[٦]، ومثل تسليم الحجر علىٰ النبيّ ـ ص ـ، وتسبيح الحصي بحمده، وتسبيح الطعام وهم يأكلونه، فإذا كان كلام الله لا يكون إلّا ما خَلَقه في غيره، وجب أن يكون هذا كلّه كلام الله، فإنّه خَلَقه في غيره، وإذا تكلّمت الأيدي فينبغي أن يكن ذاك كلام الله، كما يقولون أنّه خلق كلاماً في الشجرة، كلّم الله به

١. سورة الأعراف / ٥٤.
٢. سورة يس / ٨٢.
٣. سورة سبأ / ١٠.
٤. سورة النور / ٢٤.
٥. سورة فصّلت / ٢١.
٦. سورة يس / ٦٥.

موسىٰ بن عمران، وأيضاً فإذا كان الدليل قد قام علىٰ أنّ الله خالق أفعال العباد وأقوالهم، وهو المنطق لكلّ ناطق، وجب أن يكون كلّ كلام في الوجود كلامه، وحينئذ يكون قول فرعون «أنا ربّكم الأعلىٰ»[١] كلام الله، كما أنّ الكلام المخلوق في الشجرة «إنّي أنا الله...»[٢] كلام الله[٣]. انتهىٰ.

وهذا أقصىٰ ما احتجّ به، وأعمل قوته في تقويته، لكنّه هواء في شبك، وعليه فنقول: إنّه قال الأشعري دلّ الشرع علىٰ أنّ الله متكلّم، والمتكلّم من قام به الكلام علىٰ ما هو الأصل الثابت في الأوصاف المشتقّة، فلابدّ أن يكون كلامه تعالىٰ قديماً، لامتناع قيام الحادث بذاته، والعبادات حادثة، فلا محالة له كلامٌ مغاير للألفاظ والحروف قائمٌ بذاته تعالىٰ.

أقول: وكلامه هذا من الأغلاط الّتي لم يتفوّه بها أحدٌ من أهل المعقول، بل إنّهم صرّحوا ـ في باب الأعراض المسموعة ـ أنّ الكلام عبارة عن الحروف المتألّفة تألّفاً خاصّاً، وحروفه عبارة عن الأصوات الخاصّة الحاصلة من تموّج الهواء إلىٰ داخل الصِماخ[٤] فلا يكون الكلام بحقيقته قائماً بالمتكلّم، وإنّما القائم به صفة التكلّم، وهي ايجاد الكلام المؤلّفة، والهيئات القائمة بالهواء، فالمتكلّم مَن قام به التكلّم، كما هو مبدأ الإشتقاق فيه، لا مَن قام به الكلام ـ أعني ما به التكلّم ـ وهي الألفاظ المُلقاة لإظهار ما في الضمير، فتلبّس الإنسان بالكلام كتلبّس الفاعل بالفعل ايجاداً وصدوراً، كالضارب والقاتل واللافظ، وكذلك الخالق والرازق بمعنىٰ حدوث مبانيها في الخارج، فإذاً لا فرق بين أن يقال: إنّ هذا كلام زيد، أو أنّ زيداً تكلّم بهذا الكلام، فكون الإنسان متكلّماً ليس إلّا [كون][٥] كلامه حادثاً من غير أن يوجب تغيّراً وحدوثاً فيه، وكون ما به التكلّم ـ أعني الألفاظ غير

---

١. سورة النازعات / ٢٤.

٢. سورة القصص / ٣٠.

٣. منهاج السنّة النبويّة ١ / ٢٢٢.

٤. الصِماخ: خرق الأُذن الباطن الماضي في الرأس.

٥. الزيادة منّا.

القارّة[١] ـ إنّما يوجب حدوثها، لا حدوث موجدها، ألا ترىٰ أنّ الله تعالىٰ الموصوف بالمُكوّن والبديع والخالق والرازق والمحيي والمميت والمعطي والنافع والمانع لا تقتضي تلك الإضافات والنسب كونه متغيّراً ومحلاً للحوادث، وإنّما يوجب حدوث الخلق والرزق، وبذلك افترقت فيه تعالىٰ صفة الفعل عن صفة الذات، وكان اتّصافه تعالىٰ بالعلم ونعته بالقدرة والحياة ووجوب الوجود عبارة عن قيامها بالذات، وبخلاف اتّصافه عزّ وجلّ بالخالقيّة والرازقيّة، فإنّه كاتّصاف الأب بالأبوّة بعلاقة تكوُّن الابن منه، فليس معنىٰ المتكلّم حامل الكلام حتّىٰ يقال: إنّ الحامل هي الشجرة في تكلّمه تعالىٰ مع موسىٰ ـ عليه السّلام ـ، فتكون هي المتكلّمة دون الله تعالىٰ، وإن كان بايجاده تعالىٰ الكلام فيها، وإنّما المتكلّم جاعل الكلام وفاعله وموجده، وهو الله في قوله عزّ وجلّ «إنّي أنا الله ربّ العالمين»[٢] سواء كان محلّ ظهوره الهواء أو الشجرة، فليست الشجرة ناطقة، ولا ينسب إليها التكلّم، كما لم ينسب في الإنسان إلى اللسان، فلا يقال انّه متكلّم باللسان.

وأمّا قول ابن تيمية ـ في المنهاج ـ إنّ الكلام والعلم والقدرة وساير الصفات إنّما يتّصف بها من قامت به، لا من خلقها وفعلها في غيره، فغير صحيح، لأنّه قياس مع الفارق، لأنّ انحاء القيام مختلفة، منها قيام صدور وايجاد وظهور أثره في الغير كقيام الضرب والقتل بالضارب والقاتل بمعنىٰ صدور الأمرين منهما.

ومنها: قيامُ وقوع، كقيام الضرب بالمضروب، والقتل بالمقتول، والموت بالميّت، والحياة بالحي، والوجود بالموجود، والحفظ بالمحفوظ، والخلق بالمخلوق، والهداية بالمهتد. ومن القسم الأوّل التكلّم، فلا يلزم من قيامه بالمتكلّم صيرورته محلاً للحوادث، قال الله سبحانه: «الله الّذي خلقكم، ثمّ رزقكم، ثمّ يميتكم، ثم يحييكم...»[٣]، فهذه أوصاف الله تعالىٰ من غير لزوم قيام المبدأ فيها بالذات الأزليّة، ولا يقاس بالمتحرّك الّذي حلّت به

---

١ . غير القارّة: غير الثابتة.

٢ . سورة القصص / ٣٠.

٣ . سورة الروم / ٤٠.

الحركة، فإنّه وضع للمطاوعة، فالحركة لها قيام صدور بالمحرّك، وقيام حلولٍ بـالمتحرّك، فالإحتجاج بلفظ المحرّك مع عدم قيام الحركة إلّا بالمتحرّك أو بالمؤلم مع عدم قيام الألم إلّا بالمتألّم، باطلٌ في غير محلّه، وذلك الخلط الأشعري بين المبدأ المصدري وبين أثره الحاصل منه المسمّىٰ باسم المصدر الّذي لا يقوم إلّا بالقابل دون الفاعل، بداهة أنّ المبدأ في المحرّك التحريك، وهو إيجاد الحركة، وهو قائم بالمحرّك الّذي هو الفاعل، وإمّا المتحرّك بمعنىٰ النقل والإنتقال من مكان إلىٰ مكان فهو قائم بالمتحرّك، وكذلك المبدأ في المؤلم ـ أعـني إيـلام القائم بمَن أوجد الألم ـ، وهو الأثر الحاصل من الإيلام القائم بمن وقع عـليه، فـلا مـعنىٰ لاعتبار الأشعري قيام المبدأ بالفاعل بنحو الحال والمحلّ، بعدما عرفت من اختلاف أنحاء القيام، وانّه قد يقوم بالفاعل، كما في الناطق والضاحك والحسّاس والحَسَن والقبيح المُريد والكارِه، وقد يكون بنحو الإيجاد والإصدار، كما في العاقد والبـايع والبـديع والبـاري والموجد والمصوّر والمحرّك والمتكلّم، وقـد لا يكـون قـيامُ أصـلاً، بـل مجـرّد الانـتزاع والتوصيف، كالحجّار والتمّار واللّبان والتبّان والنجّار والصبّاغ والبنّاء ونحوها، بل ولفظ «الكاتب» بالقوّة حيث لا فعليّة.

وأمّا قول ابن تيمية: «إذا كان كلام الله لا يكون إلّا ما خلقه في غيره، وجب أن يكون النطق الّذي خلقه الله في الجبال كلامه لأنّه خَلَقه فيها»، فيرده أنّه قـياس بـاطل، وذلك لأنّ النطق فيها أو تسبيح الحصي بإقدار من الله تعالىٰ، وكما في تكـلّم الذئب مـع يعقوب ـ عليه السّلام ـ فإنّه من فعله بقدرة الله، لا كلام صادر منه تعالىٰ، ونحوه إنطاقه سـبحانه عـيسىٰ ـ عـليه السّـلام ـ في المـهد، وإنـطاقه الطـفل الّـذي شهـد ليوسف ـ عليه السّلام ـ، فإنّه أيضاً يجعل القدرة لها، ولكـنّه ليس مـن ذلك النـطق في الشجرة حين كلّم الله تعالىٰ موسىٰ ـ عليه السّلام ـ، لأنّ الكلام فعل مباشري اخـتياري، وذلك منتف عنها كانتفاء الاختيار عن اللسان في الإنسان، فلا يسند الكلام إلى الشجرة، كما لا يسند إلى اللسان، بل من تكوين الصوت فيها كتكوين اللفظ في مقاطع الفم، وأمّا إنطاقه تعالىٰ أعضاء الإنسان يوم القيامة لأجل الشهادة، فلا يكون كلاماً لله تعالىٰ، إذ لم يباشر ذلك التكلّم، فهو من تسبب منه تعالىٰ.

فقولُ ابن تيمية «لزم أن تكون الشجرة قائلة: إنّي أنا ربّ العالمين» باطلٌ، لبطلان الملازمة، فإنّ النداء عبارة عن خلق المنادي في الهواء وفي الشجرة من جانب الطور الأيمن، ولا يلزم أن تكون الشجرة منادية، كما لا يلزم من المنادي بالهواء أن يكون الهواء متكلّماً، فهل ترىٰ أنّ الاصوات المخلوقة من الاسباب الخارجية، كضرب اليد علىٰ اليد أو لطم الوجه باليد، أو السماوية كالصاعقة أن يكون الهواء مصوتاً أو اليد والوجه ذا أصوات؟

وأمّا قول ابن تيمية: «وليس يعقل فاعل لم يقم به الفعل» فيرده انّه وإن كان كذلك، لكن الأفعال المتعدية ـ الضرب والقتل والهلاك والنجاة ـ تقوم أيضاً بالمفعول، كما بالفاعل، وقد قال الله تعالىٰ: «فقتله، فأصبح من الخاسرين»[1]، فالقاتل هو قابيل، والمقتول هابيل، والقتل صادر من الفاعل وواقع علىٰ المفعول، وقال تعالىٰ: «فأنجيناه وأصحاب السفينة...»[2]، فالنجاة صفة قائمة بالمفعول كالهلاك في قوله تعالىٰ: «فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً...»[3]، فانّه وصف المفعول.

وأمّا ما زعمه ابن تيمية من أنّه بناء علىٰ أنّ أفعال العباد وأقوالهم من الله تعالىٰ، كان لازمه أن يكون كلّ كلام في الوجود كلامه:، فيرد عليه أنّه ذكر أمراً وبنىٰ عليه القول بالكلام النفسي، ولم يتفطّن أنّ لازمه انتساب كلام العباد ـ إذ كان لفظيّاً مخلوقاً لهم ـ إليه سبحانه، فيعود المحذور من قيام الحادث بالقديم،ت وهذا احتجاج من ابن تيمية علىٰ خلاف غرض الأشعري، فإن قول فرعون «أنا ربّكم الأعلىٰ» لا يكون قول الله علىٰ هذا المبنىٰ إلّا علىٰ فرض وجه قيام الحادث بالقديم، بمعنىٰ أنّ الله خَلَقَه في غيره منفصلاً عنه، فيناقض القول بالكلام النفسي، وهو إيراد من الإماميّة علىٰ الأشعريّة بانّهم يزعمون أنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالىٰ، ثمّ لا يلتزمون بانتساب كلامهم إليه تعالىٰ.

والحاصل إنّ القائل بالكلام النفسي لم يأت بأمر معقول، إذ لا يتصوّر له سبحانه

---

١. سورة المائدة / ٣٠.

٢. سورة العنكبوت / ١٥.

٣. سورة الزخرف / ٨.

وصف قائم به وراء العلم والإرادة والقدرة علىٰ إيجاد الكلام وربط ألفاظه بعضها ببعض، كما هو المشاهد بالعيان في إنزاله القرآن، فإنّ القرآن باجماع الخلفاء والصحابة والتابعين، بل وجميع المسلمين، بل بمقتضىٰ نصوصه الصريحة، هو كلامه تعالىٰ، وهو حادث مشتمل علىٰ أمر ونهي وإخبار وإنشاء وحكايات وترتيب ألفاظ كلّها من أوصاف الحدوث، فمن يدّعي بانّ لله كلاماً قائماً بالذات الأزليّة وحداني المعنىٰ ولا ألفاظ له، لزمه القول بقرآنين: قرآن قديم وقرآن حديث، فيعود المحذور من خلق القرآن، إلّا أن يدّعىٰ أنّ القرآن ليس من كلام الله، بل من كلام جبرئيل، أو من قول النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وهذا خلاف ضرورة دين الإسلام.

فقول الأشعري:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلا

لا يفرّق في الكلام النفسي بين الخالق والمخلوق، فإن أُريد بما في النفس المدلول من الكلام اللفظي بوجوده التصوّري أو التصديقي، فهو ليس أمراً وراء العلم في الخبر، وغير الإرادة والكراهة في الإنشاء، ولا يقوله الأشعري بهذا المعنىٰ، وإن أريد صفة أخرىٰ قائمة بالذات المقدّسة الإلٰهيّة، فليتصدَّ لبيانه، وليس له ذلك وراء ما قلنا، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

مفتعلاتهم أنّ القرآن ليس بمخلوق، وأنّ مدعي الخلق كافر خارج عن الايمان

أنّ القوم يعتمدون في زعمهم هذا علىٰ أحاديث يروونها، كلّها مخدوشة حسب تصريح أساطينهم ومعتمديهم في الحديث. فمن ذلك:

[الحديث الأوّل] ما يرويه الخطيب في «اللآليء المصنوعة» عن علي بن أحمد المحتسب، عن ابن الحسين الهمداني، عن أبي نصر محمّد بن هارون النهرواني، عن محمّد بن عمر وعبد الله بن عامر السمرقندي، عن قتيبة بن سعيد، عن عبد الله بن لهيعة عن ابن

الزبير[١]، قال: قال رسول الله ـص ـ: «مَن قال القرآن مخلوق فقد يكذب ويضع»[٢].

أقول: أمّا محمّد بن هارون ففي «لسان الميزان» ـ لابن حجر العسقلاني ـ: محمّد بن هارون بن بريدة، قال الدارقطني لا شيء. وقال الخطيب: في حديثه مناكير. وقال ابن عساكر: يضع الحديث[٣]. وقال الخطيب في التاريخ: إنّه ذاهب الحديث، يُتّهم بالوضع[٤].

وأمّا محمّد بن عمر، فإن كان هو ابن الفضل الجعفي، ففي الميزان أنّه كذّاب[٥]. انتهىٰ. وإن كان هو ابن صالح، ففي اللسان: محمّد بن عمر بن صالح، قال ابن عدي: يُحدِّث عن الثقات بالمناكير، وهو من أهل حماة من أعمال[٦] حِمص، وذكره ابن حبان فقال: منكر الحديث جداً[٧].

وأمّا محمّد بن عبد بن عامر السمرقندي، ففي الميزان[٨] ولسان الميزان[٩] وتاريخ الخطيب[١٠]: انّه كذّاب معروفٌ بوضع الحديث، روىٰ أحاديث باطلة، وكان يسرق الاحاديث، وكان يتابع الضعفاء والكذّابين في رواياتهم بالأباطيل، قد اشتهر كذبه. انتهىٰ.

وأمّا عبد الله بن لهيعة، فعلىٰ ما في كتاب «النزهة الإثنىٰ عشريّة» ـ نقلاً عن كتاب الضعفاء والكذّابين لمحمّد بن طاهر الهندي الكجراني، الّذي هو من أعاظم علماء أهل

---

١ . في المصدر «أبي زبير».

٢ . اللالىء المصنوعة ١ / ٣.

والذّي فيه «من قال القرآن مخلوق فقد كَفَر». وقد عَقّب السيوطي ذلك ـ في نفس المصدر ـ بقوله: لا يصحّ ـ أي هذا الحديث ـ، محمّد ـ يعني محمّد بن هارون الّذي نسب هذا القول إلى النبيّ ـ يكذب ويضع.

٣ . لسان الميزان ٥ / ٤٠٩.

٤ . تاريخ بغداد ٧ / ٤٠٣.

٥ . ميزان الاعتدال ٣ / ٦٧١.

٦ . أعمال حمص: المناطق التابعة لمدينة حمص في الحكم.

٧ . لسان الميزان ٥ / ٣١٨.

٨ . ميزان الاعتدال ٣ / ٦٣٣ ـ ٦٣٤.

٩ . لسان الميزان ٥ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ واللفظ له.

١٠ . تاريخ بغداد ٢ / ٢٨٨.

السنّة ـ قال: عبد الله بن لهيعة ذاهب الحديث، لا يوثق به، يُدلّس عن الكذّابين والضعفاء، ضعّفه ابن معين وأبو زرعة والنسائي وغيرهم[1]. انتهىٰ.

وفي «ميزان الاعتدال» للذهبي ـ في الترجمة ـ قال: عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمٰن، قاضي مصر وعالمها، ويُقال «الغافقي»، أدرك الأعرج وعمرو بن شعيب والكبار، قال ابن معين: ضعيف لا يُحتجّ به. وقال معاوية بن صالح: سمعت يحيىٰ يقول: ابن لهيعة ضعيف. وقال النسائي: ضعيف، وقال أحمد بن زهير ـ عن يحيىٰ ـ: ليس حديثه بذلك القوي، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: أمره مضطرب، وقال ابن حبان: سَبَرت[2] أخباره في رواية المتقدّمين والمتأخّرين [عنه][3] فرأيتُ التخليط في رواية المتأخّرين عنه موجوداً، وما لا أصلَ له في رواية المتقدّمين كثيراً، فرجعتُ إلىٰ الإعتبار فرأيتُه كان يدلّس عن أقوام ضعفاء علىٰ أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات، فألزق تلك الموضوعات[4].

وفي التهذيب لابن حجر ـ في الترجمة ـ: عبد الله بن لهيعة بن عقبة،... [روىٰ] عن ابن الزبير...،قال البخاري ـ عن الحميدي ـ كان يحيىٰ بن سعيد لا يراه شيئاً، وقال ابن المديني ـ عن ابن مهدي ـ: لا أحمل عنه قليلاً ولا كثيراً، وقال محمّد بن المثنّىٰ: ما سمعتُ عبد الرحمٰن يحدّث عنه قطّ، وقال نعيم بن حمّاد: سمعت ابن المهدي يقول: لا أعتدّ بشيء سمعت من حديث ابن لهيعة، وقال حنبل ـ عن أحمد ـ: ما حديث ابن لهيعة بحجّة. وكان ابن مريم يسيء الرأي فيه، قال الحاكم: استشهد به مسلم في موضعين، وقال البخاري: تركه يحيىٰ بن سعيد، وقال ابن مهدي: لا أحمل عنه شيئاً، وقال ابن خزيمة ـ في صحيحه ـ: وابن لهيعة لستُ ممّن أُخرج حديثه في هذا الكتاب إذا انفرد، وقال ابن المديني: قال لي بِشر بن السري: لو رأيتُ ابن لهيعة لم أتحمّل عنه، وقال عبد الكريم بن عبد الرحمٰن النسائي ـ عن أبيه ـ: ليس بثقة. وقال ابن معين: كان ضعيفاً لا يحتجُّ بحديثه، وقال

---

١ . نزهة اثنى عشريّة / ٢٩٣.

٢ . سَبَرتُ: امتحنتُ.

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . ميزان الاعتدال ٢ / ٤٧٥ـ ٤٨٢.

الخطيب: كثرت المناكير في حديثه لتساهله. وقال الجوزجاني: لا يوقف علىٰ حديثه ولا ينبغي أن يحتجَّ به ولا يُغترّ بروايته. وقا ابن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن الأفريقي وابن لهيعة، أيّهما أحبّ إليك؟، فقالا: جميعاً ضعيفان، وابن لهيعة أمره مضطرب. قال عبد الرحمٰن: قلتُ لأبي: إذا كان مَن يروي عن ابن لهيعة مثل ابن المبارك، فابن لهيعة يحتجُّ به؟ قال: لا. قال أبو زرعة: كان لا يضبط. وقال محمّد بن سعد: كان ضعيفاً. وقال مسلم ـ في الكنىٰ ـ تركه ابن مهدي ويحيىٰ بن سعيد ووكيع. وقال الحاكم: انّه ذاهب الحديث. وقال ابن حبّان: سَبَرتُ أخباره فرأيت يدلّس عن أقوام ضعفاء علىٰ أقوام ثقات، فوجب التنكُّب[١] عن رواية المتقدّمين عنه قبل احتراق كتبه، لما فيها من الأخبار المدلّسة عن المتروكين، ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخّرين عنه بعد احتراق كتبه، لما فيها ما ليس من حديثه. وقال أبو جعفر الطبري في «تهذيب الآثار»: اختلط عقله في آخر عمره، وقال ابن حجر: واسناد الحاكم إلىٰ ابن لهيعة صحيح، والآفة فيه من ابن لهيعة[٢]. انتهىٰ.

وفي «لسان الميزان» ـ في ترجمة محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن السمرقندي ـ: [روىٰ] عن ابن لهيعة بخبر موضوع هو آفته[٣]. انتهىٰ. وقال السيوطي في اللآلي: ابن لهيعة ذاهب الحديث[٤].

الحديث الثاني: ما في اللآليَ عن الخطيب عن محمّد بن أحمد بن زرق، عن المسيب بن محمّد بن المسيب الأرغياني عن ابن حبان، عن محمّد بن مسيب، عن محمّد بن يحيىٰ بن رزين المصيصي، عن عثمان بن عمر بن فارس، عن كَهْمَس عن الحسن عن أنس مرفوعاً: «كلّ ما في السماوات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أنّه كلامه، عنه بدأ، وإليه يعود، وسيجيءُ أقوام من أمّتي يقولون: القرآن مخلوق، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم، وطُلّقت امرأته من ساعته، لأنّه لا ينبغي للمؤمنة أن تكون تحت كافر،

---

١. التنكّب: العدول.

٢. تهذيب التهذيب ٥ / ٣٧٣ ـ ٣٧٩.

٣. لسان الميزان ٥ / ٢٢٤.

٤. اللالىء المصنوعة ٢ / ٢٠١.

إلّا أن تكون سبقته بالقول» موضوعٌ، آفته محمّد بن يحيىٰ بن رزين، قال ابن حبّان: دجّال يضع الحديث[1].

أقول: قال الذهبي في الميزان وابن حجر في «لسان الميزان»: محمّد بن يحيىٰ بن رزين المصيصي، قال ابن حبان: دجال يضع الحديث، روىٰ عن عثمان بن عمر بن فارسٍ عن كَهْمَس عن الحسن عن أنس مرفوعاً: «كلّ ما في السماء والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن» وذلك انّه كلامه، منه بدأ وإليه يعود، وسيجيء قوم من أمّتي يقولون: القرآن مخلوق، فمن قال منهم فقد كفر، وطُلِّقت امرأته منه»، حدّثنا محمّد بن المسيّب عنه. انتهىٰ، وقال أبو نعيم الاصبهاني: روىٰ الموضوعات[2]. انتهىٰ.

وأمّا كَهْمَس بن الحسن التميمي البصري، فقد قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» ـ في ترجمته ـ: انّه قال الازدي قال ابن معين: ضعيف، وقال عثمان بن دحية: ضعيف، روىٰ مناكير[3]. انتهىٰ. ونحوه ذكر ابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب»[4].

وأمّا الحسن البصري الّذي نسب إليه الحديث عن أنس بن مالك، فله انحراف في المعتقد، وتدليس وتلبيس في الحديث، وفتوىٰ في الفقه ورأي زائغ عن الحقّ والصواب في تفسير الكتاب، أمّا انحرافه في الاعتقاد فهو قوله بالقَدَر، ففي التهذيب لابن حجر ـ في ترجمته ـ أنّه روىٰ معمّر عن قتادة عن الحسن قال: «الخير بقَدَر، والشرّ ليس بقدر» قال أيّوب: فناظرته في هذه الكلمة، فقال: «لا أعود». وقال حميد الطويل: سمعت الحسن يقول: «خلق الله الشياطين وخلق الخير وخلق الشرّ». وقال حمّاد بن سلمة عن حميد: قرأت القرآن عن الحسن، ففسره علىٰ الاثبات ـ يعني إثبات القدر ـ، وكذا قال حميد بن الشهيد ومنصور بن زاذان، وقال رجاء بن أبي سلمة عن ابن عون: سمعت الحسن يقول:

---

١ . اللآلي المصنوعة ١ / ٤.

٢ . ميزان الاعتدال ٤ / ٦٣، لسان الميزان ٥ / ٤٢٢.

٣ . ميزان الاعتدال ٣ / ٤١٦.

٤ . تهذيب التهذيب ٨ / ٤٥٠ـ ٤٥١.

«من كذّب بالقدر فقد كفر»[١].

وقال الذهبي في «تهذيب التهذيب» ـ في ترجمة الحسن ـ: رویٰ معمّر عن قتادة عن الحسن، قال: «الخير بقدر، والشرّ ليس بقدر»، قلت: هذا أبلغ ما نُقل في الحسن في القدر[٢]. انتهىٰ.

وفي صحيح الترمذي عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ـص ـ: «صنفان من أُمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المُرجئة[٣] والقَدَريّة»[٤] [٥]. وفي سنن أبي داود عن النبيّ ـص ـ: «القَدَرية مجوس هذه الأُمّة»[٦].

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: قال الامام في كتابه «الارشاد في أصول الدِّين»: قال رسول الله ـص ـ: «القدريّة مجوس هذه الأُمّة»، شبّههم بهم لتقسيمهم الخير والشرّ في حكم الارادة، كما قسّمت المجوس، فصرفت الخير إلىٰ يزدان، والشرّ إلىٰ أهرمن، ولا خفاء في اختصاص هذا الحديث بالقدريّة[٧].

وأمّا تدليس الحسن البصري، ففي «ميزان الاعتدال»: كان الحسن كثير التدليس...[٨]. وفي التقريب ـ للعسقلاني ـ: الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه

---

١ . تهذيب التهذيب ٢ / ٢٧٠.

٢ . كذا في النسخة المطبوعة والظاهر أنّ خطأً ما قد وقع هنا، فتهذيب التهذيب لابن حجر، لا للذهبي، وليس فيه ما نقل عنه، ولم أعثر علىٰ ذلك في كتابي الذهبي: التذكرة والميزان.

٣ . المُرجئة: طائفة كانت تتميّز بعقائد خاصّة، منها: تأخير العمل عن النيّة، وعدم وجود ضرر للمعصية في حال وجود الإيمان، وانّ الله قد يدخل مرتكب المعصية الجنّة.

٤ . القَدَريّة: طائفة كانت تتميّز بنفي القدر، وكانت تقول انّ الله لم يقدّر شيئاً أصلاً، وانّ علمه لم يكن لها، وانّه يعلم الحوادث بعد وقوعها.

٥ . الجامع الصحيح ٣ / ٣٠٨.

٦ . سنن أبي داود ٤ / ٣٠٧. والمنقول بالمضمون.

٧ . شرح صحيح مسلم ١ / ١٩٩.

٨ . ميزان الاعتدال ١ / ٥٢٧.

«يسار» ـ بالتحتانيّة ـ[1]، فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً أو يدلّس، قال البزاز: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوّز ويقول: حدّثنا وخطبنا، يعني قومه الّذين حدّثوا وخطبوا بالبصرة، وهو رأس الطبقة الثالثة[2].

وفي التهذيب ـ للعسقلاني ـ: قال أبو حبّان: انّ الحسن أدرك بعض صفين، ورأىٰ مائة وعشرين صحابيّاً، وكان يدلّس. وفيه: قال همام بن يحيىٰ عن قتادة: «والله ما حدّث الحسن عن بدريّ مشافهة»، وقال محمّد بن سعيد: «كان الحسن ما أسند من حديثه ورویٰ عن سمعه فهو حجّة، وما أرسل فليس بحجّة»، وسُئل أبو زرعة: هل سمع الحسن أحداً من البدريّين؟ قال: «رآهم رؤية، رأىٰ عليّاً وعثمان»، قيل: هل سمع منهما شيئاً؟ قال: «لا، ولم يسمع من جابر ولا من أبي سعيد ولا من ابن عبّاس، وقول الحسن: خطبنا ابن عبّاس بالبصرة، إنّما أراد خطب أهل البصرة، ولم يسمع عن أبي هريرة ولا من جابر، فهذا الذّي يقوله أهل البصرة: حدّث الحسن سبعون بدريّاً، كلام السوقة». وقال ابن المديني: «لم يسمع من أبي موسىٰ الأشعري». وقيل ليحيىٰ بن قطّان: كان الحسن يقول: سمعت عمران بن حصين، قال: «أمّا عن ثقة فلا». وقال ابن المديني وأبو حاتم وابن معين: «لم يسمع من عمران بن الحصين، وليس يصحّ ذلك». وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: «إنّ الحسن لم يسمع من سراقة». وقال المديني: «لم يسمع من عبد الله بن عمر، ولا من أُسامة بن زيد». وقال أبو زرعة: «الحسن عن معقل بن سنان بعيد جداً». وعن أبي الدرداء: «مُرسل». وقال الترمذي: «لم يعرف له سماع من علي ـعليه السّلامـ». وقا الدارقطني «مراسيله فيها ضعف»[3]. انتهىٰ.

فصحّ من جميع ذلك أنّ ما ينسب إلى الحسن البصري عن أنس بن مالك من حديثه السابق «انّ القرآن مخلوق» كذبٌ لا أصل له، بعدما عرفت أنّه لم يرو عن أحد من

---

١ . أي: انّ اسم أبيه «يسار» لا «تسار».

٢ . التقريب ١ / ١٦٥.

٣ . تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٦ ـ ٢٧٠.

البدريّين، لا من غيرهم من الصحابة، كما مرّ عليك ما صرح به أئمّة أهل الحديث».

وقال السيوطي في كتاب التدريب ـ شرح التقريب ـ: انّ المُرسَل حديثٌ ضعيف لا يحتجُّ به عند جماهير المُحدّثين، كما حكاه عنهم مسلم في صدر صحيحه، وابن عبد البرّ في كتاب التمهيد، وحكاه الحاكم عن المسيّب ومالك والشافعي وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول[1]. انتهىٰ.

ثمّ إن المنسوب إلى الحسن البصري الفساد في العقيدة، من القول بالقَدَر ـ كما سمعت ـ، وكذلك القول بجواز العصيان علىٰ أنبياء الله تعالىٰ وخلفائه في أرضه، كما نصّ عليه في حقّه الفخر الرازي ـ في تفسيره في سورة يوسف، عند قوله تعالىٰ «ولقد همّت به وهمّ بها» ـ مصرّحاً بأنّ الحسن ممّن نسب المعصية إلىٰ يوسف ـ عليه السّلام ـ، وهو أيضاً قول عكرمة ومجاهد وقتادة والضّحّاك ومقاتل وابن سيرين[2].

قال عبد العزيز بن أحمد بن محمّد البخاري ـ فيما حكي عنه ـ في كتابه «شرح البزدوي»: كثيرٌ من أصحابنا قبلوا رواية سلفنا كالحسن وقتادة وعمرو بن عبيد، مع علمهم بمذهبهم وإكفارهم من يقول بقولهم وقد نصّوا علىٰ ذلك[3]. انتهىٰ.

الحديث الثالث: ما أورده السيوطي في «اللآليء» عن ابن عدي عن أحمد بن محمّد بن حرب عن ابن حميد عن جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ: «القرآن كلام الله، لا خالق ولا مخلوق، ومَن قال غير ذلك فهو كافر» موضوعٌ، آفته ابن حرب، وشيخه أيضاً كذّاب، وهو محمّد بن حميد بن حبان[4]. انتهىٰ.

أقول: قال الذهبي ـ في الميزان ـ: ابن حرب يتعمّد الكذب[5]. وقال ابن حجر في ـ

---

١ . تدريب الراوي ١ / ١٩٨ . ولا يخفىٰ أنّ مقداراً من هذا الكلام للنووي، ولعلّ نسبته إليه لتقريره له.

٢ . التفسير الكبير ١٨ / ١٣٠.

٣ . لم أجد المصدر.

٤ . اللاليء المصنوعة ٢ / ٣٠.

٥ . ميزان الاعتدال ١ / ١٣٤.

«لسان الميزان» ـ: أحمد بن محمّد بن حرب، قال ابن عدي: يتعمد الكذب ويضع. روىٰ عن ابن حميد عن جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»، وقال ابن عدي: انّه كان يتعمّد الكذب، وأخرج له عدّة أحاديث يقول في كلّ منها: انّه باطل، وكرّر تكذيبه في عدّة مواضع[١]. انتهىٰ.

وأمّا جرير، ففي التهذيب ـ للعسقلاني ـ: قال أحمد بن سنان عن ابن مهدي: جرير بن حازم اختلط، وقال أبو نعيم الحافظ: تغيّر قبل موته. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: انّه يحدِّث عن قتادة عن أنس أحاديث مناكير. وقال ابن معين: ليس بشيء، هو عن قتادة ضعيف. وقال مهنأ عن أحمد: جرير كان كثير الغلط. وقال أحمد: جرير بن حازم بن حدّث بالوهم بمصر، ولم يكن يحفظ. وقال الأزدي: جرير خرّج عنه بمصر أحاديث مقلوبة[٢]، ولم يكن بالحافظ، حمل عنه مناكير ونسبه يحيىٰ الحمامي إلى التدليس[٣]. انتهىٰ.

وأمّا محمّد بن حميد بن حيّان، ففي الميزان[٤] وتاريخ الخطيب[٥] والتهذيب[٦]: قال يعقوب بن شيبة: محمّد بن حميد صاحب المناكير. وقال البخاري: في حديثه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الجوزجاني: رديء المذهب، غير ثقة. وقال فضل الرازي: عندي عن ابن حميد خمسون ألفاً، لا أحدّث عنه بحرف. وقال صالح بن محمّد الأسدي ما رأيتُ أحداً أجرأ علىٰ الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس، فيقلب بعضه علىٰ بعض. وقال أيضاً: ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين: سليمان الشاذكوني ومحمّد بن حميد. وقال أبو زرعة: كان يتعمّد الكذب. وقال ابن خراش: حدّثنا ابن حميد، وكان والله

---

١ . لسان الميزان ١ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

٢ . الحديث المقلوب: الحديث الّذي يُغير فيه لفظٌ من المتن أو اسم الراوي أو نسبه في الاسناد، فيقدّم ما حقّه التأخير، ويؤخّر ما حقّه التقديم ويُبدَّل رواة الحديث.

٣ . تهذيب التهذيب ٢ / ٧٠ ـ ٧٢.

٤ . ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٠. واللفظ ليس له.

٥ . تاريخ بغداد ٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٤.

٦ . تهذيب التهذيب ٩ / ١٢٩ ـ ١٣٠.

يكذب. انتهىٰ. وفي اللآليء: «إنّ محمّد بن حميد كذّبه أبو زرعة»[١].

ثمّ إن أبا هريرة أيضاً مطعون بالكذب في حديثه علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، كذّبه عمر بن خطاب، وقال له: «لتتركن الحديث أو لالحقنّك بارض دوس»[٢]، كما في «كنز العمّال»[٣]. وكذّبته عائشة، كما في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة عن النبيّ ـ ص ـ قال: «الطيرة في الفرس والمرأة والدار»، فغضبت عائشة غضباً شديداً وقالت: ما قاله، وإنّما قال: «أهل الجاهليّة كانوا يتطيّرون من ذلك»[٤]. انتهىٰ.

ثمّ إن من الغلط القول بأنّ القرآن لا خالق ولا مخلوق، فذلك يوجب جعل الواسطة بين الخالق والمخلوق، وبين الواجب والممكن، والقياس العقلي يقضي بأن يكون القرآن مخلوقاً إذا لم يكن خالقاً ولا واجباً.

الحديث الرابع: ما في اللآليء عن الخطيب عن طلحة بن علي عن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي عن أبي عمارة محمّد بن أحمد بن المهدي عن أبي نافع بن كثير عن جعفر بن محمّد بن العابد عن أبي يعقوب الأعمىٰ عن اسماعيل بن يعمر عن محمّد بن عبد الله الأعشىٰ، عن مجالد بن سعيد يقول: سمعت مسروقاً يقول: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «القرآن كلام الله، ليس بخالق ولا مخلوق، فمن زعم غير ذلك فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمّد ـ ص ـ».

قال الخطيب: منكر جدّاً، فيه مجاهيل وأبو عمارة. وقال الدارقطني: ضعيف جدّاً. قلت: قال الذهبي في الميزان: هو موضوع علىٰ مجالد[٥]. انتهىٰ ما في اللآليء.

أقول: قال العسقلاني ـ في «لسان الميزان» ـ: محمّد بن أحمد بن مهدي أبو عمارة،

---

١ . اللآليء المصنوعة ٢ / ٣٠.

٢ . دوس: اليمن.

٣ . كنز العمّال ١٠ / ٢٩١.

٤ . فتح الباري ٦ / ٤٧.

٥ . اللآليء المصنوعة ١ / ٥.

قال أبو الحسن الدارقطني: ضعيف جداً. وقال أيضاً: متروك. وقال الخطيب: في حديثه مناكير وغرائب. أخبرنا طلحة الكناني، حدّثنا أبو بكر الشافعي، حدّثنا أبو عمارة، حدّثنا أحمد بن كثير، حدّثنا جعفر بن محمّد بن العابد، حدّثنا أبو يعقوب الأعمىٰ عن اسماعيل بن يعمر[1] عن محمّد بن عبد الله الأعشىٰ، سمعت مجالداً، سمعت الشعبي، سمعت مسروقاً، سمعت ابن مسعود ـ رض ـ، سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: «القرآن كلام الله، ليس بخالق ولا مخلوق، ومن زعم غير ذلك فقد كفر». قال الخطيب: في اسناده غير واحد مجهول، قلت: وهو موضوع علىٰ مجالد[2]. انتهىٰ.

قلت: وهذا طعن أيضاً في محمّد بن عبد الله الاعشىٰ الواضع للحديث علىٰ لسان مجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود، هذا مضافاً إلىٰ ما في مجالد من الطعن والقدح، قال ابن حجر العسقلاني ـ في التهذيب ـ: مجالد بن سعيد، قال البخاري: كان يحيىٰ بن سعيد يضعّفه، وكان ابن المهدي لا يروي عنه، وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئاً، وقال ابن المديني: قال يحيىٰ بن سعيد: مجالد في نفسي منه شيء، وقال ابن المهدي حديث مجالد ليس بشيء، وقال انّه تغيّر حفظه في آخر عمره. وقال يحيىٰ بن سعيد ـ لبعض أصحابه ـ: أين تذهب؟ قال: إلىٰ وهب بن جرير، أكتب عن مجالد، قال: تكتب كذباً كثيراً. وقال الدوري عن ابن معين: لا يحتجّ بحديثه وانّه ضعيف واهي الحديث. وقال ابن أبي حاتم: قال أبي: لا يُحتجّ بمجالد، وليس مجالد بقوي في الحديث[3]. انتهىٰ.

الوجه الخامس: ممّا ايّدوا به مذهبهم: ما حكاه السيوطي في اللآليء من مناظرة الشافعي مع حفص الفرد، كان حفص من غلمان بشر المريسي، فقال في بعض كلامه: القرآن مخلوق، فقال الشافعي: كفرت بالله العظيم[4]. انتهىٰ.

أقول: لا حجّة لقول مجتهد عن رأيه علىٰ مجتهد آخر ما لم يعتمد علىٰ بيّنة ظاهرة،

---

١. في المصدر: «اسماعيل أبو يعمر».

٢. لسان الميزان ٥ / ٣٧.

٣. تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٩ ـ ٤٠.

٤. اللآليء المصنوعة ١ / ٤.

ومحض المناظرة لا تقوم به الحجّة، مع أنّ رأي الشافعي في نفي خلق الله معارَضٌ برأي أبي حنيفة في خلق القرآن، ففي تاريخ الخطيب عن أبي يوسف قال: أوّل من قال بخلق القرآن أبو حنيفة، وعن سلمة بن عمرو القاضي أنّ أوّل من زعم أنّ القرآن مخلوق أبو حنيفة، وقال أبو القاسم: فقلتُ للبرقي: هذا قول أبي حنيفة؟ قال: نعم. وعن أبي يوسف ـ بسند آخر ـ قال: مات يوم مات أبو حنيفة يقول: القرآن مخلوق. وعن يحيىٰ بن عبد الحميد يقول: سمعت عشرة كلّهم ثقات ـ يقولون: سمعنا أبا حنيفة يقول: القرآن مخلوق. وعن اسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة قال: هو قول أبي حنيفة القرآن مخلوق. وعن أحمد بن يونس قال: كان أبو حنيفة في مجلس عيسىٰ بن موسىٰ، فقال: القرآن مخلوق..... إلىٰ آخر ما في تاريخ الخطيب، ومختصره لابن جزلة[1].

الحديث السادس: ما في «اللآليء» عن الديلمي ـ في مسند الفردوس ـ عن عبد الرزّاق، عن معمّر، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ـص ـ «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فاقتلوه، فإنّه كافر»[2]. انتهىٰ.

أقول: إنّ الحديث كذب واضح مفتعل لا محالة، لأنّ عبد الرزّاق مفروض التشيّع، نصّ عليه ابن الأثير في الكامل[3]، والذهبي في الميزان ـ في ترجمته ـ[4]، وابن حجر في التهذيب وقال: إنّه مردود الحديث لتشيّعه وإنّه مفرط في التشيّع[5] فإنّ صحّت النسبة فالشيعة والمعتزلة مطبقون علىٰ أنّ القرآن مخلوق، لأنّه منزّل ومتلوّ ومقروء ومسموع ومكتوب وذو حروف وأصوات، وكلّ ذلك من أوصاف الحدوث دون القدم، فمع هذه كيف يروي الشيعي عن النبيّ ـصلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـكذباً حديث نفي خلق القرآن؟.

اللّهمّ إلّا أن يكون ذلك منه تقيّة، ومحنة كمحنة البخاري في قوله: «لفظي بالقرآن

---

١ . تاريخ بغداد ١٣ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

٢ . اللآليء المصنوعة ١ / ٥.

٣ . الكامل في التاريخ ٦ / ٤٠٦.

٤ . ميزان الاعتدال ٢ / ٣١٠.

٥ . تهذيب التهذيب ٦ / ٣١٣ ـ ٣١٥.

مخلوق» ـ علىٰ ما في ترجمته ـ، وكمحنة أحمد بن حنبل ـ علىٰ ما ينسب إليه والي غيره ـ من القول بخلق القرآن لما اشتدّ الأمر عليهم من السلطان علىٰ عهد المعتصم العبّاسي.

وأمّا معمَّر عن الزهري، ففي التهذيب ـ للعسقلاني ـ إنّ ما حدّث به معمّر بن راشد بالبصرة فيه أغاليط. وقال يحيىٰ بن معين: إذا حدّث معمَّر عن العراقيّين فخالفوه إلاّ عن الزهري، فإنّه مستقيم[1]. انتهىٰ.

ويمكن أن يكون الكذب في الحديث من عبد الرزّاق علىٰ معمَّر، ففي الميزان ـ للذهبي ـ والتهذيب (للعسقلاني) في الترجمة: انّ عبد الرزّاق لكذّاب، وإنّه من الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً[2].

وفي هامش تاريخ الخطيب: قال النسائي: في عبد الرزّاق بن الهمّام نظر لمن كتب عنه، كتبتُ عنه أحاديث مناكير[3]. انتهىٰ.

وأمّا الزهري، فالقدح في حديثه أوضح وأبين، لانّه كان من ندماء بني أُميّة وجلسائهم ومن أعداء أمير المؤمنين ـعليه السّلام ـ، والآفة منه ومن أقرانه الآخذين بمذهب السلطان. وفي التهذيب أنّ الزهري كان يروي عن عمر بن سعد قاتل الحسين ـعليه السّلام ـ، وانّه عنده ثقة، وفيه أيضاً انّ الزهري كان يعمل لبني أُميّة[4]. وذكر الشيخ عبد الحقّ الدهلوي في كتابه «تحصيل الكمال» انّ الزهري قد ابتلي بصحبة الأمراء، لقلّة الديانة لضرورات عرضت له، وكان أقرانه من العلماء والزهّاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم، فيقولون: ألا ترىٰ ما فيه وتسكت[5]. وفي التهذيب أيضاً ـ عند ترجمة سليمان الأعمش ـ عن ابن معين قال: أجود الاسانيد الأعمش، فقال له إنسان: الأعمش مثل الزهري، فقال ابن

---

١. تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٤٥.

٢. ميزان الاعتدال ٢ / ٦١٠ ـ ٦١٤. تهذيب التهذيب ٦ / ٣١٥. واللفظ له.

٣. لم أعثر علىٰ الهامش المذكور.

٤. تهذيب التهذيب ٧ / ٤٥٠ ـ ٤٥١. مع اختلاف.

٥. لم أعثر علىٰ المصدر.

معين: برئت من الأعمش أن يكون مثل الزهري، الزهري يرىٰ العرض والاجازة، ويعمل لبني أُميّة، والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان[١]. انتهىٰ. وقال الذهبي في الميزان: محمّد بن مسلم الزهري الحافظ الحجّة، كان يدلّس في النادر[٢]. انتهىٰ. وقد مرّ عليك القدح في الزهري بشيء من التفصيل[٣].

ومن هنا ظهر القدح في حديث الديلمي أيضاً في «مسند الفردوس» عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن رافع بن خديج وحذيفة بن اليمان وعمران بن حصين قالوا: سمعنا رسول الله ـ ص ـ يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال غير هذا فقد كفر»[٤]. انتهىٰ.

أقول: وهذا الحديث أورده السيوطي في «اللآليء» ولم يعلّق عليه شيئاً[٥]. لكنّك عرفت ضعف الحديث لوجود الزهري في اسناده.

وأمّا سفيان بن عيينة عن الزهري فنقول: إنّ سفيان هو المدلّس للحديث، علىٰ ما حُكي عن الملاّ علي القاري في كتابه شرح الشرح لنخبة الفكر، قال: قال الشيخ شمس الدِّين محمّد الجزري[٦]: التدليس قسمان: تدليس الاسناد وتدليس الشيوخ، أمّا تدليس الاسناد فهو أن يروي عمّن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه موهماً أنّه سمعه منه، ولا يقول «أخبرنا» وما في معناه، بل يقول: «قال فلان» أو «عن فلان» أو «انّ فلاناً قال» وما أشبه ذلك، ثمّ قد يكون بينهما واحد وقد يكون أكثر، وربّما لم يسقط المدلّس شيخه، لكن يسقط من بعده رجلاً ضعيفاً أو صغير السن لا يحسن[٧] الحديث، وكان الأعمش

---

١ . تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٥.

٢ . ميزان الاعتدال ٤ / ٤٠.

٣ . في الصفحة .

٤ . المصدر مخطوط .

٥ . اللآليء المصنوعة ١ / ٥.

٦ . في المصدر «الخيرزي».

٧ . في المصدر «يحسن».

والثوري وابن عيينة وابن اسحاق وغيرهم يفعلون هذا النوع، ومن ذلك ما حكىٰ ابن حزم[١]: كنّا يوماً عند سفيان بن عيينة، فقال عن الزهري، فقيل: حدّثك الزهري؟ فسكت، ثمّ قال: قال الزهري، فقيل له: سمعته من الزهري؟ فقال: حدّثني عبد الرزّاق عن معمّر عن الزهري[٢]. انتهىٰ.

وقال السيوطي في التدريب: قال فريق من أهل الحديث والفقهاء: من عُرف به ـ يعني بتدليس الاسناد ـ [٣] صار مجروحاً مردود الرواية مطلقاً، وإن بَيَّن السَّماع[٤].

وقال الملاّ علي القاري في شرح الشرح ـ بعد كلامه السابق ـ: وهذا القسم من التدليس مكروه جدّاً، فاعله مذموم عند أكثر العلماء، ومن عرف به فهو مجروح عند جماعة لا تقبل روايته، بَيَّن السَّماع أو لم يُبيّنه[٥]. انتهىٰ.

مضافاً إلىٰ أنّ سفيان بن عيينة اختلط في آخر عمره، ذكره الشيخ عبد الحقّ الدهلوي في «تحصيل الكمال» قائلاً: قال يحيىٰ بن سعيد: أشهدُ أنّ ابن عيينة اختلط في سنة سبع وتسعين ومائة، فمن سمع منه هذه السنة والّتي بعدها فسماعة لا شيء[٦]. انتهىٰ.

ثمّ إنّ هذا الحديث والّذي قبله كلاهما من أحاديث «مسند الفردوس» وإنّ هذا الكتاب مطعون فيه، كما في «منهاج السنّة» ـ لابن تيمية ـ: إنّ كتاب الفردوس فيه من الأحاديث الموضوعات ما شاء الله، ومصنّفه شيرويه بن شهريار الديلمي، وإن كان من طلبة الحديث ورواته، فانّ هذه الأحاديث الّتي جمعها وحذف أسانيدها نقلها من غير

---

١ . في المصدر «ابن حشرم».

٢ . شرح علي القاري علىٰ شرح نخبة الفكر / ١١٧.

٣ . الظاهر انّ الضمير في «به» يرجع إلىٰ «تدليس الشيوخ» لا إلىٰ «تدليس الاسناد»، كما يتّضح ذلك من مراجعة المصدر.

٤ . تدريب الراوي ١ / ٢٢٩. والمذكور عبارة النووي ولعلّ نسبتها إلى السيوطي من جهة تقريره لهذا الكلام.

٥ . شرح علي القاري علىٰ شرح الفكر / ١١٧.

٦ . لم أجد المصدر.

اعتبار لصحيحها وضعيفها وموضوعها، فلهذا كان فيه من الموضوعات أحاديث كثيرة[١]. انتهىٰ.

الحديث السابع: ما في «اللآليء» عن ابن عساكر ـ في تاريخه ـ عن أبي الحسن علي بن السلم القرضي عن عبد العزيز أحمد الصوفي، عن أبي محمّد بن أبي نصر، عن محمّد بن هارون، عن أبي نصر منصور بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك القزويني، عن أبي سليمان عن داود بن سليمان، عن الوليد بن مسلم الدمشقي، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن حسان بن عطيّة، عن أبي الدرداء قال: سألت رسول الله ـ ص ـ عن القرآن، فقال: «هو كلام الله غير مخلوق».

قال أبو نصر: وكان أحمد بن حنبل يقول لأصحاب الحديث: اذهبوا إلىٰ أبي سليمان فاسمعوا منه حديث الوليد بن مسلم، فإنّه لم يروه غيره، وأبو سليمان عندنا ثقة مأمون[٢]. انتهىٰ.

قال الذهبي في الميزان: منصور بن ابراهيم القزويني لا شيء. سمع منه أبو علي بن هارون بمصر حديثاً باطلاً[٣]. قال الحافظ ابن حجر ـ في لسانه ـ هو هذا الحديث[٤]. انتهىٰ.

أقول: ففي اللسان: انّ محمّد بن هارون ـ الّذي أسند إليه الحديث ابن أبي نصر ـ قال عبد العزيز الكناني: كان يُتهم[٥]. انتهىٰ. وفيه أيضاً ـ في ترجمة محمّد بن هارون بن بريرة ـ: قال الدارقطني: إنّه لا شيء. وقال الخطيب: في أحاديثه مناكير. وقال ابن عساكر: يضع الحديث وقال الخطيب عند ذكره حديثه هذا: منكر، وإنّه ذاهب الحديث[٦]. انتهىٰ.

وأمّا داود بن سليمان، ففي تاريخ الخطيب: انّه قَطَنَ بغداد، كذّاب[٧].

---

١. منهاج السنّة النبويّة ٣ / ١٧.

٢. اللآليء المصنوعة ١ / ٥.

٣. ميزان الاعتدال ٤ / ١٨٣.

٤. لسان الميزان ٦ / ٩١.

٥. لسان الميزان ٥ / ٤١١.

٦. لسان الميران ٥ / ٤٠٩.

٧. تاريخ بغداد ٨ / ٣٦٦.

وأمّا الوليد بن مسلم ـ الراوي للحديث عن الأوزاعي ـ، فـفي التهـذيب لابـن حجر ـ: قال المرزوي ـ عن أحمد ـ: كان الوليد كثير الخطأ. قال حنبل ـ عن ابن معين ـ: سمعت أبا مسهر يقول: كان الوليد يأخذ عن أبي السفر حديث الأوزاعي، وكان أبو السفر كذّاباً. وقال مؤمل بن إهاب: كان الوليد بن مسلم يحدِّث حديث الأوزاعي عن الكذّابين ثمّ يدلّسها عنهم، وقال الآجري ـ عن أبي داود قال ـ: الوليد روىٰ عـن مـالك عـشرة أحاديث ليس لها أصل، وقال مهنأ: سألت أحمد عن الوليد، فقال: اختلطت عليه أحاديث ما سمع وما لم يسمع، وكانت له منكرات. وقال الدارقطني: كان الوليد يرسل، فـيُسقط أسماء الضعفاء[1]. انتهىٰ.

الحديث الثامن: ما في اللآليء عن الشيرازي ـ في الألقاب ـ: أنبأنا أبو اسحاق ابراهيم بن علي المكتب، حدّثنا محمّد بن الفضل بن عبد الله الجرجاني، حـدّثنا محـمّد بـن حارث الخولاني ـ يلقَّب بورد ـ، حدّثنا أحمد بن إبراهيم النقلبي، حدّثنا الوليد بن مسـلم به[2]. وأخرجه الخطيب في كتاب «المتّفق» من طريق، وقال: حسان لم يدرك أبا الدرداء، وأحمد بن ابراهيم مجهول[3]. انتهىٰ. ويضاف إلىٰ ذلك ما قد عرفت من القدح في الوليد بن مسلم الدمشقي.

قال السيوطي ـ في اللآليء ـ: وجدت للحديث متابعاً آخر، قال أبو القاسم ابـن بشر في أماليه: حدّثنا أبو الحسن محمّد بن أحمد بن حمّاد بن سـفيان، حـدّثنا محـمّد بـن الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي، حدّثنا أبي بكر بن محمّد بن عيسىٰ ابن سلام الادمي حدّثنا عبد الملك بن عبد ربّه الخواص، حدّثنا الوليد بن مسلم به. قال في الميزان: عـبد الملك بن عبد ربّه الطائي منكر الحديث، وله عن الوليد خبر موضوع. انتهىٰ فـما رأيت لهذا الحديث من طب[4]. انتهىٰ.

---

١ . تهذيب التهذيب ١١ / ١٥٤ ـ ١٥٥.

٢ . به: بالحديث السابع المنسوب إلى النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

٣ . اللآليء المصنوعة ١ / ٥.

٤ . اللآليء المصنوعة ١ / ٦.

أقول: مضافاً إلىٰ أنّ الحديث ينتهي أمره إلى الوليد بن مسلم، وهو مقدوح مجروح، إن في طريق الحديث محمّد بن أحمد بن حمّاد، ففي اللسان: قال ابن عدي: ابن حمّاد متّهم فيما قاله في نعيم بن حمّاد لصلابته في أهل الرأي. وقال حمزة السهمي: سألت الدارقطني عنه فقال: تكلّموا فيه لما تبيّن من أمره الأخير. وقال ابن يونس: انّه كان يُضعَّف. وقال ابن عدي: انّه كان يميل إلى الجُهنية[1]. انتهىٰ.

ثمّ إنّ محمّد بن أحمد بن حمّاد هذا روىٰ الحديث عن محمّد بن الحسين بن حميد اللُّخمي، وفي «لسان الميزان» ـ في ترجمته ـ: قال أبو أحمد الحاكم: كان ابن عقدة يسيء الرأي فيه. وقال ابن عدي ـ عن ابن عقدة ـ كنت عند مطيّن، فمرّ عليه محمّد بن الحسين بن حميد، فقال: هذا كذّاب بن كذّاب[2]. انتهىٰ.

وأمّا ما سمعت في عبد الملك بن عبد ربّه من القدح فقد ذكره ابن حجر في اللسان[3].

الحديث التاسع: ما أورده السيوطي ـ في اللآليء ـ عن ابن النجّار في تاريخه قائلاً: إنّ عبد الوهاب بن عبد الواحد أبا القاسم بن أبي الفرج الانصاري الواعظ شيخ الحنابلة بدمشق حدّث عن والده بحديث منكر، ثمّ أورد الحديث عن والده، قال سمعت والدي يقول: حدّثنا أبو عبّاس أحمد بن قيس المالكي عن علي بن أبي الحسن الصوفي عن أبي أحمد عبد الله بن عبد الحافظ عن هبيل بن محمّد السليحي عن أبي بكر رؤبة بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي حكيم الشامي مرفوعاً: «خيركم من حفظ كتاب الله فعمل به...، وهو كلام الله...، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فمن قال مخلوق فهو كافر»[4]. انتهىٰ.

أقول: لا وزن للحديث بعد شهادة ابن النجّار بأنّه منكر مع ما في سنده من القدح والجرح في كلّ من ضمضم بن زرعة، وشريح بن عبيد، وأبي بكر بن عياش.

---

١ . لسان الميزان ٥ / ٤١ ـ ٤٢.

٢ . لسان الميزان ٥ / ١٣٨.

٣ . لسان الميزان ٤ / ٦٦.

٤ . اللآلي المصنوعة ١ / ٦.

قال العسقلاني في التهذيب: ضمضم بن زرعة بن ثوب الحضرمي الحمصي روىٰ عن شريح بن عبيد، قال أبو حاتم: ضعيف[١]. وقال في التهذيب: شريح بن عبيد روىٰ عن ثوبان وأبي الدرداء وأبي أُمامة والعرباض بن سارية، ومعاوية، والمقدام بن مُعدي كَرَب، والمقداد بن الأسود، وسعد بن أبي وقّاص، وأبي ذر الغفاري، ولم يدركهم[٢]. انتهىٰ. وأمّا أبو بكر بن عيّاش، ففي التهذيب: قيل اسمه رؤبة، وقيل مسلم روىٰ عن أبيه، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة وربّما غلط، وانّ محمّد بن عبد الله بن نمير يُضعِّف أبا بكر في الحديث، وانّه يروي عن ضعيف، وكان يحيىٰ القطّان وعلي بن المديني يسيئان الرأي فيه، وذلك انّه لمّا كبر سنّه ساء حفظه. وقال ابن سعد: كان ثقة، إلاّ أنّه كثير الغلط ـ وقا مهنأ: سألت أحمد عنه، قال: انّ أبا بكر كثير الخطأ جدّاً، قلت: كان في كتبه خطأ؟ قال: لا، كان إذا حدّث مِن حفظه. وقال يعقوب بن شيبة: وفي حديثه اضطراب. وقال علي بن المديني عن يحيىٰ بن سعيد: لو كان أبو بكر بن عياش حاضراً ما سألته عن شيء. وكان يحيىٰ بن سعيد إذا ذُكر عنده كلح[٣] وجهه. وقال أبو نعيم: لم يكن في شيوخنا أحداً أكثر غلطاً منه. وقال البزّاز: لم يكن بالحافظ[٤]. انتهىٰ.

الحديث العاشر: السيوطي ـ في اللآليء ـ:قال ابن عدي حدّثنا العبّاس بن الوليد النرسي عن يحيىٰ بن سليم عن الأزور بن غالب عن سليمان التيمي عن أنس بن مالك، قال «القرآن كلام الله ليس بمخلوق».

قال ابن عدي: هذا منكر، وإن كان موقوفاً، لانّه لا يحفظ للصحابة الخوض في القرآن. وقال الذهبي: الازور منكر الحديث، [أتىٰ][٥] بما لا يحتمل، فكذّب، وهو هذا الاثر[٦]. انتهىٰ.

---

١ . تهذيب التهذيب ٤ / ٤٦٢.

٢ . تهذيب التهذيب ٤ / ٣٢٨.

٣ . كلح: عبس.

٤ . تهذيب التهذيب ١٢ / ٣٤ـ٣٧.

٥ . الزيادة اثبتناها من المصدر.

٦ . اللآليء المصنوعة ١ / ٧.

الحديث الحادي عشر: السيوطي ـ في اللآليء (عن الشيرازي) في الالقاب ـ عن أبي أحمد محمّد بن محمّد الحافظ عن محمّد بن أحمد بن سعيد عن الحسن بن علي التمّار عن أبي علي الحسين بن اسماعيل القاضي عن اسحاق بن محمّد المقزي عن الحسن بن علي الطحان ـ المعروف بـ «لولو» ـ عن محمّد بن أبي السوداء عن وكيع عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود وحذيفة قالا: كنّا عند رسول الله ـ ص ـ، فقال: «كيف أنتما إذا استخفّ الناس بالقرآن؟ أما أنّكما لن تدركا ذلك، إذا استخّف بالقران وقالوا: القرآن مخلوق، برأ الله منهم وجبرئيل، وكفروا بما أنزل عليَّ»[١]. انتهىٰ.

أقول: انّ النظر الثاقب إلىٰ متن الحديث ليدلّك علىٰ أنّه مختلق موضوع، وذكره بهذا الترتيب تدليس وتلبيس، وإتيان للرأي علىٰ صورة الحديث، كما هو فعل الكذّابين المفترين علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فيأتون بالدراية بصورة الرواية، تعميةً علىٰ الجهلة.

ويدلّك علىٰ ذلك خلو الصحاح من كتب الجماعة عن مثل هذه الاحاديث، مع توفّر الدواعي لذكرها لو كانت صحيحة، لانّها حينئذ تكون من الشريعة، فيجب ذكرها فيها ليعتقد بها المؤمن الموحّد، كسائر المعتقدات الّتي تتصدّىٰ لها كتب الحديث، وحيث انّ الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قد كثر وشاع منذ الصدر الأوّل من الاسلام، وضع علماء الحديث أصولاً يُعرف بها الصحيح من السقيم، والصادق عن الكاذب.

ألا ترىٰ إلىٰ ابن الأثير حيث صدّر كتابه «جامع الأصول» ببيان المجروحين والوضّاعين مع اقرارهم بالوضع؟ قال ـ في الفرع الثالث من ذكره طبقات المقدوحين ـ: «ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوىٰ يدعون [الناس][٢] إليه، فمنهم من تاب عنه وأقرّ علىٰ نفسه، قال شيخ من شيوخ الخوارج ـ بعد أن تاب ـ: انّ هذه الاحاديث دينٌ، فانظروا ممّن تأخذون دينكم، فانّا كنّا إذا هوينا أمراً صيّرناه حديثاً. وقال أبو العيناء: وضعتُ أنا

---

١. اللآليء المصنوعة ١ / ٦ـ٧.

٢. الزيادة أثبتناها من المصدر.

والجاحظ حديث فدك، وأدخلناه علىٰ الشيوخ ببغداد، فقبلوه[١]. انتهىٰ.

ونحوه كلام السيوطي في «اللآليء»، وفيه عن ابن الجوزي: أنّ أحمد بن عبد الله الجويباري ومحمّد بن عكاشة الكرماني ومحمّد بن تميم الداري الفاريابي وضعوا علىٰ رسول الله ـص ـ أكثر من عشرة آلاف حديث. وعن ابن أبي شيبة قال: كنت أطوف البيت ورجل ورائي يقول: اللّهمّ اغفر لي وما أراك تفعل، فقلت: يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك، فقال: دعني، فقلت له: أخبرني، فقال: انّي كذبت علىٰ رسول الله ـص ـ خمسين حديثاً، فطارت في الناس، وما أقدر أن أردّ منها شيئاً[٢].

ثمّ إنّ في الاسناد محمّد بن محمّد، ففي «طبقات الحفاظ»: هو الحافظ الامام، روىٰ مناكير عن شيوخ مجاهيل، لم يتابعه عليها أحد، فانكروا عليه وكذّبوه، وحلف أبو سعيد النقاش انّه كان يضع الحديث[٣].

وفي السند أيضاً محمّد بن أحمد بن سعيد، ففي اللسان: قال ابن حجر: محمّد بن أحمد بن سعيد أبو جعفر الرازي لا أعرفه، لكن أتىٰ بخبر باطل هو آفته، وسيأتي تضعيف الدارمي[٤] له ـ في ترجمة محمّد بن أحمد بن مهران[٥]. انتهىٰ. وقال في اللسان ـ في ترجمة ابن مهران ـ: محمّد بن أحمد بن مهران [روىٰ][٦] عن محمّد بن القاسم الطالقاني، و[روىٰ][٧] عنه أبو جعفر محمّد بن أحمد بن سعيد الرازي، ضعّفهم الدارقطني في الغرائب[٨]. انتهىٰ.

وفي السند أيضاً وكيع بن الجراح، وهو مقدوح كما في التراجم، فـفي التهـذيب ـ

---

١ . جامع الأصول ١ / ٧٦.

٢ . اللآليء المصنوعة ٢ / ٤٧٣.

٣ . لم أعثر عليه.

٤ . في المصدر: «الدارقطني».

٥ . لسان الميزان ٥ / ٣٩.

٦ . الزيادة منّا توضيحاً.

٧. الزيادة منّا توضيحاً.

٨ . لسان الميزان ٥ / ٥١.

لابن حجر ـ في ترجمته: قال أحمد بن حنبل: إنّ ابن مهدي أكثر تصحيفاً من وكيع، ووكيع أكثر خطأً منه. وقال ـ في موضع آخر ـ: أخطأ وكيع في خمسمائة حديث. وقال يعقوب بن سفيان: سُئل أحمد إذا اختلف وكيع وعبد الرحمٰن، بقول مَن تأخذ؟ فقال: عبد الرحمٰن يوافق كثيراً، ويسلم منه[1] السلف، ويجتنب شرب النبيذ. وقال حنبل ـ عن ابن معين ـ: رأيتُ عند مروان بن معاوية لوحاً مكتوباً فيه أسماء شيوخ، فلان كذا وفلان كذا ووكيع رافضي. وقال علي بن المديني: كان وكيع يلحن، ولو حدّثتُ[2] بالفاظه لكان عجباً. وقال محمّد بن نصر المروزي: كان يحدّث بآخره من حفظه، فيغيّر ألفاظ الحديث، كأنّه كان يحدّث بالمعنىٰ، ولم يكن من أهل اللسان[3]. وقال الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: ما في وكيع إلّا شربه النبيذ وملازمته له. قال يحيىٰ بن معين: سأل رجل وكيعاً انّه شرب نبيذاً، فرأىٰ في النوم كأن من يقول له: إنّك شربت خمراً. فقال وكيع: ذلك الشيطان[4]. انتهىٰ.

الحديث الثاني عشر: السيوطي في «اللآليء» عن علي بن عاصم عن عمران بن جدير بن عكرمة قال: شهد ابن عبّاس جنازة، فلمّا صُيِّر في قبره، قام رجل وقال: «اللّهمّ ربّ القرآن اغفر لي»، فقال ابن عبّاس: «مه! مه! القرآن منه». وهذا رجاله ثقات[5].

أقول: إنّ عكرمة كذّاب إباضي حروري[6]، علىٰ ما صرّح به الذهبي في «تذكرة الحفّاظ»[7]، وابن خلكان في «وفيات الأعيان»[8]، وياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ـ في

---

١. في المصدر «يسلم عليه».

٢. في المصدر «ولو حدّثَ».

٣. تهذيب التهذيب ١١ / ١٢٥ ـ ١٣١.

٤. تذكرة الحفّاظ ١ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

٥. اللآليء المصنوعة ١ / ٧.

٦. إباضي: خارجي. والحروريّة فرقة متطرّفة من الخوارج.

٧. تذكرة الحفّاظ ١ / ٩٦.

٨. وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٥.

ترجمته ـ[١]. وابن حجر العسقلاني في التهذيب[٢]. وفي الميزان ـ للذهبي ـ: إنّ عكرمة كذّاب، وإنّ علي بن عبد الله بن عبّاس جعل عكرمة موقوفاً بباب الكنيف وقال: إنّ هذا الخبيث يكذب علىٰ أبي...[٣].

الحديث الثالث عشر: السيوطي ـ في «اللآليء» ـ عن أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم ـ في الابانة ـ عن ابراهيم بن علي بن عبد الله القرشي عن عثمان بن محمّد بن ابراهيم المادراي عن أحمد بن محمّد بن موسىٰ عن عبد الكريم بن موسىٰ الهيثم الديرعاقولي عن علي بن صالح الانماطي عن يوسف بن عدي عن محبوب بن محرز عن الأعمش عن ابراهيم بن يزيد عن الحادث بن سويد قال: قال علي ـ رضي الله عنه ـ «يذهب الناس حتّىٰ لا يبقىٰ أحد يقول لا إله إلّا الله، فان فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدِّين ذنبه، فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما تجتمع قَزَع[٤] الخريف»، ثمّ قال: «إنّي والله لا عرف اسم أميرهم، ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق، وليس هو بخالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الربّ عزّ وجلّ، منه بدأ وإليه يعود». هذا الاسناد رجاله ثقات، وبه أتىٰ علي بن صالح[٥]. انتهىٰ.

أقول: ولكن متن الحديث غير مفهوم المراد منه، وهذه آية اختلاقه ووضعه، فقوله «لا يبقىٰ أحد يقول لا إله إلّا الله» لا ينطبق إلّا علىٰ أشراط الساعة، والقائلون بخلق القرآن ـ من الشيعة والمعتزلة ـ هم القائلون بـ«لا إله إلّا الله» من صدر الاسلام من غير إنكار، ويرون أنّ من التوحيد الصحيح القول بمخلوقيّة القرآن. وقوله «ضَربَ يعسوب الدِّين ذنبه...» إن أُريد به دابة الأرض ـ كما في القرآن ـ، فهو الحقّ الفارق بين الكفر والايمان، فمتىٰ قال: القرآن مخلوق فلا محالة هو الايمان، وخلافه هو الكفر، فكيف ينسب إلىٰ علي ـ عليه السّلام ـ القول بانّه ليس بخالق ولا مخلوق.

---

١. معجم الأدباء ١٢ ـ ١٨٢ ـ ١٨٥.

٢. تهذيب التهذيب ٧ / ٣٦٧.

٣. ميزان الاعتدال ٣ / ٩٤ ـ ٩٥.

٤. قَزَع: قطع من السحاب صغار متفرّقة.

٥. اللآليء المصنوعة ١ / ٧.

ثمّ انّ قول القائل انّ القرآن «منه بدأ وإليه يعود» تعليل عليل لا يقوله عاقل، لانّ كلّ ما يبدأ من الله تعالىٰ وإليه يعود لا يلزم أن يكون غير مخلوق، فانّ الخلق جميعاً منه بدأ وإليه يعود لقوله تعالىٰ «كما بدأكم تعودون»[١]، ومع ذلك فهم مخلوقون. علىٰ انّ القرآن هو المعجزة الخالدة لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كسائر معاجز الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ الّتي بدأت من الله تعالىٰ علىٰ أيدي أنبيائه ورسله وأهل الكرامة من خلقه، ولا شكّ انّ جميعها مخلوقة، كما قال عزّ من قائل في موسىٰ ـ عليه السّلام ـ: «فألقىٰ عصاه، فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده، فإذا هي بيضاء للناظرين»[٢]، وقال في عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ: «إنّي أخلق لكم من الطين كهيأة الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله»[٣]، ونحوه تكلّمه ـ عليه السّلام ـ في المهد وقوله «إنّي عبد الله، آتاني الكتاب، وجعلني نبيّاً»[٤]. وهذا الكلام في الحديث بحسب متنه.

وأمّا القول فيه من حيث السند، فنقول: انّه لا يصحّ الاحتجاج به علي من خالفهم في المذهب في القرآن، ولا يمكنهم أن يستندوا إليه عوناً لمذهبهم، فانّ علي بن صالح وأخاه الحسن بن صالح من أعلام الشيعة، كما حكاه ابن سعد في طبقاته[٥]، وذكره الذهبي في الميزان ـ عند ترجمة أخيه الحسن ـ قائلاً: كان أحد الأعلام، وفيه بدعة تشيّع، وكان يترك الجمعة، ويرىٰ الخروج علىٰ الولاة [الظلمة][٦]. وعدّه ابن قتيبة في كتاب «المعارف» من رجال الشيعة[٧]. ومع ذلك فعلي ـ علىٰ ما في لسان الميزان في ترجمته ـ: ضعّفه ابن معين[٨].

---

١. سورة الأعراف / ٢٩.

٢. سورة الأعراف / ١٠٧ ـ ١٠٨.

٣. سورة آل عمران / ٤٩.

٤. سورة مريم / ٣٠.

٥. الطبقات الكبرىٰ ٦ / ٤٠٠. ولم أجد المصدر علىٰ أنّ أخاه حسن كان شيعيّاً.

٦. ميزان الاعتدال ١ / ٤٩٦ ـ ٤٩٧، والزيادة من المصدر.

٧. لم أعثر عليه في المصدر في ترجمته وترجمة أخيه.

٨. لسان الميزان ٤ / ٢٣٤.

وأمّا محبوب بن محرز، ففي التهذيب ـ في ترجمته ـ: قال الدارقطني: ضعيف...[١].

وأمّا الأعمش فانّه من أعاظم شيوخ الشيعة ومحدّثيهم، صرّح بذلك الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل»[٢]، وابن قتيبة في «المعارف»[٣]، والذهبي في الميزان ـ في ترجمة زُبَيد ـ قال: وكان أهل الكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبهم، هم رؤوس محدّثي الكوفة، وعدّ منهم زبيد والأعمش[٤]. فالاعمش عندهم غير محمود المذهب. وأمّا ابراهيم بن يزيد بن عمرو، فقد عدّه ابن قتيبة في «المعارف» من رجال الشيعة[٥].

فهؤلاء لو أتوا بحديث يخالف مذهبهم ـ كحديث نفي خلق القرآن ـ فإنّما يحمل ذلك منهم على التقيّة، كسائر الأحاديث في باب التقيّة من كتاب الصلاة والإفطار يوم العيد والحجّ على طريق أهل السنّة والجهاد مع المخالف وشراء سراريهم وامضاء طلاقهم وغير ذلك. إذ من الضروري أنّ السلطة الجبّارة تجعل السنّة بدعة والبدعة سنّة، ألا ترى إلى السلطة الأمويّة جعلت سبّ علي ـ عليه السّلام ـ والبراءة منه سنّة متّبعة، وانّ سلطة أخرى حصرت المذاهب في الأربعة، وسدَّت أبواب العلم أصولاً وفروعاً على الأمّة؟.

ومن ذلك اختلاق نفي [الخلق] القرآن ـ تقليداً لأبي الحسن الاشعري ـ، ووضعوا لذلك أحاديث لم يكن لها في الصدر الأوّل عين ولا أثر، ولا عدَّ خلافَها أحدُ من الصحابة، بل ولا أئمّة الحديث ولا الفقهاء في كتبهم ومصنّفاتهم من موجبات الكفر، فالصحابة والتابعون يعلمون انّ المكلّفين إذا حضروا [عند] النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وآمنوا بالله وبرسوله لم يتوقّف إيمانهم على معرفة أنّ القرآن مخلوق أو غير مخلوق، ولم يذكر لهم من تلك المعرفة شيئاً، ولو كان نفي خلق القرآن من أركان الدّين ـ

لكن الموجود فيه «قال ابن الجوزي ضعّفوه»، وليس فيه انّ ابن المعين ضعّفه.

١. تهذيب التهذيب ١٠ / ٥٢.

٢. الملل والنحل ١ / ٣٢٥.

٣. لم أجده في ترجمته في المصدر.

٤. ميزان الاعتدال ٢ / ٦٦.

٥. لم أجده في المصدر في ترجمته.

كما يزعم هؤلاء ـ لزم أن يتعرّض النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لبيانه، ليحصل لهم الايمـان بذلك، فإذا عُلم بالوجدان أن هذا لم يكن شرطاً من الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في ايمـان المؤمن، علم انّ اشتراطه في الايمـان من مزاعم أهل البهتان واختلاقهم، كيف لا وآيات الكتاب الحكيم متظافرة علىٰ الإيمـان هو ان تؤمن بالله وملائكته وكـتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت، وليس منها الخوض في مسألة نفي خلق القرآن، سيّمـا مع عدم ورود نصّ صحيح به ليستيقن الّذين أُوتوا الكتاب ويزداد الّذين آمنوا إيمـاناً.

الآيات الصريحة بخلق القرآن

مرّ عليك البحث حول الاحاديث الّتي اختلقتها السياسة الزمنيّة والسلطة الوقتيّة في نفي خلق القرآن، ذكرنا معظمها وكشفنا الستار عن بطلانها وافتعالها، وتركنا يسـيراً منها اكتفاءً بما سنقيمه من أدلّة قاطعة من آيات الكتاب العزيز الصريحـة في نـفي خـلق القرآن، وذلك كقوله تعالىٰ: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر»[١]، وقوله «إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون»[٢]، وقوله: «ما يأتيهم من ذكر من ربّهم مُحْـدَث إلّا اسـتمعوه...»[٣]، ومـن المعلوم بالضرورة انّ المُنَزَّل والمأتي به هو حادث مخلوق.

وقال سبحانه «وكلّم الله موسىٰ تكليمـاً»[٤]، وقال: «منهم مَنْ كلّم الله...»[٥]، وقال تعالىٰ: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حـجاب، أو يـرسل رسـولاً فيوحي بإذنه ما يشاء...»[٦]، أخبر سبحانه أنّه كلّم موسىٰ وعيسىٰ وسائر الأنبياء (عليهم السّلام)، وكلّم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ليلة المعراج، بل وكلّم أهل النار

---

١ . سورة القدر / ١.

٢ . سورة الحجر / ٩.

٣ . سورة الأنبياء ٢.

٤ . سورة النساء / ١٦٤.

٥ . سورة البقرة / ٢٥٣.

٦ . سورة الشورىٰ / ٥١.

و«قال اخسؤا فيها ولا تكلّمون»[١]، وقال: «يا عبادي الّذين أسرفوا علىٰ أنفهسم لا تقنطوا من رحمة الله...»[٢]، وقال: «كذلك أتتك آياتنا فنسيتها...»[٣].

فقول الله تعالىٰ هو كلامه الّذي ألقاه علىٰ متفاهم العرف المركّب من الحروف المسموع الملفوظ الحادث الّذي لم يكن قبله، ومن ذلك وحيه في قوله تعالىٰ «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيّين من بعده، وأوحينا...»[٤]، وقوله «نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك...»[٥].

ومن الوجدان انّ الوحي من أوصاف الحادث دون القديم، وكذلك وصف القران بانّه مسموع، فهو إذاً مخلوق، كما في قوله تعالىٰ: «إنّه استمع نفر من الجنّ، فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً»[٦]، وقوله تعالىٰ: «وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه...»[٧]، دلّ علىٰ أنّ المحرّف والمسموع هو كلامه، ونحوه المنسوخ في قوله تعالىٰ: «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها...»[٨]، وكذلك المقروء والمكتوب والمحفوظ، كما في قوله تعالىٰ «فاقرؤا ما تيسّر منه...»[٩]، قوله: «ولقد يسّرنا القرآن للذكر...»[١٠]، وقوله: «إنّه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لا يمسّه إلّا المطهّرون، تنزيل من ربّ العالمين»[١١]، وقوله: «وان اتلوا القرآن، فمن اهتدىٰ،

١ . سورة المؤمنون / ١٠٨.

٢ . سورة الزمر / ٥٣.

٣ . سورة طه / ١٢٦.

٤ . سورة النساء / ١٦٣.

٥ . سورة الشعراء / ١٩٣ ـ ١٩٤.

٦ . سورة الجن / ١.

٧ . سورة البقرة / ٧٥.

٨ . سورة البقرة / ١٠٦.

٩ . سورة المزمّل / ٢٠.

١٠ . سورة القمر / ١٧.

١١ . سورة الواقعة / ٧٧ ـ ٨٠.

فإنّما يهتدي...»[١]، ومن الضرورة انّ المقروء والمحفوظ والمسموع والمتلو والمكتوب والملموس والمنزَّل هو القرآن، وأوصافه هذه أوصاف المخلوق دون الخالق، وهذا هو الموافق لصريح الكتاب والنقل.

فالقران عند الشيعة عبارة عن قول الله النازل علىٰ رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الّذي أُمر النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بحفظه وكتبه وثبته، وكذلك الخلفاء من بعده إلىٰ الآن، فالوجود الكتبي للقرآن هو عين الوجود اللفظي له، كما في سائر الكتب المصنّفة، ومَن قال بغير ذلك فإنّما ناقَضَ عقله، وما صحّ من نقله، فالمكتوب من التوراة والانجيل والزبور والقرآن هو عبارة عن كلمات الله الثابتة في الألواح النازلة، كما في قوله تعالىٰ: «وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً...»[٢]. وقوله تعالىٰ: «ولمّا سكت عن موسىٰ الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدىً ورحمة..»[٣]، وقوله تعالىٰ: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي...»[٤]، وقوله: «ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله...»[٥].

فلو قالت الأشاعرة: انّ قرانه الّذي هو كلامه سبحانه هو قائم بنفسه، وانّ هذا الموجود في المصاحف ليس من كلامه تعالىٰ، وإنّ الله لم يتكلّم بالقرآن العربي ولا بالتوراة ولا بالانجيل العبري، لانّ ما يكون قديماً يمتنع أن يكون حروفاً وأصواتاً متعاقبة، لا يوجد شيء منها إلّا بعد انعدام سابقها، نظير الحركة.

قلنا لهم: فعند ذلك يمتنع أن يكون الصوت الّذي سمعه موسىٰ ـ عليه السّلام ـ قديماً لم يزل ولا يزال، مع انّ الله أخبر أنّه ـ عليه السّلام ـ لمّا أتىٰ الشجرة ناداه في ذلك الوقت، فكيف يكون نداؤه الّذي هو كلامه أزليّاً أبديّاً ومع ذلك يكون وجدانيّاً نفسيّاً؟، وهو ممتنع الموقوع وممنوع التفاهم عقلاً، فما هو كلام الله غير منفصل عنه، وما هو منفصل

---

١. سورة النمل / ٩٢.

٢. سورة الأعراف / ١٤٥.

٣. سورة الأعراف / ١٥٤.

٤. سورة الكهف / ١٠٩.

٥. سورة لقمان / ٢٧.

عنه لا يكون كلامه كما زعمتم، وهذا رأي شنيع إذ يلزم أن لا يكون قوله ونداؤه كلاماً له، مع انّ كلامه هو نداؤه لا غير، ونداؤه حادث منفصل عنه، قائم به تعالىٰ قيام صدور، كخَلقِه ورزقه، لا قيام حلول، كعلمه، كما توهّم. فهو تعالىٰ القائل «إنّي أنا الله ربّ العالمين»[١]، نظير قوله تعالىٰ: ادعوني استجب لكم...»[٢]، وقوله: «استغفروا ربّكم انّه كان غفّاراً»[٣]، وقوله: «انّني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدوني...»[٤]، وقوله: «وإذ قال ربّك للملائكة...»[٥].

فصريح هذه الآيات انّه تعالىٰ تكلّم بالكلام المذكور كلاً في موقعه الخاصّ، نظير قوله تعالىٰ: «هل أتاك حديث موسىٰ، إذ ناداه ربّه بالواد المقدّس طوىً»[٦]، فكيف يكون كلامه هذا قديماً أزليّاً أبديّاً؟ أم كيف قال الله في الأزل: «يا نوح اهبط بسلام منّا...»[٧]، أو قال: «يا عيسىٰ إنّي متوفّيك ورافعك إليّ...»[٨]، أو قال: «يا أيّها المدّثّر، قم فانذر»[٩]، أو قال: «يا أيّها المزمّل، قم الليل...»[١٠].

والقول بالقدم في هذه الخطابات من الخرافات، وكذلك القول بالكلام النفسي من الاباطيل أيضاً، لانّ القرآن مشتمل علىٰ الاسئلة والاجوبة، وكلّها حادثة من غير شكّ، كقوله تعالىٰ: «يسألونك عن الجبال»[١١]، و «يسألونك عن

---

١ . سورة القصص / ٣٠.

٢ . سورة المؤمن / ٦٠.

٣ . سورة الفتح / ١٠.

٤ . سورة طه / ١٤.

٥ . سورة البقرة / ٣٠.

٦ . سورة النازعات / ١٥ ـ ١٦.

٧ . سورة هود / ٤٨.

٨ . سورة آل عمران / ٥٥.

٩ . سورة المدّثرّ / ١ ـ ٢.

١٠ . سورة المزمّل / ١ ـ ٢.

١١ . سورة طه / ١٠٥.

الساعة»[١] و«يسألونك ما ذا ينفقون»[٢]، و«يسألونك عن الشهر الحرام»[٣]، و«يسألونك عن الخمر والميسر»[٤]، و«يسألونك عن المحيض»[٥]، «ويسألونك عن الأنفال»[٦]، و«يستفتونك، قل الله يفتيكم في الكلالة»[٧].

فتبيّن انّه إذا لم يكن الموجود بأيدينا قرآناً وكلاماً لله تعالىٰ، لزم إما الّا يكون هذا النازل من السماء علىٰ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من كلامه تعالىٰ، بل إمّا من كلام جبرائيل أو من كلام الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، أو أنّ له سبحانه كلامين: كلام قديم قائم بالذات الازليّة غير منفصل عنها، وكلام حادث منزّل علىٰ الرسل، ليُعبَّر به عمّا يراد إفهامه من ذلك المعنىٰ الواحد الّذي لا يتبعّض ولا ينفصل، وهذا اثبات لقرآنين: قرآن قديم، وقرآن حادث مخلوق، وهذا قول شنيع ووقوع في المحذور الأشدّ، وكرٌّ علىٰ ما فرّوا منه من خلق القرآن.

هذا مضافاً إلىٰ انّ الكلام القديم القائم بالنفس المقدّسة أمر وجداني، لا تكثُّر فيه، ولا يوصف بأمر ولا نهي ولا إنشاء ولا إخبار، وإنّما الموصوف به هذه الخطابات والحكايات الملقاة إلى المخاطبين، فان قلنا انّه كلامه وقرآنه، فقد اضطررنا إلى القول بانّ كلامه حادث حسب ما هو المعقول والمنقول، وإن قلنا انّ كلامه ذلك المعنىٰ الواحد، وهو المنشأ للأمر والنهي والطلب فقد أتينا بأمر غير معقول لو لم يرجع كلامه القديم إلىٰ علمه وإرادته، والإرجاع إليه خلاف الفرض عند الاشعري، فانّه اثبت لله تعالىٰ كلاماً هو في عرض أوصافه من العلم والقدرة والارادة، ودون اثباته خَرْط القَتاد[٨].

١. سورة الأعراف / ١٨٧.

٢. سورة البقرة / ٢١٩.

٣. سورة البقرة / ٢١٧.

٤. سورة البقرة / ٢١٩.

٥. سورة البقرة / ٢٢٢.

٦. سورة الأنفال / ١.

٧. سورة النساء / ١٧٦.

٨. دون إثباته خرط القتاد: مثال يُراد به عدم امكان اثبات الشيء. وقد بيّناه سابقاً.

وإنّما الموجود الثابت هو القرآن، وهو مخلوق، والمتكلّم به هو مَن أوجده وألقاه، كسائر الكلمات الملقاة، فلو بنيتم علىٰ أنّها ليست من كلامه وإن كانت من قرآنه، بمعنىٰ انّه لفظ كاشف عن كلامه، قلنا لكم: هل هو حادث أم قديم؟، فلو قلتم: انّه قديم، فقد عارضتم العقل والنقل والوجدان، بدعوىٰ انّ الكاشف الّذي لا يقوم بذاته تعالىٰ قديم، وإن قلتم: انّه حادث مخلوق، فقد عارضتم ما أقمتم عليه الدليل ـ بزعمكم ـ من أحاديث نفي خلق القرآن، وثبت بذلك مطلوبنا.

ومن المضحكات ما في «الملل والنحل» للشهرستاني ـ عند ذكره مذهب الأشعري القائل انّ كلامه تعالىٰ قديم ـ قال: ذهب جمع من الحشويّة إلىٰ أنّ ألفاظ القرآن من الحروف والكلمات والاصوات قديمة[1].

وأطرف من ذلك ما حكاه عن الجاحظ ـ عند ذكره مذهب مهذب الجاحظيه ـ انّه ذهب إلىٰ أنّ القرآن جسد يجوز أن يقلب مرّة رجلاً ومرّة حيواناً، وهذا نحو ما يحكىٰ عن أبي بكر الاصم انّه زعم انّ القرآن جسم مخلوق[2]. انتهىٰ.

قال القوشجي ـ وهو من أعلام العامّة ـ في شرح التجريد: انّ الحنابلة قالوا: كلامه تعالىٰ حروف وأصوات تقوم بذاته وانّه قديم، وقد بالغوا فيه، حتّىٰ قال بعضهم ـ جهلاً ـ: الجلد والغلاف أيضاً قديمان، فضلاً عن المصحف[3]. انتهىٰ.

فهذه الأضاليل والأباطيل ناشئة عن حرمانهم عن مهبط الوحي الإلٰهي، وانقطاعهم عن أهل بيت العصمة والطهارة، وعن عدم التدبّر في الآيات القرآنيّة الصريحة في خلق القرآن. أفمن المعقول أنّ الله نادىٰ موسىٰ ـ عليه السّلام ـ بكلام نفسي من دون توسيط كلام لفظي مسموع مفهوم، فهل اصطفاه بكلام نفسي يستوي فيه كلّ أحد، أم خصّه بما فيه اصطفاؤه في قوله تعالىٰ: «وإنّي اصطفيتك عن الناس برسالاتي وبكلامي...»[4].

---

١. الملل والنحل ١ / ١٣١.

٢. الملل والنحل ١ / ١٠١ ـ ١٠٢.

٣. الشرح الحديث / ٢١٣.

٤. سورة الأعراف / ١٤٤.

والمعتزلة وافقتنا في انّ الموجود في المصاحف هو القرآن، وهو كلامه الّذي كلّم به أنبياءه، فإن كان كذلك فهو مخلوق لا محالة، فالشيعة قاطبة لا تزيد شيئاً وراء العقل والنقل والحسّ والوجدان.

[أهل السنّة وتحريف القرآن]

تخرّصاتهم حول تحريف القرآن: انّ ممّا تخرّص به الجماعة وافتروا به علىٰ الشيعة ما ألصقوه بهم من القول بتحريف القرآن الكريم، قال ابن تيمية ـ في منهاجه ـ: اليهود حرّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرّفوا القرآن[1]. انتهىٰ.

أقول: إنّ الشيعة يقولون: إنّنا كلّما ذكرنا من التغيير والتحريف شيئاً فإنّما هو عن كتب أهل السنّة إحتجاجاً عليهم، فإنّ أوّل من جمع القرآن عندهم هو عثمان ومن أعانه علىٰ جمعه، فإن كان فيه نقص أو تصحيف فهو من فعله لا من فعل الشيعة.

أمّا الشيعة فهم بريؤن من هذا البهتان، فيا ويل من افترىٰ علىٰ أهل الحقّ كذباً، فهذا شيخ الطائفة ـ قُدّس سرّه ـ صرّح في تفسيره «التبيان» بانّ الزيادة والنقصان ممّا لا يليق بالقرآن، لانّ الزيادة فيه مجمع علىٰ بطلانها، والنقصان منه خلاف الصحيح من مذهبنا، كما نصره المرتضىٰ ـ قُدّس سرّه ـ[2]. وتبعه علىٰ ذلك الشيخ الطبرسي في «مجمع البيان»[3]، وهو مذهب شيخنا المفيد ـ عليه الرحمة ـ في إرشاده[4]، وشيخنا الصدوق ـ عليه

---

١. منهاج السنّة النبويّة ١ / ٧.

٢. التبيان ١ / ٣.

٣. مجمع البيان ١ / ٣٨.

٤. لم أجده في المصدر. نعم، نفىٰ الشيخ المفيد وقوع التحريف في القرآن في «أوائل المقالات» / ٥٥ ـ ٥٦.

الرضوان ـ في معتقداته[1].

ولكن ممّن صرّحوا بوقوع الاختلاف في نفس ما أُنزل من الله تعالىٰ من وجوه العامّة وعظمائهم وأوليائهم من الصحابة كثيرون، منهم: عمر بن الخطّاب وابنه عبد الله، وعثمان، وابن عبّاس، وعبد الرحمان بن عوف، وأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسىٰ الأشعري، وحذيفة، وأبو وافد الليثي، وجابر بن عبد الله، وزيد بن أرقم، وعائشة، وحفصة. ومن التابعين: سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والزهري، وذر بن حبيش، وعبد الله بن ذرير، ومجاهد.

وسيأتي ذهاب عثمان، وعائشة، وابن عبّاس، وأُبي بن كعب، وسعيد بن جبير، والضحّاك بن مزاحم، وحمزة بن الزيّات إلى الجزم بخطأ الكاتب لما بأيدينا من مصحف عثمان، وسوف تقف علىٰ أقوال هؤلاء وآرائهم في تحريف القرآن.

وممّن تصدّىٰ لضبط أحاديث الاختلاف والتحريف والتغيير في القرآن من علماء السنّة وأرباب صحاحهم وأئمّة الحديث والرواة هم: البخاري ومسلم في الصحيحين، والترمذي، وابن الانباري في «المصاحف»، وابن مردويه، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «السنن»، والطبراني، وأحمد في المسند، وأبو يعلىٰ، وابن الاثير في «جامع الاصول». وابن الضريس في «الفضائل»، ومالك بن الانس في «الموطأ»، والسيوطي في «الاتقان» و«الدرّ المنثور»، وابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»، والقسطلاني في «ارشاد الساري لشرح البخاري»، وعلي المتّقي في «كنز العمّال» ومنتخبه، والفخر الرازي في تفسيره، والزمخشري في «الكشّاف»، وفخر الدِّين الزيلعي في «تبيان الحقائق في شرح كنز الدقائق»، والنسائي، والفاريابي، وابن ماجة، والثعلبي، وابن عساكر، وابن جرير الطبري، وابن أبي شيبة، وعبد بن الحميد، وابن حبان، والبزّار، وابن المنذر، وأبو عبيد، وسفيان الثوري، وابن جريج، ومحمّد بن نصر المرزوي، وعطاء، وحمّاد، وابن أبي

---

١ . اعتقادات / ١٠٦.

داود، وأبو داود، والشيخ عبد الحقّ الدهلوي، وغير هؤلاء من المصنّفين وأهل الحديث[١]، من غير اختصاص بالشيعة، فأهل السنّة هم الّذين أوردوا أحاديث نقص القرآن عن كلّ من: عمر، وابن عمر، وأُبي بن كعب، وعثمان، وغيرهم، كما سيأتي

أوّل من جمع القرآن علىٰ ما نزل أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ

اجمعت الشيعة علىٰ أنّ أوّل من جمع القرآن حسب ترتيب نزوله من غير خطأ فيه هو أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، وإنّه هو المحفوظ عند أولاده المعصومين، وإنّه المودع عند الإمام المهدي المنتظر ـ عليه السّلام ـ، وإنّه المعمول به عند ظهوره، وإنّه ـ عليه السّلام ـ هو الّذي يحمل الناس عليه عامّة.

وإنّ المذهب الشيعي علىٰ انّ هذا القرآن الموجود عند كافة المسلمين هو القرآن المنزّل من السماء علىٰ قلب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وإنّه ممّا يجب العمل علىٰ طبقه، وإنّه الحجّة من الله، حسب ما تواترت به الأحاديث عن أئمّتنا ـ عليهم السّلام ـ، وهذا ما نعتقده، وعليه إجماعنا وإجماع المسلمين.

وممّن صرّحوا بانّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ هو أوّل من جمع القرآن بترتيب نزوله من غير تغيير ولا تبديل، هم جمع من العامّة والخاصّة:

١ / ففي «الصواعق المحرقة» في الفصل الرابع ـ لابن حجر ـ: إنّه أخرج ابن أبي داود عن محمّد بن سيرين قال: لمّا توفي رسول الله ـ ص ـ أبطأ عليٌ عن بيعة أبي بكر، فلقيه أبو بكر، فقال: أكرهت إمارتي؟ فقال: لا، ولكن آليتُ[٢] ألاّ أرتدي ردائي إلاّ إلى الصلاة حتّىٰ أجمع القرآن. فزعموا انّ كَتَبَه علىٰ تنزيله.

---

١ . سيأتي ذكر نماذج من كلام هؤلاء بالنسبة لتحريف القرآن.

٢ . آليتُ: حلفتُ.

قال محمّد بن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم[١]. انتهىٰ.

وأورده ـ أيضاً ـ فيه في الفصل الثاني من باب إمارة أبي بكر[٢].

٢ / وذكر السيوطي ـ في «الاتقان» ـ انّه قال ابن حجر: قد ورد عن علي انّه جمع القرآن علىٰ ترتيب النزول عقيب موت النبيّ ـ ص ـ أخرجه ابن داود. وفي الاتقان أيضاً انّه أخرج ابن أبي داود في المصاحف ـ من طريق ابن سيرين قال: ـ قال علي: لمّا مات رسول الله ـ ص ـ، آليتُ ألاّ آخذ عليّ ردائي إلّا لصلاة جمعة حتّىٰ أجمع القرآن، فجَمَعَه.

٣ / وفيه انّه أخرج ابن الضُّريس عن عكرمة قال: لمّا كان بعد بيعة أبي بكر، قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله. قال: ما أقعدك عنّي؟، قال: رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه، فحدّثتُ نفسي ألاّ ألبس ردائي إلّا لصلاة حتّىٰ أجمعه، فقال [له][٣] أبو بكر: فإنّك نِعمَ ما رأيت. قال السيوطي: وأخرجه ابن أشتَه في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين[٤].

٤ / وأخرج الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» ـ في ترجمة علي ـ عليه السّلام ـ[٥]، والخطيب الخوارزمي في «مناقب علي ـ عليه السّلام ـ»[٦]، والخطيب في «الأربعين»[٧] عن السدي عن عبد خير عن علي ـ عليه السّلام ـ قال: لمّا قُبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أقسمت ـ أو حلفت ـ[٨] ألاّ أضعَ ردائي عن ظهري حتّىٰ أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتّىٰ جمعتُ القرآن. انتهىٰ.

---

١ . الصواعق المحرقة / ١٢٨.

٢ . الصواعق المحرقة / ١٥ ـ ١٦.

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . الاتقان في علوم القران ١ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

٥ . حلية الأولياء ١ / ٦٧.

٦ . مناقب علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ / ٤٩.

٧ . المصدر مخطوط.

٨ . الترديد من الراوي، لا من الإمام ـ بناءً علي صحّة الرواية ـ.

٥ / وفي المشكاة ـ نقلاً عن ابن عبد البرّ القرطبي في «الاستيعاب» باسناده ـ: انّ عليّاً والعبّاس قعدا في بيت فاطمة لمّا بويع أبو بكر، فبعث أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهما من بيت فاطمة، وقال له: «إن أبيا فقاتلهما». قال: فخرج عليّ حتىٰ دخل علىٰ أبي بكر، فقال له: «أكرهت إمارتي»؟ قال: «لا، ولكن آليتُ ألاّ أرتدي بعد رسول الله ـ ص ـ حتّىٰ أحفظ القرآن وأجمعه، فعليه حبست نفسي[1].

٦ / وقال السيوطي في «الاتقان» في طبقات المفسّرين ـ: أمّا الخلفاء، فأكثر من روىٰ عنه منهم عليّ بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدّاً، وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم، كما انّ ذلك هو السبب في قلّة رواية أبي بكر للحديث، ولا أحفظُ عن أبي بكر في التفسير الاّ آثاراً قليلة جدّاً، لا تتجاوز العشرة، وأمّا عليّ فروي عنه الكثير، وقد روىٰ معمّر عن وهب عن أبي الطُفيل قال: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألون عن شيء يكون إلىٰ يوم القيامة إلّا حدّثتكم به، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا أنا [أعلم أ][2]بليلٍ نزلت أم بنهار، في سهل أُم في جَبَل».

قال: وأخرج أبو نعيم ـ في الحلية ـ عن ابن مسعود قال: «إنّ القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف، ما من حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن».

قال: وفي الحلية عن عليّ قال: «والله ما نزلت آية إلّا وعلمتُ فيم أُنزلت، وأين أُنزلت، إنّ ربّي وهب لي عقلاً عقولاً[3]، ولساناً سؤلاً»[4]. انتهىٰ.

أقول: إنّ الأحاديث في اختصاص عليّ ـ عليه السّلام ـ بالقرآن، واختصاص القرآن به، كثيرة ومتواترة، أخرجها الحاكم في «مستدرك الصحيحين»[5]، ومحمّد بن يوسف

---

١ . لم أعثر عليه في المصدر.

٢ . الزيادة من المصدر.

٣ . في المصدر «قلباً عقولاً».

٤ . الاتقان في علوم القرآن ٤ / ٢٠٤. حلية الأولياء ١ / ٦٥ ـ ٦٧.

٥ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٢٤.

الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»، قال وأخرجه الطبراني في معجمه الصغير[١]. انتهىٰ. واليمني الشافعي في كتاب «الاكتفاء»[٢]، وابن حجر المكي في صواعقه، قال: وأخرج الحديث الطبراني في الأوسط[٣]. وفي الصواعق انّه قال النبيّ ـ ص ـ في مرض موته: «أيّها الناس! يوشك أن أُقبض سريعاً، فينطلق بي وقد قدّمتُ إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلّفٌ فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي»، ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها فقال: هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّىٰ يردا عليّ الحوض، فأسألهُما ما خلّفت فيهما»؟. انتهىٰ ما في الصواعق.

وهذا من النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أقصىٰ مراتب إقامة الحجّة علىٰ من حضر عنده في مرض موته، باستخلافه فيهم كتاب ربّهم وعترة نبيّهم، وجعله كلّ واحد منهما مقترناً بالآخر علماً وعملاً غير منفكّين حتّىٰ ورود الحوض.

ثمّ تصريح النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بانّ الكتاب عند علي (عليه السّلام) علىٰ وجه يفيد التخصيص، ومعنىٰ انّ القرآن مع علي ـ عليه السّلام ـ هو أنّ علمه عنده ـ عليه السّلام ـ ظاهراً وباطناً، تنزيلاً وتأويلاً، وناسخاً ومنسوخاً.

فأنت إذا ترىٰ القوم استبدّوا بالأمر، وأعرضوا عن علي ـ عليه السّلام ـ في جمعه القرآن، بل طلبوا القرآن وعلمه من غير أهله، ممّن لم يضمن له النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ولم يصحّح عمله، وممّن كان أقصىٰ جهده أن أخذ القرآن من أفواه الرجال، وفيهم المؤمن والمنافق والصادق والكاذب ومن يسهو ويغلط أو ينسىٰ أو ينقل بالمعنىٰ أو يغيّر الالفاظ، فيحرَّف القرآن قهراً، فهل يعذر هذا الجامع للقرآن أو يعذر متابعوه في إعراضهم عن معدن المعرفة بالقرآن وباب علم النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بالأمر الإلٰهي ومن ضمن له الله تعالىٰ علىٰ لسان نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ صحّة عمله؟

---

١ . كفاية الطالب / ٢٠٧.

٢ . المصدر مخطوط.

٣ . الصواعق المحرقة / ١٢٣.

وليس إعراضهم عن قرآن عليّ ـ عليه السّلام ـ إلّا كتركهم النصوص الّتي نصّ بها النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علىٰ خلافته؟

فلو قيل انّ لغير عليّ ـ عليه السّلام ـ ماله من القرآن، وذلك كعثمان. قلنا: فما بال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أعرض عن غير عليّ، وترك قوله «إنّ القرآن مع فلان وفلان»؟.

سيرة عثمان في جمع القرآن

إنّ عثمان عمد إلى المصاحف كلّها، فألّفَ منها مصحفه، وحمل الناس عليه، ثمّ طبخ بقيّة المصاحف بالماء. ومن حديث البخاري ـ في صحيحه في باب جمع القرآن ـ انّه أحرق بقيّة الصحف بالنّار، وعن ابن النديم ـ في الفهرست ـ قال: حتّىٰ إذا نسخ عثمان المصحف ردّ الصحف إلىٰ حفصة، وأرسل إلىٰ كلّ أرض مصحفاً ممّا نسخوا، وأمر بكلّ ما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق[1]. وفي «تاريخ الخميس» (للديار البكري) و«الرياض النضرة» ـ للمحبّ الطبري ـ: انّ عثمان أحرق مصحف ابن مسعود ومصحف أُبي بن كعب، وجمع الناس علىٰ مصحف زيد بن ثابت، [و][2] لمّا بلغ ابن مسعود انّه أحرق مصحفه، وكانت نسخة له عند أصحابه بالكوفة، أمرهم بحفظها، وقال لهم: قرأتُ سبعين سورة، وان زيد بن ثابت لصبي من الصبيان[3]. انتهىٰ.

وفي محاضرات الراغب الإصفهاني: أحرق عثمان مصحف ابن مسعود، وابن مسعود كان يقول: لو ملكتُ كما ملكوا، لصنعتُ بمصحفهم مثل الّذي صنعوا بمصحفي[4]. انتهىٰ.

وفي «تاريخ اليعقوبي»: وجمع عثمان القرآن، وصَيَّر الطوال مع الطوال، والقصار مع القصار من السور، وكتب في جَمع المصاحف من الآفاق حتّىٰ جُمِعت، ثمّ سلقها بالماء الحارّ

١. الفهرست / ٤٣.

٢. الزيادة أثبتناها من المصدر.

٣. تاريخ الخميس ١ / ١٥. الرياض النضرة ٢ / ١٤١. واللفظ له.

٤. محاضرات الأدباء ٤ / ٤٣٣.

والخلّ، فلم يبق مصحف إلّا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود، وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه...»[١] انتهىٰ.

أقول: انّ أصحّ المصاحف وأجمعها بعد مصحف أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ مصحف ابن مسعود، وذلك بشهادة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الّذي لا ينطق عن الهوىٰ، وشهادة الصحابة وأئمّة الحديث الّذين رووا عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بأسانيد معتبرة أنّه قال: «تمسّكوا بعهد ابن أُم عبد»[٢]. رواه ابن الأثير في «أُسد الغابة» ـ في ترجمة ابن مسعود ـ[٣] وانّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: رضيتُ لكم ما رضي لكم ابن أُمّ عبد. رواه الحاكم في «المستدرك»[٤] والذهبي في تلخيصه[٥]. وفي حديث آخر عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: من سرّه أن يقرأ القرآن كما أُنزل فليقرأ علىٰ قراءة ابن أُمّ عبد. رواه أحمد في مسنده[٦].

ومن حديث ابن ماجة ـ عند ذكره فضائل الصحابة من سننه ـ: انّ أبا بكر وعمر بشّراه انّ رسول الله ـ ص ـ قال: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزل، فليقرأ علىٰ قراءة ابن أمّ عبد». قال السندي في حاشيته: الغضّ الطري الّذي لم يتغيّر[٧].

قلت: وذلك دليل صريح كاشف عن غاية اعتناء ابن مسعود بضبط القرآن، وانّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إئتمنه علىٰ ضبط ما أُوحي إليه، وأمر الناس باتّباعه في قرآنه، ولم يكن عثمان ولا غيره ممّن سبقه، فكيف يكون معاوية ضابطاً للقرآن أو جامعاً له في عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حتّىٰ يأمر ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ

---

١. تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٠.

٢. ابن أُمّ عبد هو عبد الله بن مسعود.

٣. أُسد الغابة ٣ / ٣٥٨.

٤. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ٣١٩.

٥. تلخيص المستدرك ٣ / ٣١٩.

٦. مسند أحمد بن حنبل ١ / ٢٦.

٧. سنن ابن ماجة ١ / ٤٩.

بالأخذ به والقراءة عليه؟

وفي كتاب «الاستيعاب» ـ لابن عبد البرّ القرطبي ـ انّ قرآن ابن مسعود هو القرآن الّذي أنزله جبرئيل علىٰ النبيّ ـص ـ في السنّة الّتي قُبض فيها، فعلم ابن مسعود من آياتها وكلماتها المنسوخة من غير المنسوخة. وفيه: انّ النبيّ ـص ـ أتىٰ بين أبي بكر وعمر، وعبد الله يصلّي، فقال ـص ـ: «من أحبّ أن يقرأ القرآن [غضّاً][1] كما أُنزل، فليقرأ علىٰ قراءة ابن أُمّ عبد». وفيه عن وكيع وعن جماعة معه عن الاعمش عن أبي ضبيان قال: قال لي عبد الله بن عبّاس: أيُّ القراءتين تقرأ؟. قلت: القراءة الأولىٰ، قراءة ابن أُمّ عبد. فقال لي: بل[2] هي الآخرة، انّ رسول الله ـص ـ كان يعرض القرآن علىٰ جبرئيل في كلّ عام مرّة، فلمّا كان العامّ الّذي قُبض فيه، عرضه عليه مرّتين، فحضر ذلك عبد الله، فعلم ما نُسخ من ذلك وما بُدِّل[3]. انتهىٰ.

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم ـ: انّ أبا موسىٰ الاشعري قال: لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحَبْر[4] بين أظهرنا من أصحاب محمّد ـص ـ، يعني ابن مسعود. وفي حديثه الآخر قوله: ما دام هذا الحَبْر فيكم. وفي الحلية ـ أيضاً ـ عن أبي البحتري قال: قالوا لعليّ: حدِّثنا عن أصحاب محمّد ـص ـ. قال: عن أيّهم؟ قالوا: عن ابن مسعود. قال: عَلِمَ القرآن والسنّة ثمّ انتهىٰ. وكفىٰ بذلك علماً. وفيها في حديث آخر: سئل عليّ بن أبي طالب عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن، ثمّ وقف بعده، وكفىٰ[5].

وفي «صحيح مسلم» ـ في فضائل ابن مسعود وصحّة مصحفه ـ: عن أبي الأحوص قال: كنّا في دار أبي موسىٰ مع نفر من أصحاب عبد الله وهم ينظرون في مصحف، فقام عبد الله، فقال أبو مسعود: ما أعلمُ رسولَ الله ترَكَ بعدَهُ أعلمَ بما أنزل الله

---

١ . الزيادة أثبتناها من المصدر.

٢ . في المصدر «اجل».

٣ . الاستيعاب ٣ / ٩٩٠ـ ٩٩٢.

٤ . الحَبر: العالم.

٥ . حلية الأولياء ١ / ١٢٩.

من هذا القائم، فقال أبو موسىٰ: أمَا لئن قلت ذاك، لقد كان يشهدُ إذا غبنا، ويُؤذَنُ إذا حُجبنا[١].

وفيه وفي «صحيح البخاري» عن مسروق عن عبد الله قال: والّذي لا إله غيره! ما من كتاب الله سورة إلّا أنا أعلم حيثُ نزلت، وما من آية إلّا أنا أعلم فيما أُنزلت، ولو اعلمُ أحداً هو أعلمُ بكتاب الله منِّي تبلُغُهُ الإبلُ، لركبتُ إليه»[٢].

تساهل الأصحاب في جمع الكتاب

أورد السيوطي في «الاتقان» ـ عن فوائد الديرعاقولي ـ عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن زيد بن ثابت قال: قُبِضَ رسول الله ـ ص ـ ولم يكن القرآن جُمع في شيء[٣]. انتهىٰ.

وفي المحاضرات ـ للراغب الاصفهاني ـ: عن زيد بن ثابت قال: دعاني أبو بكر وقال: «إنّك رجل شاب، وقد كنت تكتبُ الوحي لرسول الله ـ ص ـ، فاجمع القرآن واكتبه»، ففعلت[٤].

وفي «الاتقان» ـ أيضاً ـ: أخرج ابن [أبي][٥] داود من طريق الحسن انّ عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، قُتِل يوم اليمامة. فقال: «إنّا لله»، وأمر بجمع القرآن، فكان أوّل من جمعه في المصحف. وفيه ـ أيضاً ـ: انّه أخرج ابن أبي داود من طريق يحيىٰ بن عبد الرحمان بن حاطب قال: قدِم عمر فقال: «من [كان][٦] تلقىٰ من رسول الله ـ صلّى الله عليه ـ شيئاً [من القرآن][٧] فليأت به». وكانوا يكتبون ذلك في

---

١. صحيح مسلم ٤ / ١٩١٢. كتاب: فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود.

٢. صحيح مسلم ٤ / ١٩١٣. كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود. واللفظ له.
صحيح البخاري ٦ / ٩٩. كتاب: فضائل القرآن، باب القرّاء من أصحاب النبيّ ـ ص ـ.

٣. الاتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٤.

٤. محاضرات الأدباء ٤ / ٤٣٣.

٥. الزيادة من المصدر.

٦. الزيادة من المصدر.

٧. الزيادة من المصدر.

المصحف والألواح والعُسُب[١]، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتّىٰ يشهد شهيدان.

وأخرج ابن أبي داود ـ أيضاً من طريق هشام بن عُروة عن أبيه انّ أبا بكر قال لعمر وزيد: «اقعدا علىٰ باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله تعالىٰ فاكتباه»[٢]. انتهىٰ. وهذا الحديث رواه السيّد محمود الآلوسي ـ أيضاً ـ في تفسيره «روح المعاني»[٣].

وفي «الاتقان»: أخرج ابن أشتة ـ في المصاحف ـ عن الليث بن سعد قال: أوّل من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلّا بشاهدَي عدل، وإنّ آخر سورة «براءة» لم توجد إلّا مع خُزيمة بن ثابت، فقال: «اكتبوها، فانّ رسول الله ـ ص ـ جعل شهادته بشهادة رجلين، [فكُتِبَ]، وانّ عمر أتىٰ[٤] بآية الرجم، فلم يكتبها، لأنّه كان وحده[٥]. انتهىٰ.

أقول: المفهوم من صحيح هذه الأحاديث اُمور، منها: ـ

أولاً: انّ القرآن لم يكن مجموعاً مرتّباً مضبوطاً بسوره وآياته وكلماته في صدر خلافة أبي بكر، بل وعمر إلىٰ عثمان، وهذا كاشف عن تساهل الاصحاب وتسامحهم، حيث اكتفوا بالثبت في الصدور، الأمر الّذي يؤدّي حتماً إلىٰ الإندراس والإنطماس والذهاب والنسيان، أو التغيير عمداً أو خطأً، وقد لاحظ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ذلك، فَعيَّن جمعاً من أصحابه لكتابة ما يوحىٰ إليه مضبوطاً غير مدسوس فيه، ومع ذلك فقد عرض عليه التغيير والتبديل، فكانوا يحرّفون الكلم عن مواضعه اتّباعاً لليهود، كما أخبر النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في قوله: لتتبعن سنَّة من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل[٦].

---

١. العُسُب: جريد النخل الّذي كشط خوصه. ـ كان المتداول سابقاً تكشيط الخوص والكتابة علىٰ الطرف العريض منه ـ.

٢. الاتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٦ ـ ١٦٧.

٣. روح المعاني ١ / ٢١.

٤. ما أثبتناه هو الصحيح، وما في بعض النسخ غير هذا، تصحيف.

٥. الاتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨.

٦. كنز العمّال ١١ / ١٧٠.

الثاني: انّ أبا بكر أوّل من جمع القرآن، وإنّه لم يوجد عنده قرآن مرتّب مجموع تامّ، يشهد بذلك حديث الراغب في محاضراته وحديث السيوطي في «الاتقان» من قول أبي بكر لعمر ولزيد بن ثابت: «اقعدا علىٰ باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين...». وكذلك لم يكن لعمر قرآن مضبوط يرجع إليه، ولهذا كان يسأل عن الآيات والحروف، كما تقدّم وسيأتي من الاحاديث. وكذلك لم يكن لزيد بن ثابت قرآن محفوظ ـ بالرغم من كونه كاتباً للوحي ـ، وإلاّ لما احتاج إلى السؤال، ولا افتقر إلىٰ إقامة البيّنة علىٰ ما جاء به مدّعي الآية أو السورة.

الثالث: انّ قوله «وكانوا يكتبون في الألواح والعُسُب...» صريح في تفرّق أجزاء القرآن بين ما كتب منها في الصحف والألواح والاكتاف، وبين ما كان محفوظاً في صدور الناس، مع ما كان يعرض عليهم من الموت أو القتل أو السهو أو النسيان أو الخروج عن المدينة إلىٰ غيرها من البلدان أو تصرّف المنافقين في الآيات أو العمل فيها بالنظر والاجتهاد، كما يشهد بذلك ما وصل إلينا من خلوّ مصحف ابن مسعود وأُبي بن كعب عن المعوذتين، وفي محاضرات الراغب قال: واسقط ابن مسعود من مصحفه أُمّ القرآن والمعوّذتين[١]. وفي «مسند أحمد» عن عبد الرحمان بن يزيد قال: كان عبد الله يَحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: «انّهما ليستا من كتاب الله تعالىٰ»[٢]. انتهىٰ.

ومن المعلوم انّ مثل هذه الحوادث تسبب ضياع القرآن، سيّما بالنظر إلىٰ أخذهم آخر سورة براءة من خزيمة بن ثابت ذي الشهادة من دون شهادة عدلين بذلك، وعدم قبولهم شهادة عمر في درج آية الرجم لكونه واحداً، مع انّه من العشرة المبشّرة عندهم، فكيف بغير عمر ممّن كان عنده القرآن وخاف علىٰ نفسه أن تردّ شهادته ولم يقبلوا ذلك منه، فلم يظهره.

والظاهر انّه لم يكن عند عمر أيضاً قرآن مرتّب مجموع، ففي «كنز العمّال» انّ عمر

---

١ . محاضرات الأدباء ٤ / ٤٣٤.

٢ . مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٢٩.

وجد مصحفاً في حجر غلام فيه «النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أبوهم»[١]، فقال: حكّها يا غلام. فأبىٰ عليه وقال: هي مصحف أُبي. فانطلقا إليه، فقال ابي: شغلني القرآن، وشغلك الصفق[٢] بالأسواق، إذ تعرض رداءك علىٰ عنقك بباب ابن العجماء[٣]. وفي «كنز العمّال» انّ عمر ردّ علىٰ أُبي بن كعب قراءة آية، فقال أبي: لقد سمعتها من رسول الله ـص ـ وأنت يُلهيك الصفق بالاسواق[٤].

وفيه و[في] منتخب الكنز انّه قرأ أُبي بن كعب «ولا تقربوا الزنا، إنّه كان فاحشة وساءَ سبيلاً، إلّا من تاب فانّ الله كان غفوراً رحيماً»[٥]، فأتاه عمر، فسأله [عنها][٦]، فقال: «أخذتُها من فيِّ رسول الله ـص ـ، وليس لك عمل إلّا الصفق بالبقيع»[٧]. وفي «كنز العمّال» و «الدّر المنثور»: انّ أُبي بن كعب قرأ «من الّذين استحقّ عليهم الأوليان»[٨]، فقال عمر: «كذبتَ»[٩]، فقال: «أنت أكذب»، فقال رجلٌ: «تكذّب أمير المؤمنين!؟»، قال: «أنا أشدُّ تعظيماً لحقّ أمير المؤمنين منك، ولكن كذّبتُه في تصديق كتاب الله، ولم أصدق أمير المؤمنين في تكذيب كتاب الله»، فقال عمر «صدق»[١٠].

«الدرّ المنثور» ـ عند تفسير سورة البقرة ـ وفي تفسير القرطبي عن نافع عن ابن

---

١ . كلمة «وهو أبوهم» ليست من القرآن، والّذي منه: «النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمّهاتهم...» الأحزاب / ٦.

٢ . الصفق: البيع.

٣ . كنز العمّال ٢ / ٥٦٩. مع اختلاف غير مخلّ بالمقصود.

٤ . كنز العمّال ١٣ / ٢٦٢.

والّذي فيه «وأنت يُلهيك يا عمر! الصفق بالبقيع».

٥ . جملة «إلاّ من تاب ....» ليست من القرآن، بل الآية تنتهي بكلمة «ساء سبيلاً». الاسراء / ٣٢.

٦ . الزيادة من المصدر.

٧ . كنز العمّال ٢ / ٥٦٨. منتخب كنز العمّال ٢ / ٤٣.

٨ . سورة المائدة / ١٠٧.

٩ . سبب تكذيب عمر انّه كان يرىٰ أنّ الآية هكذا «من الّذين استحق عليهم الأوليين».

١٠ . كنز العمّال ٢ / ٥٩٦. الدر المنثور ٢ / ٣٤٤.

عمر: انّ عمر تعلّم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة[١]، فلمّا ختمها نحر جزوراً[٢].

وفي كتاب «تنوير الحالك شرح الموطأ لمالك»: انّه أخرج الخطيب فيما رواه عن مالك عن ابن عمر قال: «تعلّم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلمّا ختمها نحر جزوراً»[٣] انتهىٰ.

أحاديث القوم في كيفيّة جمع القرآن

جاء في «صحيح البخاري» ـ باب جمع القرآن من كتاب فضائل القران ـ عن ابن شهاب عن عبيد بن السبّاق: انّ زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطّاب عنده، فقال أبو بكر انّ عمر أتاني فقال: «ان القتل قد إستَحَرَّ[٤] يوم اليمامة بقُرّاء القرآن، وإنّي أخشىٰ أن يَستَحَرَّ القتلُ بالقُرَّاء بالمواطن،، فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن».

قلتُ لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله»؟ قال عمر «هذا والله خير». فلم يزل عمر يراجعني حتّىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك رأي عمر. قال زيد: قال أبو بكر: «إنّك رجل شابٌ عاقل، لانتَّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـص ـ، فتتّبع القرآن، فاجمعه».

فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل عليَّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: «كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ـص ـ؟» قال: «هو والله خير»، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتّىٰ شرح الله صدري للّذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبّعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف[٥] وصدور الرجال، حتّىٰ وجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي

---

١. المقصود ـ كما يفهم من كلمات عدد من أعلام العامّة ـ انّ عمر تعلَّم معرفة قراءة القرآن خلال هذه الفترة، وليس المقصود انّه تعلّم تفسيرها وتأويلها... في هذه الفترة، كما حلم به البعض.

٢. الدرّ المنثور ١ / ٢١. الجامع لأحكام القرآن ١ / ١٥٢. واللفظ للأوّل.

٣. تنوير الحوالك ١ / ٢٠٩.

٤. استَحرَّ: كثُر.

٥. اللِّخاف: الأحجار الرقاق البيض.

خزيمة الانصاري ـ لم أجدها مع أحد غيره ـ «لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتّم...»[١] حتّىٰ خاتمة البراءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتّىٰ توفّاه الله، ثمّ عند عمر في حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر[٢]. انتهىٰ.

وفي البخاري أيضاً ـ باب كاتب النبيّ (ص) عن ابن شهاب انّ ابن السبّاق قال: انّ زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر، قال: «إنّك كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ ص ـ فاتّبع القرآن»، فتتبعتُ حتّىٰ وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الانصاري، لم أجدهما مع أحد غيره: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم...»[٣].

قال العسقلاني في «ارشاد الساري» عند قول البخاري «فتتبّعتُ آي القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال» ـ كما في الباب السابق ـ: وفي رواية ابن عيينة عن ابن شهاب: «القصب والعُسُب والكرانيف[٤] وجرائد النخل»، وفي رواية شعيب: «من الرِّقاع» وعند عمارة بن غزية، «وقِطَع الاديم»[٥]. وقال أيضاً عند حديث البخاري «انّ القتل قد استَحَرَّ يوم اليمامة» انّ المقتول من الصحابة في واقعة اليمامة سبعمائة أو أكثر، وانّ المقتول منهم أيضاً سالم مولىٰ حذيفة ـ وهو أحد القُرّاء الأربعة الّذي أمر النبيّ ـ ص ـ باتّباعهم وأخذ القراءة منهم، كما في الصحيحين ـ. وقال عند قول زيد «فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال...»: انّما قال زيد ذلك خشية من التقصير[٦]. انتهىٰ.

أقول: إنّ سبب خشيته وخوفه من التقصير من أوّل يوم، مع انّه كان كاتب الوحي، إذ لم يهتمّ بضبط القرآن وجمعه حتّىٰ يوجد عنده قرآن مجموع متّبع، كي لا يخاف الفوت عليه، ولا يحتاج إلىٰ الاستعانة بغيره في الجمع والتتبّع واستفراغ الوسع فيما هو

---

١. سورة البراءة / ١٢٨.

٢. صحيح البخاري ٦ / ٩٥ ـ ٩٦، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

٣. صحيح البخاري ٦ / ٩٦، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبيّ ـ ص ـ.

٤. الكرانيف: أصول سعف النخل الّتي تبقىٰ في الجذع بعد قطع السعف من النخلة.

٥. الاديم: الجلد المدبوغ.

٦. إرشاد الساري ٧ / ٥٣٣.

المتفرق من القرآن عند الناس. وهذا اعتماد منهم علىٰ قرآن غير مأمون عن الفوت والتضييع، وكيف يوثق باصحاب الرقاع وصدور الرجال مع تفرّقهم في البلاد وقتلهم في الغزاة، ومن فيهم الجاهل الغافل والساهي والمنافق والمرتدّ، فيكتم من القرآن ما لا يلائم مقصوده، وهذا أيضاً ممّا يوجب تحريف القرآن بالزيادة والنقصان.

ومن هنا ذهبت الاماميّة إلىٰ لزوم كون الحافظ للقرآن شخصاً معصوماً عن الخطأ، فيعتمد عليه في القرآن وما هو المراد منه. ولا تجدي العدالة فقط، لانّ أقصاها انّها تمنع التعمّد في التحريف والضياع، ولا تمنع السهو والغلط خطأً. ولهذا توافيك أنباء نقص القرآن ولحنه وغلطه في أحاديث الجماعة الواردة في فَقد آية الرجم وآية رضاع الكبير، ونقص سورة الاحزاب، وما دلّ علىٰ أنّ عثمان لم يكتب من المصحف إلّا ما تمكّن منه، فكلّ ذلك شواهد علىٰ نقص ما جمعه زيد بن ثابت ونسبه إلىٰ عثمان، وأنىٰ له بجمع القرآن مع انّه لم يطلع من آياته إلّا علىٰ ما شهد به شاهدان، فكيف بجزئيات ألفاظ الآية، كلفظة «فامضوا إلىٰ ذكر الله» مكان «فاسعوا»[1]، أو «وطلع منضود» مكان «وطلح منضود»[2] أو قوله «وتجعلون شكركم» بدل قوله «وتجعلون رزقكم انّكم تكذّبون»[3]، إلىٰ غير ذلك من التغيير والتبديل في الألفاظ حسب ما بلغنا الخبر فيه، فكيف بما لم نطّلع عليه[4]، أو وافقه اجتهاد عثمان أو زيد بن ثابت عليه، ولم يكن في الحقيقة من القرآن[5]؟

ثمّ انّ الصدر الأوّل أعرضوا عن مصحف أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، مع انّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «أقرؤكم أُبي بن كعب»، وقال ـ صلّى الله

---

١ . سورة الجمعة / ٩.

٢ . سورة الواقعة / ٢٩.

٣ . سورة الواقعة / ٨٢.

٤ . سيأتي ذكر تفصيل هذه الأنباء والأخبار نقلاً عن الكتب المعتمدة عند السنّة.

٥ . مقصود المصنّف أنّ لازم الاعتماد علىٰ الاخبار المذكورة في الكتب المعتمدة عند السنّة هو القول بوقوع تغييرات كثيرة وكبيرة في القرآن، بينما انّ المذهب الشيعي الّذي يرفض هذه الاخبار بشكل كامل، لا يجد دليلاً علىٰ وقوع أيّ تغيير في القرآن.

عليه وآله وسلّم ـ: «خذوا القرآن من أربعة...»، وعَدَّ منهم أُبي بن كعب وابن مسعود وسالم ـ مولىٰ حذيفة ـ، كما في البخاري[١]، وانّ سالماً هذا قتل في واقعة اليمامة ومعه غيره من القُرّاء، والحَفَظَة، فلم يكن عند الجماعة أصل تامّ محفوظ، إلىٰ أن قتل كثير من حفّاظهم في حرب اليمامة وبئر معونة، ففزع لذلك عمر، مضافاً إلىٰ حوادث أُخَر. وسيأتي انْ سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان يوم اليمامة، فقال: «إنّا لله»، وأمر بجمع القرآن[٢].

وفي تاريخ أبي الفداء: قتل من المسلمين في قتال مُسيلمة جماعة من القـرّاء من المهاجرين والانصار، ولما رأىٰ أبو بكر كثرة من قتل، أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال وجريد النخل والجلود، وترك المكتوب عند حفصة بنت عمر زوجة النبيّ ـ ص ـ، ولمّا تولّىٰ عثمان ورأىٰ اختلاف الناس في القرآن، كتب من ذلك المكتوب الّذي كان عند حفصة نُسَخاً، وأرسلها إلىٰ الأمصار، وأبطل ما سواها[٣]. انتهىٰ.

وغاية ذلك انّ عثمان جمع ما وجد عند الناس، دون ما فقد بفقد الحفّاظ، ولا برهان علىٰ عدم تطرّق الضياع إلىٰ ذلك، مع إمكانه أيضاً، بل هو واقع، ففي «الاتقان» و «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ: أخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن الانباري ـ في المصاحف ـ عن ابن عمر قال: «لا يقولَنَّ أحدكم قد أخذتُ القرآن كلّه، ما يدريه ما كلُّه، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن يقل قد أخذتُ ما ظهر منه[٤]. انتهىٰ. ولا يمكننا تأويل كلام ابن عمر بالحمل علىٰ منسوخ التلاوة، فإنّ المنسوخ لا يُعدُّ قرآناً ولا تثبت كتابته في المصحف، فكيف يحمل عليه قوله «قد ذهب منه قرآن كثير»؟.

إنكار ابن مسعود علىٰ عثمان وزيد

جاء في «صحيح البخاري» ـ باب ذكر القرّاء من أبواب جمع القرآن ـ عن شقيق بن

---

١ . صحيح البخاري ٦ / ٩٩، كتاب فضائل القرآن، باب القُرّاء من أصحاب النبيّ ـ ص ـ.

٢ . وسبق ذكره أيضاً.

٣ . المختصر في أخبار البشر ١ / ٥٧.

٤ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٢.

سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: «والله لقد أخذتُ من فيِّ رسول الله ـص ـ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبيّ ـص ـ أنّي [مِن][1] أعلمهم بكتاب الله»[2]. انتهىٰ. قال القسطلاني في الشرح: وإنّما قال ابن مسعود ذلك لمّا أُمر بالمصاحف ان تُغيَّر وتكتب علىٰ المصحف العثماني، وساءه ذلك وقال: «أفأترك ما أخذتُ من فيِّ رسول الله ـص ـ»؟. رواه أحمد وابن أبي داود من طريق الثوري وإسرائيل وغيرهما عن أبي اسحاق [عن] خُمَير بن مالك[3]. انتهىٰ.

وفي «صحيح مسلم» عن شقيق عن عبد الله انّه قال: «ومن يغل يأت بما غلّ يوم القيامة»[4]، ثمّ قال: علىٰ قراءة مَن تأمروني أن أقرأ؟، فلقد قرأتُ علىٰ رسول الله ـص ـ بضعاً وسبعين سورة، لقد علم أصحاب رسول الله ـص ـ أنّي أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أنّ أحداً أعلم منّي لرحلتُ إليه. قال شقيق: فجلستُ في حِلَق[5] أصحاب محمّد ـص ـ، فما سمعت أحداً يَرُدُّ ذلك عليه ولا يعيبه[6]. انتهىٰ.

وفي «جامع الأصول» ـ لابن الأثير ـ بالاسناد إلىٰ عُبيد الله بن عبد الله بن مسعود انّ ابن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال: «يا معشر المسلمين! أُعزل نسخَ المصاحف، ويتولاّها رجل؟ والله لقد أسلمتُ وانّه لفي صُلبِ رجل كافر» ـ يريد زيد بن ثابت ـ. ولذلك قال عبد الله بن مسعود: «يا أهل القرآن! اكتموا المصاحف الّتي عندكم وغُلّوها، فانّ الله يقول: «ومن يغلل يأت بما غَلَّ يوم القيامة»[7]، فألقوا الله بالمصاحف»[8]. انتهىٰ.

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . صحيح البخاري ٦ / ٩٩ ، كتاب فضائل القرآن، باب القُرّاء من أصحاب النبيّ ـص ـ.

٣ . ارشاد الساري ٧ / ٥٤٤.

٤ . سورة آل عمران / ١٦١.

٥ . حِلَق: بين.

٦ . صحيح مسلم ٤ / ١٩١٢ ، كتاب الفضائل، باب فضائل عبد الله بن مسعود.

٧ . سورة آل عمران / ١٦١.

٨ . جامع الاصول ٤ / ٦٢.

وفي «فتح الباري [بـ] شرح البخاري»: وفي رواية انّه ـ يعني ابن مسعود ـ قال: «انّي غال[١] مصحفي، فمن استطاع أن يغلل مصحفه فليفعل». وعند الحاكم من طريق أبي ميسرة قال: رحتُ فإذا أنا بالأشعري وحذيفة وابن مسعود، فقال ابن مسعود: «والله لا أدفعه ـ يعنىمصحفه ـ، اقرأني رسول الله ـص ـ...» فذكره[٢].

وفي «حلية الأولياء» ـ لأبي نعيم، في ترجمة ابن مسعود ـ عن خمير بن مالك قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: أخذت من فيِّ رسول الله ـص ـ سبعين سورة، انّ زيد بن ثابت لصبي من الصبيان، وأنا أدَعُ ما أخذتُ من فيِّ رسول الله؟. رواه الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق مثله. وفيه عن أبي سعيد الازدي انّه سمع عبد الله بن مسعود يقول: لقد تلقّيتُ من فيِّ رسول الله ـص ـ سبعين سورة، احكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت، وله ذؤابتان[٣] يلعب مع الغلمان. وفيها: أنّه قال لي رسول الله ـص ـ: إنّك غلام معلم، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد[٤].

عمر وطعنه في زيد بن ثابت

جاء في منتخب الكنز: انّ عمر بن الخطّاب استأذن يوماً علىٰ زيد بن ثابت، فاذن له، ورأسه في يد جارية تُرجِّله[٥]، فنزع رأسه، فقال عمر: دعها تُرجِّلك، قال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ لجئتك، فقال عمر: ليس هو بوحي تزيد أو تنقص، إنّما هو شيء نتراءه، فان رأيتُه ووافقتني تبعتُه، وإلاّ لم يكن عليك شيء. فأبىٰ زيد، فخرج عمر مغضباً[٦]. انتهىٰ.

---

١ . غالّ: كاتم.

٢ . فتح الباري ٩ / ٣٩.

٣ . في المصدر «ذؤابة».

٤ . حلية الأولياء ١ / ١٢٥. والمنقول بالمضمون.

٥ . تُرَجِّله: تُسرِّح شعره وتنظِّفه وتُحسِّنه.

٦ . لم أجده في المنتخب، بل الّذي بعده هذا في المنتخب ٢ / ١٩٦. ولعلّ الاشتباه وقع عند الاستنساخ، وهذا موجود في نفس كنز العمّال ١١ / ٦٣. لكن الّذي فيه مختلف مع ما هنا بنحو مخلٍّ بالمعنىٰ.

وفي «كنز العمّال» انّه كان بين عمر وأُبي بن كعب خصومة،فتحاكما إلىٰ زيد بن ثابت، فلمّا دخلا عليه، وسع زيد لعمر في صدر فراشه، فقال: ها هنا يا أمير المؤمنين!، فقال عمر: هذا أوّل جور جُرتَ في حكمك، ولكن أجلسُ مع خصمي، فجلسا بين يديه، فادّعىٰ أُبي، وأنكر عمر، فقال زيد لأُبي: اعفِ أمير المؤمنين عن اليمين، فحلف عمر، ثمّ أقسم: لا يدرك زيدٌ القضاء حتّىٰ عمر ورجل من المسلمين عنده سواء. رواه سعيد بن منصور في «السنن»، والبيهقي في سننه، وابن عساكر في تاريخه[١]. انتهىٰ.

شهادة الأصحاب بنقصان سورة الأحزاب

أورد السيوطي ـ في «الاتقان» ـ عن زِرّ بن حُبيش قال: قال أُبي بن كعب: كأيِّن تعدّ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثاً وسبعين آية. قال: إن كانت لتعدِل سورة البقرة، وإن كنّا لنقرأ فيها آية الرجم. قلت: وما آية الرجم؟. قال: «إذا زنيا الشيخ والشيخة، فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم»[٢].

وفي «الاتقان» ـ أيضاً ـ عن أبي عُبيد قال: حدّثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تُقرأ في زمن رسول الله ـ ص ـ مأتي آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّا علىٰ ما هو الآن[٣]. انتهىٰ.

وفي محاضرات الراغب انّ عائشة قالت: كانت الاحزاب تُقرأ في زمن رسول الله ـ ص ـ مأتي[٤] آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف، لم يقدر إلّا علىٰ ما أُثبت، وكان فيها آية الرجم[٥]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج عبد الرزّاق في «المصحف»، والطيالسي وسعيد بن

---

١ . كنز العمّال / ٥ / ٨٠٨. والمنقول بالمضمون.

٢ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٢.

٣ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٢.

٤ . في المصدر: مائة.

٥ . محاضرات الأدباء ٤ / ٤٣٤.

منصور، وعبد الله بن أحمد ـ في «زوائد المسند» ـ، وابن منيع، والنسائي، والدارقطني (في «الافراد»)، وابن منذر، وابن الانباري ـ في «المصاحف» ـ، والحاكم (وصحّحه)، وابن مردويه، والضياء - في «المختارة» ـ عن زِر قال: قال لي أُبي بن كعب: كيف تقرأ سورة الأحزاب، أو كم تعدُّها؟. قلت: ثلاثاً وسبعين آية. فقال أُبي قد رأيتها وانّها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم»، فرفع منها رفع. وأخرج عبد الرزّاق عن الثوري قال: بلغنا انّ أناساً من أصحاب النبيّ ـص ـ كانوا يقرؤن القرآن أصيبوا يوم مسيلمة، فذهبت حروف من القرآن[1]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور» أخرج ابن الضريس عن عكرمة قال: كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة أو أطول، وكانت فيها آية الرجم. وأخرج البخاري ـ في تاريخه ـ عن حذيفة قال: قرأت سورة الاحزاب علىٰ النبيّ ـص ـ فنسيت منها سبعين آية، ما وجدتها. وأخرج أبو عبيدة، في «الفضائل» ـ وابن الأنباري وابن مردويه عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبيّ ـص ـ مأتي آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّا علىٰ ما هو الآن[2]. انتهىٰ.

فظهر بما ذكرنا بطلان ما قاله المولوي عبد العزيز الدهلوي في «التحفة الاثنىٰ عشريّة» ـ تبعاً لنصر الله الكابلي في «الصواقع» ـ انّ القول بتحريف القرآن ونقصان سورة الأحزاب من متفرّدات الشيعة[3].

وليس كما زعم، ففيما مرّ مطاعن ابن مسعود وعمر من زيد بن ثابت ومصحفه، وشهادة الاصحاب بنقصان سورة الاحزاب، وترك آية رجم الشيخ والشيخة عن كلّ من

---

١. الدرّ المنثور ٥ / ١٧٩.

٢. الدرّ المنثور ٥ / ١٨٠.

٣. التحفة الاثنى عشريّة / ٥٩.

والّذي فيه نسبة تحريف القرآن إلى الشيعة، ولم أعثر علىٰ نسبة تحريف سورة الاحزاب بالخصوص.

أُبي بن كعب وحذيفة وعائشة وعروة بن الزبير وعكرمة، فمن أين يجعل ذلك من مذهب الشيعة؟

وقد أخرج الحاكم ـ في «مستدرك الصحيحين» ـ عن أبي حرب بن الاسود قال: بعث أبو موسىٰ الأشعري إلىٰ قرّاء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُرّاؤهم، فاتلوه، ويطولَنَّ بكم الأمر، فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنّا كنّا نقرأ سورةً كنّا نشبّهها في الطول والشدّة ـ بـ «براءة»، فنسيتها، وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها بإحدىٰ المسبّحات، أوّلها «سبحان لله ما في السماوات» فنسيتها[1]. انتهىٰ. قال العلاّمة جلال الدّين السيوطي في «الدرّ المنثور»: أخرج مسلم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن أبي موسىٰ الأشعري... فذكر مثله[2].

وفي «صحيح مسلم» ـ باب «لو أنّ لابن آدم واديين» من كتاب الزكاة ـ: عن أبي موسىٰ الاشعري قال لقرّاء أهل البصرة: إنّا كنا نقرأ سورة كنّا نشبّهها في الطول والشدّة بـ «البراءة»، فانسيتها، غير أنّي قد حفظت منها «لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغىٰ وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب»، وكنّا نقرأ سورة نشبّهها باحدىٰ المسبّحات، فانسيتها، غير أنّي حفظت منها: «يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم ،فتسألون عنها يوم القيامة»[3]. انتهىٰ.

وفي «الإتقان» ـ للسيوطي ـ: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسىٰ الأشعري قال: كنّا نقرأ سورة نشبّهها باحدىٰ المسبّحات فأُنسيناها، غير أنّي حفظت «يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة»[4]. انتهىٰ.

ولا يخفىٰ انّ هذه الاحاديث صريحة في نقصان سورتين طويلتين كاملتين من المصحف الّذي جمعه أبو بكر أو عمر أو عثمان.

---

١ . لم أجده في المصدر.

٢ . الدرّ المنثور ١٢ / ١٠٥.

٣ . صحيح مسلم ٢ / ٧٢٥، كتاب الزكاة ،باب «لو لا أنّ لابن آدم واديين لابتغىٰ ثالثاً».

٤ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٤.

وذكر الحاكم في «المستدرك» عن ابن عبّاس قال: سألت علي بن أبي طالب: لِمَ لَم تكتب في «براءة» بسم الله الرحمٰن الرحيم؟ قال: «لأنّها أمان، وبراءة نزلت بالسيف...».

وعن مالك: أنّ أوّلها لمّا سقط، سقط معه البسملة، فقد ثبت أنّها كانت تعدل البقرة لطولها. وفيه عن حذيفة قال: ما تقرؤن ربعها، يعني البراءة. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور» أخرج ابن أبي شيبة، والطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه عن حذيفة قال: الّتي تسمّون سورة التوبة هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلّا نالت منه، وما تقرؤن منها ممّا كنّا نقرأ إلّا ربعها. وفيه: أخرج ابن الضريس وأبو الشيخ عن حذيفة قال: ما تقرؤن ثلثها، يعني سورة التوبة[1].

تزييف مقالة الرازي

قال الفخر الرازي ـ في تفسيره عند تفسير سورة البراءة ـ: وعن حذيفة: «انّكم تسمّونها سورة التوبة، والله ما تركت واحداً إلّا نالت منه». وعن ابن عبّاس في هذه السورة قال: «إنّها الفاضحة، ما زالت تنزل فيهم وتنال منهم حتّىٰ خشينا أن لا تدع أحداً...».

ثمّ ذكر السبب في إسقاط التسمية من أوّلها وجوهاً، قال: «الوجه الثالث: انّ الصحابة اختلفوا في أنّ سورة الانفال وسورة التوبة سورة واحدة أو سورتان...، فلمّا ظهر الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيهاً علىٰ قول من يقول انّهما سورتان، وما كتبوا البسملة تنبيهاً علىٰ قول من يقول هما سورة واحدة، وعلىٰ هذا لا يلزم تجويز مذهب الاماميّة، وذلك لانّه لمّا وقع الاشتباه في هذا المعنىٰ بين الاصحاب، لم يقطعوا بأحد القولين وعملوا عملاً يدلّ علىٰ أنّ هذا الاشتباه كان حاصلاً، فلمّا لم يتسامحوا بهذا القدر من الشبهة، دلّ علىٰ أنّهم كانوا مشدّدين في ضبط القرآن من التحريف والتغيير، وذلك يبطل قول الاماميّة»[2]. انتهىٰ.

---

١. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ٣ / ٢٠٨.

٢. التفسير الكبير ١٥ / ٢١٥ـ٢١٦.

أقول: إنّ في كلامه مواقع للتأمّل والنظر:

أمّا أوّلاً: فلما نسبه إلىٰ الإماميّة من مذهب التحريف، مع انّ مذهبهم ليس علىٰ التحريف والتبديل، لا سيّما في آيات الأحكام، بل الاجماع منهم منعقد علىٰ عدم النقص فيها، كما نصّ عليه شيخنا المرتضىٰ الانصاري ـ طاب ثراه ـ في الرسائل (في باب حجّيّة الكتاب، وفي باب التعادل والتراجيح)[1] نظراً إلىٰ تواتر الأحاديث الواردة عن الأئمّة من أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ الدالّة علىٰ ايجاب الأخذ بالراجح من الخبرين المتعارضين إذا كان أحدهما موافقاً لكتاب الله، فلولا حجّيّة الكتاب وكونه مصوناً عن التحريف لما كان وجه لجعله مرجحاً، وعليه فلو خالفت ثلّة شاذة منهم في هذه الجهة، لم يعد القول بخلافهم مذهباً للإماميّة، وهذا نظير الخلاف بين أهل السنّة أنفسهم ومصير جمع منهم إلى التحريف وعليه أحاديثهم في مسطوراتهم، كما عرفت وستعرف.

وأمّا ثانياً: فلمّا صرّح به الفخر عند عدّه اسماء سورة التوبة وانّها تسمّىٰ المخزية والفاضحة والمبعثرة، لانّها تبعثر أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتفضحهم وتنكّل بهم وتشرّدهم وتخزيهم وتدمدم عليهم... ونحوها في «الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ قال: أخرج أبو عبيد وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عبّاس: سورة التوبة، قال: التوبة؟ بل هي الفاضحة، ما زالت تنزلُ فيهم حتّىٰ ظننّا انّه لا يبقىٰ منّا أحدٌ إلّا ذكر فيها. وأخرج ابن منذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عبّاس انّ عمرقيل له: سورة التوبة. قال: هي إلى العذاب أقرب، ما أقلعت عن الناس حتّىٰ ما كانت تدع منهم أحداً. وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال: قال عمر: ما فُرغ من تنزيل براءة حتّىٰ ظننّا أنّه لا يبقىٰ منّا أحدٌ إلّا ستنزل فيه، وكانت تسمّىٰ الفاضحة.

وتسميتها بالفاضحة ليست إلّا لاشتمال آياتها علىٰ بيان مثالب الأصحاب بالتفصيل واحداً بعد واحد، كما هو صريح قول عمر: «ما أقعلت عن الناس حتّىٰ ماكادت تدع منهم أحداً»، وقد حذفت تلك الآيات الصريحة في تشنيع الصحابة.

---

١ . فرائد الاصول / ٦٦ ، ٨١٨.

وأمّا ثالثاً: فنقول: من أين للفخر الرازي أن يحكم ببطلان قول الامـاميّة؟ أمِـن تصريحه بوقوع الاشتباه للاصحاب في خير قرن بانّ سـورة بـراءة سـورتان أم سـورة واحدة؟ أو من عدم تشخيصهم لأحد الأمرين؟ أو من تساهلهم في ضبط القرآن الّذي هو عين الدِّين حتّىٰ بقوا علىٰ الشكّ وعدم اليقين، فوقعوا وأوقعوا الأُمّة في حيرة التحريف والتغيير في مطلع سورة براءة مع اتّصالهم بالنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسـلّم ـ الصـادع بالحقّ ورفع الضلالة، لاسيّمـا مثل عثمان وزيد بن ثابت وقولهم انّهما من كُتّاب الوحي؟ فأي ضبط لهما وهما لم يعلما موضع سورة براءة ولم يستعلما من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ انّها بعض سورة الانفال أو سورة مستقلّة؟

بل مقتضىٰ كلام الفخر عند بيانه الوجه الأوّل من وجوه حذف البسملة من اعتذار عثمان انّ براءة كانت من آخر القرآن نزولاً، فتوفّي النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولم يبيّن موضع التوبة، وكانت قصّتها شبيهة بقصة الأنفال، فقرن بينهما...، هـو انّ الجـمع والوضع والترتيب كان بالاجتهاد والرأي، ولم يكن عندهم قرآن مجموع مضبوط من قبل النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ علىٰ الوجه المنزّل.

وممّا يؤيّد ذلك ما ذكره الفخر الرازي ـ في الوجه الرابع من وجوه اسقاط البسملة وبيان المناسبة بين السورتين ـ من قوله: إنّ الله تعالىٰ ختم سورة الانفال بايجاب الموالاة بين المؤمنين، والانقطاع عن الكفّار والمشركين، وصرّح بهذا المعنىٰ في قوله «براءة من الله ورسوله»، فكان الكلام في احدىٰ السورتين عين الكلام في الأخرىٰ...[1]. فإنّه صريح في أنّ الوضع كان من قبل أنفسهم للعلّة المذكورة، ولكنّه لم يدفع الاشكال بأنّ براءة محرَّفة البسملة، مع تصريح الفخر في هذا الوجه بكونها مع الانفال سورتين متغايرتين، فراجع كلامه[2].

---

١. التفسير الكبير ١٥ / ٢١٦.

٢. لايضاح المقصود نذكر نصّ كلام الفخر الرازي: «انّه تعالىٰ ختم سورة الانـفال بـايجاب ان يـوالي المؤمنون بعضهم بعضاً، وأن يكونوا منقطعين عن الكفّار بالكليّة، ثمّ انّه تعالىٰ صرّح بهذا المعنىٰ في قـوله «براءة من الله ورسوله» فلمّا كان هذا عين ذلك الكلام وتأكيداً له وتقريراً له، لزم وقوع الفاصل بينهما، فكان ايقاع الفصل بينهما تنبيهاً علىٰ كونهما سورتين متغايرتين، وترك كتب «بسم الله الرحمٰن الرحـيم»، بـينهما

ويؤيّد ذلك أيضاً أو يدلّ عليه ما في محاضرات الراغب من أنّه أثبت ابن مسعود بسم الله في سورة براءة[١].

إذاً لم يقم دليل علىٰ بطلان كلام الامامية لو قالوا بانّ القرآن جمعت أجزاؤه حسب آراء الاصحاب وانظارهم، ولذا وقعت موقع التغيير. نعم الثابت عندنا من طريق العترة الطاهرة انّ سورتي براءة نزلت من غير بسملة، كما عرفته من حديث ابن عبّاس عن علي ـ عليه السّلام ـ.

اختلاف المصاحف

قال السيوطي في ـ «الاتقان» ـ: وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتي عشرة سورة لانّه لم يكتب المعوذتين،،وفي مصحف أُبي ستّ عشرة لانّه كتب في آخره سورتي «الحَفْد» و«الخلع».

أخرج أبو عُبيد عن ابن سيرين قال: كتب أُبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين و «اللّهمّ إنّا نستعينك واللّهمّ إيّاك نعبد» وتركهنّ ابن مسعود. وكتب عثمان منهنّ فاتحة الكتاب والمعوذتين.

وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الاسدي عن يحيىٰ بن يعلىٰ الأسلمي عن أبي لهيعة عن ابن هبيرة عن عبد الله بن رزين[٢] الغافقي قال: قال لي عبد الملك [بن مروان][٣]: لقد علمتُ ما حملك علىٰ حبِّ أبي تراب،إلاّ أنّك أعرابي جاف، فقلت: والله لقد جمعتُ القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علّمني منه علي بن أبي طالب سورتين علَّمها إيّاه رسول الله ـ ص ـ ما علمتها أنت ولا أبوك، «اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفُرك ونخلع ونتركُ من يفجُرك، اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعىٰ ونَحفِد، نرجو رحمتك، ونخشىٰ عذابك، إنّ عذابك

تنبيهاً علىٰ أنّ هذا المعنىٰ هو عين ذلك المعنىٰ». التفسير الكبير ١٥ / ٢١٦.

١ . محاضرات الادباء ٤ / ٤٣٤.

٢ . في المصدر «زرير».

٣ . الزيادة من المصدر.

بالكفّار ملحِق».

وأخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري عن ابن جُريج عن عطاء عن عبيد بن عمير انّ عمر بن الخطّاب قنت بعد الركوع فقال «بسم الله الرحمٰن الرحيم،اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك، لا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللّهمّ ايّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعىٰ ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشىٰ عذابك، إنّ عذابك بالكافرين ملحِق». قال ابن جريج: حكمة البسملة أنّهما سورتان في مصحف بعض الصحابة.

وأخرج محمّد بن نصر المروزي ـ في كتاب الصلاة ـ عن أُبي بن كعب انّه كان يقنت بالسورتين، فذكرهما، وانّه كان يكتبها في مصحفه. قال ابن ضريس: أنبأنا أحمد بن حنبل[1] المروزي عن عبد الله بن المبارك: أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمٰن عن أبيه قال: في مصحف ابن عبّاس قراءة أبي موسىٰ «بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللّهمّ إنّا نستعينك، ونستغفرك ونثني عليك، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك» وفيه «اللّهمّ إيّاك نعبد، ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعىٰ ونحفد، ونخشىٰ عذابك، ونرجو رحمتك، إنّ عذابك بالكافرين ملحِق»[2]. انتهىٰ. ونحوه ما في الدرّ المنثور[3].

وكلّ ذلك صريح في سقوط سورتين كاملتين ثابتتين في مصحفين:مصحف أُبي بن كعب ومصحف ابن عبّاس،وعلّمها أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ عبد الله الغافقي ولقّنهما إيّاه، ولم يوجد لهما أثر في مصحف عثمان.

وفي محاضرات الراغب انّ ابن مسعود اسقط من مصحفه أُمّ القرآن والمعوذتين[4]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج عبد بن حميد ومحمّد بن نصر المروزي ـ في كتاب الصلاة ـ وابن الانباري (في «المصاحف») عن محمّد بن سيرين انّ أُبي بن كعب كان يكتب

---

١ . في المصدر «جميل».

٢ . الاتقان في علوم القرآن ١ / ١٨٤ ـ ١٨٥ .

٣ . الدرّ المنثور ٦ / ٤٢٠ـ ٤٢١.

٤ . محاضرات الادباء ٤ / ٤٣٤.

فاتحة الكتاب والمعوذتين و«اللّهمّ إيّاك... واللّهمّ إنّا نستعينك...»، ولم يكتب ابن مسعود شيئاً منهنّ، وكتب عثمان بن عفّان فاتحة الكتاب والمعوذتين[١]. انتهىٰ.

وفي «الاتقان» ـ عند ذكره تواتر القرآن ـ قال: ومن المشكل علىٰ هذا الأصل ما ذكره الامام فخر الدِّين الرازي، قال «نُقل عن بعض الكتب القديمة انّ ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن»، وهو في غاية الصعوبة، لانّا إن قلنا إنّ النقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن، فانكاره يوجب الكفر، وإن قلنا: لم يكن حاصلاً في ذلك الزمان، فيلزم أن يكون القرآن ليس بمتواتر في الأصل[٢]. انتهىٰ.

وفي «الاتقان» أيضاً: قال ابن حجر ـ في شرح البخاري ـ: قد صحّ عن ابن مسعود انكار ذلك، فأخرج أحمد وابن حبّان عنه أنّه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه. وأخرج عبد الله بن أحمد ـ في زيادات المسند ـ والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي اسحاق عن عبد الرحمٰن عن يزيد النّخعي قال: كان ابن مسعود يحكُّ المعوذتين من مصاحفه ويقول: انّهما ليستا من كتاب الله. وأخرج البزّار والطبراني من وجه آخر عنه انّه كان يحكّ المعوذتين من المصحف ويقول: إنّما أمر النبيّ ـص ـ أن يُتَعوّذ بهما، وكان عبد الله لا يقرأ بهما[٣].

هذا وإنّ ما نقل عن ابن مسعود من نفي السورتين لا مجال لقبوله، لورود ثبوتهما في روايات أسانيدها صحيحة. قال البزّار: لم يتابع ابن مسعود علىٰ ذلك أحدٌ من الصحابة، وقد صحّ أنّه ـص ـ قرأهما في الصلاة. قال ابن حجر[٤]: فنقول: فقول من قال انّه كذب عليه، مردودٌ، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مسند لا يقبل، بل

---

١ . الدرّ المنثور ١ / ٢.

٢ . الاتقان في علوم القرآن ١ / ٢٢٠.

٣ . الاتقان في علوم القرآن ١ / ٢٢٠ ـ ٢٢١.

٤ . المذكور في المصدر نقل هذا عن الرازي في تفسيره، لا عن ابن حجر.

الروايات[١] صحيحة[٢]. انتهىٰ.

موقف عائشة وحفصة من مصحف عثمان

ذكر السيوطي في «الاتقان»: انّ في مصحف عائشة «إنّ الله وملائكته يصلّون علىٰ النبيّ، يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً[٣] وعلىٰ الّذين يصلّون الصفوف الأول»، قالت: وذلك قبل أن يغيّر عثمان المصاحف[٤]. انتهىٰ.

وهذا تصريح من أُم المؤمنين عائشة بوقوع التغيير من عثمان في القرآن.

وله من نصّها علىٰ ذلك شاهد آخر، وهو سقوط لفظ «صلاة العصر» عن قوله تعالىٰ: «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وقوموا لله قانتين»[٥]، ففي «صحيح مسلم» ـ في أبواب الصلاة ـ عن أبي يونس (مولىٰ عائشة) انّه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي[٦]، «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة والوسطىٰ» [فلمّا بلغتها آذنتها، فأملت عليَّ: حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ][٧] وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين». قالت عائشة «سمعتها من رسول الله ـص ـ»[٨]. انتهىٰ.

وروىٰ السيوطي في «الدرّ المنثور» قال: أخرج عبد الرزّاق البخاري ـ في تاريخه ـ وابن جرير وابن أبي داود (في «المصاحف») عن أبي رافع ـ مولىٰ حفصة ـ قال: استكتبتني حفصة مصحفاً، فقالت: «إذا أتيت علىٰ هذه الآية، فتعال حتّىٰ أُمليها عليك كما أُقرِئتُها»، فلمّا أتيت علىٰ هذه الآية [حافظوا علىٰ الصلوات][٩] قالت: اكتب: «حافظوا علىٰ

---

١ . في المصدر «الرواية» والألف واللام للعهد الذكري.

٢ . فتح الباري ٨ / ٦٠٤.

٣ . سورة الاحزاب / ٥٦، والبقية ليست من القرآن.

٤ . الاتقان في علوم القرآن ١ / ٢٢١.

٥ . سورة البقرة / ٢٣٨.

٦ . آذنّي: أعلمني.

٧. الزيادة من المصدر.

٨ . صحيح مسلم ١ / ٤٣٨، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر.

٩ . الزيادة من المصدر.

الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر....»، فلقيتُ أُبي بن كعب، فقلت: انّ حفصة قالت كذا وكذا، فقال: هو كما قالت.

وأخرج مالك وأبو عبيدة وعبد بن حميد وأبو يعلىٰ وابن جرير وابن الانباري ـ في «المصاحف» ـ والبيهقي عن عمرو بن نافع، قال: كنت أكتبُ مصحفاً لحفصة زوج النبيّ ـص ـ، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ» فلمّا بلغتها آذنتها، فأملت عليَّ «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»، وقالت: أشهد أنّي سمعتها من رسول الله ـص ـ. وأخرج عبد الرزّاق عن نافع أن حفصة دفعت مصحفاً إلىٰ مولىٰ [لها][1] يكتبه، وقالت: إذا بلغت هذه الآية «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ» فآذنّي، فلمّا بلغها، جاءها، فكتبت بيدها «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر».

وأخرج مالك وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير وابن الانباري ـ في «المصاحف» ـ والبيهقي (في سننه) عن يونس مولىٰ عائشة قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ» [فلمّا بلغتها آذنتها، فأملت عليَّ «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ][2] وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين»، قالت عائشة: سمعتها من رسول الله ـص ـ.

وأخرج عبد الرزّاق وابن جرير وابن أبي داود ـ في «المصاحف» ـ وابن المنذر عن أمّ حميد بنت عبد الرحمان، انّها سألت عائشة عن «الصلاة الوسطىٰ»، فقالت: كنّا نقرؤها في الحرف الأوّل علىٰ عهد النبيّ ـص ـ «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين»[3]. انتهىٰ ما في الدرّ المنثور.

وفي تفسير الفخر الرازي: روي عن عائشة ـ رض ـ انّها كانت تقرأ «حافظوا علىٰ

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . الزيادة من المصدر.

٣ . الدرّ المنثور ١ / ٣٠٢.

الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر»، وانّها عطفت «صلاة العصر» علىٰ «الصلاة الوسطىٰ»...[١].

وذكر ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» انّه روىٰ مسلم وأحمد من طريق أبي يونس عن عائشة انّها أمرته أن يكتب لها مصحفاً، فلمّا بلغتُ «حافظوا علىٰ الصلوات» ـ قال: فأملت عليَّ «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر»، قالت: سمعتها من رسول الله ـص ـ. وروىٰ مالك عن عمرو بن نافع قال: كتبتُ مصحفاً لحفصة، فقالت: إذا أتيت هذه الآية فآذنِّي، فأملت عليَّ «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر»[٢].

انّ هذه الاحاديث باجمعها وكثرتها وشهادة أُمّهات المؤمنين، صريحة في سقوط لفظة «وصلاة العصر» عمّا بأيدينا اليوم من القرآن من غير صحّة التأويل من الحمل علىٰ منسوخ التلاوة من غير دليل.

وفي «الموطأ» ـ لمالك ـ بالاسناد إلىٰ أبي يونس مولىٰ عائشة انّه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً، وانّها أملت «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر»، وقالت: سمعتها من رسول الله ـص ـ.

وفيه ـ أيضاً ـ عن زيد بن أسلم عن عمرو بن نافع[٣] انّه قال: كنتُ أكتب لحفصة مصحفاً، وانّها أملت عليَّ «حافظوا علىٰ الصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»[٤]. انتهىٰ.

أقول: حسبك ما ذكرناه من الأحاديث الصحيحة في كون الساقط من لفظة «وصلاة العصر» قرآناً، لاسيّما بعد اهتمام عائشة وحفصة في إثباته انّه مسموع من رسول الله ـص ـ، ومن المعلوم انّ شهادة واحدة منهما كافية في قبال ما سعىٰ إليه زيد بن ثابت في جمع المصحف، فضلاً عن شهادتهما، وأيّ تواتر حصل لمصحف عثمان مع اعتماده

---

١. التفسير الكبير ٦ / ١٦٠.

٢. فتح الباري ٨ / ١٥٨ ـ ١٥٩.

٣. في المصدر «رافع».

٤. الموطأ ١ / ١٣٨ ـ ١٣٩.

علىٰ الاشهاد والاستشهاد والكتب عن الرقاع وجرائد النخل والسعف، أو نحو ذلك ممّا هو معرّض للتلف.

نقصان القرآن علىٰ أصول الجماعة

لو راجعنا صحاح القوم ومسانيدهم لوجدناها ناطقة بنقصان كثير من الآيات القرآنيّة، سنوافيك بها، وهي كما يلي

١ ـ في «صحيح البخاري» (كتاب الحدود، باب رجم الحبلىٰ من الزنا) عن عمر: «انّ الله بعث محمداً ـ ص ـ بالحقّ، وانزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها، ورجم رسول الله ـ ص ـ ورجمنا بعده، فأخشىٰ أن طال بالناس زمانٌ أن يقول قائل: والله ما نجدُ آية الرجم في كتاب الله، فيَظلُّوا بترك فريضة أنزلها الله، فالرجم في كتاب الله حقّ علىٰ مَن زنىٰ إذا حصن من الرجال والنساء إذا قامت عليه البيّنة...»[١].

في «صحيح مسلم» باسناده إلىٰ عبد الله بن عبّاس أنّه قال عمر بن الخطّاب (وهو جالس علىٰ منبر رسول الله ـ ص ـ): «انّ الله قد بعث محمّداً ـ ص ـ بالحقّ وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أُنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ـ ص ـ ورجمنا بعده، فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلُّوا بترك فريضة أنزلها الله، وإنّ الرجم في كتاب الله حقٌّ علىٰ من زنىٰ إذا أحصن من الرجال والنساء ـ إذا قامت البيّنة أو كان الحَبَل[٢] أو الاعتراف»[٣]. انتهىٰ. قال النووي في الشرح: قوله «آية الرجم» أراد بها «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة...»[٤].

وذكر الراغب في محاضراته ـ في باب ما ادّعي أنّه من القرآن ممّا ليس في المصحف

---

١. صحيح البخاري ٨ / ٢٥، كتاب الحدود، باب الحبلىٰ من الزنا إذا أحصنت.

٢. الحَبَل: الحمل.

٣. صحيح مسلم ٣ / ١٣١٧، كتاب الحدود، باب حدّ الزنا.

٤. شرح صحيح مسلم ٧ / ٢١٢.

ـ انّه روي عن عمر أنه قال: لولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله، لأثبّت في المصحف، فقد نزلت «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالاً من الله، والله شديد العقاب»[1].

وفي «الاتقان ـ للسيوطي ـ: قال (أي أبو عبيد) حدّثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان عن أبي أُمامة بن سهل انّ خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله ـص ـ آية الرجم: «الشيخ والشيخة [إذا زنيا] فارجموهما البتة بما قضيا من اللذّة»[2].

وفي موطأ مالك عن سعيد بن المسيّب قال: لمّا صدر عمر بن الخطّاب من مِنىٰ، أناخ[3] بالأبطح...، ثمّ قدم المدينة فخطب الناس ثمّ قال «أيّها الناس! قد سُنَّتْ لكم السنن، وفرِضَت لكم الفرائض، وتُركتُم علىٰ الواضحة، إلّا أن تضلُّوا بالناس يميناً وشمالاً»، وضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ، ثمّ قال: «إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: إنا لا نجد حَدَّين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ـص ـ ورجمنا، والّذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله، لكتبتُها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» فإنّا قد قرأناها»[4]. انتهىٰ.

وفي «مسند أحمد» باسناده إلىٰ عبد الرحمان بن عوف انّ عمر بن الخطّاب خطب الناس، فسمعه يقول: «ألا إنّ أُناساً يقولون: مابال الرجم وفي كتاب الله الجلد؟ وقد رجم رسول الله ـص ـ ورجمنا بعده، ولولا أن يقول القائلون أو يتكلّم المتكلّمون انّ عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لاثبتها كما نزلت[5]. انتهىٰ.

وأيضاً في المسند بالاسناد إلىٰ ابن عبّاس، قال: قال عمر: إنّ الله بعث محمّداً وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فأخشىٰ أن

---

١. محاضرات الادباء ٣ / ٤٣٤.

٢. الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٣.

٣. أناخ: أبرك الجمل.

٤. الموطأ ٢ / ٨٢٤.

٥. مسند أحمد بن حنبل ١ / ٢٩.

يطول بالناس عهد فيقولون: إنّا لا نجد الرجم فتُترك الفريضة الّتي أنزلها، وإنّ الرجم في كتاب الله حقّ علىٰ من زنىٰ إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت أبينة، أو كان الحَبَل أو كان الاعتراف.

وفي المسند أيضاً عن ابن عبّاس عن عبد الرحمان بن عوف قال: حجّ عمر بن الخطّاب، فأراد أن يخطب الناس خطبة، فقال عبد الرحمان بن عوف: إنّه قد اجتمع رعاع الناس فأخِّر ذلك حتّىٰ تأتي المدينة، فلمّا قدم المدينة، دنوت [منه][1] قريباً من المنبر، فسمعته يقول: «إنّ أُناساً يقولون: ما بال الرجم وإنّما في كتاب الله الجلد، وقد رجم رسول الله ـص ـ ورجمنا بعده. لولا أن يقولوا: أثبت في كتاب الله ما ليس فيه، لأثبتّها كما نزلت»[2]. انتهىٰ.

أقول: قالت الجماعة: انّ الاحاديث المذكورة محمولة علىٰ منسوخ التلاوة من القرآن وبقاء حكمه، لأنّ القرآن لا يأتيه الباطل.

قلنا: ذلك باطل لمنافاته صريح كلام عمر بن الخطاب في حديث المسند وقوله «لاثبتّها كما نزلت»، ولولا أنّ آية الرجم من الآيات القرآنيّة غير المنسوخة، لما جاز لعمر إثباتها وكتابتها في المصحف، فانّ إدراج منسوخ التلاوة في القرآن غير جائز، بل هو أيضاً تحريف وتصحيف، كادخال ما ليس من القرآن في القرآن، نعم إنّ عمر إنّما لم يدرج آية الرجم بمجرّد علمه لعدم تماميّة نِصاب الشهادة من التعدّد.

٢ ـ في «صحيح مسلم» بالاسناد إلىٰ عائشة أنّها قالت «كان فيما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات، ثمّ نُسِخْن بخمسٍ معلومات، فتوفي رسول الله ـص ـ وهنّ فيما يُقرَأ من القرآن»[3]. انتهىٰ.

وفي محاضرات الراغب: إنّ عائشة قالت: لمّا[4] نزلت آية الرجم ورضاع الكبير

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . مسند أحمد بن حنبل ١ / ٥٠.

٣ . صحيح مسلم ٢ / ١٠٧٥، كتاب الرضاع.

٤ . في المصدر «لقد»..

وكانتا في رقعة تحت سريري، وشغلنا بشكاة[1] رسول الله ـص ـ، فدخلت دواجن للحي فأكلته[2]. انتهىٰ.

أقول: وإنّ حمل هذا الحديث علىٰ منسوخ التلاوة ـ كما قيل ـ غير صحيح، إذ لا نسخ بعد النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وقد شهدت عائشة بانّ النبيّ ـص ـ توفي وآية خمس رضعات تُقرأ من القرآن.

وعن كتاب «تبيان الحقائق» شرح كنز الدقائق (عند بيان حرمة الرضاع) قال الشافعي: لا يحرم إلّا بخمس رضعات ـ يعني مشبعات ـ لما روي عن عائشة أنّها قالت: «كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات [يحرِّمن][3]، ثمّ نُسِخْن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ـص ـ وهي فيما يقرأ من القرآن». رواه مسلم[4]. انتهىٰ.

وفي «سنن ابن ماجة» عن عائشة قالت: «نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله ـص ـ وتشاغلنا بموته، دخل داجن، فأكلها»[5]. انتهىٰ.

ومقتضىٰ الجمع بين ما ذكر من الحديث وبين حديث ابن ماجة هو أنّ المجموع من الناسخ ـ أعني خمس رضعات ـ ومن المنسوخ (أعني عشر رضعات) من القرآن وكان متلوّاً، كما أخبرت به عائشة، وكان من القرآن، مكتوباً في مصحفها، وكان تحت سريرها، فأكلته الدواجن عند تشاغلها بموت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

٣ ـ في «الاتقان» (للسيوطي): عن أبي وافد الليثي قال: كان رسول الله ـص ـ إذا أُوحي إليه أتيناه فَعَلّمنا مما أوحي إليه. قال: فجئت ذات يوم، فقال: إنّ الله يقول: «إنّا

١ . شَكاة: مرض.

٢ . محاضرات الأدباء / ٤ / ٤٣٤. مع اختلاف غير مخلّ.

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . تبيين الحقائق ٢ / ١٨١ .

٥ . سنن بن ماجة ١ / ٦٢٦.

أنزلنا [المال][١] لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادياً من ذهب لأحبّ أن يكون إليه الثاني، ولو كان له الثاني لأحبَّ أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب»[٢]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج أبو عبيد وأحمد والطبراني ـ في الأوسط ـ والبيهقي ـ في «شعب الإيمان» ـ عن أبي واقد الليثي قال: كان رسول الله ـص ـ إذا أوحي إليه أتيناه.... وفيه: وأخرج أبو عبيد وأحمد وأبو يعلىٰ والطبراني عن زيد بن أرقم قال: كنّا نقرأ علىٰ عهد رسول الله ـص ـ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضّة، لابتغىٰ الثالث، ولا يملأ بطن ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب».

وأخرج أبو عبيد عن جابر بن عبد الله قال: كنّا نقرأ «لو أنّ لابن آدم ملء واد مالاً لأحبّ إليه مثله، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب».

وأخرج البزّار وابن الضريس عن بريرة، قال سمعت النبيّ ـص ـ يقرأ «لو أنّ لابن آدم وادياً من ذهب لا بتغىٰ إليه ثانياً، ولو أُعطي ثانياً لابتغىٰ إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب». وأخرج ابن الأنباري عن أبي ذرّ قال: في قراءة أُبي بن كعب: «ابن آدم لو أُعطي وادياً من مال لالتمس ثانياً، ولو أُعطي واديين من مال لالتمس ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب»[٣].

وفي «الدرّ المنثور» ـ أيضاً أخرج أحمد والترمذي والحاكم ـ وصحّحه ـ [٤] عن أُبي بن كعب انّ رسول الله ـص ـ قال: إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ «لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب...»[٥]، فقرأ فيها «ولو انّ ابن آدم سأل وادياً من مال، فأعطيته، لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيته، لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ

---

١ . الزيادة من المصدر.

٢ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٣.

٣ . لم أجده في المصدر بالصورة المذكورة، بل يوجد قريباً منها في ٦ / ٣٧٨.

٤ . في المصدر «وصحّحاه».

٥ . سورة البيّنة / ١.

التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب، وإنّ ذات الدِّين عند الله الحنيفيّة، غير المشركة ولا اليهود ولا النصرانيّة، ومن يفعل ذلك فلن يكفره»[١].

وأخرج أحمد عن أُبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ـص ـ: إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك، فقرأ: «لم يكن الّذين كفروا من هل الكتاب والمشركين منفكّين حتّىٰ تأتيهم البيّنة، رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة، [فيها كتب قيمة][٢]، وما تفرّق الّذين أُوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءتهم البيّنة[٣]، إنّ الدِّين عند الله الحنيفيّة غير المشركة ولا اليهوديّة ولا النصرانيّة، ومن يفعل ذلك فلن يكفره». قال شعبة ـ رض ـ: ثمّ قرأ آيات بعدها، ثمّ قرأ «لو أنّ لابن آدم وادياً من مال، لسأل وادياً ثانياً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب»، ثمّ ختم بما بقي من السورة[٤]. انتهىٰ.

وعن «جامع الاصول» ـ لابن أثير ـ عن أُبي بن كعب انّ رسول الله ـص ـ قال: إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ عليه «لم يكن الّذين كفروا...»، وقرأ فيها «إنّ الدِّين عند الله الحنيفيّة المسلمة، لا اليهوديّة ولا النصرانيّة، ولا المجوسيّة، ومن يعمل خيراً فلن يكفره» وقرأ عليه «لو أنّ لابن آدم وادياً من مال، لابتغىٰ إليه ثانياً، ولو أنّ له ثانياً، لابتغىٰ ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب». أخرجه الترمذي[٥].

وفي كتاب «ازالة الخفا عن خلافة الخلفا» ـ تصنيف المولوي الشاه ولي الله الدهلوي ـ عن ابن عبّاس قال: رجل أتىٰ عمر ـ رض ـ يسأله، فجعل عمر ينظر إلىٰ رأسه مرّة وإلىٰ رجليه أخرىٰ هل يرىٰ عليه من البؤس، ثمّ قال له عمر: كم مالك؟ قال: أربعون من الابل، قال ابن عبّاس قلت: صدق الله ورسوله ـص ـ «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغىٰ الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب»، فقال

---

١. الدرّ المنثور ٦ / ٣٧٨.

٢. سورة البيّنة / ١ ـ ٤. والبقيّة ليست من القرآن.

٣. سورة البيّنة / ١ ـ ٤. والبقيّة ليست من القرآن.

٤. الدرّ المنثور ٦ / ٣٧٨.

٥. جامع الاصول ٤ / ٥٢.

عمر ـرض ـ: ما هذا؟ فقلت: هكذا أقرأني أُبي، قال: فمُرَّ بنا إليه، فجاء إلىٰ أُبي فقال: ما يقول هذا؟ قال أُبي هكذا أقرأنيها رسول الله ـص ـ، قال: فـأُثبتها في المـصحف؟ قـال: نعم[1]. انتهىٰ.

وفي محاضرات الراغب: وأثبت ابن مسعود في مصحفه: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغىٰ معهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويـتوب الله عـلىٰ مـن تاب»[2]. انتهىٰ.

قلت: إنّ هذه الأحاديث بصراحتها ناطقة بانّ الآية من الآيات القرآنيّة الثابتة في مصحف أُبي بن كعب ومصحف ابن مسعود، وانّها من تعليم النبيّ ـصلّى الله عـليه وآله وسلّم ـ لأُبي، وإنّ أُبياً قال لعمر «أثبتها في المصحف»، ولو لم يكن من القرآن لما جاز لعمر أن يستجيز في الكتاب، لأنّها زيادة في القرآن، وذلك كفر بالله تعالىٰ.

٣ ـ في «صحيح البخاري»: خطب عمر وقال: الرجم في كتاب الله حقٌّ علىٰ من زنىٰ إذا أُحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة، أو كان الحَبَل أو الاعتراف، ثمّ إنّا كنّا نقرأ فيمـا نقرأ من كتاب الله «أن لا ترغبوا عن آبائكم، فانّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم» أو «إنّ كفراً بكم إن ترغبوا عن آبائكم...»[3].

قال القسطلاني في «إرشاد الساري» عند قوله «أو انّ كفراً بكم...»: [بـ][4] الشكّ فيمـا كان من القرآن[5]. انتهىٰ.

وفي «الاتقان» للسيوطي ـ وأيضاً في «الدرّ المنثور» :انّه أخرج ابن الضريس عن ابن عبّاس قال: كنّا نقرأ «لا ترغبوا عن آبائكم، فانّه كفر بكم، أو انّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم». وأخرج عبد الرزّاق وأحمد وابن حبان عن عمر بن الخـطّاب قـال: إنّ الله

---

١ . لم أجد المصدر.

٢ . محاضرات الادباء ٤ / ٤٣٣.

٣ . صحيح البخاري ٨ / ٢٥، كتاب الحدود، باب رجم الحبلىٰ من الزنا إذا أحصنت.

٤. الزيادة من المصدر.

٥ . ارشاد الساري ١٠ / ١٨.

بعث محمّداً بالحقّ وأنزل معه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، ورجمنا بعده، ثمّ قال: قد كنّا نقرأ «لا ترغبوا عن آبائكم، فانّه كفر بكم إن ترغبوا عن آبائكم». وأخرج الطيالسي وأبو عبيد والطبراني عن عمر بن الخطّاب قال: كنّا نقرأ فيما نقرأ «لا ترغبوا عن آبائكم، فإنّه كفر بكم»، ثمّ قال لزيد بن ثابت: «أكذلك يا زيد»؟ قال: «نعم»[1].

٤ ـ وفي «الاتقان» للسيوطي ـ: عن أبي عبيد: حدّثني ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجُمحي، حدّثني ابن أبي مليكة عن المِسوَر بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمان بن عوف: «ألم تجد فيما أُنزل علينا «إن جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة»؟ فانّا لا نجدها، قال: «أُسقطت فيما سقط من القرآن»[2]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج أبو عبيد عن المِسوَر بن مَخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمان بن عوف: ألم تجد فيما أُنزل علينا «ان جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة»؟ فإنّا لا نجدها. قال: أُسقطت فيما أُسقط من القرآن[3]. انتهىٰ.

وفي «كنز العمّال» ـ لعلي المتقي ـ و «جمع الجوامع» ـ للسيوطي ـ عن المسور بن مَخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمان بن عوف: ألم تجد فيما أُنزل علينا «ان جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة»؟ فانّا لم نجدها. قال: أُسقطت فيما سقط من القرآن. [رواه] أبو عبيد[4]. انتهىٰ.

وقوله «أُسقطت فيما سقط من القرآن» صريحٌ في حذف آيات من القرآن بشهادة عبد الرحمان بن عوف ـ وهو من العشرة المبشّرة عند القوم ـ وقبول عمر ذلك منه، وهو كاف في كون القرآن معرضاً للنقصان منذ الصدر الأوّل.

٥ ـ في «الدرّ المنثور» (للسيوطي) قال: أخرج النسائي والحاكم ـ وصحّحه ـ من طريق ابن أبي ادريس عن أُبي بن كعب انّه كان يقرأ: «إذ جعل الّذين كفروا في قلوبهم

---

١ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٤. الدرّ المنثور ١ / ١٠٦، واللفظ له.

٢ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٤.

٣ . الدرّ المنثور ١ / ١٠٦.

٤ . كنز العمّال ٢ / ٥٦٧. وجمع الجوامع مخطوط.

الحميّة حميّة الجاهليّة، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام، فأنزل الله سكينته علىٰ رسوله»[١]، فبلغ ذلك عمر، فاشتدّ عليه، فدعا أناساً من الصحابة ـ فيهم زيد بن ثابت ـ فقال: «من يقرأ منكم سورة الفتح»؟ فقرأ زيد علىٰ قراءتنا اليوم، فغلظ له عمر، فقال أُبي «أأتكلّم»؟، فقال: تكلّم، قال «لقد علمتَ أنّي كنت أدخل علىٰ النبيّ ـص ـ ويقرأني، وأنت بالباب، فإن أحببتَ أن أُقريء الناس علىٰ ما أقرأني، وإلاّ لم أُقريء حرفاً ما حببت». قال «اقريء الناس»[٢].

٦ ـ سقوط آيتين من مصحف عثمان، وهما آية «إنّ الّذين آمنوا والّذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ألا ابشروا وأنتم المفلحون» وآية «والّذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الّذين غضب الله عليهم، أولئك لا يعلم ما أُخفي لهم من قرّة أعين، جزاءً بما كانوا يعملون».

ففي «الاتقان» ـ للسيوطي ـ قال: أبو عبيد: حدّثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعَافري عن أبي سفيان الكلاعي انّ مسلمة بن مخلد الانصاري قال لهم ذات يوم: «أخبروني بآيتين من القرآن لم تكتبا في المصحف»، فلم يخبروه، وعندهم أبو الكنّود وسعد بن مالك[٣]، فقال لي مسلمة «إنّ الّذين آمنوا والّذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ألا ابشروا وأنتم المفلحون، والّذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الّذين غضب الله عليهم، أولئك لا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين، جزاءً بما كانوا يعملون»[٤]. انتهىٰ. فهذا الحديث صريح في سقوط ما ذكر من الآيتين عمّا في أيدينا من المصحف.

٧ ـ في «الدرّ المنثور»: أخرج الفاريابي والحاكم وابن مرويه والبيهقي ـ في سننه ـ عن ابن عبّاس انّه كان يقرأ هذه الآية «النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أب لهم

---

١ . سورة ا لفتح / ٢٦. وليس منها «ولو حميتم كما حموا، لفسد المسجد الحرام».

٢ . الدرّ المنثور ٦ / ٧٩.

٣ . في المصدر: أبو الكنّود سعد بن مالك.

٤ . الاتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٤.

وأزواجه أمّهاتهم»[١]. وأخرج عبد الرزّاق وسعيد بن منصور واسحاق بن راهويه وابن المنذر والبيهقي عن مجالد[٢] قال: مرّ عمر بن الخطّاب بغلام وهو يقرأ في المصحف «النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمّهاتهم، وهو أب لهم» فقال: «يا غلام حكها»، فقال: «هذا مصحف أُبي بن كعب» فذهب إليه، فسأله، فقال «إنّه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالاسواق»[٣]. ومن حديث «كنز العمّال» ـ في فضائل أُبي بن كعب ـ: انّ عمر وجد مصحفاً في حجر غلام فيه «النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أبوهم»، فقال: حكها يا غلام، فأبىٰ عليه وقال: «هي مصحف أُبي»، فانطلقا إليه، فقال أُبي لعمر «شغلني القرآن وشغلك الصفق بالاسواق، إذ تعرض رداءك في عنقك بباب أبي العجماء»[٤]. انتهىٰ.

٨ ـ في «الدرّ المنثور»: أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ في عهد رسول الله ـ ص ـ «يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليه من ربّك انّ عليّاً مولىٰ المؤمنين، وان لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس»[٥] [٦]. انتهىٰ.

وفي كتاب «مفاتيح النجا في مناقب آل العبا» للبدخشاني ـ وهو من أعاظم علماء السنّة كما في الايضاح للفاضل الرشيد، واحتجّ باحاديثه المولوي عبد العزيز الدهلوي صاحب التحفة ـ قال في الباب الّذي عقده للآيات النازلة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ قال: وهي كثيرة، لا استطيع استيعابها، انّه أخرج ابن مردويه عن زر بن حُبيش عن عبد الله قال: كنّا نقرأ علىٰ عهد رسول الله ـ ص ـ «يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك انّ عليّاً مولىٰ المؤمنين، وإن لم تفعل فلما بلغت رسالته،

---

١. سورة الاحزاب / ٦. وليس من الآية «وهو أب لهم».

٢. في المصدر: بجالة.

٣. الدرّ المنثور ٥ / ١٨٣.

٤. كنز العمّال ١٣ / ٢٥٩.

٥. سورة المائدة / ٦٧. وليس منها «انّ عليّاً مولىٰ المؤمنين».

٦. الدرّ المنثور ٢ / ٢٩٨.

والله يعصمك من الناس»[١].

أقول: ولعلّ الوجه في رفضهم مصحف ابن مسعود هو التصريح فيه بنزول ما هو صريح في ولاية أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، وهذا يخالف اغراض المبطلين، فأسرعوا إلىٰ تحريف القرآن بالنقصان.

٩ ـ في «الدرّ المنثور»: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن مسعود انّه كان يقرأ هذا الحرف «كفىٰ الله المؤمنين القتال بعليّ بن أبي طالب»[٢] [٣].

ونحوه رواية «الإتقان»، قال: ففي قراءة ابن مسعود «بعليّ بن أبي طالب. انتهىٰ.

وأخرج البدخشاني في «مفتاح النجا» عن ابن مردويه عن ابن مسعود ـ رض ـ انّه كان يقرأ هذا الحرف «كفىٰ الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب، وكان الله قويّاً عزيزاً»[٤].

وفي «كفاية الطالب» ـ لمحمّد بن يوسف الكنجي ـ عن ابن مسعود انّه كان يقرأ «كفىٰ الله المؤمنين القتال بعليّ»، ذكره غير واحد من أصحاب التفاسير والسير، وهذا سياق ابن عساكر في تاريخه[٥]. انتهىٰ.

١٠ ـ في تفسير الثعلبي: أخبرني أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عبد الله القايني أنبأنا أبو الحسين محمّد بن عثمان بن الحسين النصبي أنبأنا أحمد بن محمّد بن سعيد، أنبأنا أحمد بن ميثم بن أبي نعيم، أنبأنا أبو جنادة السلولي عن الأعمش عن أبي وائل قال: قرأتُ في مصحف عبد الله بن مسعود «انّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمّد علىٰ العالمين»[٦] [٧].

---

١. المصدر مخطوط.

٢. سورة الاحزاب / ٢٥. وليس منها «بعليّ بن أبي طالب».

٣. الدرّ المنثور ٥ / ١٩٢.

٤. المصدر مخطوط.

٥. كفاية الطالب / ٢٣٤.

٦. سورة آل عمران / ٣٣، و ليس منها «وآل محمّد».

٧. المصدر مخطوط.

١١ ـ في «الكشاف» ـ للزمخشري ـ عند قوله «فما استمتعتم بـه مـنهنّ فـاتوهنّ أجورهنّ»[١]: انّها آية محكمة، وفي قراءة ابن عبّاس وابـن مسـعود وأُبي بـن كـعب «فـما استمتعتم به منهنّ إلىٰ أجل مسمًّى فآتـوهنّ أجـورهنّ». انـتهىٰ. وقـال الفـخر الرازي والنيسابوري في تفسيرهما انّ أُبي بن كعب كان يقرأ «فما استمتعتم به منهنّ إلىٰ أجل مسمًّى فآتوهنّ أجورهنّ»، وبه قرأ ابن عبّاس أيضاً، والصحابة ما انكروا عليهما، فكان اجماعاً[٢]. انتهىٰ.

وروىٰ الحاكم في «المستدرك» عن أبي نضرة قال: قرأتُ علىٰ ابن عبّاس بـزيادة «إلىٰ أجل مسمّىٰ»، وقال بن عبّاس «لأنزلها الله كذلك». هذا حديث صحيح الاسناد[٣].

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج الطبراني والبيهقي ـ في سننه ـ عن ابن عبّاس أنّهم كانوا يقرأُون هذه الآية «فما استمتعتم به منهنّ إلىٰ أجل [مسمى][٤]، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن الانباري (في «المصاحف») والحاكم ـ في «المستدرك»، وصحّحه ـ من طرق عديدة عن أبي نضرة قال: قرأت علىٰ ابـن عـبّاس «فـما اسـتمتعتم بـه مـنهنّ فآتـوهنّ أجورهنّ»، قال ابن عبّاس «فما استمتعتم به منهنّ إلىٰ أجل مسمّى»، والله لانزلها [الله] كذلك[٥].

وفي تفسير الثعلبي باسناده عن حبيب بن ثابت قال: اعطاني ابن عبّاس مصحفاً، فقال: هذا علىٰ قراءة أُبي، فرأيتُ في المصحف ذكر الأجل المسمىٰ[٦].

أقول: يُعلم من جميع ذلك أنّ هذه الآية نزلت في شرعيّة نكاح المتعة المحـدودة بالاجل المسمّى، كما في المصاحف عند الصحابة من غير نكير منهم إلىٰ زمن عـمر، وأنّ التغيير والحذف عرض في زمانه طبقاً لمرامه، وحسبك ذلك في التحريف اسقاط قـوله «إلىٰ أجل مسمًّىٰ» عن القرآن، وعليه الاجماع.

---

١. سورة النساء / ٢٤.

٢. التفسير الكبير ٢٠ / ٥١. تفسير غرائب القرآن ٥ / ١٨. والمنقول بالمضمون.

٣. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٣٠٥. والمنقول بالمضمون.

٤. الزيادة من المصدر.

٥. الدرّ المنثور ٢ / ١٤٠.

٦. لم أعثر علىٰ المصدر.

الزيادة في القرآن عند الجماعة

قال فخر الدِّين الرازي في «التفسير الكبير» عند قوله «والليل إذا يغشىٰ، والنهار إذا تجلّىٰ»[١] انّه قرأ النبيّ -ص- «والذّكر والأنثىٰ»، قال «والقسم بالذكر والانثىٰ يتناول القسم بجميع ذوي الارواح الّذين هم أشرف المخلوقات»[٢].

وفي «صحيح البخاري» -كتاب التفسير، باب سورة «والليل إذا يغشىٰ والنهار إذا تجلّىٰ» -: عن علقمة قال: دخلتُ مع نفر من أصحاب عبد الله الشّامَ، فسمع بنا أبو الدرداء، فأتانا، فقال «أفيكم من يقرأ»؟ فقلنا «نعم». قال «فأيّكم أقرأ»؟. فأشاروا إليَّ، فقال «إقرأ». فقرأت «والليل إذا يغشىٰ. والنهار تجلىٰ. والذكر والانثىٰ». قال «أنت سمعتها من صاحبك»؟ قلت: «نعم»، قال: «وانا سمعتها من فيّ رسول الله -ص- وهؤلاء يأبون عليَّ».

وفيه عن الأعمش عن ابراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله علىٰ أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم، فقال «أيّكم يقرأ علىٰ قراءة عبد الله»؟ قلنا: «كلّنا». قال: «فأيّكم أحفظ»[٣]؟. فأشاروا إلىٰ علقمة، قال «كيف سمعته يقرأ «والليل إذا يغشىٰ»؟. قال علقمة: «والذكر والانثىٰ». قال «أشهد أنّي سمعت النبيّ -ص- يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني أن أقرأ «وما خلق الذكر والانثىٰ»، والله لا أُتابعهم»[٤]. انتهىٰ.

وفي جامع الترمذي عن إبراهيم بن علقمة مثل هذا الحديث باختلاف لفظي يسير[٥].

وفي «صحيح مسلم»: عن علقمة مثله أيضاً باختلاف يسير في الألفاظ. وفيه أيضاً عن علقمة قال: لقيتُ أبا الدرداء، فقال لي: ممّن أنت؟. قلت: من أهل العراق. قال: من أيّهم؟. قلت: من أهل الكوفة. قال: هل تقرأ علىٰ قراءة عبد الله بن مسعود؟. قال: قلت: نعم. قال: تقرأ «والليل إذا يغشىٰ». فقرأت «والليل إذا يغشىٰ، والنهار إذا تجلّىٰ، والذكر

---

١. سورة الليل / ١-٢.

٢. التفسير الكبير ٣١ / ١٩٨.

٣. في المصدر «يحفظ».

٤. صحيح البخاري ٦ / ٨١، كتاب التفسير، سورة الليل.

٥. الجامع الصحيح ٥ / ١٩٢.

والانثىٰ». قال: فضحك، ثمّ قال: هكذا سمعت رسول الله ـ ص ـ يقرؤها[١].

أقول: هذه الأحاديث بأجمعها ناطقة عن انكار أبي الدرداء ـ وهو من أفاضل الصحابة ـ ما في مصحف عثمان من زيادة «وما خلق»، وانّ القرآن المنزَّل علىٰ النبيّ ـ ص ـ خال عنه، كما في قراءة ابن مسعود.

قال[٢] الفخر الرازي ـ في تفسير الكبير ـ: وأمّا أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فانّه قال: «بسم الله» ليس بآية منها. وقال: قال أبو حنيفة: ليست آية من الفاتحة[٣].

وقوع التغيير في ألفاظ القرآن

لو تصفّحنا كتب القوم لوجدنا فيها أيضاً ما يدلّ علىٰ وقوع التغيير في ألفاظ القرآن:

أ / فنها: ما في موطأ المالك أنّه سئل ابن شهاب عن قول الله تبارك وتعالىٰ «يا أيّها الّذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فاسعوا إلىٰ ذكر الله»[٤]. فقال ابن شهاب: كان عمر يقرؤها: «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلىٰ ذكر الله»[٥]. انتهىٰ.

وفي «فتح الباري» ـ لابن حجر العسقلاني ـ و «إرشاد الساري [إلىٰ] شرح البخاري» من باب فرض ا لجمعة ـ للقسطلاني ـ أنّه قرأ عمر «فامضوا إلىٰ ذكر الله»[٦]. انتهىٰ.

---

١. صحيح مسلم ١ / ٥٦٦، كتاب فضائل القرآن، باب ما يتعلّق بالقراءات.

٢. كلام الفخر الرازي هذا نقلناه من مستدرك هذا الجزء، حيث ذكر المؤلّف ـ بعد انتهاء مقدّمة الكتاب ـ: «تذييل، الحاقاً بفصل الزيادة في القرآن نستدرك هنا ذكر الخبر الآتي الدال علىٰ أنّ أبا حنيفة يذهب إلىٰ أنّ البسملة في سورة الفاتحة ليست من القرآن، ومقتضىٰ ذلك أنّها من الالفاظ الّتي زيدت في القرآن عند أهل السنّة...». ثمّ ذكر ما أثبتناه في المتن.

٣. التفسير الكبير ١ / ١١٠.

٤. سورة الجمعة / ٩.

٥. الموطأ ١ / ١٠٦.

٦. فتح الباري ٢ / ٢٨٢. ارشاد الساري ٢ / ١٢٩.

وفي تفسير الفخر الرازي عن عمر أنّه سمع رجلاً يقرأ «فاسعوا»، قال: «من أقرأك هذا»؟. قال «أُبي». قال «لا يزال يقرأ بالمنسوخ، لو كانت «فاسعوا» لسعيت حتّىٰ يسقط ردائي»[١].

وزاد العسقلاني قوله: ثبت هذا في رواية الكشميهني وحده. قال: ورویٰ الطبراني عن عبد الحميد بن بيان عن سفيان عن الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: ما سمعت عمر يقرؤها قطّ إلّا «فامضوا»، ومن طريق المغيرة عن إبراهيم قال: قيل لعمر: إنّ أُبي بن كعب يقرؤها «فاسعوا»، قال: أمّا انّه اعلمنا وأقرؤنا للمنسوخ، وإنّما هي «فامضوا». وأخرجه سعيد بن منصور، فبيّن الواسطة بين إبراهيم وعمر انّه «خرشة بن الحُر»، فصحّ الاسناد، وأخرج ـ أيضاً ـ من طريق ابراهيم عن ابن مسعود انّه كان يقرؤها «فامضوا» ويقول: «لو كانت «فاسعوا» لسعيت حتّىٰ يسقط ردائي»[٢]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج أبو عُبيد ـ في الفضائل ـ وسعيد بن منصور وأبي شيبه وابن المنذر وابن الانباري ـ في «المصاحف» ـ عن خرشة بن الحرّ قال: رأىٰ معي عمر بن الخطّاب لوحاً مكتوباً فيه «يا أيّها الّذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فاسعوا إلىٰ ذكر الله، فقال: مَنْ أملىٰ عليك هذا»؟. قلت «أُبي بن كعب». قال انّ أُبيّاً أقرؤنا[٣] للمنسوخ، إقرأها «فامضوا إلىٰ ذكر الله».

وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم ـ رض ـ قال: قيل لعمر ـ رض ـ: إنّ أُبيّاً يقرأ «فاسعوا إلىٰ ذكر الله». قال عمر: «إنّ أُبي أعلمنا بالمنسوخ» وكان يقرؤها «فامضوا إلىٰ ذكر الله».

وأخرج الشافعي ـ في «الام» ـ وعبد الرزّاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانباري ـ في «المصاحف» ـ والبيهقي ـ في سننه ـ عن ابن عمر قال: ما سمعت عمر يقرأها قطّ إلّا «فامضوا إلىٰ ذكر الله»[٤].

---

١ . التفسير الكبير ٣٠ / ٨.

٢ . فتح الباري ٨ / ٥٢٠.

٣ . في المصدر «أقرؤنا».

٤ . الدرّ المنثور ٦ / ٢١٩.

أقول: انّ ذلك كلّه من الشواهد علىٰ أنّ عمر كان يطعن في مصحف عثمان، ويعتقد عدم صونه من التغيير والتبديل.

ب / ومنها: تبديل النازل من قول الله تعالىٰ «أنا الرزّاق ذو القوّة المتين» ـ كما يروون ـ بقوله «إنّ الله هو الرزّاق ذو القوّة المتين»[١].

ففي «صحيح الترمذي»: حدّثنا عبد بن حميد، حدّثنا عبد الله [بن موسىٰ][٢] عن إسرائيل عن أبي اسحاق، عن عبد الرحمان بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود قال: اقرأني رسول الله ـص ـ «إنّي أنا الرزّاق ذو القوّة المتين»[٣]. انتهىٰ.

وفي «مسند أحمد»: حدّثنا عبد الله، حدّثنا أبي، حدّثنا يحيىٰ بن آدم ويحيىٰ بن أبي بكر، قالا: حدّثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الرحمان بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال: اقرأني رسول الله ـص ـ «إنّي أنا الرزّاق ذو القوّة المتين»[٤].

جـ / ومنها: ما في «كنز العمّال» و «منتخب الكنز» ـ في سورة الزمر ـ: عن علي ـعليه السّلام ـ «والّذي جاء بالحقّ وصدّق به» بدل قوله «والّذي جاء بالصدق وصدّق به»[٥] و[٦].

د / وعن قيس بن عباد قال: قرأتُ علىٰ عليّ ـعليه السّلام ـ «وطلح منضود»[٧]، فقال علي ـعليه السّلام ـ «ما بالُ الطلح»؟، أما تقرأ «وطلع»؟. قال «وطلع نضيد»، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتُحكّها من المصحف؟ فقال: «لا يُهاجُ القرآن اليوم»[٨].

---

١. سورة الذاريّات / ٥٨.

٢. الزيادة من المصدر.

٣. الجامع الصحيح ٥ / ١٩٢.

٤. مسند أحمد بن حنبل ١ / ٤١٨.

٥. سورة الزمر / ٣٣.

٦. كنز العمّال ٢ / ٤٩١. منتخب كنز العمال ٢ / ٩، ٢٠.

٧. سورة الواقعة / ٢٩.

٨. كنز العمّال ٢ / ٥١٩.

هـ / وفيه عن علي ـ عليه السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «وتجعلون رزقكم»[١] قال: «شكركم أنّكم تكذبون»[٢].

و / ومنها: ما في تفسير الفخر الرازي: في قراءة النبيّ ـ ص ـ يا أيّها النبيّ إذا طلقتم النساء فطلقوهنّ من قبل عدّتهنّ[٣] [٤]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج مالك والشافعي وعبد الرزّاق ـ في «المصنف» ـ وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم ـ في كتاب الطلاق، باب طلاق الحائض من صحيحه ـ وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وأبو يعلىٰ وابن مردويه والبيهقي ـ في سننه ـ عن ابن عمر انّه طلّق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر[٥] لرسول الله ـ ص ـ، فتغيّظ فيه رسول الله (ص)، ثمّ قال: ليراجعها ثمّ يمسكها حتّىٰ تطهر ثمّ تحيض، فتطهر، فان بدا له ان يطلّقها، فيطلّقها طاهراً قبل أن يمسّها، فتلك العدّة الّتي أمر الله أن يطلق لها النساء. وقرأ ـ ص ـ «**يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ من قبل عدّتهنّ**».

وأخرج عبد الرزّاق ـ في «المصنّف» ـ وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن عمر انّ رسول الله ـ ص ـ قرأ «فطلّقوهنّ من قبل عدّتهنّ».

وأخرج عبد الرزّاق وأبو عبيد ـ في فضائله ـ وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي عن ابن عبّاس انّه كان يقرأ «فطلّقوهنّ لقبل عدّتهنّ». وخرّج ابن الانباري عن ابن عمر انّه قرأ «فطلّقوهنّ لقبل عدّتهنّ». وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي عن مجاهد انّه كان يقرأ «فطلّقوهنّ لقبل عدّتهنّ»[٦]. انتهىٰ.

---

١. سورة الواقعة / ٨٢. وتمامها «وتجعلون رزقكم انّكم تكذّبون».

٢. كنز العمّال ٢ / ٥١٨.

٣. سورة الطلاق / ١. وليس من الآية «من قبل عدّتهنّ»، بل «لعدّتهنّ».

٤. التفسير الكبير ٣٠ / ٣٠.

٥. لا يوجد لفظ «عمر» في المصدر، والظاهر انّ فعل «ذكر» مجهول.

٦. الدرّ المنثور ٦ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

وفي «صحيح مسلم»: طلق ابن عمر امرأته وهي حائض علىٰ عهد رسول الله ـص ـ، فسأل عمر رسول الله ـص ـ فقال: انّ عبد الله بن عمر طلّق امرأته وهي حائض، فقال له النبيّ ـص ـ: «ليراجعها». فردّها وقال: إذا طهرت أو يمسك. قال ابن عمر: «وقرأ النبيّ ـص ـ: «يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ من قبل عدّتهنّ»[1].

أقول: هذا هو الموافق لشرط الطلاق وللأخذ بظاهر اللفظ المفيد للزوم كون الطلاق في طُهر تعقبه العدّة، من غير حاجة حينئذ إلىٰ تقدير أو تأويل، وهذا بخلاف قراءة «لعدّتهنّ»، فإنّه لا يفهم منه لزوم وقوع الطلاق في طهر خال عن الجماع إلّا بضروب من التكلّف، كتقدير قوله «لزمان عدّتهنّ» أو «وقت عدّتهنّ» أو «لأوّل لعدّتهنّ» ـ أعني الطهر ـ ثمّ يجعل اللام لمعنىٰ «في»، أي «في الزمان الصالح لعدّتهنّ»، فانّ جميع ذلك من باب الضيق والخروج عن متفاهم العُرف.

وفي تفسير أبي سعود جعل المُقدَّر «مستقبلات لعدّتهنّ»، كقولك «لليلة خلت من شهر كذا»[2]. انتهىٰ. وذلك أيضاً من ضيق الخناق والخروج عن متفاهم العُرف وعدم مطابقة المثال مع الممثّل له.

ثمّ إنّ حمل الآية علىٰ اختلاف القُراء في قراءاتهم ـ لا علىٰ تحريف القرآن ـ ممّا يهون الخطب ويصحح الجواب عن قراءة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ قوله تعالىٰ في سورة آل عمران «كنتم خير أُمّة أُخرجت للنّاس»[3] بتبديل «الأُمّة» بـ «الأئمّة»، لتظافر أحاديثهم (عليهم السّلام) في ذلك[4] وتصريحهم (عليهم السّلام) بأنّ الآية نزلت في محمّد ـص ـ وأوصيائه من عترته، فتدخل الآية فيما اختلفت فيه القراءة، والواجب علىٰ أتباعهم اتّباعهم ـ عليهم السّلام ـ في ذلك.

---

١. صحيح مسلم ٢ / ١٠٩١. كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها و..

٢. ارشاد العقل السليم ٨ / ٢٦٠.

٣. سورة آل عمران / ١١٠.

٤. هكذا قراءة من أهل البيت غير ثابتة، ولا يوجد حديث واحد معتبر في ذلك مرويّ عن طريق الشيعة.

موقف ابن عبّاس من مصحف عثمان

لو تتبّعنا كتب الجماعة في التفسير والحديث، لوجدنا لابن عبّاس ـ حبر الأُمّة ـ مواقف عديدة خَطّأ فيها مصحف عثمان في بعض آياته وكلماته، وهي كمايلي

١ ـ عن ابن عبّاس انّه قال في قوله تعالىٰ ـ في سورة الأنبياء ـ «ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان وضياء وذكرى»[1] بزيادة الواو في «وضياء»، إذ لم يعلم وجه العطف فيه بعد وضوح كون اللفظ بلا واو، حالاً من «الفرقان».

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»: فروىٰ عكرمة عن ابن عبّاس أنّه قال «ضياء» ـ بغير واو ـ وهو حال من «الفرقان»[2]. انتهىٰ.

وفي «الاتقان» و«الدرّ المنثور» ـ للسيوطي ـ انّه أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن ابن عبّاس انّه كان يقرأ «ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان ضياء وذكرىٰ» ويقول: خذوا هذا الواو واجعلوها ههنا في «الّذين يحملون العرش ومن حوله»[3] انتهىٰ.[4]

٢ ـ في تفسير الرازي ـ أيضاً ـ انّ قوله «مثل نوره...»[5] يرجع الضمير إلىٰ «المؤمن»، وهو قول أُبي بن كعب، كان يقرؤها «مثل نور المؤمن»، وهو قول سعيد بن جُبير والضحّاك[6]. انتهىٰ.

وفي «الاتقان»: أخرج ابن اشته وابن أبي حاتم من طريق عطاء عن بن عبّاس في قوله تعالىٰ: «مثل نوره كمشكاة»، قال: هي خطأ من الكاتب، وهو أعظم من أن يكون

---

١ . سورة الأنبياء / ٤٨.

٢ . التفسير الكبير ٢٢ / ١٧٨.

٣ . سورة الغافر / ٧.

٤ . الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٧٦. الدّر المنثور ٤ / ٢٣٠. وفيه آية أخرىٰ بدل «الّذين يحملون...».

٥ . سورة النور / ٣٥.

٦ . التفسير الكبير ٢٣ / ٢٣٥.

نوره مثل [نور][١] المشكاة، وإنّما هي «مثل نور المؤمن كمشكاة»[٢]. انتهىٰ.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ «مثل نوره...» قال: هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، قال «مثل نور المؤمن كمشاة»[٣]. انتهىٰ.

٣ ـ وفي «الدرّ المنثور» ـ في تفسير سورة الإسراء ـ: أخرج الفاريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن الانباري ـ في «المصاحف» ـ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبّاس في قوله «وقضىٰ ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه»[٤]، قال: أُلزقت الواو بالصاد، وأنتم تقرؤنها «وقضىٰ ربّك». وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحّاك عن ابن عبّاس مثله. وأخرج أبو عبيد وابن منيع وابن المنذر وابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عبّاس قال: أنزل الله هذا الحرف علىٰ لسان نبيّكم «ووصىٰ ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ ايّاه»، فلصقت احدىٰ الواوين بالصاد، فقرأ الناس «وقضىٰ ربّك»، ولو نزلت علىٰ القضاء ما أشرك به أحد[٥]. انتهىٰ.

وقال السيوطي في «الاتقان»: أخرج سعيد بن منصور عن طريق سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس انّه كان يقول «وقضىٰ ربّك» إنّما هي «ووصّىٰ ربّك»، التزقت الواو بالصاد. وأخرجه ابن اشته بلفظ «استمدّ الكاتب مداداً كثرة، فالتزقت الواو بالصاد». وأخرج هو من طريق الضحّاك عن ابن عبّاس انّه كان يقرأ «ووصّىٰ ربّك». وأخرج من طريق آخر من الضحّاك انّه قال: كيف تقرأ هذه الحروف؟. قال: «وقضىٰ ربّك». قال: ليس كذلك نقرؤها نحن ولا ابن عبّاس، إنّما هي «ووصّىٰ ربّك»، كذلك كانت تُقرأ

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٢٧٦. واللفظ له.

٣. الدرّ المنثور ٥ / ٤٨.

٤. سورة الاسراء / ٢٣.

٥. الدرّ المنثور ٤ / ٧٠.

وتُكتب، ثمّ قرأ «ولقد وصّينا الّذين أوتوا الكتاب...»[١]، ولو كانت قضاء[٢] من الرّبّ، لم يستطع أحدٌ ردّ قضاء الربّ، ولكن وصيّة أوصىٰ بها العباد[٣]. انتهىٰ.

وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالىٰ «وقضىٰ ربّك ألاّ تعبدوا إلّا إيّاه»: روىٰ ميمون بن مهران عن ابن عبّاس انّه قال: «...في هذه الآية: كان الاصل «ووصىٰ ربّك»، فالتصقت إحدىٰ الواوين بالصاد، فقريء «وقضىٰ ربّك...»، ثمّ قال: ولو كان علىٰ القضاء ما عصىٰ الله أحدٌ قطّ، لانّ خلاف قضاء الله ممتنع. وهكذا رواه عنه الضّحّاك وسعيد بن جُبير، وهي قراءة علي ـ عليه السّلام ـ وعبد الله، قال: واعلم انّ هذا القول بعيد جـدّاً، لانّه يفتح باب التحريف إلى القرآن، ولو جوّزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن، فيخرج عن كونه حجّة[٤]. انتهىٰ.

٤ ـ وفي «الاتقان» للسيوطي ـ عطفاً علىٰ ما سبق ـ: وما أخرجه ابن الانباري من طريق عكرمة عن ابن عبّاس انّه قرأ «أفلم يتبيّن الّذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدىٰ الناس جميعاً»، فقيل له: انّها في المصحف «أفلم ييأس الّذين آمنوا»[٥]، قال: اظنّ الكاتب كتبها وهو ناعس[٦].

وفي «إزالة الخفا» ـ للشاه ولي الله الدهلوي ـ انّه قد وقع البحث من ابن عبّاس مع الاصحاب، واشتدّ الانكار منه عليهم في ضبطهم «وقضىٰ ربّك» بـدل «ووصّىٰ ربّك»، واستنساخهم «أفلم ييأس» عوض «أفلم يتبيّن»، وبالاخرة قد شاعت النسخة العثمانيّة في الآفاق[٧]. انتهىٰ.

---

١ . سورة النساء / ١٣١ .

٢ . في المصدر : قضىٰ .

٣ . الاتقان في علوم القرآن ٤ / ٢٧٦ .

٤ . التفسير الكبير ٢٠ / ١٨٥ .

٥ . سورة الرعد / ٣١ .

٦ . الاتقان في علوم القرآن ٤ / ٢٧٥ .

٧ . لم أجد المصدر .

وقال ابن حجر في «فتح الباري[بـ] شرح البخاري» انّه روىٰ الطبري وعبد بن حميد باسناد صحيح ـ كلّهم من رجال البخاري ـ عن ابن عبّاس انّه كان يقرؤها «أفلم يتبيّن» ويقول: «كتبها الكاتب وهو ناعس»، ثمّ قال: و[أمّا ما][1] اسنده الطبري عن ابن عبّاس، فقد اشتدّ انكار جماعة ممّن لا علم له بالرجال صحّته، وبالغ الزمخشري في ذلك ـ كعادته ـ، قال: «وهي فرية بلا مرية»، وتبعه جماعة بعده، والله المستعان. وقد جاء عن ابن عبّاس نحو ذلك في قوله تعالىٰ «وقضىٰ ربّك ألاّ تعبدوا إلّا إيّاه»[2]، أخرجه سعيد بن منصور باسناد جيد عنه. وهذه الاشياء وإن كان غيرها المعتمد، لكنّ تكذيب المنقول بعد صحّته ليس من دأب[3] أهل التحصيل، فلينظر في تأويله بما يليق...[4].

٥ ـ وفي «الاتقان» (للسيوطي) قال ـ عطفاً علىٰ سابقه ـ: وما أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور ـ في سننه ـ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ «حتّىٰ تستأنسوا وتسلّموا»[5]، قال: إنّما هي خطأ من الكاتب، «حتّىٰ تستأذنوا وتسلّموا»، أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: «هو ـ فيما أحسب ـ ممّا أخطأ به الكاتب[6]».[7] انتهىٰ.

وروىٰ الحاكم ـ في «المستدرك» ـ عن مجاهد عن ابن عبّاس في قوله «لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّىٰ تستأنسوا»، قال: أخطأ الكاتب، «تستأذنوا»، ثمّ قال: «هذا حديث صحيح الاسناد علىٰ شرط الشيخين»[8]. انتهىٰ.

وقال السيوطي في «الدرّ المنثور»: أخرج الفاريابي وسعيد بن منصور وعبد بن

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. سورة الاسراء / ٢٣.

٣. في المصدر «أدب».

٤. فتح الباري ٨ / ٣٠٠ـ٣٠١.

٥. سورة النور / ٢٧.

٦. في المصدر «ممّا أخطأت به الكُتّاب».

٧. الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٢٧٥.

٨. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٣٩٦.

حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الانباري ـ في «المصاحف» ـ وابن منده (في غرائب شعبه) والحاكم ـ وصحّحه ـ وابن مردويه والبيهقي (في «شعب الإيمان») والضياء المقدسي ـ في المختارة ـ من طرق عن ابن عبّاس ـ رض ـ في قوله تعالىٰ «حتّىٰ تستأنسوا وتسلّموا علىٰ أهلها» قال: أخطأ الكاتب، إنّما هي «حتّىٰ تستأذنوا»[1]. انتهىٰ.

وفي تفسير الفخر الرازي ـ في سورة النور، عند قوله تعالىٰ «يا أيّها الّذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّىٰ تستأنسوا وتسلّموا علىٰ أهلها» ـ قال: يُروىٰ عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير إنّما هو «حتّىٰ تسأذنوا»، فأخطأ الكاتب، وفي قراءة أُبي «حتّىٰ تستأذنوا»[2]. ونحوه في تفسير «الكشاف» للزمخشري[3].

قلت: ولذلك شاهد من قوله تعالىٰ «لا تدخلوا بيوت النبيّ إلّا أن يؤذن لكم»، والقوم جعلوا القراءة المشهورة من باب الكناية، وقالوا: حتّىٰ تستأنسوا» يعني «تستأنسوا بالإذن»، وذلك لانّهم إذا استأذنوا وسلّموا، آنسوا أهل البيت، ولو دخلوا من غير استيذان لأوحشوهم. قاله الفخر الرازي[4] والزمخشري[5].

وستأتيك انباء تصريح عثمان وعائشة وابن عبّاس بوقوع اللحن في القرآن، وهذه آية قويّة علىٰ تساهل الاصحاب في ضبط القرآن، وقد اسمعناك فيما مرّ بعضاً من تلك الجمل، من نقصان سورة «براءة» وسورة «الاحزاب»، وفقد آية الرجم وآية الرضاع، وغيرها من الآيات الّتي صحّ عندها الحديث في فقدهم أو تغيير ألفاظها.

---

١ . الدرّا لمنثور ٥ / ٣٨.

٢ . التفسير الكبير ٢٣ / ١٩٦.

٣ . الكشّاف عن حقائق التنزيل ٣ / ٥٩.

٤ . التفسير الكبير ٢٣ / ١٩٦.

٥ . الكشّاف عن حقائق التنزيل ٣ / ٥٩. لكن الّذي فيه أنّ الّذي يطرق الباب هو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، حيث لا يدري أيؤذن له أم لا.

عائشة وتغليطها القرآن

في «الدرّ المنثور» وكتاب «الاتقان» ـ للسيوطي ـ: قال: قال أبو عبيد ـ في «فضائل القرآن» ـ: أنبأنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالىٰ «ان هذان لساحران»[1]، وعن قوله تعالىٰ «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة»[2]، وعن لحن قوله تعالىٰ «إنّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والصابئون والنصارىٰ»[3]، فقالت: «يا ابن أخي! هذا عمل الكُتّاب، اختلفوا[4] في الكتاب». هذا اسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين[5]. انتهىٰ[6].

وفي تفسير الرازي: القراءة المشهورة «إنّ هذان لساحران»، وقرأ أبو عمرو وعيسىٰ بن عمر «انّ هذين لساحران»، وقالوا: هي قراءة عثمان وعائشة وابن الزبير وسعيد بن جبير، واحتجّ أبو عمروا وعيسىٰ علىٰ ذلك بما روىٰ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنّها سُئلت عن قوله «إنّ هذان لساحران»، وعن قوله «إنّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والصابئون والنصارىٰ» ـ في المائدة ـ، وعن قوله «لكن الراسخون في العلم منهم...» إلىٰ قوله «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة»، فقالت: يا ابن أخي! هذا خطأ من الكاتب. وروي عن عثمان أنّه نظر في المصحف فقال: أرىٰ فيه لحناً، وستقيمه العرب

---

١. سورة طه / ٦٣.

٢. سورة النساء / ١٦٢.

٣. سورة المائدة / ٦٩.

٤. في المصدر «أخطأوا».

٥. الدرّا لمنثور ٢ / ٢٤٦. الاتقان في علوم القران ٢ / ٢٦٩. واللفظ له.

٦. السبب في اعتقاد هذه الشرذمة الخطأ في الآيات المذكورة هو انّ قوله «هذان» ينبغي أن يكون منصوباً، لأنه اسم «إنَّ»، وقوله «المقيمين» ينبغي أن يكون مرفوعاً لأنّه معطوفاً علىٰ المرفوع، وقوله «الصابئون» ينبغي أن يكون منصوباً لانه معطوف علىٰ اسم «إنَّ».

ولا يخفىٰ انّ ما في القرآن صحيح، وقد ذكر العلماء وجوهاً متعدّدة لذلك، مما لا يتنافىٰ مع قواعد العربيّة أبداً.

بألسنتها. وعن أبي عمرو انّه قال «إنّي لا ستحي أن أقرأ «إنّ هذان لساحران»[١]. انتهىٰ.

وقال ـ أيضاً ـ في «التفسير الكبير» (عند قوله تعالىٰ في سورة النساء): أمّا قوله «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة» ففيه أقوال، الأوّل: روي عن عثمان وعائشة أنّهما قالا: انّ في المصحف لحناً، وستقيمه العرب بألسنتها،إلىٰ أن قال: الرابع: جاء في مصحف عبد الله بن مسعود «والمقيمون الصلاة» ـ بالواو ـ، وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسىٰ الثقفي[٢]. انتهىٰ.

عثمان وتلحينه القرآن

روىٰ ابن قتيبة ـ في كتاب المشكل ـ عن عثمان أنّه قال في قوله تعالىٰ «إن هذان ساحران»: انّ في القرآن لحناً. فقال رجل: صحّح ذلك الغلط. فقال: دعوه، فانّه لا يحلل حراماً ولا يحرّم حلالاً. قال: وفي بعض الروايات: قال عثمان: انّ في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتهم. فقيل له: ألا تغيّره؟. فقال: دعوه، فلا يحلل حراماً ولا يحرّم حلالاً[٣]. انتهىٰ.

قال أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد المعروف بالفرّاء البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» عند قوله «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك، والمقيمين الصلاة» قال: اختلفوا في وجه انتصابه، فحُكي عن عائشة وأبان بن عثمان انّه غلط من الكاتب، ينبغي أن يصلّح ويكتب «والمقيمون الصلاة»، وكذلك قوله في سورة المائدة [إنّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والصابئون»، وقوله][٤] «إن هذان لساحران»، قالوا: ذلك خطأ من الكُتّاب، وقال عثمان: انّ في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها.فقيل له:ألا تغيّره؟. قال: دعوه، فانّه لا يحلّ حراماً ولا يحرّم حلالاً[٥].انتهىٰ.

---

١ . التفسير الكبير ٢٢ / ٧٤.

٢ . التفسير الكبير ١١ / ١٠٥ ـ ١٠٦.

٣ . مشكل القرآن ٢ / ١٠ . مع اختلاف مع المذكور هنا.

٤ . الزيادة من المصدر.

٥ . معالم التنزيل / ٢٦١ ـ ٢٦٢.

وفي «الدرّ المنثور»: أخرج ابن أبي داود عن عبد الاعلىٰ بن عبد الله بن عامر القرشي قال: لما فُرغ من المصحف أُتي به إلىٰ عثمان، فنظر فيه فقال «قد احسنتم وأجملتم، أرىٰ شيئاً من لحن، ستقيمه العرب بألسنتها». قال ابن داود: وهذا عندي يعني بلُغتها، وإلاّ فلو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعاً، لما استجاز أن يبعث إلىٰ قوم يقرؤنه. وأخرج ابن أبي داود عن عكرمة قال: لما أُتي عثمان بالمصحف، رأىٰ فيه شيئاً من لحن، فقال: ولو كان المُملي من «هُذَيل» والكاتب من «ثقيف» لم يوجد فيه هذا». وأخرج ابن أبي داود عن قتادة انّ عثمان لمّا رُفع إليه المصحف قال: «إنّ فيه لحناً، وسيقيمه العرب بألسنتها»[1] .انتهىٰ.

وفي كتاب «الاتقان»: رواية عن أبي عبيد قال: حدّثنا حجّاج عن هارون بن موسىٰ، أخبرني الزبير بن خرِّيت عن عكرمة قال: لما كتبت المصاحف، عُرضت علىٰ عثمان، فوجد فيها حروفاً من اللّحن، فقال: «لا تغيّروها، فانّ العرب ستُغيّرها ـ أو قال: ستعربها ـ بألسنتها، لو كان الكاتب من «ثقيف» والمُملي من «هُذيل» لم يوجد فيه هذه الحروف». أخرجه من هذا الطريق ابن الانباري في كتاب «الرد علىٰ من خالف عثمان»، وابن اشته في كتاب «المصاحف» ثمّ أخرج ابن الانباري نحوه من طريق عبد الأعلىٰ بن عبد الله بن عامر، وابن اشته نحوه من طريق يحيىٰ بن يعمر[2]. انتهىٰ.

وفي تفسير الفقيه ـ لأبي الليث السمرقندي ـ: عن أبي عبيد قال: وروي عن عثمان أنّه عُرض عليه المصحف، فوجد فيه حروفاً من اللحن، فقال «لو كان الكاتب من ثقيف، والمُملي من هُذيل لم يوجد فيه هذه الحروف»[3]. انتهىٰ.

أقول: انّ اللحن الّذي أقرّ به عثمان لا يجوز أن يقع من الله سبحانه وتعالىٰ، والقول به كفر وضلال، فاللحن إذاً من غير الله تعالىٰ. فكيف جاز لعثمان ترك القرآن ملحوناً مبدّلاً، وذلك بالضرورة من المنكرات وقد جعل عثمان إماماً للناس يُقتدىٰ به، فلا يصحّ

---

١ . الدرّ المنثور ٢ / ٢٤٦.

٢ . الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٢٦٩.

٣ . لم أجد المصدر.

منه ترك القرآن علىٰ لحنه وإحالة تصحيحه علىٰ العرب، وقد بقي ـ بزعمهم ـ علىٰ لحنه إلىٰ يومنا هذا، وبنىٰ عليه علماء أهل السنّة اقتفاءً بفضائح عثمان وموبقات أعماله. أفلم يمكنه تصحيح مصحف خال عن اللحن ـ كما زعم ـ وإرساله إلىٰ الأقطار، وحرقه بقيّة المصاحف كما فعل ابتداءً؟ فمثل قوله تعالىٰ: «ان هذان لساحران» ان لم يكن من القرآن النازل من السماء، فكيف يحكم عثمان بانّ في القرآن لحناً ستقيمه العرب؟ وهذه إحدىٰ طامات عثمان.

وأمّا ما أجاب به الفضل بن روزبهان ـ في كتابه إبطال الباطل ـ بأنّ عدم تصحيح عثمان لفظ القرآن لانّه كان يجب عليه متابعة صورة الخطّ، وهكذا كان مكتوباً في المصاحف، ولم يكن التغيير له جائزاً، فتركه لانّه لغة بعض العرب[1]، فنقول له: متىٰ وجب اتّباع صورة الخطّ إذا كان مغلوطاً ـ كما يدّعون وقوع الغلط علىٰ أيدي الكتّاب والأُمناء؟ وأيّ تحريم أو منع لتغييره وتصحيحه وثبته في المصاحف لو كان ملحوناً؟ وأيّ لحن فيه إذا كان موافقاً للغة العرب؟ مع العلم بانّ بعض ألفاظ القرآن واردة علىٰ لغة قريش وبعضها علىٰ لغة غيرهم من أصناف العرب.

قولهم بتأليف القرآن علىٰ غير ما نزل

١ ـ فممّا ذهب إليه العامّة من القول بتأليف القرآن علىٰ غير ما نزل ما في باب الناسخ والمنسوخ من قوله تعالىٰ ـ في سورة البقرة ـ: «والّذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج»[2]. فكانت عدّة الوفاة للزوجة في ابتداء الاسلام إلىٰ سنة ـ كما فى الآية ـ، ثمّ نسخ ذلك الحكم بالضرورة بقوله تعالىٰ «والّذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً»[3].

غير أنّ هذه الآية الناسخة وقعت في الترتيب قبل الآية المنسوخة بآيات عديدة،

١ . إبطال نهج الباطل / ٢٥٢.

٢ . سورة البقرة / ٢٤٠.

٣ . سورة البقرة / ٢٣٤.

مع انّ الناسخ متأخر عن المنسوخ في النزول، فيكون متأخّراً في التلاوة، وخلافه يُعدّ من الجهل بالناسخ، ويجب أن يكون كتاب الله منزّهاً عن ذلك. ولذلك روىٰ محمّد بن حزم ـ في رسالته «الناسخ والمنسوخ» ـ انّ عليّاً (رضي الله عنه) مرّ علىٰ قاض، فقال له «أتعرف الناسخ من المنسوخ»؟. قال: لا. قال «هلكتَ وأهلكت». ونحوه الحديث عن ابن عبّاس[1]. انتهىٰ.

٢ ـ وممّا زعموه كذباً من خلاف الترتيب في القرآن، ما في البخاري وغيره من رواياتهم نزول قوله تعالىٰ «ماكان للنبيّ والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربىٰ من بعد ما تبيّن لهم أنّهم أصحاب الجحيم»[2] في أبي طالب (عليه السّلام) لما حضرته الوفاة، حيث دخل عليه النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعنده أبو جهل وابن أبي أُميّة، فقال: يا عم! قل لا إله إلّا الله، كلمة[3] أحاجّ لك بها عند الله. فقال أبو جهل: يا أبا طالب! أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟ فقال: علىٰ ملّة عبد المطّلب[4]....

وهذا كذب محض، لأنّ أبا طاب مات قبل الهجرة بمكّة، والآية المذكورة في سورة براءة، وهي مدنيّة.

فلو قالوا: إنّ هذه الآية تقدّم نزولها في مكّة، لزم منه خلاف الترتيب في نظم القرآن، فينا فيه دعواهم الإجماع علىٰ أنّ هذا الترتيب من النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أو أنّه ترتيب مرضيٌ عند الاصحاب منذ الصدر الأوّل، فكيف يكون ترتيباً حسناً مرضيّاً عندهم، مع ما فيه من التقديم والتأخير؟

٣ ـ ومن ذلك أيضاً ما في رسالة «الناسخ والمنسوخ» (لابن حزم) وغيره من التفاسير من أنّ قوله تعالىٰ ـ في سورة الأحزاب ـ «لا يحلّ لك النساء من بعد، ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج...»[5] منسوخ بآية قبلها في النظم والترتيب، وهي قوله تعالىٰ: «يا

١ . الناسخ والمنسوخ / ١٢٤ ـ ١٢٥.

٢ . سورة البراءة / ١١٣.

٣ . لا يوجد في المصدر «كلمة».

٤ . صحيح البخاري ٥ / ١٩٤، كتاب التفسير، سورة البراءة.

٥ . سورة الاحزاب / ٥٢.

أيّها النبيّ إنا أحللنا لك أزواجك اللآتي آتيت أجورهنّ وما ملكت يمينك...[١]».[٢]، وعلىٰ هذا فكيف يصحّ في التأليف أن يرتّب الناسخ من المنسوخ، فيعهد إليه بجمع القرآن؟

٤ ـ ومن ذلك أيضاً قوله تعالىٰ ـ في سورة النساء ـ: «فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أُجورهنّ»[٣] الظاهر في حلّيّة متعة النساء، فانّ أهل السنّة ذهبوا إلىٰ أنّها منسوخة بقوله تعالىٰ «والّذين هم لفروجهم حافظون، إلّا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، فإنّهم غير ملومين»[٤]. مع انّ الآية الناسخة ـ بزعمهم ـ مكيّة من سورة المؤمنون، والآية المنسوخة ـ بزعمهم ـ مدنيّة، فكيف يتقدّم زمان الناسخ علىٰ زمان المنسوخ؟ فما هو إلّا أن يكون خلاف الترتيب والنظم فيما يختلف حكمه، فلو قالوا: إنّ الآية الناسخة مدنيّة أيضاً. قلنا: ذكرها في سورة مكيّة من خلاف النظم والترتيب أيضاً.

والشيعة في متّسع من هذا الاشكال وأشباهه، لانّ آية المتعة عندهم محكمة غير منسوخة، وهم يعملون بها اتباعاً للأئمّة الراسخين في العلم من العترة الطاهرة ـ عليهم السّلام ـ ،وإنّ المنكوحة إلىٰ مدّة، زوجةٌ شرعيّة، أو أنّ آية الاستمتاع الواردة في المدينة ناسخة أو مخصّصة، لقوله تعالىٰ «إلاّ علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم»، فمفاد مجموع الآية حلّيّة الزوجة الدائمة والمنقطعة وملك اليمين.

٥ ـ ومن خلاف الترتيب في القرآن (عندهم) قوله تعالىٰ في: سورة المائدة ـ: «يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس...»[٥]، حيث قالت الجماعة انّها مكّيّة.

قال الرازي ـ في تفسيره الكبير ـ: روي عن النبيّ (ص) انّه كان أيّام إقامته بمكّة يجاهر ببعض القرآن، ويُخفي بعضه اشفاقاً علىٰ نفسه من تسرّع المشركين إليه وإلىٰ

---

١ . سورة الاحزاب / ٥٠.

٢ . الناسخ والمنسوخ / ١٩٠.

٣. سورة النساء / ٢٤.

٤ . سورة المؤمنون / ٥ـ٦.

٥ . سورة المائدة / ٦٧.

أصحابه، فلمّا أعزَّ الله الإسلام وأيّده بالمؤمنين، قال له «يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك»[١]. فعلىٰ هذا يتوجّه الاعتراض علىٰ ذكر الآية في سورة المائدة الّتي نزلت آخر ما أُنزلت علىٰ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في المدينة، وفيها قوله تعالىٰ «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي»[٢]، وإنّها نزلت يوم عرفة في حجّة الوداع ـ في رواياتهم ـ، كما في كتاب التفسير من «صحيح البخاري»، رواه عن عمر بن الخطّاب[٣].

٦ ـ ومن ذلك قوله تعالىٰ ـ في أواخر سورة الأنعام ـ: «ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه»[٤]. قالوا: انّها منسوخة، وناسخها الآية الّتي في سورة المائدة ـ قبل سورة الانعام ـ وهي قوله تعالىٰ «اليوم أحلّ لكم الطيّبات، وطعام الّذين أوتوا الكتاب حلّ لكم، وطعامكم حلّ لهم»[٥]، مع انّ الناسخ يلزم أن يكون متأخّراً.

وذهب الاماميّة علىٰ أنّ المراد من الطعام المذكور في الآية هو الحبوب والفواكه غير الذبائح، بقرينة قوله «وطعامكم حلّ لهم»، كما في نصوص أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ[٦]، فيبقىٰ قوله تعالىٰ: «ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه» سليماً عن المزاحم. ولو أُريد من لفظ الطعام ما يتناول الذبائح، فلا محالة تكون الآية مخصَّصة أو منسوخة بقوله تعالىٰ «ولا تأكلوا ممّا لم يُذكر اسم الله عليه» الصريح في وجوب التسمية بالله تعالىٰ، لا الأقانيم.

٧ ـ ومن ذلك قوله تعالىٰ (في سورة الاسراء، وهي مكيّة، لانّ الاسراء والمعراج كانا بمكّة، وفي السورة قوله تعالىٰ): «والشجرة الملعونة في القرآن»[٧]، حيث فُسّرت

---

١ . التفسير الكبير ١٢ / ٤٨.

٢ . سورة المائدة / ٣.

٣ . صحيح البخاري ٥ / ٧٤، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة.

٤ . سورة الانعام / ١٢١.

٥ . سورة المائدة / ٥.

٦ . الكافي ٦ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

٧ . سورة الاسراء / ٦٠.

«الشجرة الملعونة» ببني أُميّة، في تفسير الفخر الرازي[١]، وتفسير الخازن[٢] والقرطبي والطبري[٣] والدرّ المنثور[٤] وروح المعاني ـ للآلوسي ـ[٥] باسانيد عديدة انّ النبيّ ـص ـ رأىٰ في منامه انّ بني أُميّة ينزون[٦] علىٰ منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتّىٰ مات، فأنزل الله «وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلّا فتنة للناس، والشجرة الملعونة...»، ومعلوم انّ الرؤيا ونزول هذه الآية كانت بالمدينة.

٨ ـ ومن مخالفة النظم والترتيب (عندهم) ما ذكروه في قوله تعالىٰ «يا أيّها النّبيّ حسبك الله ومن تبعك من المؤمنين»[٧] من أنّها نزلت بمكّة عند إسلام عمر بن الخطّاب.

فنقول: لو كانت الآية مكيّة ـ كما يقولون ـ فكيف ذكرت في سورة الانفال وهي مدنية؟. أما انّنا ننكر أن تكون الآية المذكورة مكيّة، لأنّها بسياقها وربطها بما قبلها من قوله تعالىٰ «هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين»[٨] وبما بعدها من قوله «يا أيّها النبيّ حرّض المؤمنين علىٰ القتال»[٩] تدلّ علىٰ أنّها مدنيّة كسائر آيات الجهاد وآيات السيف. قال الرازي ـ في تفسيره ـ انّ آية «حسبك الله ومن اتّبعك من المؤمنين» نزلت في غزوة بدر قبل القتال، والمراد بالمؤمنين هم الانصار[١٠]. انتهىٰ.

٩ ـ ومن ذلك ما في سورة الممتحنة، فانّ صدرها ـ أعني قوله تعالىٰ «يا أيّها الّذين

---

١ . التفسير الكبير ٢٠ / ٢٣٦.

٢ . لم أجده في المصدر ـ في تفسير الآية ـ.

٣ . الجامع لاحكام القرآن ١ / ٢٨٦.

٤ . الدرّ المنثور ٤ / ١٩١.

٥ . روح المعاني ١٥ / ٩٩.

٦ . ينزون: يثبون.

٧ . سورة الانفال / ٦٤.

٨ . سورة الانفال / ٦٢.

٩ . سورة الانفال / ٦٣.

١٠ . التفسير الكبير ١٥ / ١٩١.

آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء، تلقون إليهم بالمودّة»[١] ـ نـزل في حـاطب بـن بلتعة، كما في صحاح أهل السنّة[٢]، وما فعله في فتح مكّة من إرسال زوجته مع كتابٍ إلىٰ مشركي قريش يخبرهم أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يقصدهم في جيش عـظيم، وذلك سنة ثمان من الهجرة عام الفتح.

ونزل في ذيل هذه السورة من قوله تعالىٰ «يا أيّها الّذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ، الله أعلم بإيمـانهنّ، فان علمتموهنّ مؤمنات فـلا تـرجـعوهنّ إلى الكفّار...»[٣] عام واقعة الحديبية لمّا تمّ الصلح بن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وبين كفّار قريش علىٰ أن يُردَّ إليهم الّذين أسلموا منهم وهاجروا إلى المدينة، ويُسلّم إلىٰ مواليهم، دون المؤمنات من نسائهم، ومعلوم انّ عام الحديبية كان سنة ستّ من الهجرة، فالّتي نزلت في سنة ستّ جعلت في آخر السورة، والّتي نزلت في سنة ثمان جُعلت في أوّل السورة، فهذه حجّة قويّة علىٰ أنّ جمع المصحف وتأليفه وقع عن عدم العلم بكيفيّة النزول.

١٠ ـ ومن ذلك قوله تعالىٰ (في آخر سورة الرعد): «قل كفىٰ بـالله شهـيداً بـيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب». قال الفخر الرازي ـ في تفسيره ـ: انّ المراد شهادة أهل الكتاب من الّذين آمنوا برسول الله ـ ص ـ في المدينة، وهم عبد الله بن سـلام وسـلمان الفارسي وتميم الداري[٤]. مع انّ السورة مكيّة ونزول الآية في هؤلاء يـقتضي أن يكـون بالمدينة، لانّهم آمنوا بالنبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فيها، فيلزم منه خلاف الترتيب في القرآن.

١١ ـ ثمّ انّه لا محالة أن تكون فاتحة الكتاب مكّية، إذ لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، وكان النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ صلّىٰ هو ومَن آمن به بمكّة. ولكن الجماعة ذكروا آية الوضوء في سورة المائدة، وهي آخر سورة نزلت في المدينة، ومن الضرورة وجوب الطهارة في الصلاة، ففرّقوا بين الصلاة والطهارة نزولاً، قال السيوطي ـ في كتابه «لباب

---

١. سورة الممتحنة / ١.

٢. صحيح البخاري ٦ / ٥٨، كتاب التفسير، باب «لا تتّخذوا عدوي وعدوّكم أولياء».

٣. سورة الممتحنة / ١٠.

٤. التفسير الكبير ١٩ / ٦٩.

النقول في اسباب النزول» ـ عند ذكر آية الوضوء من سورة المائدة: انّ الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول الآية. قال ابن عبد البرّ: معلوم عند جميع أهل المغازي انّه ـص ـ لم يصلِّ منذ فُرضت عليه الصلاة إلّا بوضوء، ولا يدفع ذلك إلّا جاهل أو معاند. قال: والحكمة من نزول آية الوضوء مع تقدّم العمل به ليكون فرضه متلوّاً بالتنزيل. وقال غيره: يحتمل ان يكون أوّل الآية نزل مقدَّماً مع فرض الوضوء، ثمّ نزل بقيّتها، وهو ذكر التيمّم في هذه القصة ـ أي قصّة الإفك وفقد عائشة العقد ـ. قلت: الأوّل أصوب، فانّ فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكّة، والآية مدنيّة[1]. انتهىٰ.

ثمّ انّ من المعلوم انّ سورة «اقرأ» كانت أوّل ما نزل علىٰ النبيّ ـصلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بمكّة، كما في صحيح الحديث، وانّ ما بأيدينا من المصاحف لم يرتّبوا فيه السور حسب ترتيب نزولها. وقد ثبت في الأخبار انّ عليّاً ـعليه السّلام ـ رَتّب مصحفه علىٰ ما أُنزل.

قال السيوطي في «الإتقان»: كان أوّل مصحف علي ـ رضي الله عنه ـ «إقرأ» ثم «المدّثر» ثم «ن» ثمّ «المزمّل» ثمّ «تبّت»... وهكذا إلىٰ آخر المكيّ والمدني[2]. انتهىٰ.

وحيث انّ هذا الجمع والترتيب في غاية الضبط لربط المعاني وما يراد من الكلام الإلهي والعلم بالناسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ والمجمل والمبين وانضمام القرائن لمعرفة المنزل والمأوّل، فقال النبيّ ـصلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض» فيما رواه ابن حجر في «الصواعق»[3]، والحاكم في «المستدرك»[4]، والذهبي في التلخيص[5]، والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» قائلاً وأخرجه الطبراني في معجمه الصغير. هذه حجّة واضحة علىٰ انّ عليّاً ـعليه السّلام ـ لا يأتيه الباطل، وأن عنده علم القرآن «ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين»[6] [7].

١ . لباب النقول ١ / ١٣٣ ـ ١٣٤ .

٢ . الاتقان في علوم القرآن ١ / ١٧٦ .

٣ . الصواعق المحرقة / ١٢٤ .

٤ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٢٤ .

٥ . تلخيص المستدرك ٣ / ١٢٤ .

٦ .كفاية الطالب / ٣٩٩.

مواصفات النسخ المتعدّدة من المصادر المطبوعة في عمليّة توثيق هذاالجـــزء

نظراً إلىٰ اختلاف طبعات الكتب الّتي اعتمدنا عليها في عمليّة توثيق هذا الكتاب ـ غالباً ـ، ووقوع التحريف في بعض الطبعات، فقد قرّرنا إعطاء مواصفات النسـخ الّـتي اعتمدنا عليها، كي تسهل مراجعتها.

هذه المعلومات اقتبسناها من نفس الكتب، وفي حال عدم وجـدان اسم النـاشر، وضعنا مكانه اسم المطبعة. كما انّه في حالة عدم توفّر بقيّة المـعلومات، وضـعنا مكـانها علامة استفهام.

المذكور في البداية هو اسم الكتاب، يليه اسم المؤلّف، بعده مـرتبة الطـباعة، ثمّ مكان نشر الكتاب وناشره، وأخيراً سنة النشر.

١ ـ إبطال نهج الباطل وإهمال كشف العاطل، فـضل بـن روزبهـان القـاساني،؟ (طباعة حجريّة قديمة).

٢ ـ أبو هريرة، السيد عبد الحسين شرف الدّين،؟، صيدا ـ لبنان، طبعة صيدا، ١٣٦٥.

---

٧. سورة الأنعام / ٥٩.

يظهر من جميع ما جاء في هذا الكتاب انّ أصول المناقشة البنّاءة الهادفة الّتي يراد من ورائها معرفة الحقيقة، لم تراع من قبل مخالفينا، بل أنّهم اعتمدوا في المواجهة معنا على سيل التهم والافتراءات والتفسيق والتكفير وإيجاب إراقة دمائنا. ولم يعملوا علىٰ تطبيق أسلوبهم مع قوله تعالىٰ «أُدعُ إلىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن».

٣ ـ اتحاف الأشراف، عبد الله الشبراوي الشافعي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، شركة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده،؟.

٤ ـ إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدِّين، أحمد الزبيدي الأولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٩.

٥ ـ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمٰن السيوطي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، ١٣٨٧.

٦ ـ الاحتجاج علىٰ أهل اللجاج، أحمد الطبرسي، الثانية، ـ لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،؟.

٧ ـ إحياء علوم الدِّين، محمّد الغزالي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، شركة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٨.

٨ ـ الاذكار المنتخبة من كلام سيّد الابرار، محي الدِّين النووي؟،؟ ـ تركيا، المطبعة العامرة العثمانيّة، ١٣٠٦.

٩ ـ الارشاد، محمّد العكبري البغدادي (المفيد)، الثالثة، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٩.

١٠ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد القسطلاني، السابعة، بولاق ـ مصر، المطبعة الأميريّة، ١٣٢٣.

١١ ـ ارشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم، محمّد العمادي،؟، بيروت ـ لبنان، دار احياء التراث العربي،؟.

١٢ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب، يوسف بن عبد البرّ، الأولىٰ، الفحالة ـ مصر، مكتبة نهضة مصر،؟.

١٣ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، علي الجزري،؟، القاهرة ـ مصر، جمعيّة المعارف، ١٣٨٦.

١٤ ـ اسنىٰ المطالب في مناقب سيّدنا علي بن أبي طالب، محمّد الجزري، الأولىٰ، اصفهان ـ ايران، مكتبة الامام أمير المؤمنين العامّة،؟.

١٥ ـ اسني المطلب في نجاة أبي طالب، أحمد دحلان، الثانية،؟،؟،؟.

١٦ ـ الاصابة في تمييز الصحابة، أحمد العسقلاني (ابن حجر)، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٨.

١٧ ـ اعتقادات، شيخ محمّد الصدوق الاولىٰ،؟ ايران، مطبعة افتاب، ١٣٧١.

١٨ ـ اعلام الموقعين عن ربّ العالمين، محمّد الزرعي (ابن قيم)،؟، عابدين ـ مصر، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٩.

١٩ ـ أقرب الموارد في فصح العربيّة والشوارد، سعيد الخوري، الأولىٰ، بيروت ـ لبنان،؟،؟.

٢٠ ـ الإكمال في اسماء الرجال، محمّد العمري، الأولىٰ، دمشق ـ سوريا، المكتب الإسلامي، ١٣٨٢.

٢١ ـ الاكمال في اسماء الرجال، عبد الحقّ الدهلوي، الأولىٰ، لاهور ـ باكستان، المطبع الإسلامي،؟.

٢٢ ـ الامامة والسياسة، عبد الله الدينوري،؟، القاهرة ـ مصر، مطبعة الفتوح الأدبيّة،؟.

٢٣ ـ إمتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والأموال والحَفَدة والمتاع، أحمد المقريزي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤١م.

٢٤ ـ إنسان العيون في سيرة الامين والمأمون، علي الحلبي،؟، بيروت ـ لبنان، المكتبة الإسلاميّة،؟.

٢٥ ـ أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي،؟، بيروت ـ لبنان، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع،؟.

٢٦ ـ أوائل المقالات في المذاهب المختارات، محمّد العكبري البغدادي (المفيد)، الثالثة، بيروت ـ لبنان،؟،؟.

٢٧ ـ بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، الشيخ محمّد باقر المجلسي، الثالثة، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣.

٢٨ ـ البداية والنهاية في التاريخ، اسماعيل القرشي الدمشقي، الأولىٰ، القاهرة ـ

مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٥١.

٢٩ ـ تاريخ بغداد، أحمد الخطيب البغدادي، الأولىٰ، بغداد ـ العراق والقاهرة ـ مصر، المكتبة العربيّة ومكتبة الخانجي، ١٣٤٩.

٣٠ ـ تاريخ الخلفاء القائمين بأمر الله، جلال الدِّين السيوطي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، المطبعة الميمنية، ١٣٠٥.

٣١ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، حسين الديار بكري،؟، بيروت، لبنان، مؤسّسة الشعبان،؟.

٣٢ ـ تاريخ الرسل والملوك، محمّد الطبري، الثانية، القاهرة ـ مصر، دار التعارف،؟.

٣٣ ـ التاريخ الكبير، محمّد البخاري، الأولىٰ حيدر آباد ـ الهند، مطبعة جمعيّة دار المعارف العثمانية، ١٣٦١.

٣٤ ـ تاريخ مدينة دمشق (ترجمة الامام علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ)، علي الشافعي (ابن عساكر)، الثانية، بيروت ـ لبنان، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، ١٣٩٨.

٣٥ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد اليعقوبي،؟ بيروت ـ لبنان، دار الصادر،؟.

٣٦ ـ تأويل مختلف الحديث، عبد الله الدينوري، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر،؟،؟.

٣٧ ـ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمّد الطوسي، الأولىٰ، النجف ـ العراق، مكتبة الأمين، ١٣٧٧.

٣٨ ـ التحفة الاثنىٰ عشريّة، غلام حليم الدهلوي،؟،؟ ـ الهند، مطبعة منشي نولكشور، ١٣٢٥.

٣٩ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن السيوطي، الثانية، القاهرة ـ مصر، دار الكتب العلميّة، ١٣٨٥.

٤٠ ـ تذكرة الحفاظ محمّد الذهبي،؟، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي،؟.

٤١ ـ تذكرة خواص الأُمّة، يوسف البغدادي (سبط ابن الجوزي)،؟ النجف ـ العراق،؟،؟... ـ

تفسير أبي سعود. راجع: ارشاد العقل السليم.

٤٢ ـ تفسير الامام الحسن العسكري (عليه السّلام)، منسوب إلىٰ الامام الحسن العسكري (عليه السّلام)، الأولىٰ، قم ـ ايران، مدرسة الامام المهدي، ١٤٠٩.

٤٣ ـ تفسير القرآن العظيم، محمّد المحلي وعبد الرحمٰن السيوطي،؟،؟ ـ مصر، المطبعة الشرقيّة،؟.

٤٤ ـ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل القرشي الدمشقي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجاريّة الكبرىٰ، ١٣٥٦.... ـ

التفسير الكبير. راجع: مفاتيح الغيب.

٤٥ ـ تفصيل وسائل الشيعة إلىٰ تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمّد الحرّ العاملي، الرابعة، بيروت ـ لبنان، دار احياء التراث العربي، ١٣٩١.

٤٦ ـ تقريب التهذيب، أحمد العسقلاني (ابن حجر)، الأولىٰ، المدينة المنورة ـ السعوديّة، المكتبة العلميّة، ١٣٨٠.

٤٧ ـ تلخيص المستدرك، محمّد الذهبي،؟، الرياض ـ السعوديّة، مكتبة ومطابع النصر الحكومية،؟.

٤٨ ـ تلبيس ابليس، عبد الرحمٰن البغدادي (ابن الجوزي)،؟، القاهرة ـ مصر، ادارة الطباعة المنيريّة، ١٩٢٨م.

٤٩ ـ تهذيب التاريخ الكبير، علي الشافعي (ابن عساكر)،؟،؟ ـ سوريا، مطبعة روضة الشام، ١٣٣٠.

٥٠ ـ تهذيب التهذيب، أحمد العسقلاني،؟حيدر آباد ـ الهند،مجلس دائرة المعارفة. النظاميّة،١٣٢٥.

٥١ ـ التوحيد، الشيخ محمّد الصدوق،؟، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة،؟.

٥٢ ـ جامع الاصول من أحاديث الرسول، مبارك الجزري (ابن الأثير)، الأولىٰ،؟، مطبعة السنة المحمّديّة، ١٣٦٨.

٥٣ ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، يوسف القرطبي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار الكتب المصريّة،؟.

٥٤ ـ جامع البيان في تفسير القرآن، محمّد الطبري، الأولىٰ، بولاق ـ مصر، المطبعة الكبرىٰ الأميريّة، ١٣٢٧.

٥٥ ـ الجامع الصحيح، محمّد الترمذي،؟، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي،؟.

.. ـ الجامع الصحيح للبخاري. راجع: صحيح البخاري.

.. ـ الجامع الصحيح لمسلم. راجع: صحيح مسلم.

٥٦ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، عبد الرحمٰن السيوطي، الرابعة بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلميّة،؟.

٥٧ ـ الجامع لأحكام القرآن، محمّد القرطبي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار الكتب العلميّة، ١٣٥٨.

٥٨ ـ الحاوي للفتاوى، جلال الدِّين السيوطي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار الطباعة المنيريّة، ١٣٥٢.

٥٩ ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، أحمد الاصبهاني، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٥٤.

٦٠ ـ حياة الحيوان الكبرىٰ، كمال الدِّين الدميري،؟، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجاريّة الكبرىٰ، ١٣٧٤.

٦١ ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد النسائي، الأولىٰ، النجف ـ العراق، المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٩.

٦٢ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، أحمد الخزرجي،؟، القاهرة ـ مصر، مكتبة القاهرة،؟.

٦٣ ـ دراسات اللبيب في الاسوة الحسنة والحبيب، محمّد المعين السندي، الأولىٰ، كراتشي ـ باكستان، لجنة احياء الادب السندي، ١٩٥٧م.

٦٤ ـ الدرر المكنونات النفيسة، أحمد الفاروقي،؟، استانبول ـ تركيا، مكتبة ايشيق، ١٣٩٦.

٦٥ ـ الدرّ المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمٰن السيوطي،؟، بغداد ـ العراق، دار الكتب العراقيّة، ١٣٧٧.

٦٦ ـ ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ، أحمد الطبري،؟، القاهرة ـ مصر،

مكتبة القدسي، ١٣٥٦.

٦٧ ـ رسالة المحكم والمتشابه، السيّد علي الموسوي البغدادي، (علم الهدىٰ)،؟،؟،؟.

٦٨ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، أحمد المحبّ الطبري، الأولىٰ،؟ ـ مصر، المطبعة الحسينيّة، ١٣٢٧.

٦٩ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، محمّد بن قيم الجوزيّة، الثانية، القاهرة، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٦٩.

٧٠ ـ سنن ابن ماجة، محمّد القزويني (ابن ماجة)،؟، القاهرة ـ مصر، شركة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده،؟.

٧١ ـ سنن أبي داود، سليمان السجستاني، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجاريّة الكبرىٰ، ١٣٧٠.

٧٢ ـ السيرة النبويّة والآثار المحمّديّة، أحمد زيني،؟، بيروت ـ لبنان، المكتبة الاسلامية،؟.

.. ـ السيرة الحلبية. راجع: انسان العيون

٧٣ ـ شرح الاربعين النووية في الاحاديث الصحيحة النبويّة، يحيىٰ النووي،؟، القاهرة ـ مصر، مطبعة الإستقامة، ١٣٧٥.

٧٤ ـ شرح صحيح مسلم، يحيىٰ النووي، السابعة، بولاق ـ مصر، المطبعة الاميريّة، ١٣٢٣.

٧٥ ـ شرح علي القاري علىٰ شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر في أصول الحديث، أحمد العسقلاني، الاولىٰ، استانبول ـ تركيا، مطبعة اخوت، ١٣٢٧.

٧٦ ـ شرح نهج البلاغة،عبد الحميد المدائني،الثانية،القاهرة ـ مصر،دار إحياء الكتب العربيّة،١٣٨٥.

٧٧ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، عياض الاندلسي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر،؟،؟.

٧٨ ـ الشهاب الثاقب في اثبات الأئمّة المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ، السيد

محمّد باقر الحجّة الطباطبائي، الاولىٰ، النجف ـ العراق، المطبعة العلوية، ١٣٤٢.

٧٩ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبد الله الحنفي الحسكاني، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، مؤسّسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٣.

٨٠ ـ صحيح البخاري، محمّد البخاري، الأولىٰ، بولاق ـ مصر، المطبعة المصريّة، ١٢٩٦.

٨١ ـ صحيح مسلم، مسلم القشيري، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٧٥.

٨٢ ـ صفة الصفوة، عبد الرحمٰن بن جعفر الجوزي، الثانية، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٩.

٨٣ ـ الصواعق المحرقة في الردّ علىٰ أهل البدع والزندقة، أحمد الهيثمي، الثانية، القاهرة ـ مصر، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥.

٨٤ ـ الضعفاء والمتروكين، أحمد النسائي، الاولىٰ، حلب ـ سوريا، دار الوعي، ١٣٩٦.

٨٥ ـ طبقات الشافعيّة، عبد الوهاب السبُكي، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاءه، ١٣٨٥.

٨٦ ـ الطبقات الكبرىٰ، محمّد بن سعد، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار الصادر، ١٣٧٧.

٨٧ ـ العقد الفريد، أحمد الاندلسي، الثانية، القاهرة ـ مصر، مكتبة النهضة المصريّة، ١٣٨١.

٨٨ ـ عمدة القاري في شرح البخاري،محمود العيني، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر،دار الطباعة المنيريّة،؟.

٨٩ ـ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيّ ـص ـ، أبو بكر بن العربي،؟، القاهرة ـ مصر، المطبعة السلفيّة، ١٣٧١.

٩٠ ـ العين خليل الفراهيدي، الثانية، قم ـ ايران، دار الهجرة، ١٤٠٦.

٩١ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، حسن القمّي، النيسابوري، الثانية، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٢.

٩٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الاولىٰ، بولاق ـ مصر، المطبعة الكبرىٰ الميرية، ١٣٠١.

٩٣ ـ فتوح البلدان، أحمد البغدادي البلاذري، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، شركة طبع الكتب العربيّة، ١٣١٩.

٩٤ ـ فرائد الاصول في تمييز المزيّف عن المقبول، الشيخ مرتضىٰ الانصاري، الأولىٰ، قم ـ ايران، مؤسّسة النشر الاسلامي، ١٤٠٧.

٩٥ ـ فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسبطين، ابراهيم الجويني(أو الحمويني)، الأولىٰ، بيروت ـ لبنان، مؤسّسة المحمودي للطباعة والنشر، ١٣٩٨.

٩٦ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، محمّد الظاهري (ابن حزم)، الثانية، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٥.

٩٧ ـ الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة ـ عليهم السلام ـ ابن صباغ المالكي ،؟ النجف العراق، مكتبة دار الكتب التجاريّة ،؟.

٩٨ ـ فقيه من لا يحضره الفقيه ،الشيخ محمّد الصدوق ،السادسة، بيروت ـ لبنان ،دار الاضواء، ١٤٠٥.

٩٩ ـ الفهرست، محمّد بن النديم ،؟، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجاريّة الكبرىٰ ،؟.

١٠٠ ـ القول المسدّد في الذبّ عن المسند للامام أحمد، أحمد العسقلاني، الأولىٰ، حيدرآباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظاميّة، ١٣١٩.

١٠١ ـ الكافي، الشيخ محمّد الكليني الثالثة، بيروت ـ لبنان، دار الأضواء، ١٤٠٥.

١٠٢ ـ الكامل في التاريخ، علي الشيباني، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار الصادر، ١٣٨٥.

١٠٣ ـ الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود الزمخشري، الثانية، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧.

١٠٤ ـ كشف الاسرار في شرح أصول البزدوي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المكتب الصنايع، ١٣٠٧.

١٠٥ ـ كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب، محمّد الكنجي الشافعي، الثانية، النجف ـ العراق، المطبعة الحيدريّة، ١٣٩٠.

١٠٦ ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والافعال، علي المتقي الهندي، الخامسة، بيروت ـ لبنان، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٥.

١٠٧ ـ الكنىٰ والأسماء، محمّد الدولابي، الاولىٰ، حيدر آباد ـ الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظاميّة، ١٣٢٢.

١٠٨ ـ اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدِّين السيوطي، الثانية، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٥.

١٠٩ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل، علي الخازن،؟،؟ ـ مصر،؟،؟.

١١٠ ـ لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمٰن السيوطي،؟، القاهرة ـ مصر، المطبعة الشرقيّة،؟.

١١١ ـ لسان العرب، محمّد الافريقي المصري،؟، بيروت ـ لبنان، دار الصادر،؟.

١١٢ ـ لسان الميزان، أحمدالعسقلاني، الاولىٰ حيدر آباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٠.

١١٣ ـ لواقح الانوار القدسيّة في بيان العهود المحمّديّة، عبد الوهاب الشعراني، الثانية، القاهرة ـ مصر، شركة مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٣

١١٤ ـ المبسوط، شمس الدِّين السرخسي،؟، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة،؟.

١١٥ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ فضل الطبرسي، الأولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٦.

١١٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، الثالثة، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢.

١١٧ ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، حسين الراغب الاصفهاني، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١م.

١١٨ ـ محصّل افكار المتقدّمين والمتأخّرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين، محمّد

الرازي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المطبعة الحسينيّة المصريّة،؟.

١١٩ ـ المحصول في علم أصول الفقه، محمّد الرازي الاولىٰ بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨.

١٢٠ ـ المختصر في أخبار البشر، اسماعيل القرشي الدمشقي، الاولىٰ،؟ مصر، المطبعة الحسينيّة،؟.

١٢١ ـ مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، علي القاري،؟ بيروت ـ لبنان، المكتبة الإسلامية،؟.

١٢٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي المسعودي، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار الأندلس، ١٩٦٥م.

١٢٣ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين، محمّد النيسابوري،؟، الرياض ـ السعوديّة، مكتبة ومطابع النصر الحديثة،؟.

١٢٤ ـ المستصفىٰ في علم الاصول، محمّد الغزالي،؟،؟ ـ مصر، المكتبة التجاريّة، ١٣٥٦.

١٢٥ ـ المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، محمّد الأبشيهي، الأولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار احياء التراث العربي، ١٣٧١.

١٢٦ ـ المسند، أحمد بن حنبل،؟، القاهرة ـ مصر، المطبعة الميمنيّة،؟.

١٢٧ ـ مشكاة المصابيح، محمّد العمري، الاولىٰ، دمشق ـ سوريا، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، ١٣٨٠ ـ ١٣٨٢.

١٢٨ ـ مشكل القرآن وغريبه، عبد الله الدينوري، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مكتبة الخانجي ومطبعتها، ١٣٥٥.

١٢٩ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيّومي،؟، بيروت ـ لبنان، المكتبة العلميّة،؟.

١٣٠ ـ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمّد الشافعي، الأولىٰ،؟ طهران ـ ايران،؟،؟.

١٣١ ـ المعارف، عبد الله الكاتب الدينوري (ابن قتيبة)، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر،؟،؟.

١٣٢ ـ معالم التنزيل، حسين البغوي،؟، بومبائي ـ الهند، المطبع الحيدر،ع ١٢٨٣.

١٣٣ ـ معجم الادباء، ياقوت الحموي، الثالثة، بيروت ـ لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠.

١٣٤ ـ المعيار والموازنة في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، محمّد المعتزلي، الأولىٰ، بيروت ـ لبنان، الشيخ باقر المحمودي، ١٤٠٢.

١٣٥ ـ المغني في الضعفاء، محمّد الذهبي، الثانية، بيروت ـ لبنان، دار احياء التراث العربي،؟.

١٣٦ ـ مفاتيح الغيب، محمّد الرازي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مطعبة الهيئة المصريّة، ١٣٥٧.

١٣٧ ـ مقدمة كتاب العبر، عبد الرحمٰن بن خلدون،؟، القاهرة ـ مصر، المطبعة الأزهريّة، ١٣٤٨.

١٣٨ ـ الملل والنحل، محمّد الشهرستاني، الاولىٰ، الجيزة ـ مصر، مكتبة الحسين التجاريّة، ١٣٦٨.

١٣٩ ـ مناقب الشافعي، محمّد الرازي،؟،؟ ـ مصر،؟، ١٢٧٩.

١٤٠ ـ مناقب علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ، موفّق ابن أحمد الخوارزمي، الأولىٰ، النجف ـ العراق، المكتبة الحيدريّة،؟.

١٤١ ـ مناقب علي بن أبي طالب، علي الواسطي (ابن المغازلي)، الاولىٰ، طهران ـ ايران، المكتبة الإسلاميّة، ١٤٠٣.

١٤٢ ـ منتخب كنز العمّال، علي المتّقي،؟ القاهرة ـ مصر، المطبعة الميمنيّة،؟.

١٤٣ ـ منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدريّة، أحمد بن تيمية، الأولىٰ، بولاق ـ مصر، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، ١٣٢١.

١٤٤ ـ موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، أحمد بن تيمية، الاولىٰ، بولاق ـ مصر، المطبعة الكبرىٰ الأميريّة، ١٣٢١.

١٤٥ ـ المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة، أحمد القسطلاني، الأولىٰ، القاهرة ـ مصر،

مصطفىٰ أفندي شاهين، ١٢٨١.

١٤٦ ـ الموضوعات،عبد الرحمٰن بن الجوزي،الأولىٰ، المدينة ـ السعوديّة، المكتبة السلفيّة ١٣٨٦.

١٤٧ ـ الموطأ، مالك بن أنس؟، القاهرة ـ مصر، دار احياء الكتب العربيّة،؟.

١٤٨ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمّد الذهبي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٨٢.

١٤٩ ـ الناسخ والمنسوخ، محمّد بن حزم،؟، القاهرة ـ مصر،؟،؟.

١٥٠ ـ النزاع والتخاصم في ما بين بني أُميّة وبني هاشم، أحمد المقريزي،؟، القاهرة ـ مصر، مكتبة الأهرام،؟.

١٥١ ـ نزهة اثنىٰ عشريّة، سيّد مولوي سيّد شريف،؟،؟ ـ الهند، مطبع البحرين، ١٣٢٩.

١٥٢ ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، عبد الرحمٰن الصفوري، الثالثة، القاهرة ـ مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٧.

١٥٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، محمّد الجزري،؟، بيروت ـ لبنان، المكتبة الإسلاميّة،؟.

١٥٤ ـ نهج البلاغة، أمير المؤمنين الإمام علي ـعليه السّلام ـ،؟، بيروت ـ لبنان، دار التعارف للمطبوعات، (مع تعليقات محمّد عبده).

١٥٥ ـ نوادر الاصول في أخبار الرسول، محمّد الحكيم الترمذي، الاولىٰ، حيدرآباد ـ الهند،؟، ١٢٩٣.

١٥٦ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، مؤمن الشبلنجي، الأولىٰ، الازبكيّة ـ مصر، المطبعة العامرة العثمانيّة، ١٣١٠.

... ـ وسائل الشيعة: راجع: تفصيل وسائل الشيعة.

١٥٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد البرمكي،؟، بيروت ـ لبنان، دار الصادر،؟.

١٥٨ ـ ينابيع المودّة لذوي القربىٰ، سليمان القندوزي، الأولىٰ ـ استانبول ـ تركيا، مهدي ملك النجار، ١٣٠٢.